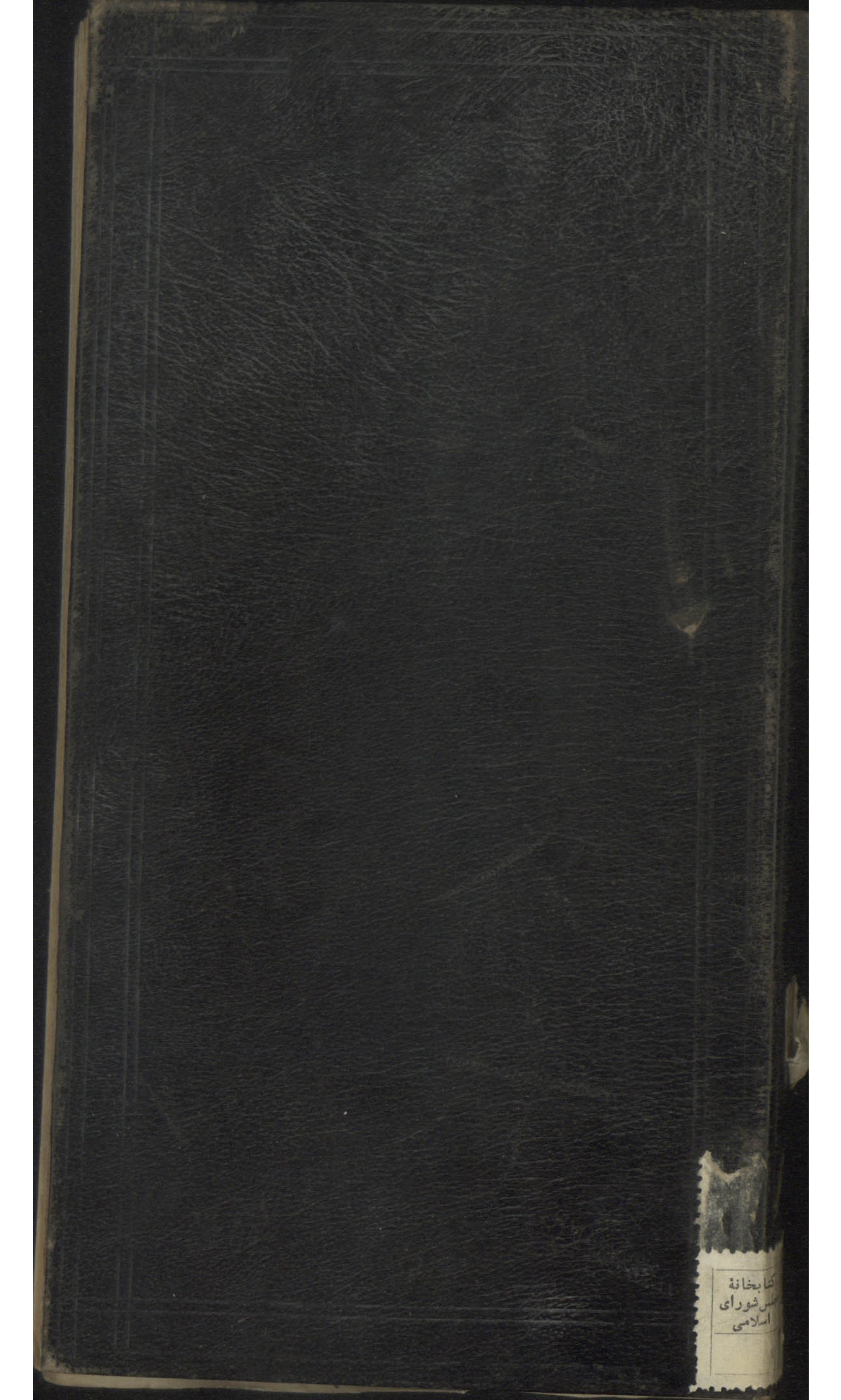

کتابخانهٔ
جلس شورای
اسلامی



اسلامی
...بخانهٔ مجلس شورای ملی
دلائل الاعجاز
۲۰۵) از کتب (خطی) اهدائی
...صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۲۰۹۱۲
۴۶۰۵
۱۲۹۷۶
خطی اهدائی
کتابخانهٔ
مجلس شورای
اسلامی
۲۰۵
۲۰۵


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی اسلامی
کتاب دلائل الاعجاز
مؤلف
جلد (۲۰۵) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۳۰۹۱۲
۴۶۰۵
۱۲۹۷۶
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۲۰۵


کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
کتاب دلائل الاعجاز
مؤلف
جلد (۲۰۵) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
۲۰۹۱۲
۴۶۰۵
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۲۰۵

لالي سرح

دلائل الاعجاز ثمنه ... لمحمد حسن ارشد

كتاب ... معروف دال

سكه ...

دلائل الاعجاز للشيخ الامام عبد القاهر طاب ثراه وجعل [illegible]

في ملكي وانا الاقل

[illegible]

دلايل الاعجاز ومعه التبيان لحسن قروحي

ملك الاقل [illegible]

ملك الاقل جعفر

ابن المرحوم شيخ جعفر

قصيدة انشاها الشيخ الامام شيخ الاسلام عبد القاهر الجرجاني

اني اقول مقالا لست اخفيه ولست ارهب خصما ان بدا فيه ما من سبيل الى اثبات معجزة [illegible]

فما لنظم كلام انت ناظمه معنى سوى حكم اعراب تزجيه اسم يرى وهو اصل للكلام فما [illegible]

وآخر هو يعطيك الزيادة في ما انت تثبته او انت تنفيه تفسير ذلك ان الاصل مبتدأ [illegible]

وفاعل [illegible] فعل تقدمه اليه يكسبه وصفا ويعطيه هذا اصول لا تأتيك فائدة من [illegible]

وما يزيدك من بعد التمام فما سلطت فعلا عليه في تعديه هذي قوانين تلقى من تتبعها ما يشبه البحر [illegible]

حلت تأتي بالتعليم الا انصرفت بعجز ان تقصيه هذا كذا السؤال كان الذين ترى يرون ان المز[illegible]

والذي هو قصدي ان [illegible] لم يأت الفتى خصما يماريه يقول من اين ان لا نظم يشبهه ولين منطق [illegible]

وقد علمنا بان النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توخيه لو نقب الارض باغ غير ذلك له وصف [illegible]

ما عاد الا بخسر في تطلبه ولا رأى غير غي في تبغيه ونحن ما ان بثثنا الفكر ننظر في احكامه ونروّيه

كانت حقائق يلقى العلم مشتركا بها وكلا تراه نافذا فيه فليس معرفة من دون معرفة في كل ما انت من باد تعانيه

تري تصرفهم في الكل مطردا [illegible] فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا حتى غدا العجز يهمي سيل [illegible]

[illegible] منبلجا في عتق [illegible] والحمد لله رب العالمين [illegible]

كتاب دلائل الاعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين أحمده على عظيم نعمائه وجميل بلائه و
استكفيه نوائب الزمان ونوازل الحدثان وارغب اليه في التوفيق والعصمة
وابرء اليه من الحول والقوة واساله يقينا يملأ الصدر ويعمر القلب ويستولي
على النفس حتى يكفها اذا نزعت ويردها اذا تطلعت وثقة بانه عز وجل الوزر
الكالي والراعي والحافظ وان الخير والشر بيده وان النعم كلها من عنده وان لا
سلطان لاحد مع سلطانه نوجه رغباتنا اليه ونخلص نياتنا في التوكل عليه
وان يجعلنا ممن همه الصدق وبغيته الحق وغرضه الصواب وما يصححه العقول
وتقبله الالباب واعوذ به من ان ادعي العلم بشيء لا اعلمه وان اسدي قولا
لا الحمه وان اكون ممن يغره الكاذب من الثناء وينخدع للتجوز في الاطراء
وان يكون سبيلي سبيل من يعجبه ان يجادل بالباطل ويموه على السامع ولا
يبالي اذا راج عنه القول ان يكون قد خلط فيه ولم يسدد في معانيه واستانف
الرغبة اليه عز اسمه في الصلوة على خيرة خلقه المصطفى من بريته محمد سيد المرسلين
وعلى اصحابه الخلفاء الراشدين وعلى آله الاخيار من بعدهم اجمعين وبعد
فانا اذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف ونتبين مواقعها من العظم
ونعلم اي منها احق بالتقديم واسبق في استيجاب التعظيم وجدنا العلم اولاها
بذلك واولها هنالك اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدليل
عليه ولا منقبة الا وهو ذروتها وسنامها ولا مفخرة الا وبه صحتها وتمامها
ولا حسنة الا وهو مفتاحها ولا محمدة الا ومنه تتقد مصباحها هو الوفي اذا
خان كل صاحب والثقة اذا لم يوثق بناصح لولاه لما بان الانسان من سائر الحيوان
الا بتخطيط صورته وهيئة جسمه وبنيته لا ولا وجد الى اكتساب الفضل طريقا
ولا وجد بشيء من المحاسن خليقا ذاك لانا وان كنا لا نصل الى اكتساب فضيلة
الا بالفعل وكان لا يكون فعل الا بالقدرة فانا لم نر فعلا زان فاعله واوجب
الفضل له حتى يكون عن العلم صدره وحتى يتبين ميسمه عليه واثره ولم نر قدرة
قط كسبت صاحبها مجدا دون ان يكون العلم رائدها فيما تطلب وقائدها حيث

يؤم ويذهب ويكون المصرف لعنانها والمقلب لها في ميدانها فهي اذا مفتقرة في ان
تكون فضيلة اليه وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه واذا هي خلت من العلم وابت
ان تمتثل امره وتقتفي رسمه آلت ولا شيء احشد للذم على صاحبها ولا شين
اشين من اعماله فهذا في فضل العلم لا تجد عاقلا يخالفك فيه ولا ترى احدا
يدفعه او ينفيه فاما المفاضلة بين بعضه وبعض وتقديم فن على فن فانك
ترى الناس فيه على آراء مختلفة واهواء متعادية ترى كلا منهم لحبه نفسه وايثاره
ان يدفع النقص عنها يقدم ما يحسن من انواع العلم على ما لا يحسن ويحاول
الزراء على الذي لم يحط به والطعن على اهله والغض منهم ثم تتفاوت احوالهم
في ذلك فمن مغمور قد استهلكه هواه وبعد في الجور مداه ومن مترجح
متردد فيه بين الانصاف والظلم يجور تارة ويعدل اخرى في الحكم فاما من يخلص
في هذا المعنى من الحيف حتى لا يقضي الا بالعدل وحتى يصدر في كل امره عن العقل
فكالشيء الممتنع وجوده ولم يكن ذلك كذلك الا لشرف جليل محله وان محبته
مركوزة في الطباع ومركبة في النفوس وان الغيرة عليه لازمة للجبلة وموضوعة
في الفطرة وانه لا عيب اعيب عند الجميع من عدمه ولا ضعة اوضع من الخلو
عنه فلم يعاد اذا الا من فرط المحبة ولم يسمح الا لشدة الضن ثم انك لا ترى علما
هو ارسخ اصلا وابسق فرعا واحلى جنى واعذب وردا واكرم نتاجا وانور
سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدر
وينفث السحر ويقري الشهد ويريك بدائع من الزهر ويجنيك الحلو اليانع
من الثمر والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره اياها لبقيت
كامنة مستورة ولما استبنت لها يد الدهر صورة ولاستمر السرار باهلتها
واستولى الخفاء على جملتها الى فوائد لا يدركها الاحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء
الا انك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ومني من الحيف
ما مني به ودخل على الناس الغلط ما دخل عليهم فيه فقد سبقت الى نفوسهم اعتقادات
فاسدة وظنون ردية وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش ترى كثيرا منهم لا يرى له
معنى اكثر مما يرى للاشارة بالراس والعين وما يجده للخط والعقد يقول انما
هو خبر واستخبار وامر ونهي لكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه
فكل من عرف اوضاع لغة من اللغات عربية كانت او فارسية وعرف المغزى
من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها وعلى تادية اجراسها وحروفها فهو
بين في تلك اللغة كامل الاداة بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه منتهى الى الغاية

التى لا مذهب بعدها تسمع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا تعرف لها معنى سوى الاطناب
فى القول وان يكون المتكلم فى ذلك جهير الصوت جارى اللسان لا تعترضه لكنة ولا تقف
به حبسة وان يستعمل اللفظ الغريب والكلمة الوحشية فان استظهر للامر وبالغ
فى النظر فان لا يلحن فيرفع فى موضع النصب ويخطى فيجى باللفظة على غير ما هى عليه
فى الوضع اللغوى وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب وجملة الامر انك لا ترى
النقص يدخل على صاحبه فى ذلك الا من جهة نقصه فى علم اللغة لا يعلم ان ههنا
دقائق واسرارا طريق العلم بها الروية والفكر ولطائف يستقل بها العقل وخصائص
معان ينفرد بها قوم قد هدوا اليها ودلوا عليها وكشف لهم عنها ورفعت الحجب
بينهم وبينها وانها السبب فى ان عرضت المزية فى الكلام ووجب ان يفضل بعضه
بعضا وان يبعد الشاو فى ذلك ويمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز المطلب حتى
ينتهى الامر الى الاعجاز والى ان يخرج من طوق البشر ولما لم تعرف هذه الطايفه
هذه الدقايق وهذه الخواص واللطايف لم تتعرض لها ولم تطلبها ثم ان عن لها بسوء
الاتفاق راى صار حجازا بينها وبين العلم بها وسدا دون ان تصل اليها وهو
ان ساء اعتقادها فى الشعر الذى هو معدنها وعليه المعول فيها وفى علم الاعراب
الذى هو لها كالناسب الذى ينميها الى اصولها ويبين فاضلها من مفضولها
فجعلت تظهر الزهد فى كل واحد من النوعين وتطرح كلا من الصنفين وترى
التشاغل عنهما اولى من الاشتغال بهما والاعراض عن تدبرهما اصوب من الاقبال
على تعلمهما اما الشعر فخيل اليها انه ليس فيه كثير طائل وان ليس الا ملحة وفكاهة
او بكاء منزل او وصف طلل او نعت ناقة او جمل واسراف قول فى مدح او هجاء
وانه ليس بشىء تمس الحاجة اليه فى صلاح دين او دنيا واما النحو فظنته ضربا من
التكلف وبابا من التعسف وشيئا لا يستند الى اصل ولا يعتمد فيه على عقل وان
ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده فى المبادى فهو فضل
لا يجدى نفعا ولا يحصل منه على فائدة وضربوا له المثل بالملح كما عرفت الى اشباه
من هذه الظنون فى القبيلين واراء لو علموا مغبتها وما تقود اليه لتعوذوا بالله
منها ولانفوا لانفسهم من الرضى بها ذاك لانهم بايثارهم الجهل بذلك على العلم فى معنى
الصاد عن سبيل الله والمبتغى اطفاء نور الله وذلك انا اذا كنا نعلم ان الجهة التى
منها قامت الحجة بالقران وظهرت وبانت وبهرت هو ان كان على حد من الفصاحة
تقصر عنه قوى البشر ومنتهيا الى غاية لا يطمح اليها بالفكر وكان محالا ان يعرف
كونه كذلك الا من عرف الشعر الذى هو ديوان العرب وعنوان الادب والذى لا يشك

انه

انه كان ميدان القوم اذا تجاروا فى الفصاحة والبيان وتنازعوا فيهما قصب الرهان
ثم بحث عن العلل التى كان بها التباين فى الفضل وزاد بعض الشعر على بعض كان الصاد
عن ذلك صادا عن ان تعرف حجة الله وكان مثله مثل من يتصدى للناس فيمنعهم
عن ان يحفظوا كتاب الله ويتلوه ويقوموا به ويقرؤه ويصنع فى الجملة صنيعا يؤدى
الى ان يقل حفاظه والقائمون به والمقرئون له ذاك لانا لم نتعبد بتلاوته
وحفظه والقيام باداء لفظه على النحو الذى انزل عليه وحراسته من ان يغير
ويبدل الا لتكون الحجة به قائمة على وجه الدهر تعرف فى كل زمان ويتوصل اليها
فى كل اوان ويكون سبيلها سبيل ساير العلوم التى يرويها الخلف عن السلف ويأثرها
الثانى عن الاول فمن حال بيننا وبين ما له كان حفظنا اياه واجتهادنا فى ان نؤديه
ونرعاه كان كمن رام ان ينسيناه جملة ويذهبه من قلوبنا دفعة فسواء من منعك
الشىء الذى تنتزع منه الشاهد والدليل ومن منعك السبيل الى انتزاع تلك
الدلالة والاطلاع على تلك الشهادة ولا فرق بين من اعدمك الدواء الذى تستشفى
به من دائك وتستبقى به حشاشة نفسك وبين من اعدمك العلم بان فيه شفاء
وان لك فيه استبقاء فان قال منهم قائل انك قد اغفلت فيما رتبت فان لنا طريقا
الى معرفة اعجاز القران غير ما قلت وهو علمنا بعجز العرب عن ان ياتوا بمثله وتركهم
ان يعارضوه مع تكرار التحدى عليهم وطول التقريع لهم بالعجز عنه ولان الامر كذلك
ما قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب واستوى الناس قاطبة فلم يخرج الجاهل
بلسان العرب من ان يكون محجوجا بالقران قيل له خبرنا عما اتفق عليه المسلمون من
اختصاص نبينا صلى الله عليه واله وسلم بان كانت معجزته باقية على وجه الدهر
اتعرف له معنى غير ان لا يزال البرهان منه لايحا معرضا لكل من اراد العلم به وطلب
الوصول اليه والحجة فيه وبه ظاهرة لمن ارادها والعلم بها ممكنا لمن التمسه فاذا
كنت لا تشك فى ان لا معنى لبقاء المعجزة بالقران الا ان الوصف الذى كان له معجزا
قائم فيه ابدا وان الطريق الى العلم به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اى رجل
تكون اذا انت زهدت فى ان تعرف حجة الله واثرت فيها الجهل على العلم وعدم
الاستبانة على وجودها وكان التقليد فيها احب اليك والتعويل على علم غيرك اثر
لديك ونح الهوى عنك وراجع عقلك واصدق نفسك يبن لك فحش الغلط فيما رايت
وقبح الخطا فى الذى توهمت وهل رايت رايا اعجز واختيارا اقبح ممن كره ان يعرف
حجة الله تعالى من الجهة التى اذا عرفت منها كانت انور وابهر واقوى واقهر
واثر ان لا يقوى سلطانها على الشرك كل القوة ولا تعلو على الكفر كل العلو والله المستعان

فصل في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه
لا يخلو من كان هذا رايه من امور احدها ان يكون رفضه له وذمه اياه من اجل
ما يجده فيه من هزل وسخف وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة والثاني ان
يذمه لانه موزون مقفى ويرى هذا بمجرده عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه
عنه والثالث انه يتعلق باحوال الشعراء وانها غير جميلة في الاكثر ويقول قد ذموا
في التنزيل واي كان من هذه آرائه فهو في ذلك على خطا ظاهر وغلط فاحش
وعلى خلاف ما يوجبه القياس والنظر وبالضد مما جاء به الاثر وصح به الخبر اما
ان زعم انه انما ذمه من اجل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل
فينبغي ان يذم الكلام كله وان يفضل الخرس على النطق والعي على البيان فمنثور
كلام الناس على كل حال اكثر من منظومه والذي زعم انه ذم الشعر من اجله وعاداه
بسببه فيه اكثر لان الشعراء في كل عصر وزمان معدودون والعامة ومن لا يقول
الشعر من الخاصة عديد الرمل ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يجمع كما يجمع
المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من الهزل والسخف نثرا في عصر واحد لاربى
على جميع ما قاله الشعراء في الازمان الكثيرة ولغمره حتى لا يظهر فيه ثم انك لو لم ترو من
هذا الباب شيئا قط ولم تحفظ الا الجد المحض والا ما لا معاب عليك في روايته
وفي المحاضرة به وفي نسخه وتدوينه لكان لك في ذلك غنى ومندوحة ولوجدت طلبتك ونلت مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك هذا وراوي الشعر
وليس على الحاكي عيب ولا عليه تبعة اذا هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلا او
يسوء مسلما وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له روى الشعر
ومن اجله اريد وله دون تعلم انك قد زغت عن المنهج وانك مسيء في هذه
العداوة وهذه العصبية منك على الشعر وقد استشهد العلماء لغريب القران
واعرابه بالابيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم ذلك اذ كانوا
لم يقصدوا الى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من اجله قالوا وكان
الحسن البصري يتمثل في مواعظه وكان من اوجعها عنده شعرا ـــ قائلهم
اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم وفي الحديث عن
عمر بن الخطاب ذكره المرزباني في كتابه باسناده عن عبد الملك بن عمير انه قال
اتي عمر بحلل من اليمن فاتاه محمد بن جعفر بن ابي طالب ومحمد بن ابي بكر ومحمد بن طلحة
ابن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد بن ثابت فقال يا امير المؤمنين
هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدعا بحلل فاخذ

البدر علم الفصاحة فاختر لنفسك
ودع ما تكره الى ما تحب صح

زيد

زيد اجودها وقال هذا لمحمد بن حاطب وكانت امه عنده وهو من بني لوي فقال عمر ايهات
ايهات وتمثل بشعر عمارة بن الوليد شعرا اسرك لما صرع القوم نشوة خروجي
منها سالما غير غارم بريا كاني قبل لم اك منهم وليس الخداع مرتضى والقنادم
رددها وقال ائتني بثوب فالقه على هذه الحلل وقال ادخل يدك فخذ حلة وانت
لا تراها فاعطهم قال عبد الملك فلم ار قسمة اعدل منها وعمارة هذا عمارة بن الوليد
ابن المغيرة خطب امراة من قومه فقالت لا اتزوجك او تترك الشراب فابى ثم
اشتد وجده بها فحلف لها ان لا يشرب ثم مر بخمار عنده شرب يشربون
فدعوه فدخل عليهم وقد نفد ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقاهم ببرديه ومكث
اياما ثم خرج فاتى اهله فلما راته امراته قالت الم تحلف ان لا تشرب فقال شعر
ولسنا بشرب ام عمرو اذا انتشوا ۞ ثياب الندامى عندهم كالغنائم ۞ ولكننا
يا ام عمرو نديمنا ۞ بمنزلة الريان ليس بعالم ۞ اسرك البيتين فاذا رب هزل
صار اداة في جد وكلام جرى في باطل ثم استعين به على حق كما ترى كما انه رب شيء
خسيس توصل به الى شريف بان ضرب مثلا فيه وجعل مثالا له كما قال ابو تمام
والله قد ضرب الاقل لنوره ۞ مثلا من المشكاة والنبراس ۞ وعلى العكس فرب
كلمة حق اريد بها باطل فاستحق عليها الذم كما عرفته في خبر الخارجي مع علي ورب
قول حسن لم يحسن من قائله حين تسبب به الى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال رجع
طاوس يوما عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما
ظننت ان قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا
ابلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال رجل من اهل المجلس سبحان الله كالمستعظم
لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف فبهذا ونحوه فاعتبره واجعله حكما بينك
وبين الشعر وبعد فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه المقت منك
انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعه في نفسك
ولم يوجب له المحبة من قلبك ان كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل
الخطاب وان كان مجنى ثمر العقول والالباب ومجتمع فرق الاداب والذي قيد
على الناس المعاني الشريفة وافادهم الفوائد الجليلة وترسل بين الماضي والغابر
ينقل مكارم الاخلاق الى الولد عن الوالد ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب الى
الشاهد حتى ترى به آثار الماضين مخلدة في الباقين وعقول الاولين مردودة
في الاخرين وترى لكل من رام الادب وابتغى الشرف وطلب محاسن القول والفعل
منارا مرفوعا وعلما منصوبا وهاديا مرشدا ومعلما مسددا وتجد فيه للنائي

عن طلب المآثر والزاهد في اكتساب المحامد داعيا ومحرضا وباعثا ومحضضا ومذكرا
ومعرفا وواعظا ومثقفا ولو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا
الراي منك وما يحذوك على رواية الشعر وطلبه ويمنعك ان تعيبه او
تعيب به ولكنك ابيت الا ظنا سبق اليك والا بادي راي عن لك ما قفلت
عليه قلبك وسددت عما سواه سمعك فعي الناصح بك وعسر على القدير
والخليط تنبيهك نعم وكيف رويت لان يمتلي جوف احدكم قيحا فيمليه
خير من ان يمتلي شعرا او لهجت به وتركت قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان
من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا وكيف نسيت امره صلى الله عليه وآله
وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة وقوله لحسان قل وروح القدس
معك وسماعه له واستنشاده اياه وعلمه صلى الله عليه وآله وسلم من العلوم
ضرورة وكذلك سماعه اياه فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة وكعب
ابن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغي اليهم ويامرهم بالرد على المشركين فيقولون
في ذلك ويعرضون عليه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر لهم بعض
ذلك كالذي روي من انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لكعب ما نسي ربك
وما كان ربك نسيا شعرا قلته قال وما هو يا رسول الله قال انشده يا ابا بكر
فانشد ابو بكر شعر: زعمت سخينة ان ستغلب ربها * وليغلبن مغالب
الغلاب * واما استنشاده اياه فكثير من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين
استسقى فسقي شعر قول ابي طالب * وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى
عصمة للارامل * يطيف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل
وعن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم الى القتلى يوم بدر مصرعين قال صلى الله عليه وآله وسلم لابي بكر لو ان ابا
طالب حي لعلم ان اسيافنا قد اخذت بالانامل ح ر وذلك لقول ابي طالب
كذبتم وبيت الله ان جد ما ارى * لتلتبسن اسيافنا بالانامل * وينهض
قوم في الدروع اليهم * نهوض الروايا في طريق حلاحل * ومن المحفوظ في
ذلك حديث محمد بن مسلم الانصاري جمعه وابن ابي حدرد الاسلمي الطريق فكنا
فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقال لحسان بن ثابت انشدني قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى
قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته فانشده قصيدة للاعشى هجا بها علقمة
بن علاثة شعر: علقم ما انت الى عامر * الناقض الاوتار والواتر * فقال فقال النبي

يدعو النحاس الرواية خصم عن شاعر اما امره به صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وآله وسلم يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال
النبي عليه السلم يا حسان اشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى وان قيصر سال ابا سفين
بن حرب عني فتنا ولمني وفي رواية فتنقصني وانه من وجه آخر ان حسانا
قال يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره ومن المعروف في ذلك خبر
عايشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يقول ابياتك فاقول شعر
ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قد نمى * يجزيك
او يثني عليك وان من * اثنى عليك بما فعلت فقد جزى * قالت فيقول عليه السلم
يقول الله عز وجل لعبد من عبيده صنع اليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه
فيقول يا رب علمت انه منك فشكرتك عليه قال فيقول الله تعالى لم تشكرني اذ لم تشكر
من اجريته على يديه ولما علم عليه السلم بالشعر كما روي من ان سودة انشدت عدي وتيم
تبتغي من تحالف فظنت عايشة وحفصة انها عرضت بهما وجرى بينهن كلام في
هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليهن وقال يا ويلكن ليس في
عديكن ولا تيمكن قيل هذا انما قيل هذا في عدي تميم وتيم تميم وتمام هذا الشعر
وهو لقيس بن معدان الكلبي وهو من بني يربوع فحالف فلا والله يهبط تلعة
من الارض الا انت للذل عارف * الا من راى العبدين او ذكرا له * عدي وتيم
تبتغي من تحالف * وروى الزبير بن بكار قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومعه ابو بكر برجل يقول في بعض ازقة مكة شعر: يا ايها الرجل المحول رحله *
هلا نزلت بآل عبد الدار * فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا بكر اهكذا
قال الشاعر قال لا يا رسول الله ولكنه قال * يا ايها الرجل المحول رحله * هلا سالت
عن آل عبد مناف فقال رسول الله اهكذا كنا نسمعها واما ارتياحه صلى الله
عليه وآله وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من ذلك حديث
النابغة الجعدي قال انشدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولي * بلغنا
السماء مجدنا وثناءنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا * فقال النبي عليه السلم الى اين المظهر يا ابا
ليلى فقلت الجنة يا رسول الله قال اجل ان شاء الله ثم قال انشدني فانشدته
ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا * ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا * فقال صلى الله عليه وآله وسلم اجدت لا يفضض الله
فاك قال الراوي فنظرت اليه فكان فاه البرد المنهل ما سقطت له سن ولا انفلت
ترف غروبه ومن ذلك حديث كعب بن زهير روي ان كعبا واخاه بجيرا خرجا

واتم سئل هذا عني فاحسن القول فشكره رسول الله صلى الله عليه وعلى الروعي

الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى بلغا ابرق العزاف فقال كعب لبجير الق هذا
الرجل وانا مقيم هاهنا فانظر ما يقول وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعبا فقال في ذلك شعرا فاهدر النبي صلى الله
عليه واله وسلم دمه فكتب اليه بجير يامره ان يسلم ويقبل الى النبي عليه السلم ويقول
ان من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قبل منه رسول الله واسقط
ما كان قبل ذلك قال فقدم كعب وانشد النبي عليه السلم قصيدته المعروفة
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ۞ متيم اثرها لم يفد مكبول ۞ وما سعاد غداة البين
اذ رحلت ۞ الا اغن غضيض الطرف مكحول ۞ تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت
كانه منهل بالراح معلول ۞ شج السقاة عليه ماء محنية ۞ من ماء ابطح اضحى وهو مشمول
ويل امها خلة لو انها صدقت ۞ موعودها ولو ان النصح مقبول ۞ حتى اتى على اخرها
فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ۞ ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول ۞ في فتية من قريش قال قائلهم ۞ ببطن مكة
لما اسلموا زولوا ۞ زالوا فما زال انكاس ولا كشف ۞ عند اللقاء ولا ميل معازيل
لا يقع الطعن الا في نحورهم ۞ وما بهم عن حياض الموت تهليل ۞ شم العرانين ابطال
لبوسهم ۞ من نسج داود في الهيجا سرابيل ۞ اشار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
الى الخلق اي اسمعوا قال وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكون من اصحابه
مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقة دون حلقة فيلتفت الى هولاء والى هولاء
والاخبار فيما اشبه هذا كثيرة والاثر به مستفيض وان زعم انه ذم الشعر من حيث انه
موزون مقفى حتى كان الوزن عيب وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه
وتغيرت حاله فقد ابعد وقال قولا لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم
انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقد روى ذلك عن النبي عليه السلم
مرفوعا فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يتغنى في الشعر ويلهى به فانا
اذا كنا لم ندعه الى الشعر من اجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل والقول الفصل
والمنطق الحسن والكلام البين والى حسن التمثيل والاستعارة والى التلويح والاشارة
والى صنعة تعمد الى المعنى الخسيس فتشرفه والى الضئيل فتفخمه والى النازل فترفعه
والى الخامل فتنوه به والى العاطل فتحليه والى المشكل فتجليه فلا متعلق له علينا
بما ذكر ولا ضرر علينا فيما انكر فليقل في الوزن ما شاء وليضعه حيث اراد
فليس يعنينا امره ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه وهذا هو الجواب
فيه لمتعلق ان يعلق بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له واراد ان يجعله حجة

في المنع من الشعر ومن حفظه وروايته انا نعلم انه صلى الله عليه واله وسلم لم يمنع الشعر
من اجل انه كان قولا فصلا وكلاما جزلا ومنطقا حسنا وبيانا بينا كيف وذلك
يقتضي ان يكون تعالى قد منعه البيان والبلاغة وحماه الفصاحة والبراعة وجعله
لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم وخلاف لما
عرفه العلماء واجمعوا عليه من انه صلى الله عليه واله وسلم كان افصح العرب واذا
بطل ان يكون المنع من اجل هذه المعاني وكنا قد علمنا انا لا ندعو الى الشعر من اجلها
ونحن وبطلبه على طلبها كان الاعتراض بالاية محالا والتعلق به خطلا من الراي
وانحلالا فان قال اذا قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقد كره للنبي
عليه السلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا تتوجه اليه
من حيث انه كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك وانها تتوجه
الى امر لا بد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل
لك الى ان تميز كونه كلاما عن كونه شعرا حتى اذا رويته التبست به من حيث هو كلام
ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال فاذا كان لا بد من ملابسة موضع الكراهة
فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه قيل له هذا منك كلام لا يتحصل
وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وازرى به وجلب على
المفرغ له في ذلك القالب اثما وكسبه ذما لكان من حق العيب فيه ان يكون على
واضع الشعر او من يريده لمكان الوزن خصوصا دون من يريده لامر خارج منه
ويطلبه لشيء سواه فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره حتى
تتلبس بما يكره فاني اذا لم اقصده من اجل ذلك ولم ارده له واردته لاعرف
به مكان بلاغة واجعله مثالا في براعة واحتج به في تفسير كتاب وسنة وانظر الى
نظمه ونظم القران فارى موضع الاعجاز واقف على الجهة التي منها كان وابين
الفصل والفرقان فحق هذا التلبس ان لا يعد علي ذنبا ولا او اخذ به اذ كان
لا تكون مواخذة حتى يكون عمد الى ان تواقع المكروه وتقصد اليه وقد تتبع العلماء
الشعوذة والسحر وعنوا بالوقوف على حيل المموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة
والحيلة فكان ذلك منهم من اعظم البر اذ كان الغرض كريما والقصد شريفا هذا
واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار وما صح من الاثار وجدنا الامر على خلاف ما
ظن هذا السايل ورايناه السبيل في منع النبي عليه السلم الوزن وان ينطق لسانه
بالكلام الموزون غير ما ذهب اليه وذلك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي
ان يكره له سماع الكلام موزونا وان ينزه سمعه عنه كما نزه لسانه ولكان صلى الله

التلبس

عليه واله وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه وكان الشاعر لا يعان على وزن الكلام وصياغته
شعرا ولا يؤيد فيه بروح القدس واذا كان هذا كذلك فينبغي ان يعلم ان ليس المنع
في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخط حتى
جعل النبي عليه السلام لا يقرا ولا يكتب في ان لم يكن المنع من اجل كراهة في الخط بل لان
يكون الحجة ابهر واقهر والدلالة اقوى واظهر وليكون اكعم للجاحد واقمع للمعاند
وارد له لطالب الشبه وامنع من ايقاع الريبة واما التعلق باحوال الشعراء وبانهم
قد ذموا في كتاب الله فما ارى عاقلا يرضى به ان يجعله حجة في ذم الشعر
وتهجينه والمنع من حفظه وروايته والعلم بما فيه من بلاغة وما يختص به
من ادب وحكمة ذاك لانه يلزم على قود هذا القول ان يعيب العلماء في استشهادهم
بشعر امرئ القيس واشعار اهل الجاهلية في تفسير القران وفي غريبه وفي غريب
الحديث وكذلك يلزمه ان يدفع ساير ما تقدم ذكره من امر النبي عليه السلام
بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له هذا ولو كان يسوغ ذم القول لاجل قائله
وان يحمل ذنب الشاعر على الشعر لكان ينبغي ان يخص ولا يعم وان يستثنى
فقد قال عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ولولا
ان القول يجر بعضه بعضا وان الشيء يذكر لدخوله في القسمة لكان حق هذا
ونحوه ان لا يتشاغل به وان لا يعاد ويبدا في ذكره واما زهدهم في النحو و
احتقارهم له واصغارهم امره وتهاونهم فصنيعهم في ذلك اشنع من صنيعهم
في الذي تقدم واشبه بان يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك
لانهم لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة اليه فيه اذ كان قد علم ان الالفاظ
مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها وان الاغراض كامنة فيها
حتى يكون هو المستخرج لها وانه هو المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه
حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه لا ينكر
ذلك الا من ينكر حسه والا من غالط في الحقايق نفسه واذا كان الامر كذلك
فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه ولم ير ان يستقيه من مصبه
ويأخذه من معدنه ورضي لنفسه بالنقص والكمال لها معرض واثر الغبيه
وهو يجد الى الربح سبيلا فان قالوا انا لم نابى صحة هذا العلم ولم ننكر الحاجة
اليه في معرفة كتاب الله وانما انكرنا اشياء كثرتموها وفضول قول تكلفتموها
ومسائل عويصة تجشمتم الفكر فيها ثم لم تحصلوا على شيء اكثر من ان تغربوا
على السامعين وتعايوا بها الحاضرين قيل لهم خبرونا عما زعمتم انه فضول قول

كانت ته

وعويص لا يعود بطايل ما هو فان بدأوا فذكروا مسايل التصريف الذي يضعها
النحويون للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس كقولهم كيف تبني
من كذا وكذا وكقولهم ما وزن كذا وتتبعهم في هذه الالفاظ الوحشية كقولهم
ما وزن عزويت وما وزن ارونان وكقولهم في باب ما لا ينصرف لو سميت
رجلا بكذا كيف يكون الحكم واشباه ذلك وقالوا اتشكون ان ذلك لا يجدي
الا كد الفكر واضاعة الوقت قلنا لهم اما هذا الجنس فلسنا نعيبكم ان لم تنظروا
فيه ولم تعنوا به وليس يهمنا امره فقولوا فيه ما شئتم وضعوه حيث اردتم
فان تركوا ذلك وتجاوزوه الى الكلام على اغراض واضع اللغة وعلى وجه الحكمة
في الاوضاع وتقدير المقاييس التي اطردت عليها وذكر العلل التي اقتضت
ان تجري على ما اجريت عليه كالقول في المعتل وفيما يلحق الحروف الثلاثة التي
هي الواو والياء والالف من التغيير بالابدال والحذف والاسكان او ككلام
التثنية وجمع السلامة لم كان اعرابهما على خلاف اعراب المفرد
ولم تبع النصب فيهما الجر وفي النون انه عوض عن الحركة والتنوين في حال وعن
الحركة وحدها في حال والكلام على ما ينصرف وما لا ينصرف ولم كان منع الصرف
وبيان العلة فيه والقول على الاسباب التسعة وانها كلها ثوان لاصول
وانه اذا حصل منها اثنان في اسم او تكرر سبب صار بذلك ثانيا من جهتين
واذا صار كذلك اشبه الفعل لان الفعل ثان للاسم والاسم المقدم والاول
وكل ما جرى هذا المجرى قلنا انا نسكت عنكم في هذا الضرب ايضا ونعذركم
وننا محكم على علم منا بان قد اساتم الاختيار ومنعتم انفسكم ما فيه الحظ لكم
ومنعتموها الاطلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمة فدعوا ذلك وانظروا
في الذي اعترفتم بصحته وبالحاجة اليه هل حصلتموه على وجهه وهل احطتم
بحقايقه وهل وفيتم كل باب منه حقه واحكمتوه احكاما يؤمنكم الخطأ فيه اذا
انتم خضتم في التفسير وتعاطيتم علم التاويل ووازنتم بين بعض الاقوال وبعض
واردتم ان تعرفوا الصحيح من السقيم وعدتم في ذلك وبدأتم وزدتم ونقصتم
وهل رايتم اذا عرفتم صورة المبتدا والخبر وان اعرابهما الرفع ان تجاوزوا ذلك
الى ان تنظروا في اقسام خبره فتعلموا انه يكون مفردا وجملة وان المفرد ينقسم الى ما يحتمل الضمير والى ما
لا يحتمل المضمر وان الجملة على اربعة اضرب وانه لا بد لكل جملة وقعت خبر المبتدا
ان يكون فيها ذكر يعود الى المبتدا وان هذا الذكر ربما حذف لفظا واريد
معنى وان ذلك لا يكون حتى يكون في الحال دليل عليه الى ساير ما يتصل بباب

وقالوا اتشكون ربه

الابتدا من المسايل اللطيفة والفوايد الجليلة التي لابد منها فاذا نظرتم في الصفة
مثلا فعرفتم انها تتبع الموصوف ومثالها قولك جاني رجل ظريف ومررت
بزيد الظريف هل ظننتم ان وراء ذلك علما وان ههنا صفة تخصص وصفة توضح
وتبين وان فايدة التخصيص غير فايدة التوضيح كما ان فايدة الشياع غير فايدة
الابهام وان من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ولكن يوتي
بها موكدة كقولهم امس الدابر وكقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وصفة
يراد بها المدح والثنا كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده وهل عرفتم الفرق
بين الصفة والخبر وبين كل واحد منهما وبين الحال وهل عرفتم ان هذه
الثلاثة تتفق في ان كافتها لثبوت المعنى للشي ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت
وهكذا ينبغي ان يعرض عليهم الابواب واحدا واحدا ويسلوا عنها بابا بابا
ثم يقال ليس الا احد امرين اما ان ينحوا الى التي لا يرضاها العاقل فتنكروا ان
يكون بكم حاجة في كتاب الله تعالى وفي خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي
معرفة الكلام جملة الى شي من ذلك وتزعموا انكم   مثلا ان الفاعل رفع
لم يبق عليكم في باب الفاعل شي تحتاجون الى معرفته واذا نظرتم الى قولنا
زيد منطلق لم تحتاجوا من بعد الى شي تعلمونه في باب الابتدا والخبر وحتى
تزعموا مثلا انكم لا تحتاجون في ان تعرفوا وجه الرفع في الصابئون من
سورة المائدة الى ما قاله العلماء فيه والى استشهادهم فيه بقول الشاعر
والا فاعلموا انا وانتم * بغاة ما بقينا في شقاق * وحتى كان المشكل على
الجميع غير مشكل عندكم وحتى كانكم قد اوتيتم ان تستنبطوا من المسئلة الواحدة
من كل باب مسايله كلها فتخرجوا الى فن من التجاهل لا يبقى معه كلام وان
تعلموا انكم قد اخطاتم حتى اصغرتم امر هذا العلم وظننتم ما ظننتم فيه فترجعوا
الى الحق وتسلموا الفضل لاهله وتدعوا الذي يزري بكم ويفتح باب العيب عليكم
ويطيل لسان القادح فيكم وبالله التوفيق هذا وان هولاء القوم اذ تركوا
هذا الشان تركوه جملة واذا زعموا ان قدر المفتقر اليه القليل منه اقتصروا
على ذلك القليل فلم ياخذوا انفسهم بالفتوى فيه وبالتصرف فيما لم يتعلموا
منه ولم يخوضوا في التفسير ولم يتعاطوا التاويل لكان البلا واحدا ولكانوا
اذا لم يبنوا لم يهدموا واذا لم يصلحوا لم يكونوا سببا للفساد ولكنهم لم يفعلوا
فجلبوا من الداء ما اعيا الطبيب وحير اللبيب وانتهى التخليط بما اتوه فيه
الى حد يئس من تلافيه فلم يبق للعارف الذي يكره الشغب الا التعجب والسكوت

وما الآفة

وما الآفة العظمى الا واحدة وهو ان يجي من الانسان ويجري لفظه ويمشي له ان يكثر في
غير علم وان يحسن البناء على غير اساس وان يقول الشي لم يقتله علما ونسال الله الهداية
ونرغب اليه في العصمة ثم انا وان كنا في زمان هو على ما هو عليه من احالة الامور عن
جهاتها وتحويل الاشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طباعها وقلب الخلايق
المحمودة الى اضدادها ودهر ليس للفضل وابنائه لديه الا الشر صرفا والغيظ بحتا
والا ما يدهش عقولهم ويسلبهم معقولهم حتى صار اعجز الناس رايا عند الجميع من كانت
له همة في ان يستفيد علما او يزداد فهما او يكتسب فضلا او يجعل له ذلك بحال
شغلا فان الالف من طباع الكريم واذا كان من حق الصديق عليك ولا سيما
اذا تقادمت صحبته وصحت صداقته ان لا تجفوه بان تنكبك الايام وتضجرك
النوايب وتحرجك محن الدنيا فتتناساه جملة وتطويه طيا فالعلم الذي هو صديق
لا يحول عن العهد ولا يدغل في الود وصاحب لا يصح عليه النكث والغدر ولا يظن
به الخيانة والمكر اولى منك وبذلك احرى وحقه عليك اكثر ثم ان التوق
الى ان تقر الامور قرارها وتوضع الاشياء مواضعها والنزاع الى بيان ما يشكل
وحل ما ينعقد والكشف عما يخفى وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة
واستظهارا على الشبهة واستبانة للدليل وتبيينا للسبيل شي هو في سوس
العقل وفي طباع النفس اذا كانت نفسا ولم ازل منذ خدمت العلم انظر فيما قاله
العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من
هذه العبارات وتفسير المراد بها فاجد بعض ذلك كالرمز والايماء والاشارة
في خفاء وبعضه كالتنبيه على مكان الخبي ليطلب وموضع الدفين ليبحث
عنه فيخرج وكما يفتح لك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني
عليها ووجدت المعول على ان ههنا نظما وترتيبا وتاليفا وتركيبا وصياغة
وتصويرا ونسجا وتحبيرا وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه
سبيلها في الاشياء التي هي حقيقة فيها فانه كما يفضل هناك النظم النظم
والتاليف التاليف والنسج النسج والصياغة الصياغة ثم يعظم الفضل وتكثر المزية
حتى يفوق الشي نظيره والمجانس له درجات كثيرة وحتى تتفاوت القيم التفاوت
الشديد كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشي الشي ثم يزداد فضله
ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ويعلو مرقبا بعد مرقب ويستانف له غاية
بعد غاية حتى ينتهي الى حيث تنقطع الاطماع وتحسر الظنون وتسقط القوى وتستوي
الاقدام في العجز وهذه جملة قد يرى في اول الامر وبادي الظن انها تكفي

بلغ

وتعبنا حتى اذا نظرنا فيها وعدنا وبدانا وجدنا الامر على خلاف ما حسبناه وصادفنا
الحال على غير ما توهمناه وعلمنا انهم لئن اقصروا اللفظ لقد اطالوا المعنى ولئن لم
يغرقوا فى النزع لقد ابعدوا على ذلك فى المرمى وذلك انه يقال لنا ما زدتم
على ان سقتم قياسا فقلتم نظم ونظم وترتيب وترتيب ونسج ونسج ثم بنيتم عليه
انه ينبغى ان يظهر المزية فى هذه المعانى ههنا حسب ظهورها هناك وان
يعظم الامر فى ذلك كما عظم ثمه وهذا صحيح كما قلتم ولكن بقى ان تعلمونا مكان
المزية فى الكلام وتصفوها لنا وتذكروها ذكرا كما ينص على الشى ويعين ويكشف
عن وجهه ويبين ولا يكفى ان تقولوا انه خصوصية فى كيفية النظم وطريقة
مخصوصة فى نسق الكلم بعضها على بعض حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها
وتذكروا لها امثلة وتقولوا مثل كيت وكيت كما يذكر لك من تستوصفه عمل الديباج
المنقش ما تعلم به وجه دقة الصنعة او يعمله بين يديك حتى ترى عيانا كيف
تذهب تلك الخطوط وتجى وماذا يذهب منه طولا وماذا يذهب عرضا وبما يبدا
وبم يثنى وبم يثلث وتبصر من الحساب الدقيق ومن عجيب تصرف اليد ما تعلم
معه مكان الحذق وموضع الاستادية ولو كان قول القايل لك فى تفسير الفصاحة
انها خصوصية فى نظم الكلم وضم بعضها الى بعض على طريقة مخصوصة او على وجوه
تظهر بها الفائدة او ما اشبه ذلك من القول المجمل كافيا فى معرفتها ومغنيا
فى العلم بها لكفى مثله فى معرفة الصناعات كلها فكان يكفى فى معرفة نسج الديباج
الكثير التصاوير ان يعلم انه ترتيب للغزل على وجه مخصوص وضم لطاقات
الابريسم بعضها الى بعض على طرق شتى وذلك مما لا يقوله عاقل وجملة الامر
انك لن تعلم فى شى من الصناعات علما تمر فيه وتحلى حتى تكون ممن يعرف الخطا
فيها من الصواب وتفصل بين الاساءة والاحسان بل حتى تفاضل بين الاحسان
والاحسان وتعرف طبقات المحسنين واذا كان هذا هكذا علمت انه لا يكفى
فى علم الفصاحة ان تنصب لها قياسا وان تصفها وصفا مجملا وتقول فيها
قولا مرسلا بل لا تكون من معرفتها فى شى حتى تفصل القول وتحصل وتضع
اليد على الخصايص التى تعرض فى نظم الكلم وتعدها واحدة واحدة وتسميها
شيئا شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذى يعلم علم كل خيط من الابريسم
الذى فى الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة فى الباب المقطع وكل آجرة من
الآجر التى فى البناء البديع واذا نظرت الى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا
الطلب احتجت الى صبر على التامل ومواظبة على التدبر والى همة تابى لك ان تقنع الا

بالتمام

بالتمام وان تربع الا بعد بلوغ الغاية ومتى جشمت ذلك وابيت الا ان تكون هنالك
فقد اممت الى غرض كريم وتعرضت لامر جسيم وآثرت التى هى اتم لدينك وفضلك
وانبل عند ذوى العقول الراجحة لك وذلك ان تعرف حجة الله من الوجه الذى
هو اضوا لها وانوه بها واخلق بان يزداد نورها سطوعا وكوكبها طلوعا وان
تسلك اليها الطريق الذى هو آمن لك من الشك وابعد من الريب واصح
لليقين واحرى بان يبلغك قاصية التبيين واعلم انه لا سبيل الى ان تعرف
صحة هذه الجملة حتى يبلغ القول غايته وينتهى الى آخر ما اردت جمعه لك وتصويره
فى نفسك وتقريره عندك الا ان ههنا نكتة ان انت تاملتها تامل المتثبت
ونظرت فيها نظر المتانى رجوت ان يحسن ظنك وان تنشط للاصغاء الى ما
اورده عليك وهى انا اذا سقنا دليل الاعجاز فقلنا لولا انهم حين سمعوا القرآن
وحين تحدوا الى معارضته سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله وانهم رازوا انفسهم
فاحسوا بالعجز ان ياتوا بما يوازيه او يدانيه او يقع قريبا منه كان محالا ان يدعوا
معارضته وقد تحدوا اليه وقرعوا فيه وطولبوا به وان يتعرضوا لشبا الاسنة
ويقتحموا موارد الموت فقيل لنا قد سمعنا ما قلتم فخبرونا عنهم عما ذا عجزوا
اعن معانى فى دقة معانيه وحسنها وصحتها فى العقول ام عن الفاظ مثل الفاظه
فان قلتم عن الالفاظ فماذا اعجزهم من اللفظ ام ما بهرهم منه فقلنا اعجزتهم مزايا
ظهرت لهم فى نظمه وخصايص صادفوها فى سياق لفظه وبدايع راعتهم عن مبادى
آية ومقاطعها ومجارى الفاظها ومواقعها وفى مضرب كل مثل ومساق كل خبر
وصورة كل عظة وتنبيه واعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة و
برهان وصفة وتبيان وبهرهم انهم تاملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية
فلم يجدوا فى الجميع كلمة ينبو بها مكانها وكلمة ينكر شانها او يرى ان غيرها اصلح
هناك او اشبه او احرى او اخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول فاعجز الجمهور
ونظاما والتياما واتقانا واحكاما لم يدع فى نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه
السماء موضع طمع حتى خرست الالسن عن ان تدعى وتقول وخزيت القروم فلم
تملك ان تصول نعم فاذا كان هذا هو الذى نذكر فى جواب السايل فبنا ان ننظر
اى اشبه بالفتى فى عقله ودينه وازيد له فى يقينه ان يقلد فى ذلك ويحفظ
متن الدليل وظاهر لفظه ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصايص ما هى ومن اين كثرت
الكثرة العظيمة واتسعت الاتساع المتجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر وكيف يكون
ان يظهر فى الفاظ محصورة وكلم معدودة معلومة بان يوتى ببعضها فى اثر بعض لطايف

لا يحصرها العدد ولا ينتهي بها الامد ام ان يبحث عن ذلك كله ويستقصي النظر
في جميعه ويتتبعه شيا فشيا ويستقصيه بابا فبابا حتى يعرف كلا منه بشاهده
ودليله ويعلمه بتفسيره وتاويله ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن قيل
فيه شعر يقولون اقوالا ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
قد قطعت عذر المتهاون ودلت على ما اضاع من حظه وهديته لرشده
وصح ان لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الامور والوقوف عليها والاحاطة
بها وان الجهة التي منها يقف والسبب الذي به يعرف استقراء كلام العرب
وتتبع اشعارهم والنظر فيها واذ قد ثبت ذلك فينبغي لنا ان نبتدي في بيان
ما اردنا بيانه وناخذ في شرحه والكشف عنه وجملة ما اردت ان ابينه لك
انه لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من ان يكون لاستحسانك ذلك
جهة معلومة وعلة معقولة وان يكون لنا الى العبارة عن ذلك سبيل وعلى
صحة ما ادعيناه من ذلك دليل وهو باب من العلم اذا انت فتحته اطلعت
منه على فوايد جليلة ومعاني شريفة ورايت له اثرا في الدين عظيما وفايدة
جسيمة ووجدته سببا الى حسم كثير من الفساد فيما يعود الى التنزيل واصلاح
انواع من الخلل فيما يتعلق بالتاويل وانه ليؤمنك من ان تغالط في دعواك
وتدافع عن معناك ويربا بك عن ان تستبين هدى ثم لا تهتدي اليه
وتدل بعرفان ثم لا تستطيع ان تدل عليه وان تكون عالما في ظاهر مقلد
ومستيقنا في صورة شاك وان يسالك السايل عن حجة يلقى الخصم في اية
من كتاب الله او غير ذلك فلا ينصرف عليك بمقنع وان يكون غاية ما لصاحبك
منك ان تحيله على نفسه وتقول قد نظرت فرايت فضلا ومزية وصادفت
لذلك اريحية فانظر لتعرف كما عرفت وراجع نفسك واسبر وذق
لتجد مثل الذي وجدت فان عرف فذاك والا فبينكما التناكر تنسبه الى
سوء التامل وينسبك الى فساد في التخيل وانه على الجملة بحث ينتقي لك من
علم الاعراب خالصه ولبه وياخذ لك منه اناسي العيون وحبات
القلوب وما لا يدفع الفضل فيه دافع ولا ينكر رجحانه في موازين العقول
منكر وليس يتاتى لي ان اعلمك من اول الامر في ذلك اخره وان اسمي
لك الفصول التي في نيتي ان احررها بمشية الله تعالى حتى تكون على علم بها
قبل مورودها عليك فاعمل على ان ههنا فصولا يجي بعضها في اثر بعض
وهذا اولها فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان و

بلغ

البراعة

والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القايلين على بعض من حيث
نطقوا او تكلموا واخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد وراموا ان يعلموهم
ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضماير قلوبهم ومن المعلوم ان لا معنى لهذه العبارات
وساير ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب الفضل والمزية
اليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة
ثم تبرجها في صورة هي ابهى وازين وانق واعجب واحق بان تستولي على هوى
النفوس وتنال الحظ الاوفر من ميل القلوب واولى بان تطلق لسان الحامد
وتطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير ان تاتي المعنى من الجهة
التي هي اصح لتاديته وتختار له اللفظ الذي هو اخص به واكشف عنه واتم له و
احرى بان تكسبه نبلا وتظهر فيه مزية واذا كان هذا كذلك فينبغي ان ينظر
الى الكلمة قبل دخولها في التاليف وقبل ان يصير الى الصورة التي بها تكون
الكلم اخبارا وامرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتودي في الجملة معنى من المعاني
التي لا سبيل الى افادتها الا بضم كلمة الى كلمة وبناء لفظة على لفظة هل يتصور
ان يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه ادل على معناها
الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به حتى يقال ان رجلا ادل
على معناه من فرس على ما سمي به وحتى يتصور في الاسمين يوضعان لشي واحد
ان يكون هذا احسن نبا عنه وابين كشفا عن صورته من الاخر فيكون
الليث مثلا ادل على السبع المعلوم من الاسد وحتى انا او وردنا الموازنة بين
لغتين كالعربية والفارسية ساغ لنا ان نجعل لفظة رجل ادل على الادمي الذكر
من نظيره في الفارسية وهل يقع في وهم وان جهد ان تتفاضل الكلمتان المفردتان
من غير ان ينظر الى مكان تقعان فيه من التاليف والنظم باكثر من ان تكون
هذه مالوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية او ان تكون حروف هذه اخف
وامتزاجها احسن ومما يكد اللسان ابعد وهل تجد احدا يقول هذه
اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملايمة معناها لمعاني
جاراتها وفضل مونستها لاخواتها وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي
خلافه قلقة ونابية ومستكرهة الا وغرضهم ان يعبروا بالتمكن عن حسن
الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها وبالقلق والنبو عن سوء التلاوم
وان الاولى لم تلق بالثانية في معناها وان السابقة لم تصلح ان تكون لفقا
للتالية في مودّاها وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك

ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
فتجلى لك منها الاعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع انك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة
والفضيلة القاهرة الا لامر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وان لم يعرض لها
الحسن والشرف الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا الى
ان تستقريها الى آخرها وان الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها ان شككت
فتامل هل ترى لفظة منها بحيث لو اخذت من بين اخواتها وافردت لادت
من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية قل ابلعي واعتبرها وحدها من غير
ان تنظر الى ما قبلها والى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك
في ذلك ومعلوم ان مبدا العظمة في ان نوديت الارض ثم امرت ثم في ان كان
النداء بيا دون اي نحو يا ايتها الارض ثم اضافة الماء الى الكاف ثم اتبع نداء الارض وامرها
بما هو من شانها نداء السماء وامرها كذلك بما يخصها ثم ان قيل وغيض الماء فجاء
الفعل على صيغة فعل الدالة على انه لم يغض الا بامر آمر وقدرة قادر ثم تاكيد ذلك
وتقريره بقوله تعالى وقضي الامر ثم ذكر ما هو فائدة هذه الامور وهو استوت
على الجودي ثم اضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة
على عظم الشان ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة افترى لشيء من
هذه الخصائص التي تملؤك روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط
بالنفس من اقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى
في النطق ام كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من الاتساق العجيب فقد اتضح
اذا اتضاحا لم يدع للشك مجالا ان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ
مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة
لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك
انك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك و
توحشك في موضع آخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا وبيت البحتري واني وان بلغتني شرف
الغنى واعتقت من رق المطامع اخدعي فان لها في هذين المكانين
ما لا يخفى من الحسن ثم انك تتاملها في بيت ابي تمام يا دهر قوم من اخدعيك
فقد اضججت هذا الانام من خرقك فتجد لها من الثقل على النفس و
من التنغيص والتكدير اضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ومن
الايناس والبهجة ومن اعجب ذلك لفظة الشيء فانك تراها مقبولة حسنة في موضع

[هامش: تستقريها]

وضعيفة

وضعيفة مستكرهة في موضع آخر فان اردت ان تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن
ابي ربيعة شعر ومن مالئ عينيه من شيء غيره * اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
وقول ابي حية النميري * اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة * تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر اليها في بيت المتنبي * لو الفلك
الدوار ابغضت سعيه * لعوقه شيء عن الدوران * فانك تراها تقل وتضؤل
بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم وهذا باب واسع فانك تجد متى شئت الرجلين
قد استعملا كلما باعيانها ثم ترى هذا قد فرع السماك وترى ذلك وقد لصق
بالحضيض ولو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ واذا استحقت
المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون ان يكون السبب
في ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلفت بها الحال ولكانت
اما ان تحسن ابدا او لا تحسن ابدا ولم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف
يعبر وكيف يورد ويصدر هذا القول بل ان اردت الحق فانه من جنس الشيء
يجري به الرجل لسانه ويطلقه فاذا فتش نفسه وجدها تعلم بطلانه وتنطوي
على خلافه ذلك لانه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ولا يكون له صورة في فؤاد
والله اعلم **فصل** ومما يجب احكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف
منظومة وكلم منظومة وذلك ان نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها
بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى ان يتحرى
في نظمه لها ما تحراه فلو ان واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان
في ذلك ما يؤدي الى فساد واما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك تقتفي في
نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس وهو اذن نظم
يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء
الى الشيء كيف جاء واتفق ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتاليف والصياغة
والبناء والوشي والتحبير وما اشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع
بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان
غيره لم يصلح والفائدة في معرفة هذا الفرق انك اذا عرفته عرفت ان ليس الغرض بنظم
الكلم ان توالت الفاظها في النطق بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها
على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور ان يقصد به الى توالي الالفاظ في
النطق بعد ان ثبت انه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير
الصياغة والتحبير والتفويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير وبعد ان كنا لا نشك

[هامش: والشرف — بلغ — تقتفي — عرفت — التفويف]

فى ان لا حال للفظة مع صاحبتها معتبرا اذا انت عزلت دلالتهما جانبا واى مساغ للشك
فى ان الالفاظ لا تستحق من حيث هى الالفاظ ان ينظم على وجه دون وجه ولو
فرضنا ان تخلع من هذه الالفاظ التى هى لغات دلالاتها لما كان شى منها احق
بالتقديم من شى ولا يتصور ان يجب فيها ترتيب ونظم ولو حفظت صبيا
شطر كتاب العين او الجمهرة من حيث ان تفسر له شيئا منه واخذته بان تضبط
صور الالفاظ وهيئاتها ويؤديها كما يؤدى اصوات الطيور لرايته ولا يخطر له ببال
ان من شانه ان يؤخر لفظا ويقدم اخر بل كان حاله حال من يرمى الحصى ويعد الجوز
اللهم الا ان تسومه انت ان ياتى بها على حروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب ودليل
اخر وهو انه لو كان القصد بالنظم الى اللفظ نفسه دون ان يكون الغرض ترتيب
المعانى ثم النطق بالالفاظ على حذوها لكان ينبغى ان لا يختلف حال اثنين فى العلم
بحسن النظم او غير الحسن فيه لانهما يحسان توالى الالفاظ فى النطق احساسا
واحدا ولا يعرف احدهما فى ذلك شيئا يجهله الاخر واوضح من هذا كله وهو
ان هذا النظم الذى يتواصفه البلغاء ويتفاضل مراتب البلاغة من اجله صنعة
تستعان عليها بالفكرة لا محالة واذا كان مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج
بالروية فينبغى ان ينظر فى الفكر بماذا تلبس ابالمعانى ام بالالفاظ فاى شى وجدته
الذى تلبس من بين المعانى والالفاظ فهو الذى يحدث فيه صنعتك وتقع
فيه صياغتك ونظمك وتصويرك فمحال ان تتفكر فى شى وانت لا تصنع فيه
شيئا وانما تصنع فى غيره لو جاز ذلك لجاز ان يفكر البناء فى الغزل ليجعل فكره
فيه وصلة الى ان يصنع من الاجر وهو من الاحالة المفرطة فان قيل النظم
موجود فى الالفاظ على كل حال ولا سبيل الى ان يعقل الترتيب الذى تزعم فى المعانى
ما لم تنظم الالفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص قيل ان هذا هو الذى يعيد
الشبهة جذعة ابدا والذى يحلها ان تنظر اتتصور ان يكون معتبرا مفكرا فى حال
اللفظة مع اللفظة حتى تضعه بجنبه او قبله وان تقول هذه اللفظة انما صلحت
ههنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا ان يقول صلحت ههنا لان معناها كذا
ولدلالتها على كذا ولان معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا ولان معنى ما قبلها
يقتضى معناها فان تصورت الاول فقل ما شئت واعلم ان كل ما ذكرناه باطل
وان لم تتصور الا الثانى فلا تخدعن نفسك بالاضاليل ودع النظر الى ظواهر
الامور واعلم ان ما ترى انه لا بد منه من ترتب الالفاظ وتواليها على النظم
الخاص ليس هو الذى طلبته بالفكر ولكنه شى يقع بسبب الاول ضرورة من حيث

العين للخليل والجمهرة لابن دريد

ان الالفاظ اذا كانت اوعية للمعانى فانها لا محالة تتبع المعانى فى مواقعها فاذا وجب
لمعنى ان يكون اولا فى النفس وجب للفظ الدال عليه ان يكون مثله اولا فى
النطق فاما ان يتصور فى الالفاظ ان يكون المقصودة قبل المعانى بالنظم والترتيب
وان يكون الفكر فى النظم الذى يتواصفه البلغاء فكرا فى نظم الالفاظ وان
تحتاج بعد ترتيب المعانى الى فكر تستانفه لان تجى بالالفاظ على نسقها فباطل
من الظن ووهم يتخيل الى من لا يوفى النظر حقه وكيف يكون مفكرا فى نظم
الالفاظ وانت لا تعقل لها اوصافا واحوالا اذا عرفتها عرفت ان حقها ان تنظم
على وجه كذا ومما يلبس على الناظر فى هذا الموضع ويغلطه ان يستبعد ان يقال
هذا كلام قد نظمت معانيه فالعرف كانه لم يجر بذلك الا انهم وان كانوا لم يستعملوا
النظم فى المعانى فقد استعملوا فيها ما هو بمعناه ونظير له وذلك قولهم انه يرتب
المعانى فقد استعملوا فيها ما هو بمعناه ونظير له وذلك قولهم انه يرتب المعانى
فى نفسه وينزلها ويبنى بعضها على بعض كما يقولون يرتب الفروع على الاصول و
يتبع المعنى المعنى ويلحق النظير بالنظير واذا كنت تعلم انهم قد استعاروا النسج و
الوشى والنقش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم وكان لا تشك فى ان ذلك
كله تشبيه وتمثيل يرجع الى امور واوصاف تتعلق بالمعانى دون الالفاظ
فمن حقك ان تعلم ان سبيل النظم ذلك السبيل واعلم ان من سبيلك ان
تعتمد على هذا الفصل جدا وتجعل النكت التى ذكرتها فيه على ذكر منك ابدا
فانها عمد واصول فى هذا الباب اذا انت مكنتها فى نفسك وجدت الشبه
تنزاح عنك والشكوك تنتفى عن قلبك ولا سيما ما ذكرت من انه لا يتصور
ان تعرف للفظ موضعا من غير ان تعرف معناه ولا ان تتوخى فى الالفاظ
من حيث هى الفاظ ترتيبا ونظما وانك تتوخى الترتيب فى المعانى وتعمل الفكر
هناك فاذا تم لك ذلك اتبعتها الالفاظ وقفوت بها اثارها وانك
اذا فرغت من ترتيب المعانى فى نفسك لم تحتج الى ان تستانف فكرا فى ترتيب
الالفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعانى وتابعة لها ولاحقة بها
وان العلم بمواقع المعانى فى النفس علم بمواقع الالفاظ الدالة عليها فى النطق
فصل واعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ان لا نظم
فى الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه
بسبب من تلك هذا لا يجهله عاقل ولا يخفى على احد من الناس واذا كان
كذلك فبنا ان ننظر الى التعلق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها

العادة صح

ترتيبا

بلغ

ما معناه وما محصوله فاذا انظرنا الى ذلك علمنا ان لا محصول لها غير ان تعمد الى اسم
فتجعله فاعلا لفعل او مفعولا او تعمد الى اسمين فتجعل احدهما خبرا عن الاخر
وتتبع الاسم اسما على ان يكون الثاني صفة للاول او تاكيدا له او بدلا منه
او تجي باسم بعد تمام كلامك على ان يكون حالا او تمييزا او تتوخى في كلام
هو لاثبات معنى ان يصير نفيا او استفهاما او تمنيا فتدخل عليه الحروف
الموضوعة لذلك او تريد في فعلين ان تجعل احدهما شرطا في الاخر فتجي بهما
بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى او بعد اسم من الاسماء التي ضمنت معنى
ذلك الحرف وعلى هذا القياس واذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب
الا بان يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله مما لا يرجع منه الى
اللفظ شيء ومما لا يتصور ان يكون فيه ومن صفته بان بذلك ان الامر
على ما قلناه من ان اللفظ تبع للمعنى في النظم فان الكلم تترتب في النطق بسبب
ترتب معانيها في النفس وانها لو خلت من معانيها حتى تتجرد اصواتا و
اصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر ان يجب فيها ترتيب ونظم
وان يجعل لها امكنة ومنازل وان يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك
والله الموفق للصواب **فصل** وهذه شبهة اخرى ضعيفة عسى ان يتعلق بها
متعلق ممن يقدم على القول من غير روية وهي ان تدعي ان لا معنى للفصاحة
سوى التلاؤم اللفظي وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف
تثقل على اللسان كالذي انشده الجاحظ من قول الشاعر: وقبر حرب
بمكان قفر: وليس قرب قبر حرب قبر: وقول ابن يسير: لا اديل الامال
بعدك اني: بعدها بالامال جد بخيل: كم لها موقف بباب صديق
رجعت من نداه بالتعطيل: لم يضرها والحمد لله شيء: وانثنت نحو
عزف نفسي ذهول: قال الجاحظ فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك
ستجد بعض الفاظه يتبرا من بعض ويزعم ان الكلام في ذلك على طبقات
فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه كالذي مضى ومنه ما هو اخف منه كقول
ابي تمام: كريم متى امدحه امدحه والورى: جميعا ومهما لمته لمته وحدي
ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان الا انه لا يبلغ ان يعاب صاحبه
ويشهر امره في ذلك ويحفظ عليه ويزعم ان الكلام اذا سلم من ذلك وصفا
من شوبه كان الفصيح المشار به والمشار اليه وان الصفا ايضا يكون على مراتب
يعلو بعضها بعضا وان له غاية اذا انتهى اليها كان الاعجاز والذي يبطل هذه

الشبهة

الشبهة ان ذهب اليها ذاهب انا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك
وجعلناه المراد بها لزمنا ان نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن ان تكون
نظيرة لها واذا فعلنا ذلك لم نخل من احد امرين اما ان نجعله العمدة في المفاضلة
بين العبارتين ولا نعرج على غيره واما ان نجعله احد ما نفاضل به ووجها من
الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام فان اخذنا بالاول لزمنا ان نقصر
الفضيلة عليه حتى لا يكون الاعجاز الا به وفيه وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة
لانه يؤدي الى ان لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة من وضوح
الدلالة وصواب الاشارة وتصحيح الاقسام وحسن الترتيب والنظام
والابداع في طريقة التشبيه والتمثيل والاجمال ثم التفصيل ووضع الفصل
والوصل موضعهما وتوفية الحذف والتاكيد والتقديم والتاخير شروطهما
مدخل فيما له كان القران معجزا حتى ندعي انه لم يكن معجزا من حيث هو بليغ
ولا من حيث هو قول فصل وكلام شريف النظم بديع التاليف وذلك لانه
لا تعلق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف وان اخذنا بالثاني وهو ان
يكون تلاؤم الحروف وجها من وجوه الفضيلة وداخلا في عداد ما يفاضل
به بين كلام وكلام على الجملة لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا لانه ليس باكثر من
ان نعمد الى الفصاحة فنخرجها من حيز البلاغة والبيان وان يكون نظيرة
لهما في عداد ما هو شبههما من البراعة والجزالة واشباه ذلك مما ينبي عن شرف
النظم وعن المزايا التي شرحت لك امرها واعلمتك جنسها او نجعلها اسما
مشتركا يقع تارة لما يقع له تلك واخرى لما يرجع الى سلامة اللفظ مما يثقل
على اللسان وليس واحد من الامرين بقادح فيما نحن بصدده وان تعسف
متعسف في تلاؤم الحروف فبلغ به ان يكون الاصل في الاعجاز واخرج سائر
ما ذكروه في اقسام البلاغة من ان يكون له مدخل او تاثير فيما له كان
القران معجزا كان الوجه ان يقال له انه يلزمك على قياس قولك ان تجوز
ان يكون ههنا نظم للالفاظ وترتيب لا على نسق المعاني ولا على وجه يقصد
به الفائدة ثم يكون مع ذلك معجزا وكفى به فسادا فان قال اني لا اجعل
تلاؤم الحروف معجزا حتى يكون اللفظ مع ذلك دالا وذلك لانه انما يصعب
مراعاة التعادل بين الحروف اذا احتيج مع ذلك الى مراعاة المعاني كما انه
انما يصعب مراعاة السجع والوزن ويصعب كذلك التجنيس والترصيع اذا
روعي معه المعنى قيل له فانت الان ان عقلت ما تقول قد خرجت من مسئلتك

وتركت ان تنحو للفظ المزية من حيث هو لفظ وجئت تطلب بصعوبة النظم
فيما بين المعاني طريقا وتضع له علة غير ما يعرفه الناس وتدعي ان ترتيب
المعاني سهل فان تفاضل الناس في ذلك الى حد وان الفضيلة تزداد
وتقوى اذا توخي في حروف الالفاظ التعادل والتلاوم وهذا منك
وهم وذلك لانا لا نعلم لتعادل الحروف معنى سوى ان تسلم من نحو ما تجد
في بيت ابي تمام: كريم متى امدحه امدحه والورى * وبيت ابي بسير
وانثنت نحو عزف نفس ذهول * وليس اللفظ السليم من ذلك بمعوز ولا
بعزيز الوجود ولا بالشيء لا يستطيعه الا الشاعر المفلق والخطيب البليغ
فيستقيم قياسه على السجع والتجنيس ونحو ذلك مما اذا رامه المتكلم صعب
عليه تصحيح المعاني وتادية الاغراض فقولنا اطال الله بقاك وادام عزك
واتم نعمته عليك وزاد في احسانه عندك لفظ سليم مما يكد اللسان وليس
في خروجها استكراه وهكذا حال كلام الناس في كتبهم ومحاوراتهم لا تكاد
تجد فيه هذا الاستكراه لانه انما هو شيء يعرض للشاعر اذا تكلف وتعمد
فاما المرسل نفسه على سجيتها فلا يعرض له ذلك هذا والتعليل بمثل
ما ذكرت من انه انما يكون تلاوم الحروف معجزا بعد ان يكون اللفظ دالا
لان مراعاة التعادل انما تصعب اذا احتيج مع ذلك الى مراعاة المعاني
اذا تاملت يذهب الى شيء طريف عجيب وهو ان يصعب مرام اللفظ
بسبب المعنى وذلك محال لان الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك وهو ان
يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ فصعوبة ما صعب من السجع هي صعوبة
عرضت في المعاني من اجل الالفاظ وذلك انه صعب عليك ان توفق
بين معاني تلك الالفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت اردافا
لها فلم تستطع ذلك الا بعد ان عدلت عن اسلوب الى اسلوب او دخلت
في ضرب من المجاز واخذت في نوع من الاتساع وبعد ان تلطفت
على الجملة ضربا من التلطف وكيف يتصور ان يصعب مرام اللفظ بسبب
المعنى وانت ان اردت الحق لا تطلب اللفظ بحال وانما تطلب المعنى واذا
ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وازاء ناظرك وانما كان يتصور ان يصعب
مرام اللفظ من اجل المعاني ان لو كنت اذا طلبت المعنى فحصلته احتجت
الى ان تطلب اللفظ على حدة وذلك محال هذا واذا توهم متوهم انا نحتاج
الى ان نطلب اللفظ وان من شان الطلب ان يكون هناك وان الذي يتوهم

فيستقيم

انه يحتاج

انه يحتاج الى طلبه هو ترتيب الالفاظ في النطق لا محالة واذا كان كذلك فينبغي
لنا ان نرجع الى نفوسنا فننظر هل يتصور ان نرتب معاني اسماء وافعال
وحروف في النفس ثم يخفى علينا مواقعها في النطق حتى نحتاج في ذلك
الى فكر وروية وذلك مما لا يشك فيه عاقل اذا هو رجع الى نفسه واذا
بطل ان يكون ترتيب اللفظ مطلوبا بحال ولم يكن المطلوب ابدا الا ترتيب
المعاني وكان معول هذا المخالف على ذلك فقد اضمحل كلامه وبان انه ليس
لمن حام في حديث المزية والاعجاز حول اللفظ ورام ان يجعله السبب في هذه
الفضيلة الا التسكع في الحيرة والخروج عن فاسد من القول الى مثله والله
الموفق للصواب فان قيل اللفظ بمعزل عن المزية التي تنازعنا فيها وكانت
مقصورة على المعنى فكيف كانت الفصاحة من صفات اللفظ البتة وكيف
امتنع ان يوصف بها المعنى فيقال معنى فصيح وكلام فصيح المعنى قيل انما
اختصت الفصاحة باللفظ وكانت من صفته من حيث كانت عبارة
عن كون اللفظ على وصف اذا كان عليه دل على المزية التي نحن في حديثها
واذا كانت لكون اللفظ دالا استحال ان يوصف بها المعنى كما يستحيل ان
يوصف المعنى بانه دال مثلا فاعرفه فان قيل فما دعا القدماء الى ان قسموا
الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا معنى لطيف ولفظ شريف وفخموا شان
اللفظ وعظموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم وحتى قال اهل النظر ان المعاني
لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ فاطلقوا كما ترى كلاما يوهم كل من يسمعه
ان المزية في حاق اللفظ قيل انه لما كانت المعاني انما تتبين بالالفاظ وكان
لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها الى ان يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره
الا بترتيب الالفاظ في نطقه تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الالفاظ
ثم بالالفاظ بحذف الترتيب ثم اتبعوا ذلك من الوصف والنعت بما ابان الغرض
وكشف عن المراد كقولهم لفظ متمكن يريدون انه بموافقة معناه لمعنى ما يليه
كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه ولفظ قلق ناب يريدون انه
من اجل ان معناه غير موافق لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو
لا يستطيع الطمانينة فيه الى ساير ما يجيء في صفة اللفظ مما يعلم انه مستعار له
من معناه وانهم نحلوه اياه بسبب مضمونه ومؤداه هذا ومن تعلق بهذا وشبهه
واعترضه الشك فيه بعد الذي مضى من الحجج فهو رجل قد انس بالتقليد فهو
يدعو الى نفسه الشبهة من هنا وثم ومن كان هذا سبيله فليس له دواء سوى

اذا كان م

السكوت عنه وتركه وما يختاره لنفسه من سوء النظر وقلة التدبر قد فرغنا
الآن من الكلام على جنس المزية وانها من حيز المعاني دون الالفاظ وانها
ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك
وتعمل رويتك وتراجع وتستنجد في الجملة فهمك وبلغ القول في ذلك اقصاه
وانتهى الى مداه وينبغي ان ناخذ الآن في تفصيل امر المزية وبيان الجهات
التي منها تعرض وانه لمرام صعب ومطلب عسير ولولا انه على ذلك لما وجد
الناس بين منكر له من اصله ومتخيل له على غير وجهه ومعتقد انه باب
لا تقوى عليه العبارة ولا يملك فيه الا الاشارة وان طريق التعليم اليه
مسدود وباب التفهيم دونه مغلق وان معانيك فيه معان تابى ان تبرز
وان تبين للتبيين والتصوير وان ترى سافرة لا نقاب عليها وبادية
لا حجاب دونها وان ليس للواصف لها الا ان يلوح ويشير او يضرب مثلا
ينبئ عن حسن قد عرفه على الجملة وفضيلة قد احسها من غير ان يتبع ذلك
بيانا ويقيم عليه برهانا ويذكر له علة او يورد فيه حجة وانا اترك لك القول
في ذلك وادرجه شيئا فشيئا واستعين الله تعالى عليه واسأله التوفيق

فصل في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره اعلم ان لهذا الضرب اتساعا و
تفننا الى غاية الا انه على اتساعه يدور في الامر الاعم على شيئين الكناية [والمجاز] والمراد
بالكناية ههنا ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ
الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به
اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو طويل النجاد يريدون طويل
القامة وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى وفي المرأة نؤوم الضحى والمراد
بها مترفة مخدومة لها من يكفيها فقد ارادوا في هذا كله كما ترى معنى
ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى آخر من شانه
ان يردفه في الوجود وان يكون اذا كان افلا ترى ان القامة اذا طالت
طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر واذا كانت المرأة مترفة كان
لها من يكفيها ردف ذلك ان تنام الى الضحى فاما المجاز فقد عول الناس
في حده على حديث النقل وان كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز والكلام
في ذلك يطول وقد ذكرت ما هو الصحيح في ذلك في موضع آخر فانا اقتصر
ههنا على ذكر ما هو اشهر منه واظهر والاسم والشهرة فيه لشيئين الاستعارة
والتمثيل وانما يكون التمثيل مجازا اذا جاء على حد الاستعارة فالاستعارة ان

ان تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء الى
اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد ان تقول رايت رجلا هو
كالاسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رايت اسدا
وضرب آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله اذا اصبحت بيد الشمال
زمامها هذا الضرب وان كان الناس يضمونه الى الاول حيث يذكرون
الاستعارة فليسا سواء وذلك انك في الاول تجعل الشيء الشيء ليس به وفي الثاني
تجعل للشيء الشيء ليس له تفسير هذا انك اذا قلت رايت اسدا فقد ادعيت
في انسان انه اسد وجعلته اياه ولا يكون الانسان اسدا واذا قلت
اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فقد ادعيت ان للشمال يدا ومعلوم انه
لا يكون للريح يد وههنا اصل يجب ضبطه وهو ان جعل المشبه المشبه به
على ضربين احدهما ان تنزله منزلة الشيء تذكره بامر قد ثبت له فانت
لا تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتزجيته وذلك حيث تسقط ذكر المشبه
من البين ولا تذكره بوجه من الوجوه كقولك رايت اسدا والثاني ان
تجعل ذلك كالامر الذي انت تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتزجيته وذلك
حيث تجري اسم المشبه به خبرا على المشبه فتقول زيد اسد وزيد هو
الاسد او تجيء به على وجه يرجع الى هذا كقوله ان لقيته لقيت به اسدا
وان لقيته ليلقينك منه الاسد وانت في هذا كله تعمل في اثبات كونه
اسدا او الاسد وتضع كلامك له واما في الاول فتخرجه مخرج ما لا تحتاج
فيه الى اثبات وتقرير والقياس يقتضي ان يقال في هذا الضرب اعني
ما انت تعمل في اثباته وتزجيته انه تشبيه على حد المبالغة وتقتصر على هذا
القدر ولا يسمى استعارة واما التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئك به على
حد الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى فالاصل في هذا اراك في ترددك كمن يقدم رجلا و
يؤخر اخرى ثم اختصر الكلام وجعل كانه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة كما
كان الاصل في قولك رايت اسدا رايت رجلا كالاسد ثم جعل كانه الاسد على
الحقيقة وكذلك تقول للرجل يعمل في غير معمل اراك تنفخ في غير فحم وتخط على
الماء فتجعله في ظاهر الامر كانه ينفخ ويخط والمعنى على انك في فعلك كمن يفعل
ذلك وتقول للرجل يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى الشيء قد كان يأباه ويمتنع
منه ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما اراد فتجعله بظاهر اللفظ

كانه كان منه فتل في ذروة وغارب والمعنى على انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا
يشبه حاله فيه حال الرجل يجي الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته
وغاربه حتى يسكن ويستانس وهو في المعنى نظير قولهم فلان يقرد فلانا
يعني انه يتلطف به فعل الرجل ينزع القراد من البعير ليلذه بذلك فيسكن و
يثبت في مكانه حتى يتمكن من اخذه وهكذا كل كلام رايتهم قد نحوا فيه نحو
التمثيل ثم لم يفصحوا بذلك واخرجوا اللفظ مخرجه اذا لم يريدوا تمثيلا

فصل

قد اجمع الجميع على ان الكناية ابلغ من الافصاح والتعريض اوقع من التصريح
وان للاستعارة مزية وفضلا وان المجاز ابدا ابلغ من الحقيقة الا ان
ذلك وان كان معلوما على الجملة فانه لا تطمئن نفس العاقل في كل ما يطلب
العلم به حتى يبلغ فيه غايته وحتى يغلغل الفكر الى زواياه حتى لا يبقى عليه موضع
شبهة ومكان مسئلة فنحن وان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاد وهو جم
الرماد كان ابهى لمعناك وانبل من ان تدع الكناية وتصرح بالذي تريده
كذا اذا قلت رايت اسدا كان لكلامك مزية لا يكون اذا قلت رايت رجلا
هو والاسد سواء في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش واشباه
ذلك واذا قلت بلغني انك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان اوقع من صريحه
الذي هو قولك بلغني انك تتردد في امرك وانك في ذلك كمن يقول اخرج
ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى ونقطع على ذلك حتى لا يخالجنا شك
فيه وانما تسكن انفسنا تمام السكون اذا عرفنا السبب في ذلك والعلة ولم كان
كذلك وهيأنا له عبارة تفهم عنا من نريد افهامه وهذا قول في ذلك
اعلم ان سبيلك اولا ان تعرف ان ليست المزية التي تثبتها لهذه الاجناس
على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تدعي لها في نفس المعاني التي
يقصد المتكلم اليها بخبره ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره اياها تفسير
هذا ان ليس المعنى اذا قلنا ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن
المعنى زدت في ذاته بل المعنى انك زدت في اثباته فجعلته ابلغ واكد واشد
فليست المزية في قولهم جم الرماد انه دل على قرى اكثر بل انك اثبت له القرى
الكثير من وجه هو ابلغ واوجبته ايجابا هو اشد وادعيته دعوى انت
بها انطق وبصحتها اوثق وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك رايت
اسدا على قولك رايت رجلا لا يتميز عن الاسد في شجاعته وجراءته انك
قد افدت بالاول زيادة في مساواته الاسد بل ان افدت تاكيدا وتشديدا

وقوة في اثباتك له هذه المساواة وفي تقريرك لها فليس تاثير الاستعارة اذا في ذات
الشيء وحقيقته بل في ايجابه والحكم به وهكذا قياس التمثيل ترى المزية ابدا
في ذلك تقع في طريق اثبات المعنى دون المعنى نفسه فاذا سمعتهم يقولون
ان من شان هذه الاجناس ان تكسب المعاني نبلا وفضلا وتوجب لها
شرفا وان تفخمها في نفوس السامعين وترفع اقدارها عند المخاطبين
فانهم لا يريدون الشجاعة والقرى واشباه ذلك من معاني الكلم المفردة
وانما يعنون اثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له ويخبر بها عنه هذا
ما ينبغي للعاقل ان يجعله على ذكر منه ابدا وان يعلم ان ليس لنا اذا نحن
تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل ولا هي منا بسبيل
وانما نعمد الى الاحكام التي تحدث بالتاليف والتركيب واذ قد عرفت
مكان هذه المزية والمبالغة التي لا تزال تسمع بها وانها في الاثبات دون
المثبت فان لها في كل واحد من هذه الاجناس سببا وعلة اما الكناية
فان السبب في ان كان للاثبات بها مزية لا تكون للتصريح ان كل عاقل
يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها وايجابها بما هو
شاهد في وجودها اكد وابلغ في الدعوى من ان تجيء اليها فتثبتها هكذا
ساذجا غفلا وذلك انك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها الا والامر ظاهر
معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط فاما الاستعارة
فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة انك اذا قلت رايت اسدا كنت
قد تلطفت لما اردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي
يجب له الثبوت والحصول وكالامر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده
وذلك انه اذا كان اسدا فواجب ان يكون له تلك الشجاعة العظيمة
وكالمستحيل او الممتنع ان يعرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت رايت
رجلا كالاسد كنت قد اثبتها اثبات الشيء يترجح بين ان يكون وبين
ان لا يكون ولم يكن من حديث الوجوب في شيء وحكم التمثيل حكم الاستعارة
سواء فانك اذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاوجبت له الصورة
التي يقطع معها بالتحير والتردد كان ابلغ لا محالة من ان تجري على الظاهر
فتقول قد جعلت تتردد في امرك فانت كمن يقول اخرج ولا اخرج فتقدم
رجلا وتؤخر اخرى

بلغ

فصل

اعلم ان من شان هذه الاجناس ان تجري فيها
الفضيلة وان تتفاوت التفاوت الشديد افلا ترى انك ترى في الاستعارة

العامي المبتذل كقولنا رايت اسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر
الذي لا تجده الا في كلام الفحول ولا يقوى عليه الا افراد الرجال كقوله وسالت
باعناق المطي الاباطح اراد بها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكان سرعة
في لين وسلاسة حتى كانها كانت سيولا وقعت في تلك الاباطح فجرت بها
ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة
بعينها قول الاخر سالت عليه شعاب الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير
اراد انه مطاع في الحي وانهم يسرعون الى نصرته وانه لا يدعوهم لحرب او
نازل خطب الا اتوه فكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجي
من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها
ومن بديع الاستعارة ونادرها الا ان جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا
قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له وانه مؤدب وانه اذا
نزل عنه والقى عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه الى ان يعود اليه شعر
عودته فيما ازور حبايبي : اهماله وكذاك كل مخاطر : واذا احتبى قربوسه
بعنانه : علك الشكيم الى انصراف الزاير : فالغرابة هنا في الشبه نفسه وفي
ان استدرك ان هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موقع
الثوب من ركبة المحتبي وليست الغرابة في قوله وسالت باعناق المطي الاباطح
على هذه الجملة وذاك انه لم يغرب لان جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته
كالما يجري في الابطح فان هذا شبه معروف ظاهر ولكن الدقة واللطف
في خصوصية افادها بان جعل سال فعلا للاباطح ثم عداه بالباء بان ادخل
الاعناق في البين فقال باعناق المطي ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي
في الاباطح لم يكن شيا وكذلك الغرابة في البيت الاخر ليس في مطلق معنى سال
ولكن في تعديته بعلى والباء وبان جعله فعلا لقوله شعاب الحي ولولا هذه
الامور كلها لم يكن هذا الحسن وهذا موضع يدق الكلام فيه وهذه اشيا
من هذا الفن شعر : اليوم يومان مذ غيبت عن بصري : نفسي فداوك
ما ذنبي فاعتذر : امسي واصبح لا القاك واحزنا : لقد تانق في مكروهي القدر
حمله على مبتدا او نحو فانا اعتذر ولم يجعله جوابا وفيه لطيفة وهي ان يلتزم
كل ما يلزمه ويعترف به ويعتذر اليه منه ثم قول ابن المعتز وهو
لطيف جدا : يعرض تنوفة للريح فيها نسيم لا يروع الترب وان : يعفي الاعراب
ولم تخصم جاهوين ذوي شذى : تغذي عيونهم بهرهات : لدى طارتهم

على ما ساءهم : وخبات باطلهم بحق ظاهر : المقصود لفظة خبات : ابن المعتز
حتى اذا ما عرف الصيد الضار : واذن الصبح لنا بالابصار : المعنى حتى اذا تهيا
لنا ان نبصر شيا لما كان تعذر الابصار منعا من الليل جعل امكانه عند ظهور الصبح
اذنا من الصبح وله : بخيل قد بليت به يكد الوعد بالحج : وله ايضا يناجيني
الاخلاف من تحت مطله : فتختصم الامال واليأس في صدري : ومما هو في غاية
الحسن وهو من الفن الاول قول الشاعر انشده الجاحظ : لقد كنت في قوم عليك
اشحة : بنفسك الا ان ما طاح طايح : يودون لو خاطوا عليك جلودهم : ولا
يدفع الموت النفوس الشحايح : قال واليه ذهب بشار في قوله : وصاحب
كالدمل الممد حملته : في رقعة في جلدي : ومن ثم هذا الباب انك ترى
اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك
ملاحة لا تجدها في الباقي مثال ذلك انك تنظر الى لفظة الجسر في قول ابي تمام
لا يطمع المرء ان يجتاب لجته : بالقول ما لم يكن جسرا له العمل : وقوله بصرت
بالراحة الكبرى فلم ترها : تنال الا على جسر من التعب : فترى لها في الثاني حسنا
لا تراه في الاول ثم تنظر اليها في قول ربيعة الرقي : قولي نعم ونعم ان قلت واجبة
قالت عسى وعسى جسر الى نعم : فترى لها لطفا وحلاوة وحسنا ليس الفضل
فيه بقليل ومما هو اصل في شرف الاستعارة ان ترى الشاعر قد جمع بين عدة
استعارات قصدا الى ان يلحق الشكل بالشكل وان يتم المعنى والشبه فيما يريد
مثاله قول امري القيس : فقلت له لما تمطى بصلبه : واردف اعجازا وناء
بكلكل : لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له اعجازا قد اردف
بها الصلب وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفى له جملة اركان الشخص
وراعى ما يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه واذا نظر الى ما خلفه واذا رفع
البصر ومده في عرض الجو واعلم ان ههنا اسرارا ودقايق لا يمكن بيانها الا بعد
ان نقدم جملة من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه واي شي هو وما
محصوله ومحصول الفضيلة فينبغي لنا ان ناخذ في ذكره وبيان امره
وامر المزية التي تدعى له من اين تاتيه وكيف تعرض فيه وما اسباب ذلك وعلله
وما الموجب له وقد علمت اطباق العلما على تعظيم شان النظم وتفخيم قدره و
التنويه بذكره واجماعهم ان لا فضل مع عدمه ولا قدر لكلام اذا هو لم يستقم
ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وبتهم الحكم بانه الذي لا تمام دونه ولا قوام الا
به وانه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال وما كان بهذا

المحل من الشرف وفى هذه المنزلة من الفضل وموضوعا هذا الموضع من المزية
وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة كان حرى بان توقظ له الهمم وتوكل به
النفوس وتحرك له الافكار وتستخدم فيه الخواطر وكان العاقل جديرا
ان لا يرضى لنفسه بان يجد فيه سبيلا الى مزية علم وفضل استبانه
وتلخيص حجة وتحرير دليل ثم يعرض عن ذلك صفحا ويطوى دونه
كشحا وان يربا بنفسه ويدخل عليه الانفة من ان يكون فى سبيل
المقلد الذى لا يبت حكما ولا يقبل الشىء علما ولا يجد ما يبرى من الشبهه
ويشفى غليل الشاك وهو يستطيع ان يرتفع عن هذه المسئلة ويباين
من هو بهذه الصفة فان ذلك دليل ضعف الراى وقصر الهمة
ممن يختاره ويعمل عليه اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع
الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه
التى نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل
بشىء منها وذلك انا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر
فى وجوه كل باب وفروقه فينظر فى الخبر الى الوجوه التى تراها فى قولك زيد
منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق
زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق وفى الشرط والجزاء الى الوجوه التى
تراها فى قولك ان تخرج اخرج وان خرجت خرجت وان تخرج فانا
خارج وانا خارج ان خرجت وانا ان خرجت خارج وفى الحال الى الوجوه
التى تراها فى قولك جانى زيد مسرعا وجانى يسرع وجانى وهو مسرع او وهو
يسرع وجانى قد اسرع وجانى وقد اسرع فتعرف لكل من ذلك موضعه
وتجى به من حيث ينبغى له وتنظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ثم ينفرد
كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى فتضع كلا من ذلك فى خاص معناه
نحو ان تجى بما فى نفى الحال وبلا اذا اراد نفى الاستقبال وبان فيما يترجح بين
ان يكون وان لا يكون وباذا فيما علم انه كاين وينظر فى الجمل التى تسرد
فتعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم تعرف فيما حقه الوصل موضع الواو
من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع او من موضع ام وموضع
لكن من موضع بل ويتصرف فى التعريف والتنكير والتقديم والتاخير
فى الكلام كله وفى الحذف والتكرار والاضمار والاظهار فتصيب بكل
من ذلك مكانه وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغى له هذا هو السبيل فلست

بواجد

بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا وخطاؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل
تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معانى النحو قد اصيب به موضعه ووضع
فى حقه او عومل بخلاف هذه المعاملة فازيل عن موضعه واستعمل فى
غير ما ينبغى له فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية
وفضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية
وذلك الفضل الى معانى النحو واحكامه ووجدته يدخل فى اصل من اصوله
ويتصل بباب من ابوابه هذه جملة لا تزداد فيها الا ازددت لها تصورا
وازدادت عندك صحة وازددت بها ثقة وليس من احد تحركه لان يقول
فى امر النظم الا وجدته قد اعترف لك بها او ببعضها ووافق فيها درى ذلك
او لم يدر ويكفيك انهم قد كشفوا عن وجه ما اردناه حيث ذكروا فساد
النظم وليس من احد يخالف فى نحو قول الفرزدق : وما مثله فى الناس الا
مملكا ابو امه حى ابوه يقاربه : وقول المتنبى : ولذا اسم اغطية
العيون جفونها : من انها عمل السيوف عوامل : وقوله : الطيب انت
اذا اصابك طيبه : والماء انت اذا اغتسلت الغاسل : وقوله : وفاؤ
كما كالربع اشجاه طاسمه : بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه : وقول
ابى تمام : ثانيه فى كبد السماء ولم يكن : كاثنين ثان اذ هما فى الغار : وقوله
يدى لمن شاء رهن لم يذق : جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل
والى نظاير ذلك مما وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة سوء التاليف
ان الفساد والخلل كانا من ان تعاطى الشاعر : ما تعاطاه من هذا الشان
على غير الصواب فصنع : فى تقديم وتاخير وحذف : واضمار او غير ذلك
مما ليس له ان يصنعه وما لا يسوغ ولا يصح على اصول هذا العلم واذا ثبت
ان سبب فساد النظم واختلاله ان لا يعمل بقوانين هذا الشان ثبت
ان سبب صحته ان يعمل عليها ثم اذا ثبت ان مستنبط صحته وفساده
من هذا العلم ثبت ان الحكم كذلك فى مزيته والفضيلة التى تعرض
فيه واذا ثبت جميع ذلك ثبت ان ليس هو شيئا غير توخى معانى هذا
العلم واحكامه فيما بين الكلم والله الموفق للصواب واذ قد عرفت ذلك
فاعمد الى ما تواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوا ذلك
من اجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر او غير الشعر من معنى
لطيف او حكمة او ادب او استعارة او تجنيس او غير ذلك مما لا يدخل فى

في النظم وتاهله فاذا رايتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت
فانظر الى حركات الارتحية مم كانت وعند ماذا ظهرت فانك ترى
عيانا ان الذى قلت اعمد الى قول البحترى بلونا ضرائب من قد نرى
فما ان راينا لفتح ضريبا هو المرء ابدت له الحادثات عزما وشيكا ورايا
صليبا تنقل في خلقي سودد سماحا مرجى وباسا مهيبا فكالسيف ان
جئته صارخا وكالبحر ان جئته مستثيبا فاذا رايتها قد راقتك وكثرت
عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك فعد وانظر في السبب واستقص
في النظر فانك تعلم ضرورة ان ليس الا انه قدم واخر وعرف ونكر وحذف
واضمر واعاد وكرر وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو
فاصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه واتى ماتى يوجب الفضيلة
افلا ترى ان اول شي يروقك منها قوله هو المرء ابدت له الحادثات
ثم قوله تنقل في خلقي سودد بتنكير السودد واضافة الخلقين اليه ثم قوله
فكالسيف وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدا لان المعنى لا محالة
فهو كالسيف ثم تكريره الكاف في قوله وكالبحر ثم ان قرن الى كل واحد من
التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم ان اخرج من كل واحد من الشرطين حالا
على مثال ما اخرج من الاخر وذلك قوله صارخا هناك ومستثيبا هنا
لا ترى حسنا تنسبه الى النظم ليس سببه ما عددت او ما هو في حكم ما
عددت فاعرف ذلك وان اردت اظهر امرا من هذا المعنى فانظر الى
قول ابرهيم بن العباس فلو اذ نبا دهر وانكر صاحب وسلط اعداء
وغاب نصير تكون عن الاهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت و
امور واني لارجو بعد هذا محمدا لافضل ما يرجى اخ ووزير فانك
ترى من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم تتفقد السبب
في ذلك فتجده انما كان من اجل تقديمه الظرف الذي هو اذ نبا على عامله
الذي هو تكون وان لم يقل فلو تكون عن الاهواز داري بنجوة اذ نبا
دهر ثم ان ساق هذا التنكير في جميع ما اتى به من بعد ثم ان قال وانكر
صاحب ولم يقل وانكرت صاحبا لا ترى في البيتين الاولين شيئا
غير الذي عددته لك تجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى
وهكذا السبيل ابدا في كل حسن ومزية رايتهما قد نسبا الى النظم وفضل
وشرف احيل فيهما عليه واذ قد عرفت ان مدار امر النظم على معاني النحو

وعلى الوجوه

وعلى الوجوه والفروق التي من شانها ان تكون فيه فاعلم ان الفروق والوجوه
كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ثم اعلم
ان ليست المزية بواجبة لها في انفسها ومن حيث هي على الاطلاق ولكن
تعرض بسبب المعاني والاغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها
من بعض واستعمال بعضها مع بعض تفسير هذا انه ليس اذا راقك التنكير
في سودد من قوله تنقل في خلقي سودد وفي دهر من قوله فلو اذ نبا
دهر فانه يجب ان يروقك ابدا في كل شي ولا اذا استحسنت لفظ ما لم
يسم فاعله في قوله وانكر صاحب فانه ينبغي ان لا تراه في مكان الا اعطيته
مثل استحسانك ههنا بل ليس من فضل ومزية الا بحسب الموضع وبحسب المعنى
الذي تريد والغرض الذي تؤم وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ
التي تعمل منها الصور والنقوش فكما انك ترى الرجل قد تهدى في الاصباغ
التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التخير والتدبر
في انفس الاصباغ وفي مواقعها وفي مقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه
اياها الى ما لم يهتد اليه صاحبه فجاء نقشه من اجل ذلك اعجب وصورته
اغرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي
علمت انها محصول النظم واعلم ان من الكلام ما انت ترى المزية في نظمه
والحسن كالاجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في
العين وانت لذلك لا تكبر شان صاحبه ولا تقضي له بالحذق والاستاذية
وسعة الذرع وشدة المنة حتى تستوفي القطعة وتاتي على عدة ابيات
وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما انشدتك من ابيات البحتري ومنه
ما انت ترى الحسن يهجم عليك منه دفعة وياتيك منه ما يملا العين ضربة
حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل في الفضل وموضعه في الحذق
وتشهد له بفضل المنة وطول الباع وحتى تعلم ان لم تعلم القايل انه من قبل
شاعر فحل وانه خرج من تحت يد صناع وذلك ما اذا انشدته وضعت فيه
على شي فقلت هذا هذا وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر والكلام الفاخر
والنمط العالي الشريف والذي لا تجده الا في شعر الفحول البزل ثم المطبوعين
الذين يلهمون القول الهاما ثم انك تحتاج ان تستقري عدة قصايد بل
ان تفلي ديوانا من الشعر حتى تجمع منه عدة ابيات وذلك ما كان مثل قول
الاول وتمثل به ابو بكر الصديق حين اتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الاعاجم

تمنا نا لتلقانا القوم تخال بياضَ لأمهم السرابا. فقد لاقيتنا فرايت حربا. عوانا
تمنع الشيخ الشرابا. انظر الى موضع الفاء في قوله فقد لاقيتنا فرايت ومثل
قول العباس بن الاحنف. قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول
فقد جئنا خراسانا. انظر الى موضع الفاء وثم قبلها ومثل قول ابن
الدمينة. ابيني أفي يمنى يديك جعلتني. فافرح ام صيرتني في شمالك
ابيت كاني بين شقين من عصا. حذار الردى او خيفة من ذيالك
تعاللت كي اشجى ومابك علة. تريدين قتلي قد ظفرت بذلك. انظر الى
الفصل والاستيناف في قوله. تريدين قتلي قد ظفرت بذلك. ومثل
قول ابي حفص الشطرنجي. وقاله على لسان عُلَيّة اخت الرشيد. وقد
كان الرشيد عتب عليها. لو كان يمنع حسن الفعل صاحبه. من ان يكون
له ذنب الى احد. كانت عُلَيّة ابرا الناس كلهم. من ان تكافى بسوء آخر
الابد. ما اعجب الشيء ترجوه فتحرمه. قد كنت احسب اني قد ملات يدي
انظر الى قوله احسب والى مكان هذا الاستيناف ومثل قول ابي داود
فلقد اغتدي يدافع ركني. احوذي ذو ميعة اضريج. سلهب شرجب
كان رماحا. حملته وفي السراة دموج. انظر الى التنكير في قوله كان رماحا
ومثل قول ابن البواب. اتيتك عائذا بك منك لما. ضاقت الحيل وصيرني
هواك وبي لحيني يضرب المثل. فان سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل وان
قتل الهوى رجلا. فاني ذلك الرجل انظر الى الاشارة والتعريف في قوله
فاني ذلك الرجل ومثل قول عبد الصمد. مكتئب ذو كبد حري. تبكي
عليها مقلة عبري. يرفع يمناه الى ربه. يدعو وفي الكبد اليسرى. انظر
الى لفظة يدعو والى موقعها. ومثل قول جرير. لمن الديار ببرقة الروحان
اذ لا نبيع زماننا بزمان. صدع الغواني اذ رمين فؤاده. صدع الزجاجة
ما لذاك تداني. انظر الى قوله ما لذاك تداني. وتامل حال هذا الاستيناف
ليس من بصير عارف بجوهر الكلام حساس متفهم لسر هذا الشان ينشد
او يقرأ هذه الابيات الا لم يلبث ان يضع يده في كل بيت منها على الموضع
الذي اشرت اليه يعجب ويعجب ويكبر شان المزية فيه والفضل فصل
واعلم ان مما هو اصل في ان يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني
التي عرفت ان تتحد اجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط
ثان منها باول وان يحتاج في الجملة الى ان تضعها في النفس وضعا واحدا

وان يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هٰهنا في حال ما يضع بيساره
هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الاولين وليس
لما شانه ان يجي على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فانه يجي
على وجوه شتى وانحاء مختلفة فمن ذلك ان تزاوج بين معنيين في الشرط
والجزاء معا كقول البحتري. اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى. اصاخت الى الواشي
فلج بها الهجر. وقوله اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى
ففاضت دموعها. فهذا نوع ونوع اخر منه قول سليمن بن داود القضاعي
فبينا المرء في علياء اهوى. ومنحط اتيح له اعتلاء. وبينا نعمة اذ حال بوس
وبوس اذ تعقبه ثراء. ونوع ثالث وهو ما كان كقول كثير. واني وتهيامي
بعزة بعدما. تخليت مما بيننا وتخلت. لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ
منها للمقيل اضمحلت. وقول البحتري لعمرك انا والزمان كما جنت على
الاضعف الموهون عادية الاقوى ومنه التقسيم وخصوصا اذا
قسمت ثم جمعت كقول حسان. قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم. او حاولوا
النفع في اشياعهم نفعوا. سجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم
شرها البدع ومن ذلك وهو شيء في غاية الحسن قول القائل لو ان ما
انتم فيه يدوم لكم ظننت ما انا فيه دائما ابدا لكن رايت الليالي غير تاركة
ما سر من حادث او ساء مطردا. فقد سكنت الى اني وانكم. سنستجد خلاف
الحالتين غدا. فقوله سنستجد خلاف الحالتين غدا جمع لما قسم لطيف
وقد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه ولطف ما توصل به اليه من قوله
فقد سكنت الى اني وانكم واذ قد عرفت هذا النمط من الكلام
وهو ما تتحد اجزاؤه حتى يوضع وضعا واحدا فاعلم انه النمط العالي والباب
الاعظم والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه ومما ندر
منه ولطف ماخذه ودق نظر واضعه وجلى لك عن شاو قد تحسر دونه
العتاق وغاية يعيا من قبلها المذاكي القرح الابيات المشهورة في
تشبيه شيئين بشيئين بيت امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا.
لدى وكرها العناب والحشف البالي. وبيت الفرزدق. والشيب
ينهض في الشباب كانه ليل يصيح بجانبيه نهار. وبيت بشار كان مثار النقع
فوق رؤوسنا. واسيافنا ليل تهاوى كواكبه. ومما اتى في هذا الباب

مائی اعجب مما مضی کله قول زیاد بن الاعجم: وانا وما تلقی لنا ان هجوتنا: لکالبحر
مهما یلق فی البحر یغرق: وانما کان اعجب لان عمله ادق وطریقه اغمض
ووجه المشارکة فیه اغرب واعلم ان من الکلام ما انت تعلم اذ تدبرته
ان لم یحتج واضعه الی فکر ورویة حتی انتظم له بل تری سبیله فی ضم بعضه
الی بعض سبیل من عمد الی لالی فخرطها فی سلک لا یبتغی اکثر من ان یمنعها
التفرق وکمن نضد اشیاء بعضها علی بعض لا یرید فی نضده ذلک ان یجیء له
منه هیئة او صورة بل لیس الا ان تکون مجموعة فی رای العین وذلک اذا
کان معناک معنی لا تحتاج ان تصنع فیه شیئا غیر ان تعطف لفظا علی مثله
کقول الجاحظ جنبک الله الشبهة وعصمک من الحیرة وجعل بینک وبین المعرفة
نسبا وبین الصدق سببا وحبب الیک التثبت وزین فی عینیک الانصاف
واذاقک حلاوة التقوی واشعر قلبک عز الحق واودع صدرک برد الیقین
وطرد عنک ذل الیاس وعرفک ما فی الباطل من الذلة وما فی الجهل من القلة
وکقول بعضهم لله در خطیب قام عندک یا امیر المومنین ما افصح لسانه
واحسن بیانه وامضی جنانه وابل ریقه واسهل طریقه ومثل قول النابغة
فی الثناء المسجوع ایفاخرک الملک اللخمی فوالله لقفاک خیر من وجهه و
لشمالک خیر من یمینه ولاخمصک خیر من راسه ولخطاوک خیر من
صوابه ولعیک خیر من کلامه ولخدمک خیر من قومه وکقول بعض البلغاء
فی وصف اللسان اللسان اداة یظهر بها حسن البیان وظاهر یخبر عن الضمیر
وشاهد ینبئک عن غائب وحاکم یفصل به الخطاب وواعظ ینهی عن القبیح
ومزین یدعو الی الحسن وزارع یحرث المودة وحاصد یحصد الضغینة
وملة یونق الاسماع فما کان من هذا وشبهه لم یجب به فضل اذا وجب
الا بمعناه او بمتون الفاظه دون نظمه وتالیفه وذلک لانه لا فضیلة
حتی تری فی الامر مصنعا وحتی تجد الی التخیر سبیلا وحتی یکون قد استحق
صوابا فان قلت فلیس هو کلاما قد اطرد علی الصواب وسلم من العیب افما یکون
فی کثرة الصواب فضیلة قیل واما والصواب کما تری قلنا لا انا لسنا فی ذکر
تقویم اللسان والتحرز من اللحن وزیغ الاعراب فنعتد بمثل هذا الصواب
وانما نحن فی امور تدرک بالفکر اللطیفة ودقایق اللطیف یوصل الیها
بثاقب الفهم فلیس درک صواب درکا فیما نحن فیه حتی تشرف موضعه و

یصعب الوصول الیه وکذلک لا یکون ترک خطا ترکا حتی تحتاج فی التحفظ منه
الی لطف نظر وفضل رویة وقوة ذهن وشدة تیقظ وهذا باب ینبغی ان
تراعیه وان تعنی به حتی اذا وازنت بین کلام وکلام دریت کیف تصنع
فضممت الیه کل شیء شکله وقابلته بما هو نظیر له ومیزت ما الصنعة منه فی
نظمه واعلم ان هذا اعنی الفرق بین ان یکون المزیة فی اللفظ وبین ان یکون
فی النظم باب یکثر فیه الغلط فلا تزال تری مستحسنا قد اخطا بالاستحسان
موضعه فینحل ما لیس له ولا تزال تری الشبهة قد دخلت علیک فی الکلام قد حسن
من لفظه ونظمه فظننت ان حسنه ذلک کله للفظ منه دون النظم
مثال ذلک ان تنظر الی قول ابن المعتز: وانی علی اشفاق عینی من العدی
لتجمح منی نظرة ثم اطرق: فتری ان هذه الطلاوة وهذا الظرف انما هو لان
جعل النظر یجمح ولیس هو لذلک بل لان قال فی اول البیت وانی حتی دخل
اللام فی قوله ثم اطرق وللطیفة اخری نصرت هذه اللطایف وهی اعتراضه
بین اسم ان وخبرها بقوله علی اشفاق عینی من العدی وان اردت اعجب
من ذلک فیما ذکرت لک فانظر الی قوله وقد تقدم انشاده قبل سالت
علیه شعاب الحی حین دعا انصاره بوجوه کالدنانیر فانک تری هذه الاستعارة
علی لفظها وغرابتها انما تم لها الحسن وانتهی الی حیث انتهی بما توخی فی وضع
الکلام من التقدیم والتاخیر وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلک
ومؤازرته لها وان شککت فاعمد الی الجارین والظرف فازل کلا منهما
عن مکانه الذی وضعه الشاعر فیه فقل سالت شعاب الحی بوجوه کالدنانیر
علیه حین دعا انصاره ثم انظر کیف یکون الحال وکیف یذهب الحسن والحلاوة
وکیف تعدم اریحیتک التی کانت وکیف یذهب النشوة التی کنت تجدها
وجملة الامر ان ههنا کلاما حسنه للفظ دون النظم واخر حسنه للنظم
دون اللفظ وثالثا قد اتاه الحسن من الجهتین ووجبت له المزیة بکلا
الامرین والاشکال فی هذا الثالث وهو الذی لا تزال تری الغلط قد عارضک
فیه وتراک قد حفت فیه علی النظم فترکته وطمحت ببصرک الی اللفظ وقدرت
فی حسن کان به وباللفظ انه للفظ خاصة وهذا هو الذی اردت حین
قلت لک ان فی الاستعارة ما لا یمکن بیانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف
علی حقیقته ومن دقیق ذلک وخفیه انک تری الناس اذا ذکروا قول الله
تعالی واشتعل الراس شیبا لم یزیدوا فیه علی ذکر الاستعارة ولم ینسبوا الشرف

الا اليها ولم يروا للمزية موجبا سواها هكذا ترى الامر في ظاهر كلامهم وليس الامر
على ذلك ولا هذا الشرف العظيم وهذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل
على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة وذلك لانه سلك بالكلام
طريق ما يسند الفعل فيه الى الشيء وهو لما هو من سببه فيرفع به ما يسند
اليه ويوتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبينا ان ذلك الاسناد
وتلك النسبة الى ذلك الاول انما كانا من اجل هذا الثاني ولما بينه وبينه
من الاتصال والملابسة كقولهم طاب زيد نفسا وقر عمرو عينا وتصبب
عرقا وكرم اصلا وحسن وجها واشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولا
عن الشيء الى ما ذلك الشيء من سببه وذلك انا نعلم ان اشتعل للشيب
في المعنى وان كان هو للراس في اللفظ كما ان طاب للنفس وقر للعين
وتصبب للعرق وان اسند الى ما اسند اليه يبين ان الشرف كان لان
سلك فيه هذا المسلك وتوخى به هذا المذهب ان تدع هذا الطريق
فيه وتاخذ للفظ فتسنده الى الشيب صريحا فتقول اشتعل شيب الراس
او الشيب في الراس ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة وهل ترى
الروعة التي كنت تراها فان قلت فما السبب في ان كان اشتعل اذا استعير
للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل ولم بان بالمزية من الوجه الاخر
هذه البينونة فان السبب انه يفيد مع لمعان الشيب في الراس الذي هو اصل
المعنى الشمول وانه قد شاع فيه واخذه من نواحيه وانه قد استغرقه
وعم جملته حتى لم يبق من السواد شيء او لم يبق الا ما لا يعتد به وهذا ما لا
يكون اذا قيل اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس بل لا يوجب اللفظ حينئذ
اكثر من ظهوره فيه على الجملة ووزان هذا انك تقول اشتعل البيت نارا
فيكون المعنى ان النار قد وقعت فيه وقوع الشمول وانها قد استولت عليه
واخذت في طرفيه ووسطه وتقول اشتعلت النار في البيت فلا يفيد ذلك
بل لا يقتضي اكثر من وقوعها فيه واصابتها جانبا منه واما الشمول وان
يكون قد استولت على البيت وابتزته فلا يعقل من اللفظ البتة ونظير هذا
في التنزيل قوله تعالى وفجرنا الارض عيونا التفجير للعيون في المعنى واوقع
على الارض في اللفظ كما اسند هناك الاشتعال الى الراس وقد حصل بذلك
من معنى الشمول هاهنا مثل الذي حصل هناك وذلك انه قد افاد ان الارض
قد كانت صارت عيونا كلها وان الماء قد كان يفور من كل مكان منها ولو اجرى

اللفظ على ظاهره فقيل وفجرنا عيون الارض او العيون في الارض لم يفد ذلك
ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه ان الماء قد كان فار من عيون متفرقة
في الارض وانبجس من اماكن منها واعلم ان في الاية الاولى شيئا اخر من حسن
النظم وهو تعريف الراس بالالف واللام وافادة معنى الاضافة من غير اضافة
وهو احد ما اوجب المزية ولو قيل واشتعل راسي فصرح بالاضافة لذهب
بعض الحسن فاعرفه وانا اكتب لك اشياء مما سبيل الاستعارة فيه هذا
السبيل ليستحكم الباب في نفسك ولتانس به فمن عجيب في ذلك قول بعض الاعراب
الليل داج كنفا جلبابه : والبين محجور على غرابه : ليس كل ما ترى من الملاحة
لان جعل الليل جلبابا وحجر على الغراب ولكن في ان وضع الكلام الوضع
الذي ترى فجعل الليل مبتدا وجعل داج خبرا له وفعلا لما بعده وهو
الكنفان واضاف الجلباب الى ضمير الليل ولان جعل كذلك البين مبتدا
واجرى محجورا خبرا عليه وان اخرج اللفظ على مفعول يبين ذلك انك لو
قلت غراب البين محجور عليه لم تجد له هذه الملاحة وكذلك لو قلت قد
دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئا ومن النادر فيه قول المتنبي غضب الدهر
والملوك عليها فبناها في وجنة الدهر خالا قد ترى في اول الامر انه حسن
اجمع في ان جعل للدهر وجنة وجعل البنية خالا في الوجنة وليس الامر
كذلك فان موضع الاعجوبة في ان اخرج الكلام مخرجه الذي ترى وان اتى
بالخال منصوبا على الحال من قوله فبناها افترى انك لو قلت وهي خال في
وجنة الدهر لوجدت الصورة غير ما ترى وشبيه بذلك ان ابن المعتز
قال يا مسكة العطار وخال وجه النهار وكانت الملاحة في الاضافة بعد
الاضافة لا في الاستعارة لفظة الخال اذ معلوم انه لو قال يا خالا في وجه النهار
او يا من هو خال في وجه النهار لم يكن شيئا ومن شان هذا الضرب ان يدخله
الاستكراه قال الصاحب اياك والاضافات المتداخلة فان ذلك لا يحسن وذكر
انه يستعمل في الهجاء كقول القائل يا علي بن حمزة بن عمارة انت والله ثلجة في
خيارة ولا شبهة في ثقل ذلك في الاكثر ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف
ومما حسن فيه قول ابن المعتز ايضا شعر وظلت تدير الراح ايدي جاذر
عتاق دنانير الوجوه ملاح ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي في صفة
غلام له ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على ان يزيد مجتهد وصيرفي القريض
وزان دينار المعاني الدقاق منتقد ومنه قول ابي تمام : خذها ابنة الفكر

المهذب في الدجى والليل اسود رقعة الجلباب ومما اكثر الحسن فيه بسبب النظم
قول المتنبي شعر وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا
تقيدا الاستعارة في نفسها مبتذلة معروفة فانك ترى العامي يقول للرجل
يكثر احسانه اليه وبره حتى يالفه ويختار المقام عنده قد قيدني بكثرة
احسانه الي وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على الخروج من عنده
وانما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتاليف فصل القول
في التقديم والتاخير هو باب كثير الفوايد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية
لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك الى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه
ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم
فيه شيء على شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان واعلم ان تقديم الشيء على الشيء
على وجهين تقديم يقال انه على نية التاخير وذلك في كل شيء اقررته مع التقديم
على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدا اذا قدمته على
المبتدا والمفعول اذا قدمته على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد
معلوم ان منطلق وعمرا لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدا
ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من اجله كما يكون اذا اخرت
وتقديم لا على نية التاخير ولكن على ان تنقل الشيء عن حكم الى حكم وتجعل له بابا
غير بابه واعرابا غير اعرابه وذلك ان تجيء الى اسمين يحتمل ان يكون كل واحد
منهما مبتدا ويكون الاخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك واخرى ذاك
على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة زيد المنطلق واخرى
المنطلق زيد فانت في هذا لم تقدم المنطلق على ان يكون متروكا على حكمه الذي
كان عليه مع التاخير فيكون خبر مبتدا كما كان بل على ان تنقله عن كونه خبرا الى
كونه مبتدا وكذلك لم تؤخر زيدا على ان يكون مبتدا كما كان بل على ان تخرجه
عن كونه مبتدا الى كونه خبرا واظهر من هذا قولنا ضربت زيدا وزيد ضربته
لم تقدم زيدا على ان يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن على ان ترفعه
بالابتدا وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له واذ قد عرفت هذا
التقسيم فاني اتبعه بجملة من الشرح اعلم انا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيا يجري
مجرى الاصل غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل
والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم
ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا وقال النحويون ان معنى ذلك انه قد يكون اغراض

الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كمثل ما يعلم
من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الاذى انهم يريدون قتله
ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء فاذا قتل واراد مريد
الاخبار بذلك فانه يقدم الخارجي فيقول قتل الخارجي زيد ولا يقول قتل
زيد الخارجي لانه يعلم ان ليس للانسان ان يعلموا ان القاتل له زيد جدوى
وفايدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون
له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وانهم قد كفوا
شره وتخلصوا منه ثم قالوا فان كان رجل ليس له باس ولا يقدر فيه انه يقتل
فقتل رجلا واراد المخبر ان يخبر بذلك فانه يقدم ذكر القاتل فيقول قتل زيد
رجلا ذاك لان الذي يعنيه ويعني الناس من شان هذا القتل طرافته و
موضع الندرة فيه وبعده كان من الظن ومعلوم انه لم يكن نادرا وبعيدا
من حيث كان واقعا بالذي وقع به ولكن من حيث كان واقعا من الذي
وقع منه فهذا جيد بالغ الا ان الشان في انه ينبغي ان يعرف في كل شيء
قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا
التفسير وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال انه قدم للعناية ولان
ذكره اهم من غير ان يذكر من اين كانت تلك العناية وبم كان اهم ولتخيلهم ذلك
قد صغر امر التقديم والتاخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه حتى انك لترى
اكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف ولم تر ظنا ازرى على صاحبه
من هذا وشبهه وكذلك صنعوا في ساير الابواب فجعلوا لا ينظرون في
الحذف والتكرار والاظهار والاضمار والفصل والوصل ولا في نوع من
انواع الفروق والوجوه الا نظرك فيما غيره اهم لك بل فيما ان لم تعلمه لم يضرك
لا جرم ان ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ومنعهم ان يعرفوا مقاديرها
وصد اوجههم عن الجهة التي هي منها والشق الذي يحوزها والمداخل التي تدخل
منها الافة على الناس في شان العلم وبلغ الشيطان مراده منهم في الصد عن
طلبه واحراز فضيلة كثيرة وهذه من اعجبها ان وجدت متعجبا وليت
شعري ان كانت هذه امورا هينة وكان المدى فيه قريبا والجدى يسيرا
من اين كان نظم اشرف من نظم وبم عظم التفاوت واشتد التباين وترقى
الامر الى الاعجاز والى ان يقهر اعناق الجبابرة او ههنا امور اخر نحيل في المزية
عليها ونجعل الاعجاز كان بها فيكون تلك الحوالة لنا عذرا في ترك النظر في هذه

التي معنا الاعراض عنها وقلة المبالاة بها اوليس هذا التهاون ان نظر العاقل
خيانة منه لعقله ودينه ودخولا فيما يزرى بذى الخطر ويغض من قدر ذوى
القدر وهل يكون اضعف رايا وابعد عن حسن التدبير منك اذا اهمك
ان تعرف الوجوه فى اانذرتهم والامالة فى راى القمر وتعرف الصراط والزراط
واشباه ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ وجرس الصوت ولا يمنعك
ان لم تعلمه بلاغة ولا يدفعك عن بيان ولا يدخل عليك شكا ولا يغلق
دونك باب معرفة ولا يفضى بك الى تحريف وتبديل والى الخطا فى تاويل
والى ما يعظم فيه المعاب عليك ويطيل لسان القادح فيك ولا يعنيك
ولا يهمك ان تعرف شيا اذا جهلته عرضت نفسك لكل ذلك وحصلت
فيما هنالك وكان اكثر فى التفسير وحيث تخوض فى التاويل كلام من لا يبنى الشيء
على اصله ولا ياخذه من ماخذه ومن ربما وقع فى الفاحش من الخطا الذى
يبقى عاره وتشيع اثاره ونسال الله تعالى العصمة من الزلل والتوفيق لما هو
اقرب الى رضاه من القول والعمل واعلم ان من الخطا ان يقسم الامر فى تقديم
الشيء وتاخيره قسمين فيجعل مفيدا فى بعض الكلام وغير مفيد فى بعض
وان يعلل تارة بالعناية واخرى بانه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد
لهذا قوافيه ولذلك سجعه ذاك لان من البعيد ان يكون فى جملة
النظم ما يدل تارة ولا يدل اخرى فمتى ثبت فى تقديم المفعول مثلا على الفعل
فى كثير من الكلام انه قد اختص بفايدة لا يكون تلك الفايدة مع التاخير فقد وجب
ان يكون قضيته فى كل شيء وكل حال ومن سبيل من يجعل التقديم وترك
التقديم سواء ان تدعى انه كذلك فى عموم الاحوال فاما ان يجعله بين بين
فيزعم انه للفايدة فى بعضها وللتصرف فى اللفظ من غير معنى فى بعض فمما ينبغى
ان يرغب عن القول به والله اعلم   وهذه مسايل لا يستطيع احد ان
يمتنع من التفرقة بين تقديم ما تقدم فيها وترك تقديمه ومن ابين شيء فى
ذلك الاستفهام بالهمزة فان موضع الكلام على انك اذا قلت افعلت فبدات
بالفعل كان الشك فى الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك ان تعلم
وجوده واذا قلت انت فعلت فبدات بالاسم كان الشك فى الفاعل
من هو وكان التردد فيه ومثال ذلك انك تقول ابنيت الدار التى كنت
على ان تبنيها اقلت الشعر الذى كان فى نفسك ان تقوله افرغت من الكتاب
الذى كنت تكتبه تبدا فى هذا ونحوه بالفعل لان السوال عن الفعل نفسه و

الشك فيه لانك فى جميع ذلك متردد فى وجود الفعل وانتفايه مجوز ان يكون
قد كان وان يكون لم يكن وتقول اانت بنيت هذه الدار اانت قلت هذا
الشعر اانت كتبت هذا الكتاب فتبدا فى ذلك كله بالاسم ذاك لانك لم
تشك فى الفعل انه كان كيف وقد اشرت الى الدار مبنية والشعر مقولا
والكتاب مكتوبا وانما شككت فى الفاعل من هو فهذا من الفرق لا يدفعه
دافع ولا يشك فيه شاك ولا يخفى فساد احدهما فى موضع الاخر ولو قلت اانت
بنيت الدار التى كنت على ان تبنيها اانت قلت الشعر الذى كان فى نفسك
ان تقوله اانت فرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه خرجت من كلام الناس
وكذلك لو قلت ابنيت هذه الدار اقلت هذا الشعر اكتبت هذا الكتاب قلت
ما ليس بقول ذلك لفساد ان يقال فى الشيء الشاهد الذى هو نصب عينيك
اموجود ام لا ومما يعلم به ضرورة انه لا يكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم
انك تقول اقلت شعرا قط ارايت اليوم انسانا فيكون كلاما مستقيما ولو
قلت اانت قلت شعرا قط اانت رايت انسانا اليوم احلت وذلك لانه لا معنى
للسوال عن الفاعل من هو فى مثل هذا لان ذلك انما يتصور اذا كانت الاشارة
الى فعل مخصوص نحو ان تقول من قال هذا الشعر ومن بنى هذه الدار ومن
اتاك اليوم ومن اذن لك فى هذا الذى فعلت وما اشبه ذلك مما يمكن
ان ينص فيه على معين فاما قيل شعر على الجملة ورؤية انسان على الاطلاق
فمحال ذلك فيه لانه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسال عن عين
فاعله ولو كان تقديم الاسم لا يوجب ما ذكرنا من ان يكون السوال عن
الفاعل من هو وكان يصح ان يكون سوالا عن الفعل اكان ام لم يكن لكان
ينبغى ان يستقيم ذلك واعلم ان هذا الذى ذكرت لك فى الهمزة وهى للاستفهام
قايم فيها اذا هى كانت للتقرير فاذا قلت اانت فعلت ذاك كان غرضك
بان تقرره بانه الفاعل يبين ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم نمرود اانت
فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم لا شبهة فى انهم لم يقولوا ذلك له عليه السلم وهم يريدون
ان يقر لهم بان كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر بانه منه كيف كان وقد اشاروا
له الى الفعل فى قولهم اانت فعلت هذا وقال هو عليه السلم فى الجواب بل فعله
كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت او لم افعل فان
قلت اوليس اذا قال افعلت فهو يريد ايضا ان يقرره بان الفعل كان منه
لا بانه كان على الجملة فاى فرق بين الحالتين فانه اذا قال اانت فعلت كان قد ردد

الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تردد ولم يكن كلامه كلام من يوهم
انه لا يدري اكان الفعل ام لم يكن بدلالة انك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار
اليه كما رايت في الامثلة واعلم ان الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان وانكار له لم كان و
توبيخ لفاعله عليه ولها مذهب اخر وهو ان يكون لانكار ان يكون الفعل قد كان من اصله
ومثاله قوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما
وقوله تعالى اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون فهذا رد على المشركين وتكذيب
لهم في قولهم ما يؤدي الى هذا الجهل العظيم واذا قدم الاسم في هذا صار الانكار في الفاعل
ومثاله قولك للرجل قد انتحل شعرا اانت قلت هذا الشعر كذبت لست ممن يحسن
مثله انكرت ان يكون القائل ولم تنكر الشعر وقد يكون ان يراد انكار الفعل من اصله
ثم يخرج اللفظ مخرجه اذا كان الانكار في الفاعل مثال ذلك قوله تعالى آلله اذن لكم
الاذن راجع الى قوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
ومعلوم ان المعنى على انكار ان يكون قد كان من الله تعالى اذن فيما قالوه من غير
ان يكون هذا الاذن قد كان من غير الله فاضافوه الى الله الا ان اللفظ اخرج مخرجه
اذا كان الامر كذلك لان يجعلوا في صورة من غلط فاضاف الى الله تعالى اذنا كان
من غير الله فاذا حقق عليه ارتدع مثال ذلك قولك للرجل يدعي ان قولا كان ممن
يعلم انه لا يقوله اهو قال ذاك بالحقيقة ام انت تغلط تضع الكلام وضعه اذا
قلت علمت ان ذلك القول قد كان من قائل لينصرف الانكار الى الفاعل فيكون
اشد لنفي ذلك وابطاله ونظير هذا قوله تعالى قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين اخرج اللفظ مخرجه اذا كان قد ثبت تحريم في احد اشياء ثم اريد
معرفة عين المحرم مع ان المراد انكار التحريم من اصله ونفي ان يكون قد حرم شيء مما ذكروا
انه محرم وذاك ان الكلام وضع على ان يجعل التحريم كانه قد كان ثم يقال لهم اخبرونا عن
هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو افي هذا ام ذاك ام في الثالث ليتبين بطلان قولهم
وتظهر مكان الفرية منهم على الله ومثال هذا قولك للرجل يدعي امرا وانت تنكره متى
كان هذا في ليل ام نهار تضع الكلام وضع من سلم ان ذلك قد كان ثم تطالبه ببيان
وقته لكي يتبين كذبه اذا لم يقدر ان يذكر له وقتا ويفتضح ومثله قولك من امرك
بهذا منا واينا اذن لك فيه وانت لا تعني ان امرا قد كان بذلك من واحد منكم
الا انك تضع الكلام هذا الوضع لكي تضيق عليه وليظهر كذبه حين لا يستطيع ان
يقول فلان وان يحيل على واحد واذ بينا الفرق من تقديم الفعل وتقديم الاسم
والفعل ماض فينبغي ان ننظر فيه والفعل مضارع والقول في ذلك انك اذا قلت

الفعل

اتفعل وانت تفعل لم يخل من ان تريد الحال او الاستقبال فان اردت الحال كان
المعنى شبيها بما مضى في الماضي فاذا قلت اتفعل كان المعنى على انك اردت ان تقرره
بفعل هو يفعله وكنت كمن توهم انه لا يعلم بالحقيقة ان الفعل كائن واذا قلت
اانت تفعل كان المعنى على انك تريد ان تقرره بانه الفاعل وكان امر الفعل في وجوده
ظاهرا وبحيث لا يحتاج الى الاقرار بانه كائن وان اردت تفعل المستقبل كان المعنى
اذا بدات بالفعل على انك تعمد بالانكار الى الفعل نفسه وتزعم انه لا يكون او انه
لا ينبغي ان يكون فمثال الاول ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق
كانياب اغوال فهذا تكذيب منه لانسان تهدده بالقتل وانكار ان يقدر على
ذلك ويستطيعه ومثله ان يطمع طامع في امر لا يكون مثله فتجهله في طمعه
فتقول ايرضى عنك فلان وانت مقيم على ما يكره اتجد عنده ما تحب وقد فعلت
وصنعت وعلى ذلك قوله تعالى انلزمكموها وانتم لها كارهون ومثال الثاني قولك
للرجل يركب الخطر اتخرج في هذا الوقت اتذهب في غير الطريق اتغرر بنفسك
وقولك للرجل يضيع الحق اتنسى قديم احسان فلان اتترك صحبته وتتغير عن حالك
معه لان تغير الزمان كما قال اتترك ان قلت دراهم خالد زيارته اني اذا للئيم
وجملة الامر انك تنحو بالانكار نحو الفعل فان بدات بالاسم فقلت اانت تفعل
او قلت اهو يفعل كنت وجهت الانكار الى نفس المذكور وابيت ان يكون بموضع
ان يجيء منه الفعل وممن يجيء منه وان يكون بتلك المثابة تفسير ذلك انك اذا قلت
اانت تمنعني انت تاخذ على يدي صرت كانك قلت ان غيرك الذي يستطيع
منعي والاخذ على يدي ولست بذاك ولقد وضعت نفسك في غير موضعك
هذا اذا جعلته لا يكون الفعل منه للعجز ولانه ليس في وسعه وقد يكون ان تجعله
لا يكون لا يجيء منه لانه لا يختاره ولا يرتضيه وان نفسه نفس تابى مثله وتكرهه
مثاله ان تقول اهو يسال فلانا هو ارفع همة من ذلك اهو يمنع الناس حقوقهم هو
اكرم من ذلك وقد يكون ان تجعله لا يفعله لصغر قدره وقصر همته وان نفسه
نفس لا تسمو وذلك قولك اهو يسمح بمثل هذا اهو يرتاح للجميل هو اقصر همة من ذلك
واقل رغبة في الخير مما تظن وجملة الامر ان تقديم الاسم يقتضي انك عمدت بالانكار
الى ذات من قيل انه يفعل او قال هو اني افعل واردت ما تريده اذا قلت ليس هو
بالذي يفعل وليس مثله يفعل ولا يكون هذا المعنى اذا بدات بالفعل فقلت اتفعل
الا ترى ان من المحال ان تزعم ان المعنى في قول الرجل لصاحبه اتخرج في هذا الوقت
اتغرر بنفسك اتمضي في غير الطريق انه انكر ان يكون بمثابة من يفعل ذلك و

بموضع من يجي منه ذلك ذاك لان العلم محيط بان الناس لا يريدونه وانه لا يليق
بالحال التي يستعمل فيها هذا الكلام وكذلك محال ان يكون المعنى في قوله تعالى انلزمكموها
وانتم لها كارهون انا لسنا بمثابة من يجي منه هذا الالزام وان غيرنا من يفعله
جل الله وتعالى وقد يتوهم المتوهم في الشي من ذلك ان يحتمل فاذا نظر لم يحتمل فمن
ذلك قوله ايقتلني والمشرفي مضاجعي فقد يظن الظان انه يجوز ان يكون في معنى
انه ليس بالذي يجي منه ان يقتل مثلي ويتعلق بانه قال قبل يغط غطيط البكر شد
خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال ولكن اذا نظر علم انه لا يجوز وذلك لانه قال
والمشرفي مضاجعي فذكر ما يكون منعا من الفعل ومحال ان يقول هو ممن لا يجي
منه الفعل ثم يقول اني امنعه لان المنع يتصور فيمن يجي منه الفعل ومع من يصح
منه لا من هو منه محال ومن هو في نفسه عنه عاجز فاعرفه واعلم انا وان جعلنا
نفس الاستفهام في مثل هذا بالانكار فان الذي هو محض المعنى انه لتنبيه السامع
حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب اما لانه قد ادعى القدرة
على فعل لا يقدر عليه فاذا ثبت على دعواه قيل له فافعل فيفضحه ذلك واما لانه
هم بان يفعل ما لا يستصوب فعله فاذا روجع فيه تنبه وعرف الخطا واما لانه جوز
وجود امر لا يوجد مثله فاذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه وقيل له فارناه في موضع
واقم شاهدا على انه كان في وقت ولو كان يكون للانكار وكان المعنى فيه من بدء الامر
لكان ينبغي ان لا يجي فيما لا يقول عاقل انه يكون حتى ينكر عليه كقولهم اتصعد الى السماء
اتستطيع ان تنقل الجبال الى رد ما مضى سبيل واذ قد عرفت ذلك فانه لا يقرر بالمحال و
بما لا يقول احد انه يكون الا على سبيل التمثيل وعلى ان يقال له انك في دعواك ما ادعيت
بمنزلة من يدعي هذا المحال وانك في طمعك في الذي طمعت فيه بمنزلة من يطمع في الممتنع
واذ قد عرفت هذا فمما هو من هذا الضرب قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي
العمي ليس اسماع الصم مما يدعيه احد فيكون ذلك للانكار وانما المعنى فيه التمثيل والتشبيه
وان يقول الذي يظن بهم انهم يسمعون او انه يستطيع اسماعهم منزلة من يرى انه
يسمع الصم ويهدي العمي ثم المعنى في تقديم الاسم وان لم يقل اتسمع الصم هو ان يقال
للنبي صلى الله عليه واله وسلم اانت خصوصا قد اوتيت ان تسمع الصم وان يجعل في
ظنه انه يستطيع اسماعهم بمثابة من يظن انه قد اوتي قدرة على اسماع الصم ومن لطيف
ذلك قول ابن عيينه فدع الوعيد فما وعيدك ضائري اطنين اجنحة الذباب يضير
جعله كانه قد ظن ان طنين اجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن ان وعيده
يضير واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل اعني ان تقديم اسم المفعول يقتضي

ان

ان يكون الانكار في طريق الاحالة والمنع من ان يكون بمثابة ان يوقع به مثل ذلك
الفعل فاذا قلت ازيدا تضرب كنت قد انكرت ان يكون زيد بمثابة ان يضرب
وبموضع ان يجترا عليه ويستجاز ذلك فيه ومن اجل ذلك قدم غير في قوله تعالى
قل اغير الله اتخذ وليا وقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة
اغير الله تدعون فكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم انه لا يكون لو اخر
فقيل قل اتخذ غير الله وليا واتدعون غير الله وذلك لانه قد حصل بالتقديم معنى
قولك ايكون غير الله بمثابة ان يتخذ وليا وايرضى عاقل من نفسه ان يفعل ذلك و
ايكون جهل اجهل وعمى اعمى من ذلك ولا يكون شي من ذلك اذا قيل اتخذ غير الله وليا
وذلك لانه حينئذ يتناول الفعل ان يكون فقط ولا يزيد على ذلك فاعرفه وكذا
الحكم في قوله تعالى فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه وذلك لانهم بنوا كفرهم على ان من كان
مثلهم بشرا لم يكن بمثابة ان يتبع ويطاع وينتهى الى ما يامر ويصدق بانه مبعوث
من الله وانهم مامورون بطاعته كما جاء في الاخرى ان انتم الا بشر مثلنا تريدون
ان تصدونا وكقوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل
ملايكة فهذا هو القول في الضرب الاول وهو ان يكون يفعل بعد الهمزة لفعل لم يكن و
اما الضرب الثاني وهو ان يكون يفعل لفعل موجود فان تقديم الاسم يقتضي شبها
بما اقتضاه في الماضي من الاخذ بان يقر انه الفاعل او الانكار ان يكون الفاعل فمثال
الاول قولك للرجل يبغي ويظلم اانت تجي الى الضعيف فتغصب ماله اانت تزعم
ان الامر كيت وكيت وعلى ذلك قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
ومثال الثاني اهم يقسمون رحمة ربك واذ قد عرفت هذه المسايل في الاستفهام
فهذه مسايل في النفي اذا قلت ما فعلت كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت
انه مفعول واذا قلت ما انا فعلت كنت نفيت عنك فعلا ثبت انه مفعول
تفسير ذلك انك اذا قلت ما قلت هذا كنت نفيت ان تكون قد قلت ذلك
وكنت نوظرت في شي لم يثبت انه مقول واذا قلت ما انا قلت هذا كنت نفيت
ان تكون القايل له وكانت المناظرة في شي ثبت انه مقول وكذلك اذا قلت
ما ضربت زيدا كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب ان يكون قد ضرب بل
يجوز ان يكون قد ضربه غيرك وان لا يكون قد ضرب اصلا واذا قلت ما انا
ضربت زيدا لم تقله الا وزيد مضروب وكان القصد ان تنفي ان تكون انت
الضارب ومن اجل ذلك صلح في الوجه الاول ان يكون المنفي عاما كقولك ما
قلت شعرا قط وما اكلت اليوم شيا وما رايت احدا من الناس ولم يصلح في الوجه

الثاني وكان خلفا ان تقول ما انا قلت شعرا قط وما انا اكلت اليوم شيا وما
انا رايت احدا من الناس وذلك لانه يقتضي المحال وهو ان يكون ههنا انسان
قد قال كل شعر في الدنيا واكل كل شي يوكل وراى كل احد من الناس فنفيت
ان تكونه ومما هو مثال بين في ان تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله وما انا
اسقمت جسمي به ولا انا اضرمت في القلب نارا المعنى كما لا يخفى على ان السقم
ثابت موجود وليس القصد بالنفي اليه ولكن الى ان يكون هو الجالب له ويكون قد جره
الى نفسه ومثله في الوضوح قوله وما انا وحدي قلت والشعر مقول على القطع والنفي
لان يكون هو وحده القايل له وههنا امران يرتفع معهما الشك في وجوب هذا
الفرق ويصير العلم به كالضرورة احدهما انه يصح لك ان تقول ما قلت هذا ولا
قاله احد من الناس وما ضربت زيدا ولا ضربه احد سواي ولا يصح ذلك في الوجه
الاخر فلو قلت ما انا قلت هذا ولا قاله احد ولا قاله احد من الناس وما انا
ضربت زيدا ولا ضربه احد من الناس سواي كان خلفا من القول وكان في التناقض
بمنزله ان تقول لست الضارب زيدا امس فتثبت انه قد ضرب ثم تقول من
بعد وما ضربه احد من الناس ولست القايل ذلك فتثبت انه قيل ثم تجي فتقول
وما قاله احد من الناس والثاني من الامرين انك تقول ما ضربت الا زيدا فيكون الكلام
مستقيما ولو قلت ما انا ضربت الا زيدا كان لغوا من القول وذلك لان نقض النفي
بالا يقتضي ان تكون ضربت زيدا وتقديمك ضميرك وايلاوك حرف النفي يقتضي
نفي ان تكون ضربت فهما يتدافعان فاعرفه ويجي لك هذا الفرق على وجهه في
تقديم المفعول وتاخيره فاذا قلت ما ضربت زيدا فقدمت الفعل كان المعنى انك
قد نفيت ان يكون قد وقع ضرب منك على زيد ولم تعرض في امر غيره لنفي ولا اثبات
وتركته مبهما محتملا واذا قلت ما زيدا ضربت فقدمت المفعول كان المعنى على
ان ضربا وقع منك على انسان وظن ان ذلك الانسان زيد فنفيت ان يكون
اياه فلك ان تقول في الوجه الاول ما ضربت زيدا ولا احدا من الناس وليس
لك ذلك في الوجه الثاني فلو قلت ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس كان فاسدا
على ما مضى في الفاعل ومما ينبغي ان تعلمه انه يصح لك ان تقول ما ضربت زيدا ولكني
اكرمته وذلك انك لم ترد ان تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك ولكن اردت
انه لم يكن المفعول هذا ولكن ذاك فالواجب اذن ان تقول ما زيدا ضربت ولكن
عمرا وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب فاذا قلت ما امرتك
بهذا كان المعنى على نفي ان تكون قد امرته بذلك ولم يجب ان يكون قد امرته

بشي

بشي اخر واذا قلت ما بهذا امرتك كنت قد امرته بشي غيره   واعلم ان
هذا الذي بان لك في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قايم مثله في الخبر
المثبت فاذا عمدت الى الذي اردت ان تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم
بنيت الفعل عليه فقلت زيد قد فعل وانا فعلت وانت فعلت اقتضى ذلك ان
يكون القصد الى الفاعل الا ان المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين احدهما جلي لا اشكال فيه
هو ان يكون الفعل فعلا قد اردت ان تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم انه فاعله
دون واحد اخر او دون كل احد مثال ذلك ان تقول انا كتبت في معنى فلان وانا
شفعت في بابه تريد ان تدعي الانفراد في ذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه
وترد على من زعم ان ذلك كان من غيرك او ان غيرك قد كتب فيه كما كتبت ومن البين
في ذلك قولهم في المثل اتعلمني بضب انا حرشته والقسم الثاني ان لا يكون القصد
الى الفاعل على هذا المعنى ولكن على انك اردت ان تحقق على السامع انه قد فعل و
تمنعه من الشك فانت لذلك تبدا بذكره وتوقعه اولا ومن قبل ان تذكر الفعل في
نفسه لكي تباعده بذلك من الشبهه وتمنعه من الانكار او من ان يظن بك الغلط او
التزيد ومثاله قولك هو يعطي الجزيل وهو يحب الثناء لا تريد ان تزعم انه ليس ههنا
من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره ولا ان تعرض بانسان وتحطه عنه وتجعله لا
يعطي كما يعطي ولا يرغب كما يرغب ولكنك اردت ان تحقق على السامع ان اعطاء الجزيل
وحب الثناء دابه وان تمكن ذلك في نفسه ومثاله من الشعر هم يفرشون اللبد كل طمرة
واجرد سباح يبذ المغالبا لم يرد ان يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها و ينص
عليهم فيها حتى كانه يعرض بقوم اخرين فينفي ان يكونوا اصحابها هذا محال وانما اراد
ان يصفهم بانهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل وانهم يقتعدون الجياد منها وان
ذلك دابهم من غير ان يعرض لنفيه عن غيرهم الا انه بدا بذكرهم لينبه السامع لهم
ويعلم بديا قصده اليهم بما في نفسه من الصفة ليمنعه بذلك من الشك ومن توهم
ان يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم او ان يكون قد اراد غيرهم فغلط
اليهم وعلى ذلك قول الاخر هم يضربون الكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء
سبايب لم يرد ان يدعي لهم الانفراد ويجعل هذا الضرب لا يكون الا منهم ولكن
اراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر
الحديث ليحقق الامر ويوكده ومن البين فيه قول عروة بن اذينة سليمى ازمعت
بينا فاين تقولها اينا وذلك انه ظاهر معلوم انه لم يرد ان يجعل هذا الازماع
لها خاصه ويجعلها من جماعه من لم يزمع البين منهم احد سواها هذا محال

ولكنه اراد ان يحقق الامر ويوكده فاوقع ذكرها في سمع الذي كلم ابتداء ومن اول
الامر ليعلم قبل الحديث انه ارادها بالحديث فيكون ذلك ابعد له من الشك
ومثله في الوضوح قوله هما يلبسان المجد احسن لبسة شيحان ما استطاعا عليه
كلاهما لا شبه انه لم يرد ان يقصر هذه الصفة عليهما ولكن نبه لهما قبل الحديث
عنهما وابين من الجميع قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيا وهم
يخلقون وقوله عز وجل واذا جاوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به وهذا الذي ذكرت من ان تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد
ذكره صاحب الكتاب في المفعول اذا قدم فرفع بالابتداء وبني الفعل الناصب كان
له عليه وعدي الى ضميره فشغل به كقولنا في ضربت عبد الله عبد الله ضربته قال
وانما قلت عبد الله فنبهته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء فان قلت
فمن اين وجب ان يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل اكد لاثبات ذلك الفعل
له وان يكون قوله هما يلبسان المجد ابلغ في جعلهما يلبسانه من ان يقال يلبسان المجد
فان ذلك من اجل انه لا يوتى بالاسم معرى من العوامل الا لحديث قد نوي اسناده
اليه واذا كان كذلك فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت قلبه بذلك انك
قد اردت الحديث عنه فاذا جئت بالحديث فقلت مثلا قام او قلت خرج
او قلت قد علم جئت به وقد وطيت له وقدمت الاعلام فيه فدخل على
القلب دخول المانوس به وقبله قبول المهيا له المطمين اليه وذلك لا محاله اشد
لثبوته وانفى للشبهه وامنع للشك وادخل في التحقيق وجملة الامر انه ليس اعلامك
الشي بغتة مثل اعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة فيه لان ذلك يجري
مجري تكرير الاعلام في التاكيد والاحكام ومن ههنا قالوا ان الشي اذا اضمر ثم
فسر كان ذلك افخم له من ان يذكر من غير تقدمة اضمار ويدل على صحة ما قالوه
انا نعلم ضرورة ان في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار فخامة وشرفا وروعة لا نجد
منها شيا في قولنا فان الابصار لا تعمى وكذلك السبيل في كل كلام كان فيه ضمير
قصة فقوله تعالى انه لا يفلح الكافرون يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين
ما لو قيل ان الكافرين لا يفلحون لم يستفد ذلك ولم يكن ذلك كذلك الا لانك
تعلمه اياه من بعد تقدمة وتنبيه انت به في حكم من بدا واعاد ووطد ثم بني ولوح
ثم صرح ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق ويشهد لما قلنا من ان
التقديم المحدث عنه يقتضي تاكيد الخبر وتحقيقه له انا اذا تاملنا وجدنا
هذا الضرب من الكلام يجي فيما سبق فيه انكار من منكر نحو ان يقول

الرجل

الرجل ليس لي علم بالذي تقول فتقول له انت تعلم ان الامر على ما اقول ولكنك
تميل الى خصمي وكقول الناس هو يعلم ذاك وان انكر وهو يعلم الكذب فيما قال وان
حلف عليه وكقوله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فهذا من ابين شي وذلك
ان الكاذب ولا سيما في الدين لا يعترف بانه كاذب واذا لم يعترف بانه كاذب
كان ابعد من ذلك ان يعترف بالعلم انه كاذب او يجي فيما اعترض فيه شك
نحو ان يقول الرجل كانك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك فتقول انا اعلم ولكني
اداريه او في تكذيب مدع كقوله تعالى واذا جاوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به وذلك ان قولهم امنا دعوي منهم انهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا
به فالموضع موضع تكذيب او فيما القياس في مثله ان لا يكون كقوله تعالى واتخذوا
من دون الله الهة لا يخلقون شيا وهم يخلقون وذلك ان عبادتهم لها تقتضي ان
لا تكون مخلوقة وكذلك في كل شي كان خبرا على خلاف العادة وعما يستغرب من الامر
نحو ان تقول الا تعجب من فلان يدعي العظيم وهو يعيا باليسير ويزعم انه شجاع وهو
يفزع من ادني شي ومما يحسن ذلك فيه ويكثر في الوعد والضمان كقول الرجل انا
اعطيك انا اكفيك انا اقوم بهذا الامر وذلك ان من شان من تعده وتضمن له
ان يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفا به وهو من احوج شي الى التاكيد و
كذلك يكثر في المدح كقولك انت تعطي الجزيل انت تقري في المحل انت تجود حين
لا يجود احد وكما قال ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
وكقول الاخر نحن في المشتاة ندعو الجفلى وذلك ان من شان المادح ان يمنع السامعين (مقمعين)
من الشك فيما يمدح به ويباعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر ويزيدك بيانا انه
اذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجي على هذا الوجه ولكن يوتى به
غير مبني على اسم فاذا اخبرت بالخروج مثلا عن رجل من عادته ان يخرج في كل غداة
قلت قد خرج ولم تحتج الى ان تقول هو قد خرج ذلك لانه ليس بشي يشك فيه السامع
فتحتاج الى ان تحققه والى ان تقدم فيه ذكر المحدث عنه وكذلك اذا علم السامع
من حال رجل انه على نية الركوب والمضي الى موضع ولم يكن شك وتردد انه يركب
او لا يركب كان خبرك فيه ان تقول قد ركب ولا تقول هو قد ركب فان جيت
بمثل هذا في صلة كلام ووضعته بعد واو الحال حسن وذلك قولك جيته
وهو قد ركب وذاك ان الحكم يتغير اذا صارت الجملة في مثل هذا الموضع ويصير
الامر بعرض الشك وذاك انه انما يقول هذا من ظن انه يصادفه في منزله وانه يصل
اليه من قبل ان يركب فان قلت فانك قد تقول جيته وقد ركب بهذا المعنى

ومع هذا الشك فان الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الاول فلا ترى انك
اذا استبطات انسانا فقلت اتانا والشمس قد طلعت كان ذلك ابلغ في استبطائك
له من ان تقول اتانا وقد طلعت الشمس وعكس هذا انك اذا قلت اتى والشمس لم
تطلع كان اقوى في وصفك له بالعجلة والمجي قبل الوقت الذي ظن انه يجي فيه
من ان تقول اتى ولم تطلع الشمس بعد هذا وهو كلام لا يكاد يجي الا نابيا وانما الكلام
البليغ هو ان تبدا بالاسم وتبني الفعل عليه كقوله قد اغتدي والطير لم تكلم فاذا
كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يراد بها الحال مضارعا لم يصلح الا مبنيا على
اسم كقولك رايته وهو يكتب ودخلت عليه وهو يملي الحديث وكقوله تمززتها
والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا ليس يصلح شي من ذلك
الا على ما تراه لو قلت رايته ويكتب ودخلت عليه ويملي الحديث وتمززتها و
يدعو الديك صباحه لم يكن شيئا ومما هو بهذه المنزلة في انك تجد المعنى لا
يستقيم الا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم قوله تعالى ان وليي الله الذي
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى
عليه بكرة واصيلا وقوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم
يوزعون فانه لا يخفى على من له ذوق انه لو جي في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم
فقيل ان وليي الله الذي نزل الكتاب ويتولى الصالحين واكتتبها فتملى عليه وحشر
لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فيوزعون لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى
والمعنى قد زال عن صورته والحال التي ينبغي ان يكون عليها واعلم ان هذا الصنيع
يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت فاذا قلت انت لا تحسن هذا كان اشد
لنفي احسان ذلك عنه من ان تقول لا تحسن هذا ويكون الكلام في الاول مع من
هو اشد اعجابا بنفسه واعرض دعوى في انه يحسن حتى انك لو اتيت بانت فيما بعد
تحسن فقلت لا تحسن انت لم يكن له تلك القوة وكذلك قوله تعالى والذين
هم بربهم لا يشركون يفيد من التاكيد في نفي الاشراك عنهم ما لو قيل والذين لا يشركون
بربهم او بربهم لا يشركون لم يفد ذلك وكذا قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم
لا يومنون وقوله فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللازم مثل وغير
في نحو قوله مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه وقول الناس مثلك
رعى الحق والحرمة وكقول الذي قال له الحجاج لاحملنك على الادهم يريد القيد فقال
على سبيل المغالطة ومثل الامير حمل على الادهم والاشهب وما اشبه ذلك مما لا يقصد

فيه بمثل الى انسان سوى الذي اضيف اليه ولكنهم يعنون ان من كان مثله في الحال
والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة ان يفعل ما ذكر او
ان لا يفعل ومن اجل ان كان المعنى كذلك قال ولم اقل مثلك اعني به سواك يا فردا
بلا شبه وكذلك حكم غير اذا سلك به هذا المسلك فقيل غيري يفعل ذاك
على معنى اني لا افعله لا ان يومي بغير الى انسان فيخبر عنه بانه يفعل كما قال المتنبي
غيري باكثر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جبنوا او حدثوا شجعوا وذاك انه معلوم
انه لم يرد ان يعرض بواحد كان هناك فيستنقصه ويصفه بانه مضعوف يغر و
يخدع بل لم يرد الا ان يقول اني لست ممن ينخدع ويغتر وكذلك لم يرد ابو تمام بقوله
وغيري ياكل المعروف سحتا وتشحب عنده بيض الايادي ان يعرض مثلا بشاعر
سواه فيزعم ان الذي قرف به عند الممدوح من انه هجاه كان من ذلك الشاعر
لا منه هذا محال بل ليس الا انه نفى عن نفسه ان يكون ممن يكفر النعمة ويلوم و
استعمال مثل وغير على هذا السبيل شي مركوز في الطباع وهو جار على عادة كل
قوم فانت الان اذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يقدمان ابدا
على الفعل اذا نحي بهما هذا النحو الذي ذكرت لك وترى المعنى لا يستقيم فيهما اذا
لم يقدما افلا ترى انك لو قلت يثني الحزن عن صوبه مثلك ورعى الحق والحرمة
مثلك وحمل على الادهم والاشهب مثل الامير وينخدع غيري بهذا الناس وياكل غيري
المعروف سحتا رايت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيرا عن صورته ورايت اللفظ
قد نبا عن معناه ورايت الطبع يابى ان يرضاه واعلم ان لك دستورا لك فيه ان
تاملت غنا عن كل ما سواه وهو انه لا يجوز لنظم الكلام وترتيب اجزائه في الاستفهام
معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر وذلك ان الاستفهام استخبار والاستخبار
هو طلب من المخاطب ان يخبرك فاذا كان كذلك كان محالا ان يفترق الحال بين
تقديم الاسم وتاخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت ازيد قام غير معناه اذا قلت اقام
زيد ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ويكون قولك زيد قام وقام زيد سوى ذاك
لانه يودي الى ان تستعلم امرا لا سبيل فيه الى جواب وان تستثبت المعنى على وجه ليس
عنده عبارة تثبته لك بها على ذلك الوجه وجملة الامر ان المعنى في ادخالك حرف
الاستفهام على الجملة من الكلام هو انك تطلب ان يقفك على معنى تلك الجملة ومؤداها
على اثبات او نفي فاذا قلت ازيد منطلق فانت تطلب ان يقول لك نعم هو منطلق
او يقول لا ما هو منطلق واذا كان ذلك كذلك كان محالا ان لا تكون الجملة اذا ادخلتها
هذه الاستفهام استخبارا عن المعنى على وجه لا تكون هي اذا نزعت منها اخبارا به

على ذلك الوجه فاعرفه   هذا كلام في النكرة اذا قدمت على الفعل
او قدم الفعل عليها اذا قلت اجاءك رجل فانت تريد ان تساله هل كان مجي
من واحد من الرجال اليه فان قدمت الاسم فقلت ارجل جاءك فانت تساله
عن جنس من جاءه ارجل هو ام امراة ويكون هذا منك اذا كنت علمت انه قد
اتاه آت ولكنك لم تعلم جنس ذلك الاتي فسبيلك في ذلك اذا اردت ان تعرف
عين الاتي فقلت ازيد جاءك ام عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسالة الاولى لان تقديم
الاسم يكون اذا كان السوال عن الفاعل والسوال عن الفاعل يكون اما عن عينه او
عن جنسه ولا ثالث واذا كان كذلك كان محالا ان تقدم الاسم النكره وانت
لا تريد السوال عن الجنس لانه لا يكون لسوالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى
بعد الجنس الا العين والنكرة لا تدل على عين شي فيسال بها عنه فان قلت ارجل
طويل جاءك ام قصير كان السوال عن ان الجائي من جنس طوال الرجال ام قصارهم
فان وصفت النكرة بالجملة فقلت ارجل كنت عرفته من قبل اعطاك هذا ام
ام رجل لم تعرفه كان السوال عن المعطي اكان ممن عرفه قبل ام كان انسانا لم تتقدم
منه معرفة له واذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر
عليه فاذا قلت رجل جاءني لم يصلح حتى تريد ان تعلمه ان الذي جاءك رجل لا
امراة ويكون كلامك مع من قد عرف ان قد اتاك آت فان لم ترد ذلك كان
الواجب ان تقول جاءني رجل فتقدم الفعل وكذلك ان قلت رجل طويل جاءني
لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن انه قد اتاك قصير ونزلته منزلة من ظن ذلك
وقولهم شر اهر ذا ناب انما قدم فيه شر لان المراد ان يعلم ان الذي اهر ذا الناب
هو من جنس الشر لا من جنس الخير فجرى مجرى ان تقول رجل جاءني تريد انه رجل
لا امراة وقول العلماء انه انما صلح لانه بمعنى ما اهر ذا ناب الا شر بيان لذلك
الا ترى انك لا تقول ما اتاني الا رجل الا حيث يتوهم السامع انه قد اتاك امراة
ذاك لان الخبر بنقض النفي يكون حيث يراد ان يقصر الفعل على شي وينفى عما عداه
فاذا قلت ما جاءني الا زيد كان المعنى انك قد قصرت المجي على زيد ونفيته عن كل من
عداه وانما يتصور قصر الفعل على معلوم ومتى لم ترد بالنكرة الجنس لم يقف منها
السامع على معلوم حتى يزعم اني اقصر له الفعل عليه واخبره انه كان منه دون غيره
واعلم انا لم نرد بما قلناه من انه انما حسن الابتدا بالنكرة في قولهم شر اهر ذا ناب
لانه اريد به الجنس ان معنى شر والشر سواء وانما اردنا ان الغرض من الكلام ان
يبين ان الذي اهر ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير كما انا اذا قلنا في قولهم

ارجل

ارجل اتاك ام امراة ان السوال عن الجنس لم يرد بذلك انه بمنزلة ان يقال الرجل
ام المراة اتاك ولكنا نعني ان المعنى على انك سالت عن الاتي اهو من جنس الرجال
ام من جنس النساء فالنكرة اذن على اصلها من كونها لواحد من الجنس الا ان القصد
منك لم يقع الى كونه من جنس الرجال وعكس هذا انك اذا قلت ارجل اتاك ام
رجلان كان القصد منك الى كونه واحدا دون كونه رجلا فاعرف ذلك اصلا
وهو انه يكون في اللفظ دليل على امرين ثم يقع القصد الى احدهما دون الاخر فيصير
ذلك الاخر بان لم يدخل في القصد كانه لم يدخل في دلالة اللفظ واذا اعتبرت
ما قدمته من قول صاحب الكتاب انك قلت عبد الله فنبهته له ثم بنيت
عليه الفعل وجدته يطابق هذا وذلك ان التنبيه لا يكون الا على معلوم كما
ان قصر الفعل لا يكون الا على معلوم فاذا بدات بالنكره فقلت رجل وانت
لا تقصد بها الجنس وان تعلم السامع ان الذي اردت بالحديث رجل لا امراة
كان محالا ان تقول اني قدمته لانبه المخاطب له لانه يخرج بك الى ان تقول
اني اردت ان انبهه لشي لا يعلمه في جملة ولا تفصيل وذلك ما لا يشك في
استحالته فاعرفه   القول في الحذف وهو باب دقيق المسلك
لطيف الماخذ عجيب الامر شبيه بالسحر فانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر
والصمت عن الافادة ازيد للافادة وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق واتم
ما تكون بيانا اذا لم تبن وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر
وانا اكتب لك بديا امثلة مما عرض فيه الحذف ثم انبهك على صحة ما
اشرت اليه واقيم الحجة من ذلك عليه انشد صاحب الكتاب اعتاد قلبك
من ليلى عوايده وهاج اهواءك المكنونة الطلل ربع قواء اذاع المعصرات به
وكل حيران سار ماوه خضل قال اراد ذلك ربع او هو ربع قال ومثله قول
الاخر هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا كما عرفت بجفن الصيقل الخللا
دار لمروة اذ اهلي واهلهم بالكانسية نرعى اللهو والغزلا كانه قال تلك
دار قال شيخنا رحمة الله عليه ولم يحمل البيت الاول على ان الربع بدل من الطلل
لان الربع اكثر من الطلل والشي يبدل مما هو مثله او اكثر منه فاما بدل الشي
من اقل منه ففاسد لا يتصور وهذه طريقة مستمرة لهم اذا ذكروا الديار
والمنازل وكما يضمرون المبتدا فيرفعون فقد يضمرون الفعل فينصبون كبيت
الكتاب ايضا ديار مية اذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب انشده
بنصب ديار على اضمار فعل كانه قال اذكر ديار مية ومن المواضع التي يطرد فيها

حذف المبتدا القطع والاستيناف يبداون بذكر الرجل ويقدمون بعض امره
ثم يدعون الكلام الاول ويستانفون كلاما اخر واذا فعلوا ذلك اتوا في اكثر
الامر بخبر من غير مبتداء مثال ذلك قوله وعلمت اني يوم ذلك منازل كعبا
ونهدا قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا وقوله هم حلوا من الشرف المعلى
ومن حسب العشيرة حيث شاؤا بناة مكارم واساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء
وقوله راني على ما بي عميلة فاشتكى الى ماله حالي اسر كما جهر ثم قال بعد غلام
رماه الله بالخير مقبلا له سيماء لا تشق على البصر وقوله اذا ذكر ابنا العنبرية لم
يضق ذراعي والقى باسه من افاخر هلالان حمالان في كل شتوة من الثقل
ما لا تستطيع الاباعر وقوله حمالان خبر ثان وليس بصفة كما يكون لو قلت مثلا
رجلان حمالان ومما اعتيد فيه ان يجي خبرا قد بني على مبتدا محذوف قولهم
بعد ان يذكروا الرجل من شانه كذا واخر من صفته كيت وكيت كقوله
الا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ولا عرف الا قد تولى وادبرا فتى حنظلي ما
تزال ركابه تجود بمعروف وتنكر منكرا وقوله ساشكر عمرا ان تراخت
منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا
مظهر الشكوى اذا النعل زلت ومن ذلك قول جميل وهل بثينة يا للناس
قاضيتي ديني وفاعلة خيرا فاجزيها ترنو بعيني مهاة اقصدت بهما قلبي
عشية ترميني وارميها هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ريا العظام بلا عيب
يرى فيها من الاوانس مكسال مبتلة خود غذاها بلين العيش غاذيها وقوله
ايضا اني عشية رحت وهي حزينة تشكو الي صبابة لصبور وتقول بت
عندي فديتك ليلة اشكو اليك فان ذاك يسير غراء مبسام كان حديثها
در تحدر نظمها منثور محطوطة المتنين مضمرة الحشا ريا الروادف خلقها
ممكور وقول الاقيشر في ابن عم له موسر ساله فمنعه وقال كم اعطيك مالي
وانت تنفقه فيما لا يعنيك والله لا اعطيك فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم
وهو فيهم فشكاه الى القوم فذمه فوثب اليه ابن عمه فلطمه فانشا يقول سريع الى
ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الندى بسريع حريص على الدنيا مضيع لدينه
وليس لما في بيته بمضيع فتامل الان هذه الابيات كلها واستقرها واحدا واحدا
وانظر الى موقعها في نفسك والى ما تجده من اللطف والظرف اذا انت مررت
بموضع الحذف منها ثم فليت النفس عما تجد والطفت النظر فيما تحس ثم كلف
ان ترد ما حذف الشاعر وان تخرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك فانك تعلم

ان

ان الذي قلت كما قلت وان رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد
وان اردت ما هو اصدق في ذلك شهادة وادل دلالة فانظر الى قول عبد الله
بن الزبير يذكر غريما له قد الح عليه عرضت على زيد لياخذ بعض ما يحاوله
قبل اعتراض الشواغل فدب دبيب البغل يالم ظهره وقال تعلم انني غير فاعل
تثاءب حتى قلت داسع نفسه واخرج انيابا له كالمعاول الاصل حتى قلت
هو داسع نفسه اي حسبته من شدة التثاؤب ومما به من الجهد يقذف
نفسه من جوفه ويخرجها من صدره كما يدسع البعير جرته ثم انك ترى نصبة
الكلام وهيئته تروم منك ان تنسى هذا المبتدا وتباعده عن وهمك وتجتهد
ان لا يدور في خلدك ولا يعرض لخاطرك وتراك كانك تتوقاه توقي الشي يكره مكانه
والثقيل يخشى هجومه ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح العين تبدي الحب
والبغضا وتظهر الابرام والنقضا درة ما انصفتني في الهوى ولا رحمت الجسد
المنضى غضبى ولا والله يا اهلها لا اطعم البارد او ترضى يقول في جارية كان يحبها
وسعي به الى اهلها فمنعوها منه والمقصود قوله غضبى وذلك ان التقدير هي
غضبى او غضبى هي لا محالة الا انك ترى النفس كيف تتفادى من اظهار هذا
المحذوف وكيف تانس الى اضماره وترى الملاحة كيف تذهب ان انت رمت
التكلم به ومن جيد الامثلة في هذا الباب قول الاخر يخاطب امراته وقد
لامته على الجود قالت سمية قد غويت بان رات حقا تناوب مالنا
ووفود غي لعمرك لا ازال اعوده ما دام مال عندنا موجود المعنى ذاك غي لا ازال
اعود اليه فدعي عنك لومي واذ قد عرفت هذه الجملة من حال حذف المبتدا
فاعلم ان ذلك سبيله في كل شي فما من اسم او فعل تجده قد حذف ثم اصيب
به موضعه وحذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وانت تجد حذفه
هناك احسن من ذكره وترى اضماره في النفس اولى وانس من النطق به واذ
قد بدانا في الحذف بذكر المبتدا وهو حذف اسم اذ لا يكون المبتدا الا اسما
فاني اتبع ذلك ذكر المفعول به اذا حذف خصوصا فان الحاجة اليه امس
وهو بما نحن بصدده اخص واللطائف كانها فيه اكثر وما يظهر بسببه من
الحسن والرونق اعجب واظهر وههنا اصل يجب ضبطه وهو ان حال الفعل
مع المفعول الذي يتعدى اليه حاله مع الفاعل وكما انك اذا قلت ضرب
زيد فاسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك من ذلك ان تثبت الضرب
فعلا له لا ان تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الاطلاق كذلك اذا عديت

الفعل الى المفعول فقلت ضرب زيد عمرا كان غرضك ان تفيد التباس الضرب
الواقع من الاول بالثاني ووقوعه عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل
فيهما انما كان من اجل ان يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما فعمل الرفع في
الفاعل ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب في المفعول
ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في
نفسه بل اذا اريد الاخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير ان ينسب
الى فاعل او مفعول او يتعرض لبيان ذلك فالعبارة فيه ان يقال كان ضرب
او وقع ضرب او وجد ضرب وما شاكل ذلك من الفاظ تفيد الوجود المجرد
في الشي واذ قد عرفت هذه الجملة فاعلم ان اغراض الناس تختلف في ذكر الافعال
المتعدية فهم يذكرونها تارة ومرادهم ان يقتصروا على اثبات المعاني التي اشتقت
منها للفاعلين من غير ان يتعرضوا لذكر المفعولين فاذا كان الامر كذلك كان
الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا في انك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا
ومثال ذلك قول الناس فلان يحل ويعقد ويامر وينهى ويضر وينفع وكقولهم
هو يعطي ويجزل ويضيف ويقري المعنى في جميع ذلك على اثبات المعنى في نفسه
للشي على الاطلاق وعلى الجملة من غير ان يتعرض لحديث المفعول حتى كانك
قلت صار اليه الحل والعقد وصار بحيث يكون منه حل وعقد وامر ونهي
وضر ونفع وعلى هذا القياس وعلى ذلك قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير ان يقصد
النص على معلوم وكذلك قوله تعالى هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا
وقوله وانه هو اغنى واقنى المعنى هو الذي منه الاحيا والاماتة والاغنا والاقنا
وهكذا كل موضع كان القصد فيه ان يثبت المعنى في نفسه فعلا للشي وان
يخبر بان من شانه ان يكون منه او لا يكون الا منه فان الفعل لا يعدى هناك
لان تعديته تنقص الغرض وتغير المعنى الا ترى انك اذا قلت هو يعطي الدنانير
كان المعنى على انك قصدت ان تعلم السامع ان الدنانير تدخل في عطائه او
انه يعطيها خصوصا دون غيرها وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله
الاعطاء لا الاعطاء في نفسه ولم يكن كلامك مع من نفى ان يكون كان منه
اعطاء بوجه من الوجوه بل مع من اثبت له اعطاء الا انه لم يثبت اعطاء
الدنانير فافهم ذلك فانه اصل كبير عظيم النفع فهذا قسم من خلو الفعل
عن المفعول وهو ان لا يكون له مفعول يمكن النص عليه وقسم ثان وهو ان

يكون

يكون له مفعول مقصود قصده معلوم الا انه يحذف من اللفظ لدليل الحال
عليه وينقسم الى جلي لا صنعة فيه وخفي يدخله الصنعة فمثال الجلي قولهم
اصغيت اليه وهم يريدون اذني واغضيت عليه والمعنى جفني واما الخفي
الذي يدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع فنوع منه ان تذكر الفعل وفي نفسك
له مفعول مخصوص قد علم مكانه اما بجري ذكر او دليل حال الا انك تنسيه نفسك
وتخفيه وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا لان تثبت نفس معناه من غير ان
تعديه الى شي او تعرض فيه لمفعول ومثاله قول البحتري شجو حساده وغيظ
عداه ان يرى مبصر ويسمع واع المعنى لا محالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع
واع اخباره واوصافه ولكنك تعلم على ذلك انه كانه يسرق علم ذلك من
نفسه ويدفع صورته عن وهمه ليحصل له معنى شريف وغرض خاص وذلك انه
يمدح خليفة وهو المعتز ويعرض بخليفة وهو المستعين فاراد ان يقول ان محاسن
المعتز وفضائله المحاسن والفضائل يكفي فيها ان يقع عليها بصر ويعيها سمع
حتى يعلم انه المستحق للخلافة والفرد الوحيد الذي ليس لاحد ان ينازعه مرتبتها
فانت ترى حساده وليس شي اشجى لهم واغيظ من علمهم بان ههنا مبصرا يرى
وسامعا يعي حتى ليتمنون ان لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها واذن يعي
معها كي يخفى مكان استحقاقه لشرف الامامة فيجدوا بذلك سبيلا الى منازعته
اياها وهذا نوع منه اخر وهو ان يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده
قد علم انه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال او ما سبق من
الكلام الا انك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض غير الذي
مضى وذلك الغرض ان يتوفر العناية على اثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف
بجملتها وكما هي اليه ومثاله قول عمرو فلو ان قومي انطقتني رماحهم نطقت و
لكن الرماح اجرت اجرت فعل متعد ومعلوم انه لو عداه لما عداه الا الى
ضمير المتكلم نحو ولكن الرماح اجرتني وانه لا يتصور ان يكون ههنا شي اخر يتعدى
اليه لاستحالة ان يقول فلو ان قومي انطقتني رماحهم ثم يقول ولكن الرماح اجرت
غيري الا انك تجد المعنى يلزمك ان لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه الى لفظك
والسبب في ذلك ان تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض وذلك ان الغرض
هو ان يثبت انه كان من الرماح اجرار وحبس للالسن عن النطق وان يصحح وجود
ذلك ولو قال اجرتني جاز ان يتوهم انه لم يعن بان يثبت للرماح اجرارا بل الذي
عناه ان يبين انها اجرته فقد تذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول مثاله

انك تقول اضربت زيدا وانت لا تنكر ان يكون كان من المخاطب ضرب
وانما تنكر ان يكون وقع الضرب منه على زيد وان يستجيز ذلك او يستطيعه
فلما كان في تعديته اجرت ما يوهم ذلك وقف فلم يعده البتة ولم ينطق بالمفعول
ليخلص العناية لاثبات الاجرار للرماح وتصحيح انه كان منها وتسلم بجملتها
لذلك ومثله قول جرير امنيت المنى وخلبت حتى تركت ضمير قلبي مستهاما
الغرض ان يثبت انه كان منها خلابة في فتنة الناس ومن بارع ذلك
ونادره وما تجده في هذه الابيات روى المرزباني في كتاب الشعر باسناده
قال لما تشاغل ابو بكر الصديق باهل الردة استبطاته الانصار فقال اما كلفتموني
في اخلاق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فوالله ما ذاك عندي ولا عند احد
من الناس ولكن والله ما اوتي من مودة لكم ولكن حسن راي فيكم وكيف لا نحبكم
فوالله ما وجدت مثلا لنا ولكم الا ما قال طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب
جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت ابوا ان يملونا
ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت هم خلطونا بالنفوس والجاوا الى
حجرات ادفات واظلت فيها حذف مفعول مقصود قصده في اربعة مواضع
قوله لملت والجوا وادفات واظلت لان الاصل لملتنا والجونا الى حجرات
ادفاتنا واظلتنا الا ان الحال على ما ذكرت لك من انه في حد المتناسى حتى كان
لا قصد الى مفعول وكان الفعل قد ابهم امره فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه كما
يكون اذا قلت قد مل فلان تريد ان تقول قد دخله الملال من غير ان تخص شيئا
بل لا تزيد على ان تجعل الملال من صفته وكما تقول هذا بيت يدفي ويظل تريد انه
بهذه الصفة واعلم ان لك في قوله اجرت ولملت فايدة اخرى زايدة على
ما ذكرت من توفير العناية على اثبات الفعل وهي ان تقول كان من سوء بلاء القوم
ومن تكذيبهم عن القتال ما اجر مثله وما القضية فيه انه لا يتفق على قوم الا خرس
شاعرهم فلم يستطع نطقا وتعديتك الفعل تمنع من هذا المعنى لانك اذا قلت و
لكن الرماح اجرتني لم يمكن ان يتاول على معنى انه كان منها ما شان مثله ان يجر قضية
مستمرة في كل شاعر قوم بل قد يجوز ان يوجد مثله في قوم اخرين فلا يجر شاعرهم
ونظيره انك تقول قد كان منك ما يولم تريد ما الشرط في مثله ان يولم كل احد
وكل انسان ولو قلت ما يولمني لم يفد ذلك لانه قد يجوز ان يولمك الشيء لا يولم
غيرك وهكذا قوله ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت يتضمن ان من
حكم مثله في كل ام ان تمل وتسام وان المشقة في ذلك الى حد يعلم ان الام تمل له

الا من

الا من ويتبرم به مع ما في طباع الامهات من الصبر على المكاره في مصالح الاولاد
وذلك انه وان قال لملت فان المعنى على ان ذلك حكم كل ام مع اولادها ولو قلت
لملتنا لم يحتمل ذلك لانه يجري مجرى ان يقول لو لقيت امنا ذلك لدخلها ما
يملها منا واذا قلت ما يملها منا فقيدت لم يصلح لان يراد به معنى العموم وانه
بحيث يمل كل ام من كل ابن وكذلك قوله الى حجرات ادفات واظلت لان
فيه معنى قولك حجرات من شان مثلها ان تدفي وتظل اي هي بالصفة التي اذا
كان البيت عليها ادفا واظل ولا يجي هذا المعنى مع اظهار المفعول اذ لا يقول
حجرات من شان مثلها ان تدفينا وتظلنا هذا لغو من الكلام فاعرف هذه
النكتة فانك تجدها في كثير من هذا الفن مضمومة الى المعنى الاخر الذي
هو توفير العناية على اثبات الفعل والدلالة على ان القصد من ذكر الفعل ان تثبته
لفاعله لا ان تعلم التباسه بمفعوله وان اردت ان تزداد تبينا لهذا الاصل
اعني وجوب ان تسقط المفعول لتتوفر العناية على اثبات الفعل لفاعله ولا
يدخلها شوب فانظر في قول الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من
الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا
نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففيها حذف مفعول
في اربعة مواضع اذ المعنى وجد عليه امة من الناس يسقون اغنامهم او مواشيهم
وامراتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما ثم انه لا يخفى
على ذي بصر انه ليس في ذلك كله الا ان يترك ذكره ويوتى بالفعل مطلقا وما ذاك
الا ان الغرض في ان يعلم انه كان من الناس في تلك الحالة سقي ومن المراتين
ذود وانهما قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى
عليه السلم من بعد ذلك سقي فاما ما كان المسقي اغنما ام ابلا ام غير ذلك
فخارج عن الغرض وموهم خلافه وذلك انه لو قيل وجد من دونهم امراتين تذودان
غنمهما جاز ان يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم
ابل لما انكر كما انك اذا قلت ما لك تمنع اخاك وتمنع كنت منكرا المنع لا من حيث
هو منع بل من حيث هو منع اخ فاعرفه تعلم انك لم تجد لحذف المفعول في هذا
النحو من الروعة والحسن ما وجدت الا لان في حذفه وترك ذكره فايدة جليلة
وان الغرض لا يصح الا على تركه ومما هو كانه نوع اخر غير ما مضى قول البحتري اذا
بعدت ابلت وان قربت شفت فهجرانها يبلي ولقيانها يشفي قد علم ان
المعنى اذا بعدت عني ابلتني وان قربت مني شفتني الا انك تجد الشعر يابى ذكر ذلك

ويوجب المراحه وذلك لانه اراد ان يجعل البلى كانه واجب في بعادها ان يوجبه ويجلبه وكانه كالطبيعه فيه وكذلك حال الشفاء من القرب حتى كانه قال الا ترى ما بعادها هو الداء المغني وما قربها هو الشفاء والبرء من كل داء ولا سبيل لك الى هذه اللطيفه والى هذه النكته الا بحذف المفعول البته فاعرفه وليس لنتايج هذا الحذف اعني حذف المفعول نهايه فانه طريق الى ضروب من الصيغه والى لطايف لا تحصى وهذا نوع منه اخر اعلم ان ههنا بابا من الاضمار والحذف يسمى الاضمار على شريطه التفسير وذلك مثل قولهم اكرمني واكرمت عبد الله اردت اكرمني عبد الله واكرمت عبد الله ثم تركت ذكره في الاول استغناء بذكره في الثاني فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر وشي لا يعبا به ويظن انه ليس فيه اكثر مما يريك الامثله المذكورة منه وفيه اذا انت طلبت الشي من معدنه من دقيق الصنعة ومن جليل الفايده ما لا تجده الا في كلام الفحول فمن لطيف ذلك ونادره قول البحتري لو شيت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم ماثر خالد الاصل لا محالة لو شيت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من الاول استغناء بدلالته في الثاني عليه ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة وهو على ما ذكرت لك من ان الواجب في حكم البلاغه ان لا ينطق بالمحذوف ولا يظهر الى اللفظ فليس يخفى انك لو رجعت فيه الى ما هو اصله فقلت لو شيت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت الى كلام غث والى شي يمجه السمع وتعافه النفس وذلك ان في البيان اذا ورد بعد الابهام وبعد التحريك له ابدا لطفا ونبلا لا يكون اذا لم يتقدم ما يحرك وانت اذا قلت لو شيت علم السامع انك علقت هذه المشية في المعنى بشي فهو يضع في نفسه ان ههنا شيا تقتضي مشيته له ان يكون او ان لا يكون فاذا قلت لم تفسد سماحة حاتم عرف ذلك الشي ومجي المشيه بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفه غير معداة الى شي كثير شايع كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لهداكم اجمعين والتقدير في ذلك كله على ما ذكرت فالاصل لو شاء الله ان يجمعهم على الهدى لجمعهم ولو شاء ان يهديكم اجمعين لهداكم اجمعين الا ان البلاغه في ان يجاء به كذلك محذوفا وقد يتفق في بعضه ان يكون اظهار المفعول هو الاحسن وذلك نحو قول الشاعر ولو شيت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع فقياس هذا لو كان على حد ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ان يقول لو شيت بكيت دما ولكنه كانه ترك تلك الطريقه وعدل الى

هذه لانها احسن في هذا الكلام خصوصا وسبب حسنه انه كانه بدع عجيب ان يشاء الانسان ان يبكي دما فلما كان كذلك كان الاولى ان يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويونسه به واذا استقريت وجدت الامر كذلك ابدا متى كان مفعول المشيه امرا عظيما او بديعا غريبا كان الاحسن ان يذكر ولا يضمر يقول الرجل يخبر عن عزه لو شيت ان ارد على الامير رددت ولو شيت ان القى الخليفه كل يوم لقيت واذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف احسن كقولك لو شيت خرجت ولو شيت قمت ولو شيت انصفت ولو شيت لقلت وفي التنزيل لو نشاء لقلنا وكذا تقول لو شيت كنت كزيد قال لو شيت كنت ككرز في عبادته او كابن طارق حول البيت والحرم وكذلك الحكم في غيره من حروف المجازاة تقول ان شيت قلت وان اردت دفعت قال الله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك وقال عز اسمه من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم ونظاير ذلك من الاي ترى الحذف فيها المستمر ومما يعلم ان ليس فيه لغير الحذف وجه قول طرفه وان شيت لم ترقل وان شيت ارقلت مخافة ملوي من القد محصد وقال حميد اذا شيت غنتني باجزاع بيشه او الزرق من تثليث او بيلملما مطوقة ورقاء تسجع كلما دنا الصيف وانجاب الربيع فانجما وقال البحتري اذا شاء غادى صرمة او غدا على عقايل سرب او تقنص ربربا وقوله لو شيت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده معلوم انك لو قلت وان شيت ان لا ترقل لم ترقل او قلت اذا شيت ان تغنيني باجزاع بيشة غنتني واذا شاء ان يغادي صرمة غادى ولو شيت ان تعود بلاد نجد عدت اذهبت الماء والرونق وخرجت الى كلام غث ولفظ رث واما قول الجوهري فلم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شيت ان ابكي بكيت تفكرا فقد نحا نحو قوله ولو شيت ان ابكي دما لبكيته لان له غرضا لا يتم الا بذكر المفعول وذلك انه لم يرد ان يقول ولو شيت ان ابكي تفكرا بكيت كذلك ولكنه اراد ان يقول قد افناني النحول فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول حتى لو شيت بكاء فمريت شوني وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم اجده ولخرج بدل الدمع التفكر فالبكاء الذي اراد ايقاع المشيه عليه مطلق مبهم غير معدى الى التفكر البته والبكاء الثاني مقيد معدى الى التفكر واذا كان الامر كذلك صار الثاني كانه شي غير الاول وجرى مجرى ان تقول لو شيت ان تعطي درهما اعطيت درهمين في ان الثاني لا يصلح ان يكون تفسيرا للاول واعلم ان هذا الذي ذكرنا ليس بصريح اكرمت واكرمني عبد الله ولكنه شبيه به في انه انما حذف من مفعول المشيه والاراده

فلو شيت ان ابكي بكيت تفكرا ... ولم يقل صح

لان الذي يأتي في جواب لو واخواتها يدل عليه وان اردت ما هو صريح في ذلك
ثم هو نادر لطيف ينطوي على معنى دقيق وفائدة جليلة فانظر الى بيت البحتري قد
طلبنا فلم نجد لك في السودد والمجد والمكارم مثلا فلم نجده لم تر من هذا الحسن
الذي تراه شيئا وسبب ذلك ان الذي هو الاصل في المدح والغرض بالحقيقة هو
نفي الوجود عن المثل فاما الطلب فكالشيء يذكر ليبنى عليه الغرض ويؤكد به امره واذا
كان هذا كذلك فلو انه قال قد طلبنا لك في السودد والمجد والمكارم مثلا فلم
نجده لكان يكون قد ترك ان يوقع نفي الوجود على لفظ المثل واوقعه على ضميره و
لن يبلغ الكناية مبلغ الصريح ابدا وتبيين هذا الكلام ذكره ابو عثمن الجاحظ في كتاب
البيان وانا اكتب لك الفصل حتى تستبين الذي هو المراد قال والسنة في خطبة
النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر المجيب الا ترى ان قيس بن خارجة لما ضرب
بسيفه مؤخرة راحلتي الحاملين في شان حمالة داحس وقال ما لي فيها ايها
العشمتان قالا بل ما عندك قال عندي قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة
من لدن تطلع الشمس الى ان تغرب آمر فيها بالتواصل وانهى فيها عن التقاطع
قالوا فخطب يوما الى الليل فما اعاد كلمة ولا معنى فقيل لابي يعقوب هلا اكتفى بالامر
بالتواصل عن النهي عن التقاطع اوليس الامر بالصلة هو النهي عن القطيعة قال او
ما علمت ان الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الافصاح والكشف انتهى
الفصل الذي اردت ان اكتبه فقد بصرك هذا ان لن يكون ايقاع نفي الوجود على
صريح لفظ المثل كايقاعه على ضميره واذ قد عرفت هذا فان هذا المعنى بعينه قد
اوجب في بيت ذي الرمة ان يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحتري فيعمل الاول من
الفعلين وذلك قوله ولم امدح لارضيه بشعري لئيما ان يكون اصاب مالا
اعمل لم امدح الذي هو الاول في صريح لفظ اللئيم وارضي الذي هو الثاني في ضميره
وذلك ان ايقاع نفي المدح على اللئيم صريحا والمجيء به مكشوفا ظاهرا
هو الواجب من حيث كان اصل الغرض وكان الارضاء تعليلا له ولو انه قال ولم
امدح لارضي بشعري لئيما لكان يكون قد ابهم الامر فيما هو الاصل واباته فيما ليس
بالاصل فاعرفه ولهذا الذي ذكرنا من ان للتصريح عملا لا يكون مثل ذلك العمل
للكناية كان لاعادة اللفظ في مثل قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله
تعالى قل هو الله احد الله الصمد من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل ما لا يخفى
موضعه على بصير وكان لو ترك فيه الاظهار الى الاضمار فقيل وبالحق انزلناه وبه
نزل وقل هو الله احد هو الصمد لعدمت الذي انت واجده الان   قد

بان الان واتضح لمن نظر نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل
والازدياد من الفضل ومن شانه التوق الى ان يعرف الاشياء على حقائقها
ويتغلغل الى دقائقها ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر ولا
يعدو الذي يقع في اول الخاطر ان الذي قلت في شان الحذف وفي تفخيم امره والتنويه
بذكره وان ماخذه ماخذ يشبه السحر ويبهر الفكر كالذي قلت وهذا فن آخر
من معانيه عجيب وهو ما اذكره لك قال البحتري في قصيدته التي اولها اعن سفه
يوم الابيرق ام حلم وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيانته له ودفعه نوائب
الزمان عنه وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة ايام حززن
الى العظم الاصل لا محالة حززن اللحم الى العظم الا ان في مجيئه به محذوفا و
اسقاطه له من النطق وتركه في الضمير مزية عجيبة وفائدة جليلة وذلك
ان من حذق الشاعر ان يوقع المعنى في نفس السامع ايقاعا يمنعه به من ان
يتوهم في بدء الامر شيئا غير المراد ثم ينصرف الى المراد ومعلوم انه لو اظهر المفعول فقال
وسورة ايام حززن اللحم الى العظم لجاز ان يقع في وهم السامع الى ان يجيء الى قوله الى
العظم ان هذا الحز كان في بعض اللحم دون كله وانه قطع ما يلي الجلد ولم ينته الى ما يلي العظم
فلما كان كذلك ترك ذكر اللحم واسقطه من اللفظ ليبرئ السامع من هذا الوهم ويجعل
بحيث يقع المعنى منه في انف الفهم ويتصور في نفسه من اول الامر ان الحز مضى في اللحم
حتى لم يرده الا العظم افيكون دليل اوضح من هذا وابين واجلى في صحة ما ذكرت
لك من انك قد ترى ترك الذكر افصح من الذكر والامتناع ان يبرز اللفظ من الضمير
احسن من التصوير والله اعلم   علم وفرق في الخبر اول ما ينبغي ان يعلم منه
انه ينقسم الى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وخبر ليس بجزء من الجملة
ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له فالاول خبر المبتدأ كمنطلق في قولك زيد منطلق
والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الاصل في الفائدة
والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا وذلك لان الحال خبر في الحقيقة من حيث
انك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل
الا تراك قد اثبت الركوب في قولك جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق انك جئت
به لتزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد
اثباتك للركوب ولم تباشره به بل ابتدأت واثبت المجيء ثم وصلت به الركوب
والتبست به الاثبات على سبيل التبع للمجيء وبشرط ان يكون في صلته واما في الخبر
المطلق نحو زيد منطلق وخرج عمرو فانك مثبت للمعنى اثباتا جردته له وجعلته

مباشرة من غير واسطة ومن غير ان تتسبب بغيره البتة فاعرفه واذ قد عرفت
هذا الفرق فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الاثبات اذا كان بالاسم و
بينه اذا كان بالفعل وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة اليه وبيانه
ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى للشي من غير ان يقتضي تجدده شيا بعد
شي واما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيا بعد شي فاذا
قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق فعلا له من غير ان تجعله يتجدد ويحدث
منه فشيا بل يكون المعنى في قولك زيد طويل وعمرو قصير وكما لا يقصد ههنا الى
ان يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقضي بوجودهما
على الاطلاق كذلك لا تتعرض في قولك زيد منطلق لاكثر من اثباته لزيد واما الفعل
فانه يقصد فيه الى ذلك فاذا قلت زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت ان الانطلاق
يقع منه جزءا فجزءا وجعلته يزاوله ويزجيه وان شيت ان تحس الفرق بينهما
من حيث يلطف فتامل هذا البيت لا يالف الدرهم المضروب صرتنا لكن
يمر عليها وهو منطلق هذا هو الحسن اللايق بالمعنى ولو قلته بالفعل لكن يمر عليها
وهو ينطلق لم يحسن وان اردت ان تعتبره حيث لا يخفى ان احدهما لا يصلح
في موضع صاحبه فانظر الى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فان
احدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا وان قولنا وكلبهم يبسط ذراعيه لا يودي
الغرض وليس ذلك الا لان الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي
الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير ان يكون هناك مزاولة وتزجية فعل و
معنى يحدث شيا فشيا ولا فرق بين وكلبهم باسط وبين ان يقول وكلبهم واحد مثلا
في انك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيا بل تثبته بصفة هو عليها
فالغرض اذا تادية هيئة الكلب ومتى اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت
الفرق ظاهرا بينا ولم يعترضك الشك في ان احدهما لا يصلح في موضع صاحبه
فاذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه يطول ويقصر وانما تقول يطول ويقصر
اذا كان الحديث عن شي يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك
مما يتجدد فيه الطول او يحدث فيه القصر فاما وانت تحدث عن هيئة ثابتة
وعن شي قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد فلا يصلح فيه الا الاسم واذا
ثبت الفرق بين الشي والشي في مواضع كثيرة وظهر الامر بان ترى احدهما لا يصلح
في موضع صاحبه وجب ان تقضي بثبوت الفرق حيث ترى احدهما قد صلح
في مكان الاخر وتعلم ان المعنى مع احدهما غيره مع الاخر كما هو العبرة في حمل الخفي

على الجلي وينعكس لك هذا الحكم اعني انك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل
مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه ولا يودي ما يوديه فمن البين
في ذلك قول الاعشى لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق معلوم انه لو قيل
الى ضوء نار محرقة لنبا عنه الطبع وانكرته النفس ثم لا يكون ذلك النبو وذلك الانكار
من اجل القافية وانها تفسد به بل من وجه انه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال
وكذلك قوله اوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الي عريفهم يتوسم وذلك
لان المعنى في بيت الاعشى على ان هناك موقدا يتجدد منه الالهاب والاشعال
حالا فحالا واذا قيل محرقة كان المعنى ان هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة
وجرى مجرى ان يقال الى ضوء نار عظيمة في انه لا يفيد فعلا يفعل وكذلك الحال
في قوله بعثوا الي عريفهم يتوسم وذلك لان المعنى على توسم وتامل ونظر يتجدد من
العريف هناك حالا فحالا وتصفح منه للوجوه واحدا بعد واحد ولو قيل بعثوا
الي عريفهم متوسما لم يفد ذلك حق الافادة ومن ذلك قوله تعالى هل من خالق
غير الله يرزقكم من السماء والارض لو قيل هل من خالق غير الله رازق لكم لكان المعنى غير
ما اريد ولا ينبغي ان يغرك انا اذا تكلمنا في مسايل المبتدا والخبر قدرنا الفعل في هذا
النحو تقدير الاسم كما تقول في زيد يقوم انه في موضع قايم فان ذلك لا يقتضي ان يستوي
المعنى فيهما استواء لا يكون من بعده افتراق فانهما لو استويا هذا الاستوا لم يكن
احدهما اسما والاخر فعلا بل كان ينبغي ان يكونا جميعا فعلين او يكونا اسمين ومن
فروق الاثبات انك تقول زيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق زيد فيكون لك
في كل واحد من هذه الاحوال غرض خاص وفايدة لا تكون في الباقي وانا افسر لك
ذلك اعلم انك اذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع لم يعلم ان انطلاقا كان
لا من زيد ولا من عمرو فانت تفيده ذلك ابتدا واذا قلت زيد المنطلق كان كلامك
مع من عرف ان انطلاقا كان اما من زيد واما من عمرو فانت تعلمه انه كان من
زيد دون غيره والنكتة انك تثبت في الاول الذي هو قولك زيد منطلق فعلا
لم يعلم السامع من اصله انه كان وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلا قد
علم السامع انه كان ولكن لم يعلمه لزيد فافدته ذلك فقد وافق الاول في المعنى
الذي له كان الخبر خبرا وهو اثبات المعنى للشي وليس يقدح في ذلك انك كنت
قد علمت ان انطلاقا كان من احد الرجلين لانك اذا لم تصل الى القطع على انه كان
من زيد دون عمرو كان حالك في الحاجة الى من يثبته لزيد كحالك اذا لم تعلم

انه كان من اصله وتمام التحقيق ان هذا كلام يكون منك اذا كنت قد بلغت
انه كان من انسان انطلاق من موضع كذا في وقت كذا لغرض كذا فجوزت ان
يكون ذلك كان من زيد فاذا قيل لك زيد هو المنطلق صار الذي كان معلوما
على جهة الوجوب ثم انهم اذا ارادوا تاكيد هذا الوجوب ادخلوا الضمير المسمى
فصلا بين الجزئين فقالوا زيد هو المنطلق ومن الفرق بين المسئلتين وهو مما تمس
الحاجة الى معرفته انك اذا نكرت الخبر جاز ان تاتي بمبتدا ثان على ان تشركه
بحرف العطف في المعنى الذي اخبرت به عن الاول واذا عرفت لم يجز ذلك تفسير
هذا انك تقول زيد منطلق وعمرو تريد وعمرو منطلق ايضا ولا تقول زيد المنطلق
وعمرو وذلك لان المعنى مع التعريف على انك اردت ان تثبت انطلاقا مخصوصا
قد كان من واحد فاذا اثبته لزيد لم يصح اثباته لعمرو ثم ان كان قد كان ذلك
الانطلاق من اثنين فانه ينبغي ان تجمع بينهما في الخبر فتقول زيد وعمرو هما المنطلقان
لا ان تفرق فتثبته اولا لزيد ثم تجي فتثبته لعمرو ومن الواضح في تمثيل هذا النحو
قولنا هو القايل بيت كذا كقولك جرير هو القايل وليس لسيفي في العظام بقية
فانت لو حاولت ان تشرك في هذا الخبر غيره فتقول جرير وهو القايل هذا البيت
وفلان حاولت محالا لانه قول بعينه فلا يتصور ان تشرك جريرا فيه غيره و
اعلم انك تجد الالف واللام في الخبر على معنى الجنس ثم ترى له في ذلك وجوها احدها
ان تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة وذلك قولك زيد هو الجواد
وعمرو هو الشجاع تريد انه الكامل الا انك تخرج الكلام في صورة توهم ان الجود
والشجاعة لم توجد الا فيه وذلك لانك لم تعتد بما كان من غيره لقصوره
عن ان يبلغ الكمال فهذا كالاول في امتناع العطف عليه للاشتراك فلو قلت
زيد هو الجواد وعمرو كان خلفا من القول والوجه الثاني ان تقصر جنس المعنى
الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد بوجوده
في غير المخبر عنه بل على دعوى انه لا يوجد الا منه ولا يكون ذلك الا اذا قيدت
المعنى بشيء تخصصه وتجعله في حكم نوع براسه وذلك كنحو ان تقيد بالحال
والوقت كقولك هو الوفي حين لا يظن نفس بنفس خيرا وكذلك اذا كان الخبر
بمعنى يتعدى ثم اشترطت له مفعولا مخصوصا كقول الاعشى هو الواهب المائة
المصطفاه اما مخاضا واما عشارا فانت تجعل الوفاء في الوقت الذي لا يفي فيه
احد نوعا خاصا من الوفاء وكذلك تجعل هبة المائة من الابل نوعا خاصا وكذا الباقي
ثم انك تجعل كل هذا خبرا على معنى الاختصاص وانه للمذكور دون من عداه الا انك

ان

ان المعنى في بيت الاعشى انه لا يهب هذه الهبة الا الممدوح وربما ظن الظان
ان اللام في هو الواهب المائة المصطفاه بمنزلتها في نحو زيد هو المنطلق من حيث
كان القصد الى هبة مخصوصة كما كان القصد الى انطلاق مخصوص وليس الامر
كذلك لان القصد هاهنا الى جنس من الهبة مخصوص لا الى هبة مخصوصة بعينها
يدلك على ذلك ان المعنى على انه يتكرر منه وعلى ان يجعله يهب المائة مرة
بعد اخرى واما المعنى في قولك زيد هو المنطلق فعلى القصد الى انطلاق كان مرة
واحدة لا الى جنس من الانطلاق فالتكرر هناك غير متصور كيف وانت تقول
جرير هو القايل وليس لسيفي في العظام بقية تريد ان تثبت له قيل هذا
البيت وتاليفه فافصل بين ان تقصد الى نوع فعل وبين ان تقصد الى فعل واحد
متعين حاله في المعاني حال زيد في الرجال في انه ذات بعينها والوجه الثالث
ان لا تقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور لا كما كان في زيد هو الشجاع
تريد ان لا تعتد بشجاعة غيره ولا كما ترى في قوله هو الواهب المائة المصطفاه
ولكن على وجه ثالث وهو الذي عليه قول الخنساء اذا قبح البكاء على قتيل
رايت بكاءك الحسن الجميلا لم ترد ان ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل
ولم يقيد الحسن بشيء فيتصور ان يقصر على البكاء كما قصر الاعشى هبة المائة على الممدوح
ولكنها ارادت ان تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره احد ولا
يشك فيه شاك ومثله قول حسان وان سنام المجد من ال هاشم بنو بنت
مخزوم ووالدك العبد اراد ان يثبت له العبودية ثم يجعل ظاهر الامر فيها و
معروفا بها ولو قال ووالدك عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة
متعارفة وعلى ذلك قول الاخر اسود اذا ما ابدت الحرب نابها وفي ساير
الدهر الغيوث المواطر واعلم ان للخبر المعرف بالالف واللام معنى غير ما ذكرت
لك وله مسلك ثم دقيق ولمحة كالخلس يكون المتامل عنده كما يقال يعرف
وينكر وذلك قولك هو البطل المحامي وهو المتقى المرتجى وانت لا تقصد شيئا مما
تقدم فلست تشير الى معنى قد علم المخاطب انه كان ولم يعلم ممن كان كما مضى في
قولك زيد هو المنطلق ولا تريد ان تقصر معنى عليه على معنى انه لم يحصل لغيره
على الكمال كما كان في قولك زيد هو الشجاع ولا ان تقول ظاهر انه بهذه الصفة
كما كان في قولك ووالدك العبد ولكنك تريد ان تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل
المحامي وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف ينبغي ان يكون الرجل حتى يستحق
ان يقال ذلك له وفيه فان كنت تلقنته علما او تصورته حق تصوره فعليك

صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقه طريق
قولك هل سمعت بالاسد وهل تعرف ما هو فان كنت تعرفه فزيد هو هو
بعينه ويزداد هذا المعنى ظهورا بان يكون الصفة التي تريد الاخبار بها عن
المبتدا مجراة على الموصوف كقول ابن الرومي هو الرجل المشروك في جل ماله
ولكنه بالمجد والحمد مفرد تقديره كانه يقول للسامع فكر في رجل لا يتميز
عفاته وجيرانه ومعارفه عنه في ماله واخذ ما شاءوا منه فاذا حصلت
صورته في نفسك فاعلم انه ذلك الرجل وهذا امر عجيب الشان وله مكان
من الفخامة والنبل وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تاديه حقه و
المعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التامل فاذا علمت انه لا يريد بقوله
الرجل المشروك في جل ماله ان يقول هو الذي بلغك حديثه وعرفت من
حاله وقصته انه يشرك في جل ماله على حد قولك هو الرجل الذي بلغك
انه انفق كذا وكذا والذي وهب المائة المصطفاة من الابل ولا ان يقول انه
على معنى هو الكامل في هذه الصفة حتى كان ههنا اقواما يشركون في جل اموالهم
الا انه في ذلك اكمل واتم لان ذلك لا يتصور وذاك لان كون الرجل بحيث يشرك
في جل ماله ليس بمعنى يقع فيه تفاضل كما ان بذل الرجل كل ما يملك كذلك ولو قيل
الذي يشرك في ماله جاز ان يتفاوت واذا كان كذلك علمت انه معنى ثالث
وليس الا ما اشرت اليه من انه يقول للمخاطب ضع في نفسك معنى قولك رجل
مشروك في جل ماله ثم تامل فلانا فانك تستملي هذه الصورة منه وتجده يؤديها
لك نصا فتاتيك بها كملا وان اردت ان تسمع في هذا المعنى ما يسكن النفس
اليه سكون الصادي الى برد الماء فاسمع قوله انا الرجل المدعو عاشق فقره
اذا لم تكارمني صروف زماني وان اردت اعجب من ذلك فقوله يروي
حاسبه لان جانبه اهدى الى ابو الحسين يدا ارجو الثواب بما لديه غدا
وكذاك عادات الكريم اذا اولى يدا حسبت عليه يدا ان كان يحسد نفسه احد
فلا زعمتك ذلك الاحدا فهذا كله على معنى الوهم والتقدير وان يصور
في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ثم يجريه مجرى ما عهده وعلم وليس شي اغلب
على هذا الضرب الموهوم من الذي فانه يجري كثيرا على انك تقدر شيئا في وهمك
ثم تعبر عنه بالذي ومثال ذلك قوله اخوك الذي ان تدعه لملمة يجبك
وان تغضب الى السيف يغضب وقول الاخر اخوك الذي ان ربته قال
انما اربت وان عاتبته لان جانبه فهذا ونحوه على انك قدرت انسانا

هذه صفته وهذا شانه واحلت السامع على ما يعن في الوهم دون ان يكون
قد عرف رجلا بهذه الصفة فاعلمته ان المستحق لاسم الاخوة هو ذلك
الذي عرفه حتى كانك قلت اخوك زيد الذي عرفت انك ان تدعه لملمة
يجبك ولكون هذا الجنس معهودا من طريق الوهم والتخيل جرى على ما يوصف
بالاستحالة كقولك للرجل وقد تمنى هذا هو الذي لا يكون وهذا ما لا يدخل
في الوجود وكقولك ما لا يكون فلا يكون بحيلة ابدا وما هو كاين سيكون
ومن لطيف هذا الباب قوله واني لمشتاق الى ظل صاحب يرق ويصفو ان
كدرت عليه قد قدر كما ترى ما لم يعلمه موجودا ولذلك قال المامون خذ مني
الخلافة واعطني هذا الصاحب فهذا التعريف الذي تراه في الصاحب لا
يعرض فيه شك انه موهوم واما قولنا المنطلق زيد والفرق بينه وبين ان يقول زيد
المنطلق فالقول في ذلك انك وان كنت ترى في الظاهر انهما سواء من حيث
كان الغرض في الحالين اثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد فليس الامر كذلك
بل بين الكلامين فصل ظاهر وبيانه انك اذا قلت زيد المنطلق فانت في حديث
انطلاق قد كان وعرف السامع كونه الا انه لم يعلم امن زيد كان ام من عمرو
فاذا قلت زيد المنطلق ازلت عنه الشك وجعلته يقطع بانه كان من زيد
بعد ان كان يرى ذلك على سبيل الجواز وليس كذلك اذا قدمت المنطلق
فقلت المنطلق زيد بل يكون المعنى حينئذ على انك رايت انسانا ينطلق بالبعد
منك فلم يثبت ولم يعلم ازيد هو ام عمرو فقال لك صاحبك المنطلق زيد
اي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد وقد ترى الرجل قائما بين يديك
وعليه ثوب ديباج والرجل ممن عرفته قديما ثم بعد عهدك به فتناسيته
فيقال لك اللابس الديباج صاحبك الذي كان يكون عندك في وقت كذا
اما تعرفه لشد ما نسيت فلا يكون الغرض ان يثبت له لبس الديباج لاستحالة
ذلك من حيث ان رويتك الديباج عليه يغنيك عن اخبار مخبر واثبات
مثبت لبسه له فمتى رايت اسم فاعل او صفة من الصفات قد بدي به مبتدا
وجعل الذي هو صاحب الصفة في المعنى خبرا فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض
اذا كان اسم الفاعل او الصفة خبرا كقولك زيد المنطلق واعلم انه ربما اشتبهت
الصورة بعض الاشتباه من هذا الباب حتى يظن ان المعرفتين اذا وقعتا مبتدا
وخبرا لم يختلف المعنى فيهما بتقديم وتاخير ومما يوهم ذلك قول النحويين في باب
كان اذا اجتمع معرفتان كنت بالخيار في جعل ايهما شئت اسما والاخر خبرا

كقولك كان زيد اخاك وكان اخوك زيدا فيظن من ههنا ان تكافؤ الاسمين
في التعريف يقتضي ان لا يختلف المعنى بان تبدا بهذا وتثني بذاك وحتى
كان الترتيب الذي يدعى بين المبتدا والخبر وما موضع لهما من المنزلة في
التقدم والتاخر يسقط ويرتفع اذا كان الجزان معا معرفتين ومما يوهم ذلك
انك تقول الامير زيد وجيتك والخليفة عبد الملك فيكون المعنى على اثبات
الامارة لزيد والخلافة لعبد الملك كما يكون اذا قلت زيد الامير وعبد الملك
الخليفة وتقول لمن لا يشاهد ومن هو غايب عن حضرة الامارة ومعدن
الخلافة وهكذا يتوهم في نحو قوله ابوك حباب سارق الضيف برده
وجدي يا حجاج فارس شمرا الا انه لا فصل بينه وبين ان يقال حباب ابوك
وفارس شمر جدي وهو موضع غامض والذي يبين وجه الصواب ويدل
على وجوب الفرق بين المسلتين انك اذا تاملت الكلام ووجدت ما لا يحتمل
التسوية وما تجد الفرق قايما فيه قياما لا سبيل الى دفعه هو الاعم الاكثر وان
اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما قدمت لك من قولك اللابس الديباج
زيد وانت تشير الى رجل بين يديه ثم انظر الى قول العرب ليس الطيب الا المسك
وقول جرير الستم خير من ركب المطايا ومن قول المتنبي الست ابن الالى سعدوا
وسادوا واشباه ذلك مما لا يحصى ولا يعد واردد المعنى على ان يسلم لك مع
قلب طرفي الجملة وقل ليس المسك الا الطيب وليس خير من ركب المطايا
اياكم والست ابن الالى سعدوا وسادوا اياك تعلم ان الامر على ما عرفتك من
وجوب اختلاف المعنى بحسب التقديم والتاخير وههنا نكتة يجب القطع
معها بوجوب هذا الفرق ابدا وهي ان المبتدا لم يكن مبتدا لانه منطوق به
اولا ولا كان الخبر خبرا لانه مذكور بعد المبتدا بل كان المبتدا لانه مسند اليه
ومثبت له المعنى والخبر خبرا لانه مسند ومثبت به المعنى وتفسير ذلك انك
اذا قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق لزيد واسندته اليه فزيد مثبت
له ومنطلق مثبت به واما تقديم المبتدا على الخبر لفظا فحكم واجب من هذه
الجهة اي من جهة ان كان المبتدا هو الذي يثبت له المعنى ويسند اليه والخبر
هو الذي يثبت به المعنى ويسند ولو كان المبتدا مبتدا لانه في اللفظ مقدم
مبدو به لكان ينبغي ان يخرج من كونه مبتدا بان يقال منطلق زيد ولوجب
ان يكون قولهم ان الخبر مقدم في اللفظ والنية به التاخير محالا واذا كان هذا
كذلك ثم جيت بمعرفتين فجعلتهما مبتدا وخبرا فقد وجب وجوبا ان يكون

مثبتا الثاني معنى للاول فاذا قلت زيد اخوك كنت قد اثبت باخوك معنى
لزيد واذا قدمت واخرت فقلت اخوك زيد وجب ان يكون مثبتا بزيد
معنى لاخوك والا كان تسميتك له الان مبتدا واذ ذاك خبرا تغييرا للاسم
عليه من غير معنى ولادى الى ان لا يكون لقولهم المبتدا والخبر فايدة غير ان
يتقدم اسم في اللفظ على اسم من غير ان ينفرد كل واحد منهما بحكم لا يكون لصاحبه
وذلك مما لا يشك في سقوطه ومما يدل دلالة واضحة على اختلاف المعنى اذا
جيت بمعرفتين ثم جعلت هذا مبتدا وذاك خبرا تارة وتارة بالعكس قولهم
الحبيب انت وانت الحبيب وذلك ان الحبيب انت انه لا فصل بينك وبين من تحبه
اذا صدقت المحبة وان مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان كما جاء
عن بعض الحكماء انه قال الحبيب انت الا انه غيرك فهذا كما ترى معنى لطيف ونكتة
شريفة ولو حاولت ان تفيدها بقولك انت الحبيب حاولت ما لا يصح لان
الذي يعقل من قولك انت الحبيب هو ما عناه المتنبي في قوله انت الحبيب ولكني
اعوذ به من ان يكون محبا غير محبوب ولا يخفى بعد ما بين الغرضين فالمعنى
في قولك انت الحبيب انك انت الذي اختصه بالمحبة من بين الناس واذا كان كذلك
عرفت ان الفرق واجب ابدا وانه لا يجوز ان يكون اخوك زيد وزيد اخوك
بمعنى واحد وههنا شي يجب النظر فيه وهو ان قولك انت الحبيب كقولنا
انت الشجاع يريد انه الذي كملت فيه الشجاعة ام كقولنا زيد المنطلق يريد انه
الذي كان منه الانطلاق الذي سمع المخاطب به واذا نظرنا وجدناه لا يحتمل
ان يكون كقولنا انت الشجاع لانه يقتضي ان يكون المعنى انه لا محبة في الدنيا الا ما هو
به حبيب كما ان المعنى في هو الشجاع انه لا شجاعة في الدنيا الا ما تجده عنده وما
هو شجاع به وذلك محال وامر آخر وهو ان الحبيب فعيل بمعنى مفعول فالمحبة اذا
ليست هي له بالحقيقة وانما هي صفة لغيره وقد لابسته وتعلقت به تعلق
الفعل بالمفعول والصفة اذا وصفت بالكمال وصفت به على ان يرجع ذلك
الكمال الى من هي صفة له دون من يلابسه ملابسة المفعول واذا كان كذلك
بعد ان يقول انت المحبوب على معنى انت الكامل في كونك محبوبا
كما ان بعيدا ان يقال هو المضروب على معنى انه الكامل في كونه مضروبا وان جاء
شي من ذلك جاء على تعسف وتاويل لا يتصور ههنا وذلك ان يقال زيد
هو المظلوم على معنى انه لم يصب احدا ظلم يبلغ في الشدة والشناعة الظلم
الذي لحقه فصار كل ظلم سواه عدلا في جنبه ولا يجي هذا التاويل في قولنا

معنى

انت الحبيب لانا نعلم انهم لا يريدون بهذا الكلام ان يقولوا ان احدا لم يحب احدا
محبتي لك وان ذلك قد ابطل المحبات كلها حتى صرت الذي لا يعقل للمحبة معنى الا
فيه وانما الذي يريدون ان المحبة الذي مني بجملتها مقصورة عليك وانه ليس لاحد
غيرك حظ في محبة مني واذا كان كذلك بان انه لا يكون بمنزلة انت الشجاع تريد
الذي تكامل الوصف فيه الا انه ينبغي من بعد ان تعلم ان بين انت الحبيب وبين
زيد المنطلق فرقا وهو ان لك في المحبة التي اثبتها طرفا من الجنسية من حيث كان
المعنى ان المحبة مني بجملتها مقصورة عليك ولم تعمد الى محبة واحدة من محبات
الا ترى انك قد اعطيت بقولك انت الحبيب انك لا تحب غيره وان لا محبة لاحد
سواه عندك ولا يتصور هذا في زيد المنطلق لانه لا وجه هنا للجنسية اذ ليس
ثمة الا انطلاق واحد قد عرف المخاطب انه كان واحتاج ان يعين له الذي كان
منه وينص له عليه فان قلت زيد المنطلق في حاجتك تريد الذي من شانه
ان يسعى في حاجتك عرض فيه معنى الجنسية حينئذ على حدها في انت الحبيب وههنا
اصل يجب ان تحكمه وهو ان من شان اسماء الاجناس كلها اذا وصفت ان تتنوع
بالصفة فيصير الرجل الذي هو جنس واحد اذا وصفت فقلت رجل ظريف ورجل طويل
ورجل قصير ورجل شاعر ورجل كاتب انواعا مختلفة يعد كل نوع منها شيئا
على حدة ويستانف في اسم الرجل بكل صفة تقرنها اليه جنسية وكذا القول في
المصادر تقول العلم والجهل والضرب والقتل والسير والقيام والقعود فتجد كل واحد
من هذه المعاني كالرجل والفرس والحمار فاذا وصفت فقلت علم كذا وعلم كذا كقولك
علم ضروري وعلم مكتسب وعلم جلي وعلم خفي وضرب شديد وضرب خفيف وسير
سريع وسير بطيء وما شاكل ذلك انقسم الجنس فيها اقساما وصار انواعا وكان مثلها
مثل الشيء المجموع المؤلف تفرقه فرقا وتشعبه شعبا وهذا مذهب معروف عندهم
واصل متعارف في كل جيل وامة ثم ان ههنا اصلا هو كالمتفرع على هذا الاصل
او كالنظير له وهو ان من شان المصدر ان يفرق بالصلات كما يفرق بالصفات
ومعنى هذا الكلام انك تقول الضرب فتراه جنسا واحدا فاذا قلت الضرب بالسيف
صار بتعديتك له نوعا مخصوصا الا تراك تقول الضرب بالسيف غير الضرب
بالعصا تريد انهما نوعان مختلفان وان اجتماعهما في اسم الضرب لا يوجب
اتفاقهما لان الصلة قد فصلت بينهما وفرقتهما ومن البين في ذلك قول
المتنبي وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الهيجاء غير الطعن في الميدان لولا
ان اختلاف صلة المصدر يقتضي اختلافه في نفسه وان يحدث فيه انقسام

الى السيف صح

وينوع

وينوع لما كان لهذا الكلام معنى ولكان في الاستحالة كقولك والطعن غير
الطعن فقد بان اذا انه انما كان كل واحد من الطعنين جنسا براسه غير
الاخر بان كان هذا في الهيجاء وذاك في الميدان وهكذا الحكم في كل شيء
تعدى اليه المصدر وتعلق به فاختلاف مفعولي المصدر يقتضي اختلافه
وان يكون المتعدي الى هذا المفعول غير المتعدي الى هذا المفعول غير المتعدي
الى ذلك وعلى ذلك تقول ليس اعطاؤك الكثير كاعطائك القليل وهكذا اذا
عديته الى الحال كقولك ليس اعطائك الكثير كاعطائك موسرا وليس بذلك
وانت مقل كبذلك وانت مكثر واذ قد عرفت هذا من حكم المصدر فاعتبر
به حكم الاسم المشتق منه واذا اعتبرت ذلك علمت ان قولك هو الوفي حين
لا يفي احد وهو الواهب المائة المصطفاة وقوله وهو الضارب الكتيبة
والطعنة تغلوا او الضرب اغلى واغلى واشباه ذلك كلها اخبار فيها
معنى الجنسية وانها في نوعها الخاص بمنزلة الجنس المطلق اذا جعلته
خبرا فقلت انت الشجاع فكما انك لا تقصد بقولك انت الشجاع الى
شجاعة بعينها قد كانت وعرفت من انسان واردت ان تعرف ممن كانت
بل تريد ان تقصر جنس الشجاعة عليه ولا تجعل لاحد غيره فيه حظا كذلك
لا تقصد بقولك انت الوفي حين لا يفي احد الى وفاء واحد كيف وانت
تقول لا يفي احد وهكذا محال ان تقصد في قوله هو الواهب المائة المصطفاة
الى هبة واحدة لانه يقتضي ان يقصد الى مائة من الابل قد وهبها مرة
ثم لم يعد لمثلها ومعلوم انه خلاف الغرض لان المعنى انه الذي يهب المائة
المائة ابدا والذي يبلغ عطاؤه هذا المبلغ كما تقول هو الذي يعطي ماد
الالف والالفين وكقوله حاتم الطائي وهاب المائي وذلك اوضح من
ان يخفى واصل اخر وهو ان من حقنا ان مذهب الجنسية في الاسم وهو
خبر غير مذهبها وهو مبتدا اعني تفسير هذا انا وان قلنا ان اللام في قولك
انت الشجاع للجنس كما تقول في قولهم الشجاع موقى والجبان ملقى فان الفرق
بينهما عظيم وذلك ان المعنى في قولك الشجاع موقى انك تثبت الوقاية
لكل ذات من صفتها الشجاعة فهو في معنى قولك الشجعان كلهم موقون
ولست في قولك انت الشجاع كالشجعان على الاطلاق وان كان ذلك ظن كثير
من الناس ولكنك تريد انك تجعل الوقاية تستغرق الجنس وتشمله وتشيع

معسرا صح

فيه واما في قولك انت الشجاع فلا معنى فيه للاستغراق اذ لست تريد ان تقول
انت الشجعان كلهم حتى كانك تذهب به مذهب قولهم انت الخلق كلهم وانت
العالم كما قال ان يجمع العالم في واحد ولكن لحديث الجنسية ههنا ماخذا
غير ذلك وهو انك تعمد بها الى المصدر المشتق منه الصفة وتوجهها
اليه لا الى نفس الصفة ثم لك في توجيهها اليه مسلك دقيق وذلك
انه ليس القصد ان ياتي الى شجاعات كثيرة فتجمعها له وتوحدها فيه ولا
ان تقول ان الشجاعات التي يتوهم وجودها في الموصوفين بالشجاعة هي موجودة
فيه لا فيهم هذا كله محال بل المعنى على انك تقول كنا قد عقلنا الشجاعة وعرفنا
حقيقتها وما هي وكيف ينبغي ان يكون الانسان في اقدامه وبطشه حتى يعلم انه
شجاع على الكمال واستقرينا الناس فلم نجد في واحد منهم حقيقة ما عرفناه
حتى اذا صرنا الى المخاطب وجدناه قد استكمل هذه الصفة واستجمع شرائطها
واخلص جوهرها ورسخ فيه سنخها ويبين لك ان الامر كذلك اتفاق الجميع على
تفسيرهم له بمعنى الكامل ولو كان المعنى على انه استغرق الشجاعات التي يتوهم
كونها في الموصوفين بالشجاعة لما قالوا انه بمعنى الكامل في الشجاعة لان
الكمال هو ان يكون الصفة على ما ينبغي ان يكون عليه وان لا يخالطها
ما يقدح فيها وليس الكمال ان يجمع احاد الجنس وينضم بعضه الى بعض والغرض
اذا بقولنا انت الشجاع هو الغرض بقولهم هذه هي الشجاعة على الحقيقة وما
عداها جبن وهكذا يكون العلم وما عداه تخييل وهذا هو الشعر وما سواه
فليس بشيء وذلك اظهر من ان يخفى وضرب اخر من الاستدلال على بطلان
ان يكون انت الشجاع بمعنى انك كانك جميع الشجعان على حد انت الخلق كلهم
وهو انك في قولك انت الخلق وانت الناس كلهم وقد جمع العالم منك في
واحد تدعي له جميع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير ان تبطل تلك
المعاني وتنفيها عن الناس بل على ان تدعي له امثالها الا ترى انك اذا قلت في
الرجل انه معدود بالف رجل فلست تعني انه معدود بالف لا معنى فيهم ولا
فضيلة لهم بوجه بل تريد انه يعطيك من معاني الشجاعة او العلم او كذا او
كذا مجموعا ما لم يجتمع مقداره مفرقا الا في الف رجل واما في نحو انت الشجاع
فانك تدعي له انه قد انفرد بحقيقة الشجاعة وانه قد اوتي فيها مزية وخاصة
لم يؤتها احد حتى صار الذي كان يعده الناس شجاعة غير شجاعة وحتى كان
كل اقدام احجام وكل قوة عرفت في الحرب ضعف وعلى ذلك قالوا جاد حتى

بخل كل جواد وحتى منع ان يستحق اسم الجواد احد كما قال وانك لا تجود على
جواد هباتك ان يلقب بالجواد وكما يقال جاد حتى كان لم يعرف لاحد جود وحتى
كان قد كذب الواصفون الغيث بالجود كما قال اعطيت حتى تركت الريح حاسرة
وجدت حتى كان الغيث لم يجد هذا   في الذي خصوصا اعلم ان لك
في الذي علما كثيرا واسرارا جمة وخفايا اذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت
على فوائد تونس النفس وتثلج الصدر بما تفضي بك اليه من اليقين وتؤديه اليك
من حسن التبيين والوجه في ذلك ان تتامل عبارات لهم فيه لم وضع ولاي
غرض اجتلب واشياء وصفوه بها فمن ذلك قولهم ان الذي اجتلب ليكون
وصلة الى وصف المعارف بالجمل كما اجتلب ذو ليتوصل به الى الوصف
باسماء الاجناس يعنون بذلك انك تقول مررت بزيد الذي ابوه منطلق
وبالرجل الذي كان عندنا امس فتجدك قد توصلت بالذي الى ان ابنت
زيدا من غيره بالجملة التي هي قولك ابوه منطلق ولولا الذي لم تصل الى
ذلك كما انك تقول مررت برجل ذي مال فتتوصل بذي الى ان تبين
الرجل من غيره بالمال ولولا ذو لم يتات لك ذلك اذ لا تستطيع ان تقول
مررت برجل مال فهذه جملة مفهومة الا ان تحتها خبايا تحتاج الى الكشف
عنها فمن ذلك ان تعلم من اين امتنع ان يوصف المعرفة بالجملة ولم يكن
حالها في ذلك حال النكرة التي تصفها بها في قولك مررت برجل ابوه
منطلق ورايت انسانا يقاد الجنائب بين يديه وقالوا ان السبب في
امتناع ذلك ان الجمل نكرات كلها بدلالة انها تستفاد وانما يستفاد
المجهول دون المعلوم قالوا فلما كانت كذلك كانت وفقا للنكرة
فجاز وصفها بها ولم يجز ان يوصف بها المعرفة اذ لم يكن وفقا
لها والقول البين في ذلك ان يقال انه انما اجتلب حتى اذا كان قد عرف
رجل بقصة وامر جرى له فتخصص تلك القصة به وبذلك الامر عند
السامع ثم اريد القصد اليه ذكر الذي تفسير هذا انك لا تصل الذي
الا جملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وامر قد عرفه
له نحو ان ترى عندك رجلا ينشدك شعرا فتقول له من غد ما فعل الرجل
الذي كان عندك بالامس ينشدك الشعر هذا حكم الجملة بعد الذي اذا انت
وصفت به شيئا فكان معنى قولهم انه اجتلب ليتوصل به الى وصف المعارف

من ص

بالجمل انه جيء به ليُفصل بين ان يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع وبين
ان لا يكون الامر كذلك فان قلت فقد يؤتى بعد الذى بالجملة غير المعلومة
للسامع وذلك حيث يكون الذى خبرا كقولك هذا الذى كان عندك بالامس و
هذا الذى قدم رسولا من الحضرة انت فى هذا وشبهه تعلم المخاطب امرا لم
يسبق له به علم وتفيده فى المشار اليه شيئا لم يكن عنده ولو لم يكن كذلك
لم يكن الذى خبرا اذ كان لا يكون الشيء خبرا حتى تفاد به فالقول فى ذلك
ان الجملة فى هذا النحو وان كان المخاطب لا يعلمها لعين من اشرت اليه
فانه لا بد من ان يكون قد علمها على الجملة وحدث بها فانك على كل حال
لا تقول هذا الذى قدم رسولا لمن لم يعلم ان رسولا قدم ولم يبلغه
ذلك فى جملة ولا تفصيل وكذا لا تقول هذا الذى كان عندك امس
لمن قد نسى انه كان عنده انسان وذهب عن وهمه وانما تقوله لمن
ذاك على ذكر منه الا انه يرى رجلا يقبل من بعيد فلا يعلم انه ذاك و
يظنه انسانا غيره وعلى الجملة فكل عاقل يعلم فرق ما بين الخبر بالجملة
مع الذى وبينها مع غير الذى فليس من احد به طرق الا وهو لا يشك
ان ليس المعنى فى قولك هذا الذى قدم رسولا من الحضرة كالمعنى
اذا قلت هذا قدم رسولا ولا هذا الذى يسكن فى محلة كذا كقولك هذا
يسكن محلة كذا وليس ذلك الا انك فى قولك هذا قدم رسولا من الحضرة
مبتدئ خبرا بامر لم يبلغ السامع ولم يعلمه اصلا وفى قولك هذا الذى
قدم رسولا معلِم فى امر قد بلغه ان هذا صاحبه فلم يخل اذا من الذى
بدأنا به امر الجملة مع الذى من انه ينبغى ان يكون جملة قد سبق من السامع
علم بها فاعرفه فانه من المسائل التى من جهلها جهل كثيرا من المعانى ودخل عليه
الغلط فى كثير من الامور والله المعين

فى الحال لها فصل تعلق بالبلاغة

اعلم ان اول فرق فى الحال انها تجيء مفردا وجملة والقصد هنا
الى الجملة واول ما ينبغى ان يضبط من امرها انها تجيء تارة مع الواو وقولك
اتانى وعليه ثوب ديباج ورأيته وعلى كتفه سيف ولقيت الامير و
الجند حواليه وجائنى زيد وهو متقلد سيفه ومنها ما يجيء بغير واو
جائنى زيد يسعى غلامه بين يديه واتانى عمرو يقود فرسه وفى تمييز ما
يقتضى الواو مما لا يقتضيه صعوبة والقول فى ذلك ان الجملة اذا كانت من

من مبتداء وخبر فالغالب عليها ان تجيء مع الواو كقولك جائنى زيد وعمرو
امامه واتانى وسيفه على كتفه فاذا كان المبتداء من الجملة ضمير ذى الحال لم
يصلح بغير الواو البتة وذلك قولك جائنى زيد وهو راكب ورأيت زيدا وهو
جالس ودخلت عليه وهو على الحديث وانتهيت الى الامير وهو يُعبّى الجند لو
تركت الواو فى شيء من ذلك لم يصلح فلو قلت جائنى زيد هو راكب ودخلت عليه
وهو على الحديث لم يكن كلاما فان كان الخبر فى الجملة من المبتداء والخبر ظرفا
ثم كان قد قدم على المبتداء كقولنا عليه سيف وفى يده سوط كثر ان تجيء
بغير واو فمما جاء منه كذلك قول بشار اذا انكرتنى بلدة او نكرتها
خرجت مع البازى علىّ سواد وقول امية فاشرب هنيئا عليك التاج
مرتفقا فى راس غمدان دارا منك محلالا وقول الاخر لقد صبرت
للذل اعواد منبر تقوم عليها فى يديك قضيب كل ذلك فى موضع الحال
وليس فيه واو كما ترى ولا هو محتمل لها اذا نظرت وقد يجيء ترك الواو فيما
ليس الخبر فيه كذلك ولكنه لا يكثر فمن ذلك قولهم كلمته فوه الى فىّ
ورجع عوده على بدئه فى قول من رفع ومنه بيت الاصلاح نصف النهار
الماء غامره ورفيقه بالغيب لا يدرى ومن ذلك انشده الشيخ ابو على فى
الاغفال فلولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق و
مما ظاهره انه منه قوله اذا اتيت ابا مروان تساله وجدته حاضراه الجود
والكرم فقوله حاضراه الجود جملة من المبتداء والخبر كما ترى وليس فيها
واو والموضع موضع حال الا ترى انك تقول اتيته فوجدته جالسا فيكون
جالسا حالا ذاك لان وجدت فى مثل هذا من الكلام لا تكون المتعدية الى
مفعولين ولكن المتعدية الى مفعول واحد كقولك وجدت الضالة الا انه
ينبغى ان يعلم ان لتقديمه الخبر الذى هو حاضراه تاثيرا فى معنى الغنى عن
الواو وانه لو قال وجدته الجود والكرم حاضراه لم يحسن حسنه الآن وكان
السبب فى حسنه مع التقديم انه يقرب فى المعنى من قولك وجدته حاضره الجود و
الكرم او حاضرا عنده الجود والكرم وان كانت الجملة من فعل وفاعل والفعل
مضارع مثبت غير منفى لم يكد يجيء بالواو بل ترى الكلام على مجيئها عارية
من الواو كقولك جائنى زيد يسعى غلامه بين يديه وكقوله وقد علوت
قتود الرحل يسفعنى يوم قديديمة الجوزاء مسموم وقوله ولقد اغتدى
يدافع ركنى احوذى ذو ميعة اضريج وكذلك قولك جائنى زيد يسرع

لا فصل بين ان يكون الفعل لذي الحال وبين ان يكون لمن هو من سببه فان
ذلك كله يستمر على الغنى عن الواو وعليه التنزيل والكلام ومثاله في التنزيل
قوله تعالى ولا تمنن تستكثر وقوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فاما قول ابن همام السلولي فلما
خشيت اظافيره نجوت وارهنهم مالكا في رواية من روى وارهنهم وما
شبهوه به من قولهم قمت واصك وجهه فليست الواو فيها للحال وليس
المعنى نجوت راهنا وقمت صاكا وجهه ولكن ارهن واصك حكاية حال
مثل قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني فكما ان
امر ههنا في معنى مررت كذلك يكون ارهن واصك هناك في معنى رهنت و
صككت ويبين ذلك انك ترى الفاء تجيء مكان الواو في مثل هذا وذلك
كنحو ما في الخبر في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على ابي رافع اليهودي
حصنه قال فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم لا ادري اين هو من البيت
فقلت يا ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش
فكما ان اضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لانه في المعنى ماض كذلك
يكون ارهنهم معطوفا على الماضي قبله وكما لا يشك في ان المعنى في الخبر
فاهويت فضربت كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت الا ان الغرض
في اخراجه على لفظ الحال ان يحكي الحال في احد الخبرين ويدع الآخر
على ظاهره كما كان ذلك في ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت الا ان
الماضي في هذا البيت مؤخر معطوف وفي بيت ابن همام وما ذكرناه معه
مقدم معطوف عليه فاعرفه فان دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم
فجاء بالواو وبتركها كثيرا وذلك مثل قولهم كنت ولا اخشى بالذئب وقول
مسكين الدارمي اكسبته الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب
وقال مالك بن رفيع وكان جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير يغاني
مصعب وبنو ابيه فاين احيد عنهم لا احيد اقادوا من دمي وتوعدوني
وكنت وما ينهنهني الوعيد كان في هذا كله تامة والجملة الداخل عليها الواو
في موضع الحال الا ترى ان المعنى وجدت غير خاش للذئب ولقد وجد غير
مدعو لاب ووجدت غير منهنه بالوعيد وغير مبال به ولا معنى لجعلها
ناقصة وجعل الواو مزيدة وليس مجيء الفعل المضارع حالا على هذا الوجه
بعزيز في الكلام الا تراك تقول جعلت امشي وما ادري اين اضع رجلي

وجعل يقول ولا يدري وقال ابو الاسود يصيب وما يدري وهو شائع كثير فاما مجيء
المضارع منفيا حالا من غير الواو فيكثر ايضا ويحسن فمن ذلك قوله مضوا لا يريدون
الرواح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قدر وقال ارطاة بن سهية وهو
لطيف جدا ان تلقني لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد
قوله لا ترى في موضع حال ومثله في اللطف والحسن قول اعشى همدان وصحب
عبادي ورقا الى اصبهان فلم يحمده فقال اتينا اصبهان فهزلتنا وكنا قبل
ذلك في نعيم وكان سفاهة مني وجهلا مسيري لا اسير الى حميم قوله لا
اسير الى حميم حال من ضمير المتكلم الذي هو الياء في مسيري وهو فاعل في المعنى فكانه
قال وكان سفاهة وجهلا ان سرت غير سائر الى حميم وان ذهبت غير متوجه
الى قريب وقال خالد بن يزيد بن معوية لو ان قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء
دخلتها لا احجب وهو كثير الا انه لا يهتدي الى وضعه بالموضع المرضي الا من كان
صحيح الطبع ومما يجيء بالواو وغير الواو الماضي وهو لا يقع حالا الا مع قد مظهرة
او مقدرة اما مجيئها بالواو فالكثير الشائع كقولك اتاني وقد جهده السير واما
بغير الواو فكقوله متى ارى الصبح قد لاحت مخائله والليل قد مزقت عنه السرابيل
وقول الآخر فآبوا بالرماح مكسرات وابنا بالسيوف قد انحنينا وقال آخر وهو
لطيف جدا يمشون قد كسروا الجفون الى الوغى متبسمين وفيهم استبشار و
مما يجيء بالواو في الاكثر الاشيع ثم ياتي في مواضع بغير الواو فيلطف مكانه
ويدل على البلاغة الجملة قد دخلها ليس تقول اتاني وليس عليه ثوب ورأيته وليس
معه غيره فهذا هو المعروف المستعمل ثم قد جاء بغير الواو فكان من الحسن على ما
ترى وهو قول الاعرابي لنا فتى واحبذا الافتاء تعرفه الارسان والدلاء
اذا جرى في كفه الرشاء خلي القليب ليس فيه ماء ومما ينبغي ان يراعى في هذا الباب
انك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو ويحسن ذلك ثم تنظر فترى ذلك انما حسن
من اجل حرف دخل عليها مثاله قول الفرزدق فقلت عسى ان تبصريني كانما بني
حوالي الاسود الحوارد فقوله كانما بني الخ في موضع الحال من غير شبهة ولو
انك تركت كان فقلت عسى ان تبصريني بني حوالي كالاسود رايته لا يحسن
حسنه الآن ورايت الكلام يقتضي الواو كقولك عسى ان تبصريني وبني حوالي
كالاسود الحوارد وشبيه بذلك انك ترى الجملة قد جاءت حالا بعقب مفرد
فلطف مكانها ولو انك اردت ان تجعلها حالا من غير ان يتقدمها ذلك
المفرد لم يحسن مثال ذلك قول ابن الرومي والله يبقيك لنا سالما بُرداك

تبجيل وتعظيم فقوله برداك تبجيل في موضع حال ثانية ولو انك اسقطت الواو
من البيت فقلت والله يبقيك برداك تبجيل لم يكن شيئا واذ قد رايت الجمل الواقعة
حالا قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر فلا بد من ان يكون ذلك
انما كان لاجل علل توجبه واسباب تقتضيه فمحال ان يكون ههنا جملة لا
يصلح الا مع الواو واخرى لا يصلح فيها الواو وثالثة يصلح ان تجيء فيها بالواو
وان تدعها فلا تجيء بها ثم لا يكون لذلك سبب وعلة وفي الوقوف على العلة في
ذلك اشكال وغموض ذاك لان الطريق اليه غير مسلوك والجهة التي منها
تعرف غير معروفة وانا اكتب لك اصلا في الخبر اذا عرفته انفتح لك وجه العلة
في ذلك اعلم ان الخبر ينقسم الى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه و
خبر ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له فالاول خبر المبتدأ
كمنطلق في قولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين
جزء من الجملة وهو الاصل في الفائدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد
راكبا وذلك لان الحال خبر في الحقيقة من حيث انك تثبت بها المعنى لذي الحال
كما يثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل الا تراك قد اثبت الركوب في
قولك جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق انك جئت به لتزيد معنى في اخبارك
عنه بالمجيء وهو ان تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد اثباتك للركوب ولم
تباشره به ابتداء بل بدأت فاثبت المجيء ثم وصلت به الركوب فالتبس به الاثبات
على سبيل التبع لغيره وبشرط ان يكون في صلته واما في الخبر المطلق نحو زيد
منطلق وخرج عمرو فانك اثبت المعنى اثباتا جردته له وجعلته يباشره من غير
واسطة ومن غير ان تتسبب بغيره اليه واذ قد عرفت هذا فاعلم ان كل جملة وقعت
حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لاجل انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها
فضممته الى الفعل الاول في اثبات واحد وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو
فذاك لانك مستانف بها خبرا وغير قاصد ان تضمها الى الفعل الاول في الاثبات
تفسير هذا انك اذا قلت جاءني زيد يسرع كان بمنزلة قولك جاءني مسرعا في انك
تثبت مجيئا فيه اسراع وتصل احد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبرا واحدا و
تريد ان تقول جاءني كذلك وجاءني بهذه الهيئة وهكذا قوله وقد علوت
قتود الرحل يسفعني يوم قديديمة الجوزاء مسموم كانه قال وقد علوت قتود
الرحل بارزا للشمس ضاحيا وكذلك قوله متى ارى الصبح قد لاحت مخايله
لانه في معنى متى ارى الصبح باديا لائحا بينا متجليا وعلى هذا القياس ابدا

واذا قلت جاءني وغلامه يسعى بين يديه ورايته وسيفه
على كتفه كان المعنى على انك بدأت فاثبت المجيء والرؤية ثم
استانفت خبرا وابتدأت اثباتا ثانيا لسعي الغلام
بين يديه ولكون السيف على كتفه ولما كان المعنى على استئناف
الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجيء بالواو
كما جيء بها في قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب والعلم
حسن والجهل قبيح وتسميتنا لها واو حال لا يخرجها عن ان
تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة ونظيرها في هذا الفاء في جواب
الشرط نحو ان تاتني وانت مكرم فانها وان لم تكن عاطفة
فان ذلك لا يخرجها من ان تكون بمنزلة العاطفة في انها جاءت
لتربط جملة ليس من شانها ان ترتبط بنفسها واعرف ذلك ونزل
الجملة في نحو جاءني زيد يسرع وقد علوت قتود الرحل يسفعني
يوم منزلة الجزاء الذي يستغني عن الفاء لان من شانه ان
يرتبط بالشرط من غير رابط وهو قولك ان تعطني اشكرك ونزل
الجملة في جاءني زيد وهو راكب منزلة الجزاء الذي ليس من
شانه ان يرتبط بنفسه ويحتاج الى الفاء كالجملة في نحو ان
تاتني وانت مكرم قياسا سويا وموازنة صحيحة فان قلت
قد علمنا ان علة دخول الواو على الجملة ان تستانف الاثبات
ولا تصل المعنى الثاني بالاول في اثبات واحد ولا تنزل الجملة
منزلة المفرد ولكن بقي ان تعلم لم كان بعض الجمل بان يكون
تقديرها تقدير المفرد في ان لا يستانف بها الاثبات اولى من
بعض وما الذي منع في قولك جاءني زيد وهو مسرع او وهو
يسرع ان يدخل الاسراع في صلة المجيء ويضامه في الاثبات كما كان
ذلك حين قلت جاءني زيد يسرع فالجواب ان السبب في ذلك ان المعنى
في قولك جاءني زيد وهو يسرع على استئناف اثبات للسرعة ولم
يكن ذلك في جاءني زيد يسرع وذلك انك اذا اعدت ذكر زيد فجئت
بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة ان تعيد اسمه صريحا فتقول
جاءني زيد وزيد يسرع في انك لا تجد سبيلا الى ان تدخل يسرع
في صلة المجيء وتضمه اليه في الاثبات وذلك ان اعادتك ذكر زيد

لا تكون حتى تقصد استيناف الخبر عنه بانه مسرع وحتى تبتدئ اثباتا
للسرعة لانك ان لم تفعل ذلك تركت المبتداء الذي هو ضمير زيد
او اسمه الظاهر بغير خبر وجعلته لغوا في البين وجرى مجرى ان
تقول جاءني زيد وعمرو يسرع امامه ثم تزعم انك لم تستانف كلاما
ولم تبتدئ للسرعة اثباتا وان حال يسرع ها هنا حاله اذا قلت
جاءني زيد مسرعا فجعلت السرعة له ولم تذكر عمروا وذلك
فان قلت انما استحال في قولك جاءني زيد وعمرو يسرع امامه ان
ترد يسرع الى زيد وتنزله منزلة قولك جاءني زيد يسرع من حيث
كان في يسرع ضمير لعمرو وتضمنه ضمير عمرو يمنع ان يكون لزيد وان
تقدر حالا له وليس كذلك جاءني زيد وهو يسرع لان السرعة هناك
لزيد لا محالة فكيف ساغ ان تقيس احدى المسئلتين على الاخرى
قيل ليس المانع ان يكون يسرع في قولك جاءني زيد وعمرو
يسرع امامه حالا من زيد انه فعل لعمرو وانك لو اخرت عمرا فرفعته
بيسرع واولت يسرع زيدا فقلت جاءني زيد يسرع عمرو امامه
وجدته قد صلح حالا لزيد مع انه فعل لعمرو وانما المانع ما عرفتك
من انك تدع عمرا بمضيعة وتجئ بمبتداء ثم لا تعطيه خبرا ومما يدل
على فساد ذلك انه يؤدي الى ان يكون يسرع قد اجتمع في موضعه
الرفع والنصب وذلك ان جعله حالا من زيد يقتضي ان يكون
في موضع نصب وجعله خبرا عن عمرو المرفوع بالابتداء يقتضي ان
يكون في موضع رفع وذلك بين التدافع ولا يجب هذا التدافع اذا
اخرت عمرا فقلت جاءني زيد يسرع عمرو امامه لانك حينئذ ترفعه
بيسرع على انه فاعل له واذا ارتفع به لم يوجب في موضعه اعرابا فيبقى
مفرغا الا ان يعتبر به النصب على انه حال من زيد وجرى مجرى ان
تقول جاءني زيد مسرعا عمرو امامه فان قلت فقد ينبغي على هذا الاصل
ان لا تجئ جملة من مبتدا وخبر حالا الا مع الواو وقد ذكرت قبل ان ذلك
قد جاء في مواضع من كلامهم فالجواب ان القياس والاصل ان
لا تجئ جملة من مبتداء وخبر حالا الا مع الواو واما الذي جاء من ذلك
فسبيله سبيل الشئ يخرج عن اصله وقياسه والظاهر فيه بضرب من التاويل
ونوع من التشبيه فقولهم كلمته فوه الى في انما حسن بغير واو من اجل

ان

ان المعنى كلمته مشافها له وكذلك قولهم رجع عوده على بدئه انما جاء
الرفع فيه والابتداء من غير واو لان المعنى رجع ذاهبا في طريقه
الذي جاء فيه واما قوله وجدته حاضراه الجود والكرم فلان
تقديم الخبر الذي هو حاضراه يجعل كانه قال وجدته حاضرا عنده
الجود والكرم وليس الحمل على المعنى وتنزيل الشئ منزلة غيره بعزيز
في كلامهم وقد قالوا زيد اضرب به واجازوا ان يكون مثال
الامر في موضع الخبر لان المعنى على النصب نحو اضرب زيدا ووضعت
الجملة من المبتداء والخبر موضع الفعل والفاعل في نحو قوله تعالى
ادعوتموهم ام انتم صامتون لان الاصل في المعادلة ان تكون
الثانية كالاولى نحو ادعوتموهم ام صمتم ويدل على ان ليس مجئ
الجملة من المبتداء والخبر حالا بغير الواو اصلا قلته وانه لا يجئ
الا في الشئ بعد الشئ هذا ويجوز ان يكون ما جاء من ذلك انما
جاء على ارادة الواو كما جاء الماضي على ارادة قد واعلم ان الوجه
فيما كان مثل قول بشار خرجت مع البازي علي سواد
ان يؤخذ فيه بمذهب ابي الحسن فيرفع سواد بالظرف دون
الابتداء ويجرى الظرف ها هنا مجراه اذا اجريت الجملة صفة على
النكرة نحو مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وذلك ان صاحب
الكتاب يوافق ابا الحسن في هذا الموضع فيرفع صقرا بما في معه من
معنى الفعل فلذلك يجوز ان تجرى الحال مجرى الصفة فيرفع الظاهر
بالظرف اذا هو جاء حالا فيكون ارتفاع سواد بما في على من معنى
الفعل لا بالابتدا ثم ينبغي ان يقدر ها هنا خصوصا ان الظرف في
تقدير اسم فاعل لا فعل اعني ان يكون المعنى خرجت كائنا على سواد
او باقيا على سواد ولا يقدر خرجت يكون على سواد او يبقى على سواد
الليل الا ان تقدر فيه فعلا ماضيا مع قد كقولك خرجت مع البازي
قد بقي على سواد والاول اظهر واذا تاملت الكلام وجدت
الظرف وقد وقع مواقع لا يستقيم فيها الا ان يقدر تقدير اسم
فاعل ولذلك قال ابو بكر في قولنا زيد في الدار انك مخير بين ان
تقدر فيه فعلا فتقول استقر في الدار واذا عاد الامر الى هذا كان
الحال في ترك الواو ظاهرة وكان سواد في قوله خرجت على سواد

تمام

بمنزلة قضاء الله في قوله ساغسل عنى العار بالسيف جالباً على
قضاء الله ما كان جالباً في كونه اسماً ظاهراً قد ارتفع باسم فاعل قد اعتمد
على ذي حال فعمل عمل الفعل ويدلك على ان التقدير فيه ما ذكرت
وانه من اجل ذلك حسن انك تقول جاءني زيد والسيف على
كتفه وخرج والتاج عليه فتجده لا يحسن الا بالواو وتعلم انك لو قلت
جاءني زيد السيف على كتفه وخرج التاج عليه كان كلاماً نافراً لا يكاد
يقع في الاستعمال وذلك لانه بمنزلة قولك جاءني وهو متقلد سيفه
وخرج وهو لابس التاج في ان المعنى على انك استانفت كلاماً
وابتدات اثباتاً وانك لم ترد جاءني كذلك ولكن جاءني وهو كذلك
واعرفه

القول في الفصل والوصل

اعلم ان العلم
بما ينبغي ان يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض او ترك العطف
فيها والمجيء بها منثورة تستانف واحدة منها بعد اخرى من اسرار
البلاغة ومما لا يتاتى لتمام الصواب فيه الا الاعراب الخلص والا قوم
طبعوا على البلاغة واوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها افراد
وقد بلغ من قوة الامر في ذلك انهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء
عن بعضهم انه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل وذاك لغموضه
ودقة مسلكه وانه لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه احد الا كمل لسائر معاني
البلاغة واعلم ان سبيلنا ان ننظر الى فائدة العطف في المفرد ثم نعود
الى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها ومعلوم ان فائدة العطف في المفرد
ان يشرك الثاني في اعراب الاول وانه اذا اشركه في اعرابه فقد
اشركه في حكم ذلك الاعراب نحو ان المعطوف على المرفوع بانه فاعل
مثله والمعطوف على المنصوب بانه مفعول به او فيه او له شريك
له في ذلك واذا كان هذا اصله في المفرد فان الجمل المعطوف بعضها
على بعض على ضربين احدهما ان يكون للمعطوف عليها موضع من الاعراب و
اذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد اذ لا يكون للجملة موضع من
الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجملة الاولى واقعة
موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على
المفرد وكان وجه الحاجة الى الواو ظاهراً والاشراك بها في الحكم موجوداً
واذا قلت مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت قد اشركت الجملة

الثانية

الثانية في حكم الاولى وذلك الحكم كونها في موضع جر بانها صفة
للنكرة الظاهرة فيذلك تكثر والامر فيه يسهل والذي يشكل امره
هو الضرب الثاني وذلك ان تعطف على الجملة العارية الموضع عن الاعراب
جملة اخرى في ذلك زيد قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل
قبيح لا سبيل لنا الى ان ندعي ان الواو اشركت الثانية في اعراب قد
وجب للاولى بوجه من الوجوه واذا كان كذلك فينبغي ان يعلم
المطلوب من هذا العطف والمغزى منه ولم لم يستو الحال بين ان
تعطف وبين ان تدع العطف فتقول زيد قائم عمرو قاعد بعد
ان لا يكون هاهنا امر معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين
الاولى والثانية فيه واعلم انه انما يعرض الاشكال في الواو دون
غيرها من حروف العطف وذاك لان تلك تفيد مع الاشراك
معاني مثل ان الفاء توجب الترتيب من غير تراخ وثم توجبه
مع تراخ واو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لاحدهما لا
بعينه واذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة
واذا قلت اعطاني فشكرته ظهر بالفاء ان الشكر كان معقباً
على العطاء ومسبباً عنه واذا قلت خرجت ثم خرج زيد
افادت ثم ان خروجه كان بعد خروجك وان
مهلة وقعت بينهما واذا قلت يعطيك او يكسوك دلت
او على انه يفعل واحداً منهما لا بعينه وليس للواو معنى
سوى الاشراك في الحكم الذي يقتضيه الاعراب الذي اتبعت
فيه الثاني الاول واذا قلت جاءني زيد وعمرو لم تفد
الواو شيئاً اكثر من اشراك عمرو في المجيء الذي اثبته
لزيد والجمع بينه وبينه ولا يتصور اشراك بين
شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشراك
فيه واذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا في قولنا زيد
قائم وعمرو قاعد معنى تزعم ان الواو اشركت بين هاتين
الجملتين فيه ثبت اشكال المسئلة ثم ان الذي توجبه النظر

وللتامل ان يقال في ذلك انا وان كنا اذا قلنا زيد قائم
وعمرو قاعد لا نرى هاهنا حكما نزعم ان الواو جاءت
للجمع بين الجملتين فيه فانا نرى امرا اخر نحصل منه على
معنى الجمع وذلك انا لا نقول زيد قائم وعمرو قاعد حتى
يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين
وبحيث اذا عرف السامع حال الاول عناه ان يعرف حال
الثاني يدلك على ذلك انك ان جئت فعطفت على الاول
شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر ويتصل حديثه بحديثه
لم يستقم فلو قلت خرجت اليوم من داري ثم قلت
احسن الذي يقول بيت كذا قلت ما يضحك منه ومن هاهنا
عابوا ابا تمام في قوله لا والذي هو عالم ان النوى صبر وان
ابا الحسين كريم وذلك لانه لا مناسبة بين كرم
ابي الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لاحدهما بالاخر وليس
يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك واعلم انه كما يجب ان يكون
المحدث عنه في احدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الاخرى
كذلك ينبغي ان يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه
والنظير او النقيض للخبر عن الاول فلو قلت زيد طويل
القامة وعمرو شاعر كان خلفا لانه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول
القامة وبين الشعر وانما الواجب ان يقال زيد كاتب وعمرو
شاعر وزيد طويل القامة وعمرو قصير وجملة الامر انها
لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقا للمعنى في الاخرى ومضاما
له مثل ان زيدا وعمرا اذا كانا اخوين او نظيرين او مشتبكي الاحوال
على الجملة كانت الحال التي يكون عليها احدهما من قيام او قعود
او ما شاكل ذلك مضمومة في النفس الى الحال التي يكون عليها
الاخر من غير شك وكذا السبيل ابدا والمعاني في ذلك
كالاشخاص فانما قلت مثلا العلم حسن والجهل قبيح لان كون
حسنا مضموم في العقول الى كون الجهل قبيحا واعلم انه اذا

كان

اذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا هو يقول ويفعل ويضر
وينفع ويسيء ويحسن ويامر وينهى ويحل ويعقد وياخذ ويعطي ويبيع
ويشتري وياكل ويشرب واشباه ذلك ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا وكان
الامر حينئذ صريحا وذلك انك اذا قلت هو يضر وينفع كنت قد افدت
بالواو انك اوجبت له الفعلين جميعا وجعلته يفعلهما معا ولو قلت يضر
ينفع من غير واو لم يجب ذلك بل قد يجوز ان يكون قولك ينفع رجوعا عن
قولك يضر وابطالا له واذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة ازداد
الاشتباك والاقتران حتى لا يتصور تقدير افراد في احدهما عن الاخر وذلك في
مثل قولك العجب من اني احسنت واسات ويكفيك ما قلت وسمعت
وايحسن ان تنهى عن شيء وتاتي مثله وذلك انه لا يشتبه على عاقل ان المعنى
على جعل الفعلين في حكم فعل واحد ومن البين في ذلك قوله
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا المعنى
لا تطمعوا ان تروا اكرامنا قد وجد مع اهانتكم وجامعها في الحصول ومما له
ماخذ لطف في هذا الباب قول ابي تمام لهان علينا ان نقول
وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا واعلم انه كما كان في الاسماء ما
يصله معناه بالاسم قبله يستغني بصلة معناه له عن واصل ورابط يربطه
وذلك كالصفة التي لا يحتاج في اتصالها بالموصوف الى شيء يصلها به وكالتاكيد
الذي لا يفتقر كذلك الى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون في الجمل ما تتصل من
ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها وهي
كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت اذا حصلت لم تكن
شيئا سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتاكيد غير المؤكد واذا قلت
جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم عن زيد وغير القوم ومثال
ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قوله لا ريب
فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة
ان تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته
وليس تثبيت الخبر غير الخبر ولا شيء يتميز عنه فيحتاج الى ضام اليه وعاطف
يعطفه عليه ومثل ذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم

ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم قوله لا يؤمنون تاكيد ثان ابلغ من الاول لان من كان
حاله اذا انذر مثل حاله اذا لم ينذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعا
على قلبه لا محالة وكذلك قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله انما قيل يخادعون الله
ولم يقل ويخادعون لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم امنا من غير
ان يكونوا مؤمنين فهو اذن كلام اكد به كلام اخر هو في معناه وليس شيئا
سواه وهكذا قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وذلك لان معنى قولهم
انا لم نؤمن بالنبي ولم نترك اليهودية وقولهم انما نحن مستهزءون خبر
بهذا المعنى بعينه لانه لا فرق بين ان يقولوا انا لم نقل ما قلناه من انا امنا
الا استهزاء وبين ان يقولوا انا لم نخرج من دينكم وانا معكم بل هما في حكم الشيء
الواحد فصار كانهم قالوا انا معكم لم نفارقكم وكما لا يكون انا لم نفارقكم
شيئا غير انا معكم كذلك لا يكون انما نحن مستهزءون غيره واعرفه ومن الواضح
البين في ذلك المعنى قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا ولى مستكبرا كان لم
يسمعها كان في اذنيه وقرا لم يات معطوفا نحو وكان في اذنيه وقرا لان
هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع الا ان الثاني ابلغ واكد في الذي اريد
وذلك ان المعنى في التشبيهين جميعا ان ينفي ان يكون لتلاوة ما تلي عليه
فائدة معه ويكون لها تاثير فيه وان تجعل تليت عليه اذا لم تتل وشبيهه
في ان التشبيه بمن في اذنيه وقرا ابلغ واكد في جعله كذلك من حيث كان من
لا يصح منه السمع وان اراد ذلك ابعد ان يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة
من الذي يصح منه السمع الا انه لا يسمع اما اتفاقا واما قصدا الى ان
لا يسمع فاعرفه واحسن تدبره ومن اللطيف في ذلك قوله ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم وذلك ان قوله ان هذا الا ملك كريم مشابك
لقوله ما هذا بشرا وداخل في ضمنه من ثلاثة اوجه وجهان هو فيهما شبيه
بالتاكيد ووجه هو فيه شبيه بالصفة فاحد وجهي كونه شبيها با
لتاكيد هو انه اذا كان ملكا لم يكن بشرا واذا كان كذلك كان اثبات

كونه

كونه ملكا تحقيقا لا محالة وتاكيدا لنفي ان يكون بشرا والوجه الثاني
ان الجاري في العرف والعادة انه اذا قيل ما هذا بشرا وما هذا
بآدمي والحال حال تعظيم وتعجب مما تشاهد في الانسان من حسن
خلق او خلق ان يكون الغرض والمراد من الكلام ان يقال انه ملك وان
يكنى به عن ذلك حتى انه يكون مفهوم اللفظ واذا كان مفهوما
من اللفظ قبل ان يذكر كان ذكره اذا ذكر تاكيدا لا محالة لان حد
التاكيد ان تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ اخر قد سبق منك افلا
ترى انه انما كان كلهم في قولك جاءني القوم كلهم تاكيدا من حيث كان
الذي فهم منه من الشمول قد فهم بديا من ظاهر لفظ القوم ولو انه
لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم ولا كان هو من موجبه لم يكن كل
تاكيدا ولكان الشمول مستفادا من كل ابتداء واما الوجه الثالث
الذي هو فيه شبيه بالصفة فهو انه اذا نفي ان يكون بشرا فقد اثبت
له جنس سواه اذ من المحال ان يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس
اخر واذا كان الامر كذلك كان اثباته ملكا تبيينا وتعيينا لذلك الجنس
الذي اريد ادخاله فيه واغناء ان يحتاج الى ان يسال فيقال فان
لم يكن بشرا فما هو وما جنسه كما انك اذا قلت مررت بزيد الظريف
كان الظريف تبيينا وتعيينا للذي اردت من بين من له هذا الاسم و
كنت قد اغنيت المخاطب عن الحاجة الى ان يقول اي الزيدين اردت
ومما جاء فيه الاثبات بان والا على هذا الحد قوله عز وجل وما
علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين وقوله وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى افلا ترى ان الاثبات في الايتين
جميعا تاكيد لنفي ما نفي واثبات ما علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
واوحي اليه ذكرا وقرانا تاكيد وتثبيت لنفي ان يكون قد علم الشعر
وكذلك اثبات ما يتلوه عليهم وحيا من الله تعالى تاكيد وتقرير لنفي
ان يكون نطق به عن هوى واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة
انت تقول فيه انه خفي غامض ودقيق صعب الا وعلم هذا الباب

اغمض منه واخفى وادق واصعب وقد قنع الناس فيه بان يقولوا
اذا راوا جملة قد ترك فيها العطف ان الكلام قد استونف وقطع
عما قبله لا تطلب انفسهم منهم زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة
شديدة ومما هو اصل في هذا الباب انك قد ترى الجملة
وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن الى ما قبله ثم تراها
قد وجب فيها ترك العطف لامر عرض فيها صارت به اجنبية مما
قبلها مثال ذلك قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون الظاهر كما لا يخفى يقتضي ان يعطف على ما قبله من قوله انما نحن
مستهزئون وذلك انه ليس باجنبي منه بل هو نظير ما جاء معطوفا
من قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقوله ومكروا
ومكر الله وما اشبه ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر ثم انك تجده
قد جاء غير معطوف وذلك لامر اوجب ان لا يعطف وهو ان قوله
انما ان قوله انما نحن مستهزئون حكاية عنهم انهم قالوا وليس بخبر من
الله تعالى وقوله تعالى الله يستهزئ بهم خبر من الله انه يجازيهم على كفرهم
واستهزائهم واذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة ان يكون
الذي هو خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم ولايجاب ذلك ان
يخرج من كونه خبرا من الله تعالى الى كونه حكاية عنهم والى ان يكونوا قد شهدوا
على انفسهم بانهم مؤاخذون وان الله معاقبهم عليه وليس
كذلك الحال في قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله لان
الاول من الكلامين فيهما كالثاني في انه خبر من الله تعالى وليس بحكاية وهذا
هو العلة في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون انما جاء انهم هم المفسدون
مستانفا مفتتحا بالا لانه خبر من الله تعالى بانهم كذلك والذي قبله من
قوله انما نحن مصلحون حكاية عنهم فلو عطف للزم عليه مثل الذي قدمت ذكره
من الدخول في الحكاية ولصار خبرا من اليهود ووصفا منهم لانفسهم بانهم
مفسدون ولصار كانه قيل قالوا انما نحن مصلحون وقالوا انهم

هم المفسدون وذلك مما لا يشك في فساده وكذلك قوله واذا قيل لهم آمنوا كما
آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
لو عطف انهم هم السفهاء على ما قبله لكان يكون قد ادخل في الحكاية ولصار حديثا
منهم عن انفسهم بانهم هم السفهاء من بعد ان زعموا انهم انما تركوا ان يؤمنوا
لئلا يكونوا من السفهاء على ان في هذا امرا اخر وهو ان قوله انؤمن استفهام
ولا يعطف الخبر على الاستفهام فان قلت هذه كان يجوز ان يعطف قوله
الله يستهزئ بهم على قالوا من قوله قالوا انا معكم لا على ما بعده وكذلك كان
يفعل في انهم هم السفهاء وانهم هم المفسدون وكان يكون نظير قوله تعالى
وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وذلك ان قوله ولو
انزلنا ملكا معطوف من غير شك على قالوا دون ما بعده قيل ان حكم
قالوا فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الاية التي ذكرت وذلك ان قالوا ها هنا
جواب شرط فلو عطف قوله الله يستهزئ بهم عليه للزم ادخاله في حكمه من
كونه جوابا وذلك لا يصح وذاك انه متى عطف على جواب الشرط شيء بالواو
كان ذلك على ضربين احدهما ان يكونا شيئين يتصور وجود كل واحد منهما من
دون الاخر ومثاله قولك ان تاتني اعطك واكسك والثاني
ان يكون المعطوف شيئا لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ويكون
الشرط لذلك سببا فيه بوساطة كونه سببا للاول ومثاله قولك
اذا رجع الامير الى الدار استاذنته وخرجت والخروج لا يكون حتى
يكون الاستيذان وقد صار الرجوع سببا في الخروج من اجل كونه
سببا في الاستيذان فيكون المعنى في مثل هذا على كلامين نحو اذا
رجع الامير استاذنت واذا استاذنت خرجت واذ قد عرفت
ذلك فانه لو عطف قوله تعالى الله يستهزئ بهم على قالوا كما زعمت كان
الذي يتصور فيه ان يكون من هذا الضرب الثاني وان يكون المعنى
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون واذا
قالوا ذلك استهزا الله بهم ومدهم في طغيانهم وهذا وان كان
يرى انه يستقيم فليس هو بمستقيم وذلك ان الجزا انما هو على نفس الاستهزا
وفعلهم له وارادتهم اياه في قولهم انا امنا لا على انهم حدثوا عن انفسهم

بانا مستهزؤن انهم لو كانوا قالوا للكبراء انهم انما نحن مستهزؤن وهم يريدون
بذلك دفعهم عن انفسهم بهذا الكلام وان يتسلموا من شرهم وان توهموهم
انهم منهم وان لم يكونوا كذلك لكان لا يكون عليهم مؤاخذة فيما قالوه من
حيث كانت المواخذة تكون على اعتقاد الاستهزا والخديعة في اظهار الايمان
لا في القول انا استهزانا من غير ان يقترن بذلك القول اعتقاد ونية
هذا وها هنا امر سوى ما مضى يوجب الاستيناف وترك العطف وهو
ان الحكاية عنهم بانهم قالوا كيت وكيت تحرك السامع لان يعلم مصير
امرهم وما يصنع بهم واتنزل بهم النقمة عاجلا ام لا تنزل ويمهلون
وتوقع في نفوسهم التمني لان يتبين لهم ذلك واذا كان كذلك كان هذا
الكلام الذي هو قوله الله يستهزئ بهم في معنى ما صدر جوابا عن هذا
المقدر وقوعه في نفوس السامعين واذا كان مصدره كذلك كان
حقه ان يؤتى به مبتدا غير معطوف ليكون في صورته اذا قيل فان سالتم
قيل لكم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واذا استقريت
وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم الكلام اذا جاء بعقب ما
يقتضي سؤالا منزلته اذا صرح بذلك السؤال كثيرا فمن لطيف ذلك
قوله زعم العواذل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي
لما حكى عن العواذل انهم قالوا هو في غمرة وكان ذلك مما يحرك السامع
لان يسئلي فيقول فما قولك في ذلك وما جوابك عنه اخرج الكلام
مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له وصار كانه قال اقول صدقوا
انا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في فلاحي ولو قال زعم العواذل
انني في غمرة وصدقوا لكان يكون لم يصح في نفسه انه مسؤل وان
كلامه كلام مجيب ومثله قول الآخر في الحماسة زعم العواذل
ان ناقة جندب بجنوب خبت عريت واجمت كذب العواذل لو راين مناخنا
بالقادسية قلن لج وذلت وقد زاد هذا امر القطع والاستيناف
وتقدير الجواب تاكيدا بان وضع الظاهر موضع المضمر فقال
كذب العواذل ولم يقل كذبن وذلك انه لما اعاد ذكر العواذل
ظاهرا كان ذلك ابين واقوى لكونه كلاما مستانفا

من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه الى ما قبله واتى به ماتى
ما ليس قبله كلام ومما هو على ذلك قوله زعمتم ان اخوتكم
قريش لهم الف وليس لكم الاف وذلك ان قوله لهم
الف تكذيب لدعواهم انهم من قريش فهو اذن بمنزلة
ان يقول كذبتم لهم الف وليس لكم ذلك ولو قال زعمتم
ان اخوتكم قريش ولهم الف وليس لكم الاف لصار بمنزلة
ان يقول زعمتم ان اخوتكم قريش وكذبتم في انه كان
يخرج عن ان يكون موضوعا على انه جواب سائل يقول
له فماذا تقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم فاعرفه
واعلم انه لو اظهر كذبتم لكان يجوز له ان يعطف هذا
الكلام الذي هو قوله لهم الف عليه بالفا فيقول كذبتم
فلهم الف وليس لكم ذلك فاما الان فلا مساغ لدخول
الفا التي لانه يصير حينئذ معطوفا بالفاء على قوله زعمتم
ان اخوتكم قريش وذلك يخرج الى المحال من حيث يصير
كانه يستشهد بقوله لهم الف على ان هذا الزعم كان
منهم كما انك اذا قلت كذبتم فلهم الف كنت قد استشهدت
بذلك على انهم كذبوا فاعرف ذلك ومن اللطيف في
الاستيناف على معنى جعل الكلام جوابا في التقدير
قول اليزيدي ملكته حبلي ولكنه القاه من زهد على
غاربي وقال انني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب
استانف قيل له فما تقول فيما اتهمك به من انك كاذب
فقال اقول انتقم الله من الكاذب ومن النادر
في ذلك ايضا قول الآخر قال لي كيف انت قلت عليل سهر
دائم وحزن طويل لما كان في العادة اذا قيل للرجل
كيف انت فقال عليل ان يسئل ثانيا فيقال ما بك
وما علتك قدر كانه قد قيل له ذلك فاتى بقوله سهر دائم
وحزن طويل جوابا عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الكلام

قوله

قول اليزيدي

واغرفني ومن الحسن البين في ذلك قول المتنبي وما عفت
الرياح له محلاً عفاه من حدا بهم وساقا لما نفى ان يكون
الذي يرى به من الدروس والعفا من الرياح وان تكون
التي فعلت ذلك وكان في العادة اذا نفي الفعل الموجود
الحاصل عن واحد فقيل لم يفعل فلان ان يقال فمن فعل
قدر كان قائلاً قد قال قد زعمت ان الرياح لم تعف له محلاً
فما عفاه اذن فقال مجيبا له عفاه من حداهم وساقا ومثل
قول الوليد بن يزيد عرفت المنزل الخالي عفاه من بعد
احوال عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال لما قال عفا من بعد
احوال قدر كان قيل له فما عفاه فقال عفاه كل حنان واعلم
ان السؤال اذا كان مذكوراً ظاهراً في مثل كان للاكثر ان
لا يذكر الفعل في الجواب ويقتصر على الاسم وحده فاما مع
الاضمار فلا يجوز الا ان يذكر الفعل بفسر هذا انه يجوز لك
اذا قيل ان كانت الرياح لم تعف فما عفاه ان تقول من حد
انهم وساقا ولا تقول عفاه من حداهم كما تقول في جواب
من يقول من فعل هذا زيد ولا يجب ان يقول فعل زيد واما
اذا لم يكن السؤال مذكوراً كالذي على البيت فانه لا يجوز ان يترك
ذكر الفعل فلو قلت مثلاً وما عفت الرياح له محلاً من حد
انهم وساقا تزعم اني اردت عفاه من حداهم ثم تركت ذكر
الفعل احلت لانه انما يجوز تركه اذا كان السؤال مذكوراً لان
ذكره فيه يدل على ارادته في الجواب فاذا لم يؤت بالسؤال لم يكن
الى العلم به سبيل واعرف ذلك. واعلم ان الذي تراه في التنزيل
من لفظ قال مفصولاً غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله
اعلم اعني مثل قوله هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ
الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف جاء على ما يقع في انفس المخلوقين

من

لوليد بن يزيد

من السؤال فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين اذا قيل
لهم دخل قوم على فلان فقالوا كذا ان يقولوا فما قال هو وتقول
المجيبة قال كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان خوطبوا بما يتعارفونه
وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه وكذلك قوله تعالى
قال الا تاكلون وذلك ان قوله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم يقتضي
ان يتبع هذا الفعل بقول فكانه قيل والله اعلم فما قال حين وضع
الطعام بين ايديهم فاتى قوله قال الا تاكلون جواباً عن ذلك وكذا قالوا
لا تخف لان قوله فاوجس منهم خيفة يقتضي ان يكون من الملائكة كلام
في تانيسه وتسكينه مما خامره فكانه قيل فما قالوا حين راوه وقد تغير
ودخلته الخيفة فقيل قالوا لا تخف وذلك والله اعلم المعنى في جميع ما
يجيء منه على كثرته كالذي يجيء في قصة فرعون وفي رد موسى عليه السلام
عليه كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال
ربكم ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن
اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء
مبين قال فات به ان كنت من الصادقين وقع في نفسه ان يقول
فما قال موسى عليه السلام له اتى قوله قال رب السموات والارض
ما اتى الجواب مبتدأ مفصولاً غير معطوف وهكذا التقدير والتفسير
ابداً في كل ما جاء فيه لفظ قال هذا المجيء وقد يكون الامر في بعض
ذلك اشد وضوحاً فما هو في غاية الوضوح قوله تعالى قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وذلك انه لا يخفى
على عاقل انه جاء على معنى الجواب وعلى ان نزل السامعون كانهم
قالوا فما قال له الملائكة فقيل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وكذلك
قوله عز وجل في سورة يس واضرب لهم مثلاً اصحاب القرية
اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن

من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما
علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وجاء
من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا
يسئلكم اجرا وهم مهتدون التقدير الذي قدرناه من معنى السؤال
والجواب بين ظاهر في ذلك كله ونسئل الله واذ قد عرفت
هذه الاصول والقوانين على ثلثة اضرب جمل حالها في شان فصل الجمل
ووصلها فاعلم انا قد حصلنا من ذلك على ان الجمل على ثلثة اضرب جملة
حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتاكيد مع المؤكد فلا يكون
فيها العطف البتة لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه و
جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله الا انه تشاركه
في حكم ويدخل معه في معنى مثل ان يكون كلا الاسمين فاعلا او مفعولا او
مضافا اليه فيكون حقها العطف وجملة ليست في شيء من الحالين بل
سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا
يكون اياه ولا مشاركا له في معنى بل هو شيء ان ذكر لم يذكر الا بامر
ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق
بينه وبينه راسا وحق هذا ترك العطف البتة فترك العطف يكون
اما للاتصال الى الغاية او الانفصال الى الغاية والعطف لما
هو واسطة بين الامرين وكان له حال بين حالين فاعرفه
هذا فن من القول خاص دقيق اعلم ان مما يقل نظر الناس فيه
من امر العطف انه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن
تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة او جملتان مثال ذلك
قول المتنبي تولوا بغتة وكان بينا تهيبني ففاجأني اغتيالا
فكان مسير عيسهم ذميلا وسير الدمع اثرهم انهمالا قوله
وكان مسير عيسهم معطوف على تولوا بغتة دون ما يليه من قوله
ففاجأني لانا ان عطفناه على هذا الذي يليه افسدنا المعنى من
حيث انه يدخل في معنى كان وذلك يؤدي الى ان لا يكون مسير

عيسهم

عيسهم حقيقة ويكون متوهما كما كان تهيب البين كذلك وهذا
اصل كبير والسبب في ذلك ان الجملة المتوسطة بين هذه
المعطوفة اخيرا وبين المعطوف عليها الاولى ترتبط في معناه
بتلك الاولى كالذي ترى ان قوله وكان بينا تهيبني مرتبط
بقوله تولوا بغتة فتوهمت ان بينا تهيبني ولا شك ان هذا
التوهم كان بسبب ان كان التولي بغتة واذا كان كذلك
كانت مع الاولى كالشيء الواحد وكان منزلتها منها منزلة المفعول
والظرف وساير ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل
مما لم يمكن افراده عن الجملة وان يعتد كلاما على حدته وهاهنا
شيء اخر دقيق وهو انك اذا نظرت الى قوله وكان مسير عيسهم
ذميلا وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه ولكن تجد
العطف قد تناول جملة البيت مربوطا اخره باوله الا ترى ان
ان الغرض من هذا الكلام ان يجعل توليهم بغتة وعلى الوجه الذي
توهم من اجله ان البين تهيبه مستدعيا بكاءه وموجبا
ان ينهمل دمعه فلم يعن ان يذكر ذملان العيس الا ليذكر
هملان الدمع وان يوفق بينهما وكذلك الحكم في الاول فنحن
وان كنا قلنا ان العطف على تولوا بغتة فانا لا نعني ان
تلك وحده مقطوعا عما بعده بل العطف عليه مضموما اليه
ما بعده الى اخره وانما اردنا بقولنا ان العطف عليه ان
نعلمك انه الاصل والقاعدة وان نصرفك عن ان تطرحه
وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطف فتزعم ان قوله
وكان مسير عيسهم معطوف على فاجأني فتقع في الخطاء
كالذي اريناك فامر العطف اذن موضوع على انك تعطف
تارة جملة على جملة وتعمد اخرى الى جملتين او جمل فتعطف
بعضها على بعض ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك وينبغي
ما يضع في الشرط والجزا من هذا المعنى اصلا يعتبر به
ذلك انك ترى متى شئت جملتين قد عطفت احداهما

على الاخرى ثم جعلنا مجموعهما شرطا ومثال ذلك قوله تعالى
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل
واحدة منهما على الانفراد ولا في واحدة دون الاخرى
لانا ان قلنا انه جزائين وليس معنا الا جزا واحد وان قلنا
انه في واحدة منهما دون الاخرى لزم منه اشراك ما ليس
بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساده ثم انا نعلم من
طريق المعنى ان الجزا الذي هو احتمال البهتان والاثم المبين
امر يتعلق ايجابه بمجموع ما حصل من الجملتين فليس هو لاكتساب
الخطيئة على الانفراد ولا لرمي البري بالخطيئة او الاثم على
الاطلاق بل لرمي الانسان البري بخطيئة او اثم كان من الرامي
وكذلك الحكم ابدا فقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله لم
يعلق الحكم فيه بالهجرة على الانفراد بل بها مقرونا اليها ان يدركه
الموت عليها واعلم ان سبيل الجملتين في هذا وجعلهما بمجموعهما
بمنزلة الجملة الواحدة سبيل الجزئين تعقد منهما الجملة ثم
تجعل خبرا او صفة او حالا كقولك زيد قام غلامه وزيد
ابوه كريم ومررت برجل ابوه كريم وجاءني زيد يعدو به
فرسه فكما يكون الخبر والصفة والحال لا محالة في مجموع
الجزئين لا في احدهما كذلك يكون الشرط في مجموع الجملتين
لا في احدهما واذا علمت ذلك في الشرط فاحتذه في العطف فانك
تجده مثله سواء ومما لا يكون العطف فيه الا على هذا الحد قوله
تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت
من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما
كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين
لو جريت على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها منع منه
المعنى وذلك انه يلزم منه ان يكون قوله وما كنت ثاويا في

في اهل مدين الى مرسلين على مجموع قوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى
الامر الى قوله العمر فان قلت فهلا قدرت ان يكون وما كنت ثاويا في اهل مدين
معطوفا على وما كنت من الشاهدين دون ان تزعم انه معطوف عليه مضموما اليه
ما بعده الى قوله العمر قيل لانا ان قدرنا ذلك وجب ان ينوى به التقديم على قوله
ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم ولكنا كنا مرسلين وفي ذلك ازالة لكن عن
موضعها الذي ينبغي ان تكون فيه ذاك لان سبيل لكن سبيل الا فكما لا يجوز ان تقول
جاءني زيد وما خرج عمرو ولكن بكرا حاضر ولكن اخاك خارج فاذا لم يجز ذلك
وكان تقديرك الذي زعمت يودي اليه وجب ان تحكم بامتناعه فاعرفه هذا وانما
وانما يجوز ان ينوى التاخير في شي معناه يقتضي له ذلك التاخير مثل ان يكون الاسم مفعولا
يقتضي له ان يكون بعد الفاعل فاذا قدم على الفاعل نوى به التاخير ومعنى لكن
في الاية يقتضي ان يكون في موضعها الذي هي فيه فكيف يجوز ان ينوى به التاخير عنه
الى موضع اخر والله اعلم هذه فصول شتى في امر اللفظ والنظم فيها فضل
شحذ للبصيرة وزيادة كشف عما فيها من السريرة فصل وغلط الناس في
هذا الباب كثير فمن ذلك انك تجد كثيرا ممن يتكلم في شان البلاغة اذا ذكر
ان للعرب الفضل والمزية في حسن النظم والتاليف وان لها في ذلك شاوا
لا يبلغها الدخلاء في كلامهم والمولدون جعل يعلل ذلك بان يقول لا غرو فان
اللغة لها بالطبع ولنا بالتكلف ولن يبلغ الدخيل في اللغات والالسنة مبلغ
من نشا عليها وبدي من اول خلقه بها واشباه هذا مما يوهم ان المزية اتتها من
جانب العلم باللغة وهو خطا عظيم وغلط منكر ويفضي بقائله الى دفع
الاعجاز من حيث لا يعلم وذلك انه لا يثبت اعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر
وتقصر قوى نظرهم عنها ومعلومات ليس في منن افكارهم وخواطرهم ان
تفضي بهم اليها وتطلعهم عليها وذلك محال فيما كان علما باللغة لانه يودي
الى ان يحدث في دلائل اللغة ما لم يتواضع عليه اهل اللغة وذلك ما لا يخفى امتناعه
على عاقل واعلم انا لم نوجب المزية من اجل العلم بانفس الفروق والوجوه
فتستند الى اللغة ولكنا اوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي ان يصنع فيها
فليس الفضل للعلم بان الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ وثم له بشرط التراخي
وان لكذا واذا لكذا ولكن لان يتاتى لك اذا نظمت شعرا والفت رسالة
ان تحسن التخير وان تعرف لكل من ذلك موضعه وامر اخر اذا تامله الانسان انف
من حكاية هذا القول فضلا عن اعتقاده وهو ان المزية لو كانت تجب من اجل اللغة
والعلم باوضاعها وما اراده الواضع منها لكان ينبغي ان لا تجب الا بمثل الفرق بين الفا

وثم وان واذا وما اشبه ذلك مما يعبر عنه وضع لغوى فكانت لا يجب بالفصل و
ترك العطف وبالحذف والتكرار والتقديم والتاخير وساير ما هو هيئة
يحدثها لك التاليف ويقتضيها الغرض الذى تؤم والمعنى الذى تقصد و
كان ينبغى ان لا يجب المزية مما يبتديه الشاعر والخطيب فى كلامه من استعارة
اللفظ للشى لم يستعر له وان لا يكون الفضيلة الا فى الاستعارة قد تعورفت
فى كلام العرب وكفى بذلك جهلا ولم يكن هذا الاشتباه وهذا الغلط الا لانه
ليس فى جملة الخفايا والمشكلات اغرب مذهبا فى الغموض ولا اعجب شانا من
هذه التى نحن بصددها ولا اكثر تفلتا من الفهم وانسلالا منها وان الذى
قاله العلما والبلغا فى صفتها والاخبار عنها رموز لا يفهمها الا من هو فى
مثل حالهم من لطف الطبع ومن هو مهيا لفهم تلك الاشارات حتى كان تلك الطباع
اللطيفة وتلك القرايح والاذهان قد تواضعت فيما بينها على ما سبيله سبيل
الترجمة يتواطئو عليها ثم قلا يحيل وهم ولا يعرفها من ليس منهم وليت شعرى
من اين لمن لم يتعب فى هذا الشان ولم يمارسه ولم يوفه عنايته عليه ان ينظر فى
قول الجاحظ وهو يذكر اعجاز القران ولو ان رجلا قرا على رجل من خطبا ئهم
وبلغا ئهم سورة قصيرة او طويلة لتبين له فى نظامها ومخرجها من لفظها
وطباعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها ابلغ العرب لاظهر عجزه عنها وقوله
وهو يذكر رواة الاخبار ورايت عامتهم فقد طالت مشاهدتى لهم وهم لا
يقفون على الالفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة والمخارج السهلة والديباجة
الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق
وقوله فى بيت الحطيئة متى تاته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير
موقد وما كان ينبغى ان يمدح بهذا البيت الا من هو خير اهل الارض على انى
لم اعجب بمعناه اكثر من عجبى بلفظه وطبعه ونحته وسبكه فيفهم شيئا او يقف
للطابع والنظام والنحت والسبك والمخارج السهلة على معنى او يحلى منه بشى
وكيف بان يعرفه ولربما خفى على كثير من اهله واعلم ان الداء الدوى والذى
اعيا امره فى هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه واقل الاحتفال باللفظ و
جعل لا يعطيه من المزية ان هو اعطى الا ما فضل عن المعنى يقول ما فى اللفظ لولا
المعنى وهل الكلام الا بمعناه وانت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون اودع حكمة او ادبا
واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر فان مال الى اللفظ شيئا ورأى ان ينحله بعض
الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة ثم لا ينظر فى حال تلك الاستعارة احسنت بمجرد
كونها استعارة ام من اجل فرق ووجه ام للامرين لا يحفل بهذا وشبهه قد قنع

بظواهر الامور وبالجمل وبان يكون كمن يجلب المتاع للبيع انما همه ان يروج عنه يرى
انه اذا تكلم فى الاخذ والسرقة واحسن ان يقول اخذه من فلان والم فيه بقول
اخذه من فلان فقد استكمل وبلغ اقصى ما يراد واعلم انا وان كنا اذا اتبعنا
العرف والعادة وما يجب فى الضمير وما عليه العامة اردنا ذلك ان الصواب
معهم وان التعويل ينبغى ان يكون على المعنى وانه الذى لا يسوغ القول بخلافه فان
الامر اذا جئنا بالحقايق والى ما عليه المحصلون لانا لا نرى متقدما فى علم البلاغة
مبرزا فى شاوها الا وهو ينكر هذا الراى ويعيبه ويزرى على القايل به و
يغض منه ومن ذلك ما روى عن البحترى روى ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
ساله عن مسلم وابو نواس ايهما اشعر فقال ابو نواس فقال ان ابا العباس
ثعلبا لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من شان ثعلب وذويه من المتعاطين
لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من دفع فى مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى
الى ضروراته وعن بعضهم انه قال رانى البحترى ومعى دفتر شعر فقال ما هذا
شعر الشنفرى فقال والى اين تمضى فقلت الى ابى العباس اقراه عليه فقال قد رايت
ابا عباسكم هذا منذ ايام عند ابن ثوابة فما رايته ناقدا للشعر ولا مميزا للالفاظ
ورايته يستجيد شيئا وينشده وما هو بافضل الشعر فقلت له اما نقده وتمييزه
فهذه صناعة اخرى ولكنه اعرف الناس باعرابه وغريبه فما كان ينشد قال
قول الحارث بن وعلة قومى هم قتلوا اميم اخى فاذا رميت يصيبنى سهمى فلئن عفوت
لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمى فقلت والله ما انشد الا احسن شعر
فى احسن معنى ولفظ فقال اين الشعر الذى فيه عروق الذهب فقلت مثل ماذا قال
مثل قول ابى ذؤاب ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب
باشدهم كلبا على اعدائه واعزهم فقدا على الاصحاب انتهى الحكاية عن البحترى
وفى مثل هذا قال الشاعر وما الاشعار الا علم علمها بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا باوساقه او راح ما فى الغرائر وقال الاخر يا ابا
جعفر نحكم فى الشعر وما فيك آلة الحكام ان نقد الدينار الا على الصيرف صعب فكيف
نقد الكلام قد رايناك تستغرق فى الاشعار بين الارواح والاجسام واعلم انهم
لم يعيبوا تقديم الكلام لمعناه من حيث جهلوا ان المعنى اذا كان ادبا او حكمة
وكان غريبا نادرا فهو اشرف مما ليس كذلك بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى
فى جنس من الاجناس بفضل او نقص ان لا يعتبر فى قضيته تلك الاوصاف التى تخص
ذلك الجنس وترجع الى حقيقته وان لا ينظر فيها الا الى جنس اخر وان كان من الاخر

من قول سبيل او مصلا به اتصالا من شيك منه ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل
التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع
التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار فكما
ان محالا اذا انت اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته الى
الفضة الحاملة لتلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصياغة
كذلك محال اذا اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في
مجرد معناه وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بان يكون فضة هذا اجود او
فصه انفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا
بيتا على بيت من اجل معناه ان لا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام
وهذا قاطع فاعرفه واعلم انك لست تنظر في كتاب صنف في شان البلاغة و
كلام جاء عن القدماء الا وجدته يدل على فساد هذا المذهب ورايتهم
يتشددون في انكاره وعيبه والعيب به واذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته
يبلغ في ذلك كل مبلغ ويتشدد غاية التشدد وقد انتهى في ذلك الى ان جعل
العلم بالمعاني مشتركا وسوى فيه بين الخاصة والعامة فقال ورايت ناسا
يبهرجون اشعار المولدين ويستسقطون من رواها ولم ار ذلك قط الا
في راوية غير بصير بجوهر ما يروي ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن
كان وفي اي زمان كان وانا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين
البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة ان كلف رجلا حتى احضره قرطاس
ودواة حتى كتبهما قال الجاحظ وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول
شعرا ابدا ولولا ان ادخل في الحكومة بعض الغيب لزعمت ان ابنه لا يقول
الشعر ايضا وهما قوله لا تحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا اشد من ذاك على كل حال ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان
المعاني والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي
وانما الشان في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة
الماء وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من التصوير فقد تراه امر
المعاني وابى ان يجب لها فضل فقال وهي مطروحة في الطريق ثم قال وانا
ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا فاعلمك ان فضل الشعر بلفظه
لا بمعناه وانه اذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة و
اعاد طرفا من هذا الحديث في البيان فقال ولقد رايت ابا عمرو الشيباني يكتب

كيف اسقط

اشعارا

اشعارا من افواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذكر وربما خيل الي ان ابناء اولئك
الشعراء لا يستطيعون ابدا ان يقولوا شعرا جيدا لمكان اعراقهم من اولئك الاباء
ثم قال ولولا ان اكون عيابا للعلماء خاصة لصورت لك بعض ما سمعت من ابي
عبيدة ومن هو ابعد في وهمك من ابي عبيدة واعلم انهم لم يبلغوا في انكار هذا
المذهب ما بلغوه الا لان الخطأ فيه عظيم وانه يفضي بصاحبه الى ان ينكر
الاعجاز ويبطل التحدي من حيث لا يشعر وذلك لانه ان كان العمل على ما يذهبون اليه
من انه لا يجب فضل ومزية الا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة او ادبا
او استخرج معنى غريبا او تشبيها نادرا فقد وجب اطراح جميع ما قاله الناس في الفصاحة
والبلاغة وفي شان النظم والتاليف وبطل ان يجب بالنظم فضل وان تدخله المزية
وان تتفاوت فيه المنازل واذا بطل ذلك فقد بطل ان يكون في الكلام معجز
وصار الامر الى ما يقوله اليهود ومن قال بمثل مقالهم في هذا الباب ودخل في
مثل تلك الجهالات ونعوذ بالله من العمى بعد الابصار فصل لا يكون
لاحدى العبارتين مزية على الاخرى حتى يكون لها في المعنى تاثير لا يكون لصاحبتها فان
قلت فاذا افادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان
عن معنيين اثنين قيل لك ان قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض والذي
اراد المتكلم ان يثبته او ينفيه نحو ان تقصد تشبيه الرجل بالاسد فتقول زيد
كالاسد ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول كان زيدا الاسد فتفيد تشبيهه ايضا
بالاسد الا انك تزيد في تشبيهه به زيادة لم تكن في الاول وهي ان تجعله من فرط
شجاعته وقوة قلبه وانه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الاسد ولا يقصر عنه حتى
يتوهم انه اسد في صورة ادمي واذا كان هذا كذلك فانظر هل كانت هذه الزيادة
وهذا الفرق الا بما توخي في نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام
وركبت مع ان واذا لم يكن الى الشك سبيل ان ذلك كان بالنظم فاجعله العبرة في الكلام
كله ورض نفسك على تفهم ذلك وتتبعه واجعل فيها انك تزاول منه امرا
عظيما لا يقادر قدره وتدخل في بحر عميق لا يدرك قعره فصل هو في اخر
يرجع الى هذا الكلام قد علمت ان المعارضة للكلام معارضة له من الجهة التي منها يوصف
بانه فصيح وبليغ ومتخير اللفظ جيد السبك ونحو ذلك من الاوصاف التي نسبوها
الى اللفظ واذا كان هذا كذلك فينبغي ان ننظر فيما اذا اتي به كان معارضا ما هو اهو ان
يجيء بلفظ فيضعه مكان لفظ اخر نحو ان يقول بدل اسد ليث وبدل بعد ناي

ومكان تعجب دنا ام ذلك منه بل هب البتة عاقل ولا يقوله من به طرق كيف ولو كان
ذلك معارضة لكان الناس لا يفصلون بين الترجمة والمعارضة ولكان كل من
فسر كلاما معارضا له فاذا بطل ان يكون جهة للمعارضة وان يكون الواضع نفسه
في هذه المنزلة معارضا على وجه من الوجوه علمت ان الفصاحة والبلاغة وساير
ما يجري في طريقهما اوصاف راجعة الى المعاني والى ما يدل عليه بالالفاظ دون
الالفاظ انفسها لانه اذا لم يكن في القسمة الا المعاني والالفاظ وكان لا يعقل تعارض
في الالفاظ المجردة الا ما ذكرت لم يبق الا ان يكون المعارضة معارضة من جهة ترجع الى
معاني الكلام المعقولة دون الفاظه المسموعة واذا عادت المعارضة الى المعنى و
كان الكلام يعارض من حيث هو فصيح وبليغ ومتخير اللفظ حصل من ذلك ان الفصاحة
والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه يكون معاني الكلام عليها وعن
زيادات تحدث في اصل المعاني كالذي اريتك فيما بين زيد كالاسد وكان زيدا
الاسد وبان ان لا نصيب للالفاظ من حيث هي الفاظ فيها بوجه من الوجوه
واعلم انك لا تشفي الغلة ولا تنتهي الى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملا الى
العلم به مفصلا وحتى لا يقنعك الا النظر في زواياه والتغلغل في مكامنه وحتى
يكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه
الى ان يعرف منبته ومجرى عروق الشجر الذي هو منه وانا نراهم يقيسون الكلام
في معنى المعارضة على الاعمال الصناعية كنسج الديباج وصوغ الشنف والسوار و
انواع ما يصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يد بعد ان يبلغ مبلغا يقع التفاضل فيه
ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيت ويدخل في
حد ما يعجز عنه الاكثر وهذا القياس وان كان قياسا ظاهرا معلوما وكالشيء المركوز
في الطباع حتى ترى العامة فيه كالخاصة فان فيه امرا يجب العلم به وهو انه يتصور
ان يبدأ هذا فيعمل ديباجا ويبدع في نقشه وهيئته وجملة صنعته حتى يفصل
الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة ولم يخبر الحال الا انهما صنعة رجل واحد
وخارجان من تحت يد واحدة وهكذا الحكم في ساير المصنوعات كالسوار يصوغه
هذا ويجيء ذاك فيعمل سوارا مثله ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يغادر منها شيئا
البتة وليس يتصور مثل ذلك في الكلام لانه لا سبيل الى ان تجيء الى معنى بيت من الشعر
وفصل من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وهيئته بعبارة اخرى حتى يكون المفهوم
من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا امر من الامور ولا يغرنك

قول الناس قد اتى بالمعنى بعينه واخذ معنى كلامه فاداه على وجهه فانه تسامح منهم و
المراد انه ادى الغرض فاما ان يؤدي المعنى على الوجه الذي يكون عليه في كلام الاول
حتى لا تعقل هنا الا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين
المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الاحالة وظن يفضي
بصاحبه الى جهالة عظيمة وهي ان تكون الالفاظ مختلفة المعاني اذا فرقت و
متفقتها اذا جمعت والف منها كلام وذلك ان ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين
نحو قعد وجلس ولكن فيما فهم من مجموع كلام اخر نحو ان ننظر في قوله تعالى ولكم
في القصاص حيوة وقول الناس قتل البعض احياء للجميع فانه وان كانت قد جرت
عادة الناس بان يقولوا في مثل هذا انهما عبارتان معبرهما واحد فليس هذا
القول منهم قولا يمكن الاخذ بظاهره او يقع لعاقل شك ان ليس المفهوم من
احد الكلامين هو المفهوم من الاخر **فصل** الكلام على ضربين ضرب انت
تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك اذا قصدت ان تخبر عن زيد
مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق
وعلى هذا القياس وضرب اخر انت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده
ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك
المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة
والتمثيل وقد مضت الامثلة فيها مشروحة مستقصاة او لا ترى انك اذا قلت
هو كثير رماد القدر او قلت طويل النجاد او قلت في المرأة نؤوم الضحى فانك في
جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه
الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا
هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر انه مضياف ومن طويل النجاد انه
طويل القامة ومن نؤوم الضحى في المرأة انها مترفة مخدومة لها من يكفيها امرها
وكذا اذا قيل رايت اسدا ودلك الحال على انه لم يرد السبع علمت انه اراد التشبيه
الا انه بالغ فجعل الذي راه بحيث لا يتميز عن الاسد في شجاعته وكذلك تعلم من
قوله بلغني انك تقدم رجلا وتؤخر اخرى انه اراد به التردد في امر البيعة واختلاف
العزم في الفعل وتركه على ما مضى الشرح فيه واذ قد عرفت هذه الجملة فههنا عبارة
مختصرة وهي ان تقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي
تصل اليه من غير واسطة وبمعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك
المعنى الى معنى اخر كالذي فسرت لك واذ قد عرفت ذلك فاذا رايتهم يجعلون الالفاظ
زينة للمعاني وحلية عليها او يجعلون المعاني كالجواري والالفاظ كالمعارض

لها كالوشي المحبر واللباس الفاخر والكسوة الرائقة الى اشباه ذلك مما ينحون به امر اللفظ ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف فاعلم انهم يصفون كلاما قد اعطاك المتكلم اغراضه فيه من طريق معنى المعنى فكنى وعرض ومثل واستعار ثم احسن في ذلك كله واصاب ووضع كل شيء منه في موضعه واصاب به شاكلته وعمد فيما كنى به وشبه ومثل الى ما حسن ماخذه ودق مسلكه ولطفت اشارته وان المعرض وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني كمعنى قوله فاني جبان الكلب مهزول الفصيل الذي هو دليل على انه مضياف فالمعاني الاول المفهومة من انفس الالفاظ هي المعارض والوشي والحلي واشباه ذلك والمعاني الثواني التي يومى اليها بتلك المعاني هي التي تكسى تلك المعارض وتزين بذلك الوشي والحلي وكذلك اذا جعلوا المعنى يتصور من اجل اللفظ بصورة ويبدو في هيئة ويتشكل بشكل يرجع المعنى في ذلك كله الى الدلالات المعنوية ولا يصلح شيء منه حيث الكلام على ظاهره وحيث لا يكون كناية وتمثيل ولا استعارة ولا استعانة في الجملة بمعنى على معنى وتكون الدلالة على الغرض من مجرد اللفظ فلو ان قائلا قال رايت الاسد وقال اخر لقيت الليث لم يجز ان يقال في الثاني انه صور المعنى في غير صورته الاولى ولا ان يقال ابرزه في معرض سوى معرضه ولا شيئا من هذا الجنس وجملة الامر ان صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ الى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز وحتى لا يراد من الالفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها الى معان اخر واعلم ان هذا كذلك ما دام النظم واحدا فاما اذا تغير النظم فلا بد حينئذ من ان يتغير المعنى على ما مضى من البيان في مسائل التقديم والتاخير وعلى ما رايت في المسالة التي مضت الان اعني قولك ان زيدا كالاسد وكان زيدا الاسد ذاك لانه لم يتغير من اللفظ شيء وانما تغير النظم فقط واما فتحك ان عند تقديم الكاف وكانت مكسورة فلا اعتداد بها لان معنى الكسر باق بحاله واعلم ان السبب في ان احالوا في اشباه هذه المحاسن التي ذكرتها لك على اللفظ انها ليست بانفس المعاني بل هي زيادات فيها وخصائص الا ترى ان ليست المزية التي تجدها لقولك كان زيدا الاسد على قولك زيد كالاسد شيئا خارجا عن التشبيه الذي هو اصل المعنى وانما هو زيادة فيه وفي حكم الخصوصية في الشكل نحو ان يصاغ خاتم على وجه واخر على وجه اخر تجمعهما صورة الخاتم ويفترقان بخاصة وشيء يعلم الا انه لا يعلم منفردا ولما كان الامر كذلك لم يمكنهم ان يطلقوا اسم المعاني على هذه الخصائص اذ كان لا يفترق الحال حينئذ بين اصل المعنى وبين ما هو زيادة في المعنى وكيفية له وخصوصية فيه فلما امتنع ذلك توصلوا الى الدلالة عليها بان وصفوا اللفظ في ذلك باوصاف يعلم انها لا تكون اوصافا له من حيث هو لفظ كنحو

وصفهم

وصفهم له بانه لفظ شريف وانه قد زان المعنى وان له ديباجة وان عليه طلاوة وان المعنى منه في مثل الوشي وانه عليه كالحلي الى اشباه ذلك مما يعلم ضرورة انه لا يعنى بمثله الصوت والحرف ثم انه لما جرت به العادة واستمر عليه العرف وصار الناس يقولون اللفظ واللفظ لزم من ذلك بانفس اقوام باب من الفساد وخامرهم منه شيء لست احسن وصفه

فصل ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في انها ليست له ولكن لمعناه قولهم لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك وقولهم يدخل في الاذن بلا اذن فهذا مما لا يشك العاقل في انه يرجع الى دلالة المعنى على المعنى وانه لا يتصور ان يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة ومعاني الالفاظ التي يسمعها او يكون جاهلا بذلك فان كان عالما لم يتصور ان يتفاوت حال الالفاظ معه فيكون معنى لفظ اسرع الى قلبه من معنى لفظ اخر وان كان جاهلا كان ذلك في وصفه ابعد وجملة الامر انه انما يتصور ان يكون المعنى اسرع فهما منه لمعنى اخر اذا كان ذلك مما يدرك بالفكر واذا كان مما يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام وذلك محال في دلالات الالفاظ اللغوية لان طريق معرفتها التوقيف والتقدم بالتعريف واذا كان ذلك كذلك علم علم الضرورة انه مصروف الى دلالات المعاني على المعاني وانهم ارادوا ان من شرط البلاغة ان يكون المعنى الاول الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه احسن سفارة ويشير لك اليه ابين اشارة حتى يخيل اليك انك فهمته من حاق اللفظ وذلك لقلة الكلفة عليك فيه وسرعة وصوله اليك فكان من الكناية مثل قوله لا امتع العوذ بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل ومن الاستعارة مثل قوله وصدر اراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب ومن التمثيل مثل قوله لا ازود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره فان اردت ان تعرف حاله بالضد من هذا فكان منقوص القوة في تاديته ما اريد منه لانه يعترضه ما يمنعه ان يقضي حق السفارة فيما بينك وبين معناك ويوضح تمام الايضاح عن مغزاك فانظر الى قول العباس بن الاحنف ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا بدا فدل بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد فاحسن واصاب لان من شان البكاء ابدا ان يكون امارة للحزن وان يجعل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم ابكاني واضحكني على معنى ساءني وسرني وكما قال ابكاني الدهر ويا ربما اضحكني الدهر بما يرضي ثم ساق هذا القياس الى نقيضه فالتمس ان يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله لتجمدا وظن ان الجمود يبلغ له في

افادة السرور والسلامة من الحزن بابلغ سكب الدموع في الدلالة على الكآبة والوقوع في
الحزن ونظر الى ان الجمود خلو العين من البكاء وانتفاء الدموع عنها وانه اذا قال
لتجمدا فكانه قد قال احزن اليوم لئلا احزن غدا وتبكي عيناي جهدهما لئلا تبكيا
ابدا وغلط فيما ظن وذلك ان الجمود هو ان لا تبكي العين مع ان الحال حال بكاء
ومع ان العين يراد منها ان تبكي ويستراد في ان لا تبكي ولذلك لا ترى احدا يذكر
عينه بالجمود الا وهو يشكوها ويذمها وينسبها الى البخل ويعد امتناعها
من البكاء تركا لمعونة صاحبها على ما به من الهم الا ترى الى قوله الا ان عينا لم تجد
يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود فان في الجمود تاكيدا لنفي الجود ومحال ان
يجعلها لا تجود بالبكاء وليس هناك التماس بكاء لان الجود والبخل يقتضيان
مطلوبا يبذل او يمنع ولو كان الجمود يصلح ان يراد به السلامة من البكاء ويصح
ان يدل به على ان الحال حال مسرة وحبور لجاز ان يدعى به للرجل فيقال لا زالت
عينك جامدة كما يقال ابكى الله عينك وذلك مما لا يشك في بطلانه وعلى ذلك قول
اهل اللغة عين جمود لا ماء فيها وسنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها فكما
لا تجعل السنة والناقة جمادا الا على معنى ان السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو
بالدر كذلك حكم العين ان لا تجعل جمودا الا وهناك ما يقتضي ارادة البكاء منها
وما يجعلها اذا بكت محسنة موصوفة بان قد جادت وسخت واذا لم تبك مسيئة
موصوفة بان قد ضنت وبخلت فان قيل انه اراد ان يقول اني اليوم اتجرع غصص
الفراق واحمل نفسي على مره واحتمل ما يؤديني اليه من حرق يفيض الدموع من عيني
ويسكبها لكي اتسبب بذلك الى وصل يدوم ومسرة تتصل حتى لا اعرف بعد ذلك الحزن
اصلا ولا تعرف عيني البكاء وتصير في ان لا ترى باكية ابدا كالجمود التي لا يكون لها دمع
فان ذلك لا يستقيم ولا يستتب لانه يوقعه في التناقض ويجعله كانه قال احتمل البكاء
لهذا الفراق عاجلا لاصير في الاجل بدوام الوصل واتصال السرور في صورة من
يريد من عينه ان تبكي ثم لا تبكي لانها خلقت جامدة لا ماء فيها وذلك من التهافت
ولا منظر بحيث تنجع الحيلة فيه وجملة الامر انا لا نعلم احدا جعل جمود العين
دليل سرور وامارة غبطة وكناية عن ان الحال حال فرح فهذا مثال فيما هو بالضد
مما شرطوا من ان لا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك لانك ترى اللفظ
يصل الى سمعك وتحتاج ان تخب وتوضع في طلب المعنى ويجري لك هذا الشرح والتفسير
في النظم كما جرى في اللفظ لانه اذا كان النظم سويا والتاليف مستقيما كان وصول المعنى
الى تلو وصول اللفظ الى سمعك واذا كان خلاف ما ينبغي وصل اللفظ الى السمع وبقيت

في المعنى تطلبه وتتعب فيه واذا افرط الامر في ذلك صار الى التعقيد الذي قالوا انه
يستهلك المعنى واعلم انه لم يضق العبارة ولم يقصر اللفظ ولم يتعلق الكلام في هذا
الباب الا لانه قد تناهى في الغموض والخفاء الى اقصى الغايات وانك لا ترى اغرب
مذهبا واعجب طريقا واحرى بان تضطرب فيه الاراء منه وما قولك في شيء قد
بلغ من امره ان يدعى على كبار العلماء انهم لم يعلموه ولم يفطنوا له فقد ترى ان البحتري
قال حين سئل عن مسلم وابي نواس ايهما اشعر فقال ابو نواس فقيل ان ابا العباس
ثعلبا لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من شان ثعلب وذويه من المتعاطين
لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من دفع في مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى
الى ضروراته ثم لا ينفك العالمون به والذين هم من اهله من دخول الشبهة فيه عليهم
ومن اعتراض السهو والغلط لهم روي عن الاصمعي انه قال كنت اسير مع ابي عمرو بن
العلاء وخلف الاحمر وكانا ياتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان
يا ابا معاذ ما احدثت فيخبرهما وينشدهما ويسالانه ويكتبان عنه متواضعين له
حتى ياتي وقت الزوال ثم ينصرفان واتياه يوما فقالا ما هذه القصيدة التي احدثتها
في سلم بن قتيبة قال هي التي بلغتكم قالوا بلغنا انك اكثرت فيها من الغريب قال نعم
بلغني ان سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب فاحببت ان اورد عليه ما لا يعرف قالوا فانشدناها
يا ابا معاذ فانشدهما بكرا صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير حتى فرغ
منها فقال له خلف لو قلت يا ابا معاذ مكان ان ذاك النجاح في التبكير بكرا فالنجاح
في التبكير كان احسن فقال بشار انما بنيتها اعرابية وحشية فقلت ان ذاك النجاح في
التبكير كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين
ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة قال فقام خلف فقبل بين عينيه فهل
كان هذا القول من خلف والنقد على بشار الا للطف المعنى في ذلك وخفائه واعلم ان
من شان ان اذا جاءت على هذا الوجه ان تغني غناء الفاء العاطفة مثلا وان تفيد من
ربط الجملة بما قبلها امرا عجيبا فانت ترى الكلام بها مستانفا غير مستانف ومقطوعا
موصولا معا افلا ترى لو اسقطت ان من قوله ان ذاك النجاح في التبكير لم تر الكلام
يلتئم ولرايت الجملة الثانية لا تتصل بالاولى ولا تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول
بكرا صاحبي قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير ومثله قول بعض العرب فغنها
وهي لك الفداء ان غناء الابل الحداء فانظر الى قوله ان غناء الابل الحداء والى ملاءمته الكلام
قبله وحسن تشبثه به والى حسن تعطف الكلام الاول عليه ثم انظر اذا تركت ان فقلت
فغنها وهي لك الفداء غناء الابل الحداء كيف يكون الصورة وكيف ينبو احد الكلامين
عن الاخر وكيف يشئم هذا ويعرق ذاك حتى لا تجد حيلة في ائتلافهما حتى تجتلب لها

الفا فتقول نخنها وجهل ابن العلا فعنى الابل الحلائم نعلم ان البيت لا ظفر بينهما
من حيث كان واذ قد ذهبت الانسة التي كنت تجلى على الحسن الذي كنت ترى وروى
عن عنبسة انه قال قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته
الحائية التي منها هي البرء والاسقام والهم والمنى وموت الهوى في القلب مني المبرح
وكان الهوى بالناي يمحى فيمحي وحبك عندي يستجد ويربح اذا غير الناي المحبين
لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فلما انتهى الى هذا البيت ناداه ابن
شبرمة يا غيلان اراه قد برح قال فشنق ناقته وجعل يتاخر بها ويفكر ثم قال
اذا غير الناي المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فلما انصرفت
حدثت ابي فقال اخطا ابن شبرمة حين انكر على ذي الرمة ما انكر واخطا
ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة انما هذا كقول الله تعالى ظلمات بعضها فوق
بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها وانما هو لم يرها ولم يكد واعلم ان سبب الشبهة
في ذلك انه قد جرى في العرف ان يقال ما كاد يفعل ولم يكد يفعل في فعل قد فعل
على معنى انه لم يفعل الا بعد الجهد وبعد ان كان بعيدا في الظن ان يفعله كقوله تعالى
فذبحوها وما كادوا يفعلون فلما كان مجي النفي في كاد على هذا السبيل توهم ابن
شبرمة انه اذا قال لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح فقد زعم ان الهوى
قد برح ووقع لذي الرمة مثل هذا الظن وليس الامر كالذي ظناه فان الذي يقتضيه
اللفظ اذا قيل لم يكد يفعل وما كاد يفعل ان يكون المراد ان الفعل لم يكن من اصله
ولا قارب ان يكون ولا ظن انه يكون وكيف بالشك في ذلك وقد علمنا ان كاد موضوع
لان يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى انه قد شارف الوجود واذا كان كذلك
كان محالا ان يوجب نفيه وجود الفعل لانه يودي الى ان يوجب نفي مقاربة الفعل
الوجود وجوده وان يكون قولك ما قارب ان يفعل مقتضيا على البتات انه قد فعل
واذ قد ثبت ذلك فمن سبيلك ان تنظر فمتى لم يكن المعنى على انه قد كانت هناك
صورة تقتضي ان لا يكون الفعل وحال يبعد معها ان يكون ثم تغير الامر كالذي
تراه في قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون فليس الا ان تلزم الظاهر وتجعل
المعنى على انك تزعم ان الفعل لم يقارب ان يكون فضلا عن ان يكون فالمعنى اذا في
بيت ذي الرمة على ان الهوى من رسوخه في القلب ورسوخه وثبوته فيه وغلبته
على طباعه بحيث لا يتوهم عليه البراح وان ذلك لا يقارب ان يكون فضلا عن
ان يكون كما تقول اذا سلا المحبون وفتروا في محبتهم لم يقع لي وهم ولم يجر مني
على بال انه يجوز علي ما يشبه السلو وما يعد فترة فضلا عن ان يوجد ذلك مني
واصير اليه وينبغي ان تعلم انهم انما قالوا في التفسير لم يرها ولم يكد ثم قدموا الروية

ثم عطفوا لم يكد عليه ليعلموك ان ليس سبيل لم يكد هاهنا سبيل ما كاد في قوله تعالى فذبحوها
وما كادوا يفعلون في انه نفي معقب على اثبات وان ليس المعنى على ان رؤية كانت من
بعد ان كادت لا تكون ولكن المعنى على ان رؤيتها لا تقارب ان تكون فضلا عن ان
تكون ولو كان لم يكد يوجب وجود الفعل لكان هذا الكلام منهم محالا جاريا مجرى
ان يقول لم يرها ورآها فاعرفه وهاهنا نكتة وهي ان لم يكد في الآية والبيت واقع
في جواب اذا والماضي اذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا في المعنى
فاذا قلت اذا خرجت لم اخرج كنت قد نفيت خروجا فيما يستقبل واذا كان الامر كذلك
استحال ان يكون المعنى في البيت او الآية على ان الفعل قد كان لانه يودي الى ان يجي بلم
افعل ماضيا صريحا في جواب الشرط فتقول اذا خرجت لم اخرج امس وذلك محال
ومما يتضح فيه هذا المعنى قول الشاعر ديار لجهمة بالمنحنى سقاهن مرتجز باكر
وراح عليهن ذو هيدب ضعيف القوى ماؤه زاخر اذا رام نهضا بها لم يكد كذي
الساق اخطاها الجابر واعود الى الغرض فاذا بلغ من دقة هذه المعاني الى ان يشتبه
الامر فيها على مثل خلف الاحمر وابن شبرمة حتى يشتبه على ذي الرمة في جواب قاله فيرى
انه غير صواب فما ظنك بغيرهم وما يعجبك من ان يكثر التخليط فيه ومن العجيب في
هذا المعنى قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع قد حمله الجميع
على انه ادخل نفسه في رفع كله شيء انما يجوز عند الضرورة من غير ان كانت به اليه
ضرورة قالوا لانه ليس في نصب كل ما يكسر له وزنا ويمنعه من معنى اراده واذا تاملت
وجدته لم يركبه ولم يحمل نفسه عليه الا لحاجة له الى ذلك والا لانه راى النصب يمنعه ما
يريد وذلك لانه اراد انها تدعي عليه ذنبا لم يصنع منه شيئا البتة لا قليلا ولا كثيرا
ولا بعضا ولا كلا والنصب يمنع من هذا المعنى ويقتضي ان يكون قد اتى من الذنب
الذي ادعته بعضه وذلك انا اذا تاملنا وجدنا اعمال الفعل في كل والفعل منفي لا يصلح
الا حيث يراد ان بعضا كان وبعضا لم يكن تقول لم الق كل القوم ولم آخذ كل
الدراهم فيكون المعنى انك لقيت بعضا من القوم ولم تلق الجميع واخذت بعضا من
الدراهم وتركت الباقي ولا يكون ان تريد انك لم تلق واحدا من القوم ولم تاخذ شيئا
من الدراهم وتعرف ذلك بان تنظر الى كل في الاثبات وتعرف فائدته فيه واذا نظرت
وجدته قد اجتلب لان يفيد الشمول في الفعل الذي تسنده الى الجملة او توقعه بها
تفسير ذلك انا قلت جاءني القوم كلهم لانك لو قلت جاءني القوم وسكت لكان
يجوز ان يتوهم السامع انه قد تخلف عنك بعضهم الا انك لم تعتد بهم او انك جعلت
الفعل اذا وقع من بعض القوم فكانما وقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد

كانك قلت لقيته فعلته وصنعته يراد فعل قد كان من بعضهم او واحد منهم وهكذا
الحكم ابدا فاذا قلت رايت القوم كلهم ومررت بالقوم كلهم كنت قد جئت بكل لئلا
يتوهم انه قد بقي عليك من لم تره ولم تمرر به وينبغي ان تعلم انا لا نعني بقولنا يفيد
الشمول ان سبيله في ذلك سبيل الشي يوجب المعنى من اصله وانه لولا مكان كل لما
عقل الشمول ولم يكن فيما سبق من اللفظ دليل عليه كيف ولو كان ذلك لم يكن
يسمى تاكيدا فالمعنى انه يمنع ان يكون اللفظ المقتضي للشمول مستعملا على خلاف
ظاهره ومتجوزا فيه واذ قد عرفت ذلك فههنا اصل وهو ان من حكم النفي اذا دخل
على كلام ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه ان يتوجه الى ذلك التقييد
وان يقع له خصوصا تفسير ذلك انك اذا قلت اتاني القوم مجتمعين فقال قايل
لم ياتك القوم مجتمعين كان نفيه ذلك متوجها الى الاجتماع الذي هو تقييد في
الاتيان دون الاتيان نفسه حتى انه اذا اراد ان ينفي الاتيان من اصله كان من سبيله
ان يقول انهم لم ياتوك اصلا فما معنى قولك مجتمعين هذا مما لا يشك فيه عاقل و
اذا كان هذا حكم النفي اذا دخل على كلام فيه تاكيد فان نفيك ذلك يتوجه
الى التقييد التاكيد خصوصا ويقع له فاذا قلت لم ار القوم كلهم او لم ياتني
القوم كلهم او لم ياتني كل القوم ولم ار كل القوم كنت عمدت بنفيك الى معنى
كل خاصة وكان حكمه حكم مجتمعين في قولك لم ياتني القوم مجتمعين واذا كان
النفي يقع لكل خصوصا فواجب اذا قلت لم ياتني القوم كلهم او لم ياتني كل القوم م
ان يكون قد اتاك بعضهم كما يجب اذا قلت لم ياتني القوم مجتمعين ان يكونوا قد
اتوك اشتاتا وكما يستحيل ان تقول لم ياتني القوم مجتمعين وانت تريد انهم لم ياتوك
اصلا لا مجتمعين ولا منفردين كذلك محال ان تقول لم ياتني القوم كلهم وانت
تريد انهم لم ياتوك اصلا فاعرفه واعلم انك اذا نظرت وجدت الاثبات كالنفي فيما
ذكرت لك ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه وذلك انك اذا قلت جاني القوم
كلهم كان كل فايدة خبرك هذا والذي يتوجه اليه اثباتك بدلالة ان المعنى على ان
الشك لم يقع في نفس المجي انه كان من القوم على الجملة وانما وقع في شموله الكل و
ذلك الذي عناك امره من كلامك وجملة الامر انه ما من كلام كان فيه امر زايد على
مجرد اثبات المعنى للشي الا كان الغرض الخاص من الكلام والذي يقصد اليه ويزجى
القول فيه فاذا قلت جاني زيد راكبا وما جاني زيد راكبا او تنفي ذلك لا لان
تثبت المجي وتنفيه مطلقا هذا ما لا سبيل الى الشك فيه واعلم انه يلزم من شك في
هذا فتوهم انه يجوز ان تقول لم ار القوم كلهم على معنى انك لم تر واحدا منهم

يجري

يجري النفي هذا المجرى فتقول لا تضرب القوم كلهم على معنى لا تضرب واحدا منهم وان
تقول لا تضرب الرجلين كليهما على معنى لا تضرب واحدا منهما فاذا قلت ذلك لزم ان يحيل قول
الناس لا تضربهما معا ولكن اضرب احدهما ولا تاخذهما جميعا ولكن واحدا
منهما وكفى بذلك فسادا واذ قد بان لك من حال النصب انه يقتضي ان يكون المعنى
على انه قد صنع من الذنب بعضا وترك بعضا فاعلم ان الرفع على خلاف ذلك وانه
يقتضي نفي ان يكون قد صنع منه شيئا واتى منه قليلا او كثيرا وانك اذا قلت كلهم
لا ياتيك وكل ذلك لا يكون وكل هذا لا يحسن كنت نفيت ان ياتيه واحد منهم
وابيت ان يكون او يحسن شي مما اشرت اليه ومما يشهد لك بذلك من الشعر قوله
فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامري عما قضى الله مزحل ... فالمعنى على نفي ان يعدو
واحد من الناس حمامه بلا شبهة ولو قلت فكيف وليس يعدو كل حمامه فاخرت
كلا لافسدت المعنى وصرت كانك تقول ان من الناس من يسلم من الحمام ويبقى خالدا
لا يموت ومثله قول دعبل ... فوالله ما ادري بأي سهامها ... رمتني وكل عندنا
ليس بالمكدي ... ابالجيد ام مجرى الوشاح وانني ... لاتهم عينيها مع الفاحم الجعد
المعنى على نفي ان يكون في سهامها مكد على وجه من الوجوه ومن البين في ذلك
ما جاء في حديث ذي اليدين قال للنبي عم اقصرت الصلوة ام نسيت يا رسول الله
فقال النبي عم كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بعض ذلك قد كان المعنى لا محالة
نفي الامرين جميعا وعلى ان النبي عم اراد انه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان
ولو قيل لم يكن كل ذلك لكان المعنى انه قد كان بعضه واعلم انه لما كان المعنى مع اعمال
الفعل المنفي في كل نحو لم ياتني القوم كلهم ولم ار القوم كلهم على ان الفعل قد كان
من البعض ووقع على البعض قلت لم ياتني القوم كلهم ولكن اتاني بعضهم ولم ار القوم
كلهم ولكن رايت بعضهم فاثبت بعد ما نفيت ولا يكون ذلك مع رفع كل بالابتدا
فلو قلت كلهم لم ياتني ولكن اتاني بعضهم وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض
ذلك لم يجز لانه يودي الى التناقض وهو ان تقول لم ياتني واحد منهم ولكن اتاني
بعضهم واعلم ان ليس التاثير لما ذكرنا من اعمال الفعل وترك اعماله على الحقيقة وانما
التاثير لامر اخر وهو دخول كل في حيز النفي وان لا يدخل فيه وانما علقنا الحكم في
البيت وساير ما مضى باعمال الفعل وترك اعماله من حيث كان اعماله فيه يقتضي
دخوله في حيز النفي وترك اعماله يوجب خروجه عنه من حيث كان الحرف النافي في
البيت حرفا لا ينفصل عن الفعل وهو لم لا ان كونه معمولا للفعل وغير معمول
يقتضي ما رايت من الفرق افلا ترى انك لو جئت بحرف نفي يتصور انفصاله عن الفعل

لرايت المعنى في كل ما ترى اعمال الفعل شيئا لم تجده مع اعماله ومثال ذلك قوله ما كل ما يتمنى
المرء يدركه وقول الاخر ما كل راي الفتى يدعو الى رشد كلا كما ترى غير معمل
فيه الفعل ومرفوع اما بالابتدا واما بانه اسم ما ثم ان المعنى مع ذلك على ما يكون عليه
اذا اعملت فيه الفعل فقلت ما يدرك المرء كل ما يتمناه وما يدعو كل راي الفتى الى
رشد وذلك ان التاثير لوقوعه في حيز النفي وهو حاصل في الحالين ولو قدمت
كلا في هذا فقلت كل ما يتمنى المرء لا يدركه وكل راي الفتى لا يدعو الى رشد لتغير
المعنى ولصار بمنزلة ان يقال ان المرء لا يدرك شيئا مما يتمناه ولا يكون في راي
الفتى ما يدعو الى رشد بوجه من الوجوه واعلم انك اذا ادخلت كلا في حيز النفي
وذلك بان تقدم النفي عليه لفظا او تقديرا فالمعنى على نفي الشمول دون نفي
الفعل والوصف نفسه واذا اخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله فيه لا لفظا ولا
تقديرا كان المعنى على انك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحدا
واحدا والعلة في ان كان ذلك كذلك انك اذا بدات بكل كنت قد بنيت النفي
عليه وسلطت الكلية على النفي واعملتها فيه واعمال معنى الكلية في النفي يقتضي
الا يشذ شي عن النفي فاعرفه واعلم ان من شان الوجوه والفروق ان لا تزال تحدث
بسببها وعلى حسب الاغراض والمعاني التي تقع فيها دقائق وخفايا لا الى حد و
نهاية وانها خفايا تكتم انفسها جهدها حتى لا يتنبه لاكثرها ولا تعلم انها هي
وحتى لا تزال ترى العالم يعرض له السهو فيه وحتى انه ليقصد الى الصواب فيقع
في اثناء كلامه ما يوهم الخطا كل ذلك لشدة الخفا وفرط الغموض

فصل

واعلم انه اذا كان بينا في الشي انه لا يحتمل الا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل وحتى
لا يحتاج في العلم بان ذلك حقه وانه الصواب الى فكر وروية فلا مزية وانما يكون
المزية ويجب الفضل اذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجها
اخر ثم رايت النفس تنبو عن ذلك الوجه الاخر ورايت للذي جاء عليه حسنا و
قبولا تعدمهما اذا انت تركته الى الثاني ومثال ذلك قوله تع وجعلوا لله شركاء
الجن ليس بخاف ان لتقديم الشركا حسنا وروعة وماخذا من القلوب انت لا تجد
شيا منه ان انت اخرت فقلت وجعلوا الجن شركاء لله وانك ترى حالك حال من
نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر الى الشي الغفل الذي لا تحلى
منه بكثير طائل ولا تصير النفس به الى حاصل والسبب في ان كان ذلك كذلك هو ان
للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا لا سبيل اليه مع التاخير بيانه انه وان كنا نرى
جملة المعنى ومحصوله انهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله وكان هذا المعنى

يحصل

يحصل مع التاخير حسب حصوله مع التقديم فان تقديم الشركا يفيد هذا المعنى و
يفيد معه معنى اخر وهو انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن
واذا اخر فقيل جعل الجن شركاء لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه شي اكثر من الاخبار
عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله فاما انكار ان يعبد مع الله غيره وان يكون
له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تاخير الشركا دليل عليه وذلك
ان التقدير مع التقديم ان شركاء مفعول اول لجعل ولله في موضع المفعول
الثاني ويكون الجن على كلام ثان وعلى تقدير انه كانه قيل فمن جعلوا شركاء لله
فقيل الجن واذا كان التقدير في شركاء انه مفعول اول ولله في موضع المفعول
الثاني وقع الانكار على كون شركاء لله على الاطلاق من غير اختصاص شي دون
شي وحصل من ذلك ان اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الانكار دخول
اتخاذه من الجن لان الصفة اذا ذكرت مجردة غير مجراة على شي كان الذي تعلق
بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار
كريم كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل من يكون الكرم صفة له وحكم الانكار
ابدا حكم النفي واذا اخر فقيل وجعلوا الجن شركاء لله كان الجن مفعولا اول
والشركا مفعولا ثانيا واذا كان كذلك كان الشركا مخصوصا غير مطلق
من حيث كان محالا ان يجري خبرا عن الجن ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم واذا
كان كذلك احتمل ان يكون القصد بالانكار الى الجن خصوصا ان يكونوا شركا
دون غيرهم تعالى الله عز وجل عن ان يكون له شريك وشبيه بحال فانظر
الان الى شرف ما حصل من المعنى بان قدم الشركا واعتبره فانه ينبهك لكثير من
الامور ويدلك على عظم شان النظم وتعلم به كيف يكون الايجاز به وما صورته
وكيف يزاد في المعنى من غير ان يزاد في اللفظ اذ قد ترى ان ليس الا تقديم و
تاخير وانه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما ان حاولته مع تركه لم يحصل
لك واحتجت الى ان تستانف له كلاما نحو ان تقول وجعلوا الجن شركاء لله
وما ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم ثم لا يكون له اذا عقل
من كلامين من الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الان و
قد عقل من هذا الكلام الواحد ومن ذلك قوله تع ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
اذا انت راجعت نفسك واذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وان قيل
على حيوة ولم يقل على الحيوة حسنا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره
وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والانس الى خلافهما

والسبب في ذلك ان المعنى على الازدياد من الحيوة لا الحيوة من اصلها وذلك انه
لا يحرص الا الحي فاما العادم للحيوة فلا يصح منه الحرص على الحيوة ولا على
غيرها واذا كان كذلك صار كانه قيل ولتجدنهم احرص الناس ولو عاشوا
ما عاشوا على ان يزدادوا الى حيوتهم في ماضي الوقت وراهنه حيوة في الذي
يستقبل وكما انك لا تقول ههنا ان يزدادوا الى حيوتهم الحيوة بالتعريف
وانما تقول حيوة اذ كان التعريف يصلح حيث تراد الحيوة على الاطلاق
كقولنا كل احد يحب الحيوة ويكره الموت كذلك الحكم في الاية والذي
ينبغي ان يراعى ان المعنى الذي يوصف الانسان بالحرص عليه لم يتصور ان تجعله
حريصا عليه من اصله كيف ولا يحرص على الراهن ولا الماضي وانما
يكون الحرص على ما لم يوجد بعد وشبيه بتنكير الحيوة في هذه الاية
تنكيرها في قوله جل وعز ولكم في القصاص حيوة وذلك ان السبب
في حسن التنكير وان لم يحسن التعريف ان ليس المعنى على الحيوة نفسها
ولكن على انه لما كان الانسان اذا علم انه اذا قتل قتل ارتدع بذلك
من القتل فسلم صاحبه صارت حيوة هذا المهموم بقتله في مستانف الوقت
مستفادة بالقصاص وصار كانه قد حيي في باقي عمره به واذا كان المعنى
على حيوة في بعض اوقاته وجب التنكير وامتنع التعريف من حيث كان
التعريف يقتضي ان تكون الحيوة قد كانت بالقصاص من اصلها وان يكون
القصاص قد كان سببا في كونها في كافة الاوقات وذلك خلاف المعنى
وغير ما هو المقصود ويبين ذلك انك تقول لك في هذا غنى فتنكر اذا اردت
ان تجعل ذلك من بعض ما يستغنى به فان قلت لك في هذا الغنى كان الظاهر
انك جعلت كل غناه به وامر اخر وهو انه لا يكون ارتداع حتى يكون هم
وارادة وليس بواجب ان لا يكون انسان في الدنيا الا وله عدو يهم
بقتله ثم يردعه خوف القصاص واذا لم يجب ذلك فمن لم يهم انسان
بقتله وكفي ذلك الهم لخوف القصاص فليس هو ممن حيي بالقصاص
واذا دخل الخصوص فقد وجب ان يقال حيوة ولا يقال الحيوة كما وجب
ان يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه فيه شفاء للناس حيث لم يكن شفاء للجميع واعلم انه لا يتصور
ان يكون الذي هم بالقتل فلم يقتل خوف القصاص داخلا في الجملة وان
يكون القصاص افاده حيوة كما افاد المقصود قتله وذلك ان هذه الحيوة انما هي

لم

لم يكن يقتل لولا القصاص وذلك محال في صفة القاصد للقتل فانه يصح فيه
ما هو كالضد لهذا وهو ان يقال انه كان يخاف عليه القتل لولا
القصاص واذا كان هذا كذلك كان وجها ثالثا في وجوب التنكير

فصل

واعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد
لديه قبولا حتى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه
نفسه بان لما يومي اليه من الحسن واللطف اصلا وحتى يختلف الحال عليه
عند تامل الكلام فيجد الاريحية تارة ويعرى منها اخرى وحتى اذا عجبته
عجب واذا نبهته لموضع المزية انتبه فاما من كانت الحالان والوجهان عنده
ابدا على سواء وكان لا يتفقد من امر النظم الا الصحة المطلقة والا اعرابا
ظاهرا فما اقل ما يجدي الكلام معه فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة
من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي
يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه وما خرج من البحر مما لم يخرج منه
في انك لا تتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك انه قد عدم الاداة التي
معها يعرف والحاسة التي بها يجد فليكن قدحك في زند وار والحك
في عود انت تطمع منه في نار واعلم ان هؤلاء وان كانوا هم الافة العظمى
في هذا الباب فان من الافة ايضا من زعم انه لا سبيل الى معرفة العلة في
قليل ما تعرف المزية فيه وكثيره وان ليس الا ان تعلم ان هذا التقديم او هذا
التنكير او هذا العطف او هذا الفصل حسن وان له موقعا من النفس
وحظا من القبول فاما ان تعلم لم كان كذلك وما السبب فمما لا سبيل اليه ولا
مطمع في الاطلاع عليه فهو بتوانيه والكسل فيه في حكم من قال ذلك واعلم
انه ليس اذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل وان تعرف العلة
والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وان قل فتجعله شاهدا فيما لم تعرف احرى
من ان تسد باب المعرفة على نفسك وتاخذها عن الفهم والتفهم وتعودها
الكسل والهوينا قال الجاحظ وكلام كثير قد جرى على السنة الناس وله
مضرة شديدة وثمرة مرة فمن اضر ذلك قولهم لم يدع الاول للاخر شيئا قال فلو
ان علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته
اليهم عمن قبلهم لرايت العلم مختلا الى ههنا كلام الجاحظ واعلم ان العلم
انما هو معدن فكما انك لا يمنعك ان ترى الوف وقر قد اخرجت من معدن
تبر ان تطلب فيه وان تاخذ ما تجد ولو كقدر تومة كذلك ينبغي ان يكون

وابلغ في طلب العلم ومن الله نسال التوفيق **فصل** هذا فن من المجاز
لم نذكره فيما تقدم اعلم ان طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل انك
ذكرت الكلمة وانت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف له او شبيه
له فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه واذ قد عرفت ذلك فاعلم
ان في الكلام مجازا على غير هذا السبيل وهو ان يكون التجوز في حكم يجري
على الكلمة فقط فتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصودا في
نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض والمثال فيه قولهم نهارك صايم
وليلك قايم ونام ليلي وتجلى همي وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وقول
الفرزدق سقتها خروق في المسامع لم تكن علاطا ولا مخبوطة في الملاغم
انت ترى مجازا في هذا كله ولكن لا في ذوات الكلم وانفس الالفاظ و
لكن في احكام اجريت عليها الا ترى انك لم تتجوز في قولك نهارك صايم و
ليلك قايم في نفس صايم وقايم ولكن في ان اجريتهما خبرين على النهار والليل
وكذلك ليس المجاز في الاية في لفظة ربحت نفسها ولكن في اسنادها الى التجارة
وهكذا الحكم في قوله سقتها خروق ليس التجوز في نفس سقتها ولكن في
ان اسندها الى الخروق افلا ترى انك لا ترى شيئا منها الا وقد اريد به معناه
الذي وضع له على وجهه وحقيقته فلم ترد بصايم غير الصوم ولا بقايم غير
القيام ولا بربحت غير الربح ولا بسقت غير السقي كما اريد بقوله سالت في قوله
وسالت باعناق المطي الاباطح غير السيل واعلم ان الذي ذكرت لك في المجاز
هناك ان من شانه ان يفخم عليه المعنى وتحدث فيه النباهة قايم لك مثله
ههنا فليس يشتبه على عاقل ان ليس حال المعنى وموقعه في قوله فنام ليلي
وتجلى همي كما لم يكن الحال في قولك رايت اسدا كالحال في رايت رجلا كالاسد
ومن هذا الذي يخفى عليه مكان العلو وموضع المزية وصورة الفرقان بين
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وبين ان يقال فما ربحوا في تجارتهم وان اردت
ان تزداد للامر تبيينا فانظر الى بيت الفرزدق يحمي اذا اخترط السيوف نساءنا
ضرب تطير له السواعد ارعل والى رونقه ومائه والى ما عليه من الطلاوة
ثم ارجع الى الذي هو الحقيقة وقل يحمي اذا اخترط السيوف نساءنا بضرب
تطير له السواعد ارعل ثم اسبر حالك هل ترى مما كنت تراه شيئا وهذا
الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق
والكاتب البليغ في الابداع والاحسان والاتساع في طرق البيان وان يجي

بالكلام مطبوعا مصنوعا وان يضعه بعيد المرام قريبا من الافهام ولا يغرنك
من امره انك ترى الرجل يقول اتى بي الشوق الى لقائك وسار بي الحنين
الى رويتك واقدمني بلدك حق لي على انسان واشباه ذلك مما تجده
لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل امرها فليس هو كذلك
ابدا بل يدق ويلطف حتى يمتنع مثله الا على الشاعر المفلق والكاتب البليغ
وحتى ياتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تانق لها وجملة الامر ان
سبيله سبيل الضرب الاول الذي هو مجاز في نفس اللفظ وذات الكلمة فكما
ان من الاستعارة والتمثيل عاميا مثل رايت اسدا ووردت بحرا و
شاهدت بدرا وسل من رايه سيفا ماضيا وخاصيا لا يكمل له كل احد
مثل قوله وسالت باعناق المطي الاباطح كذلك الامر في هذا المجاز الحكمي
والله اعلم واعلم انه ليس بواجب في هذا ان يكون للفعل فاعل في التقدير
اذا انت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في ربحت
تجارتهم ربحوا في تجارتهم وفي يحمي نساءنا ضرب يحمي نساءنا بضرب
فان ذلك لا يتاتى في كل شي الا ترى انه لا يمكنك ان تثبت للفعل في
قولك اقدمني بلدك حق لي على انسان فاعلا سوى الحق وكذلك لا تستطيع
في قوله وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل وقوله يزيدك وجهه
حسنا اذا ما زدته نظرا ان تزعم ان لصيرني فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل
للهوى كما فعل ذلك في ربحت تجارتهم ويحمي نساءنا ضرب ولا تستطيع
كذلك ان تقدر ليزيد في قولك يزيدك وجهه فاعلا غير الوجه فالاعتبار
اذا بان يكون المعنى الذي يرجع اليه الفعل موجودا في الكلام على حقيقته
معنى ذلك ان القدوم الذي في قولك   الانسان موجود
على الحقيقة وكذلك الصيرورة في قوله وصيرني هواك والزيادة في
قوله يزيدك وجهه موجودتان على الحقيقة واذا كان معنى اللفظ موجودا
على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه واذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ
كان لا محالة في الحكم فاعرف هذه الجملة واحسن ضبطها حتى تكون على
بصيرة من الامر ومن اللطيف في ذلك قول الحاجز بن عوف الجعير
الفوارس يوم داج وحمى مالك وضع السهاما فلو صلحت لنا الرمت
منا اذا لم تغبق الماء العلاما يريد اذا كان العام عام جدب وجفت

ضروع الابل وانقطع الدر حتى ان حلب منها ما به لم يحصل من لبنها ما يكون
غبوق غلام واحد فالفعل الذي هو غبوق مستعمل في نفسه على حقيقته
غير مخرج عن معناه واصله الى معنى شيء اخر فيكون قد دخله مجاز في
نفسه وانما المجاز في ان اسند الى الابل وجعل فعلا لها واسناد الفعل
الى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فاعرفه واعلم ان من
سبب اللطف في ذلك انه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز الحكمي
بسهولة بل تجدك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تهيئ الشيء وتصلحه
لذلك بشيء تتوخاه في النظم وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى قوله
تناس طلاب العامرية اذ نات باسجح مرقال الضحى قلق الضفر اذا ما احسته
الافاعي تحيزت شواة الافاعي من مثلمة سمر تجوب له
شرب غير ملأى ولا صفر يصف جلاه ويريد انه يبصر بنور عينيه في الظلما
ويمكنه بها ان يخرقها ويمضي فيها ولولاها لكانت الظلماء كالسد والحاجز
الذي لا يجد شيئا يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلا فانت الان تعلم انه
لولا قال تجوب له فعلق له بتجوب لما صلحت العين لان يسند تجوب اليها و
لكان لا يتبين جهة التجوز في جعل تجوب فعلا للعين كما ينبغي وكذلك
تعلم انه لو قال مثلا تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولاضطرب
عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ ان يصف العين بما
وصفها به الان فتامل هذا واعتبره فهذه التهيئة وهذا الاستعداد في
هذا المجاز الحكمي نظير انك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة
وانت تحتاج في الامر الاكثر الى ان تمهد لها وتقدم او تروم ما تعلم به
انك مستعير ومشبه وتفتح طريق المجاز الى الكلمة الا ترى الى قوله وصاعقة
من نصله تنكفي بها على ارؤس الاقران خمس سحائب عنى بخمس السحائب
انامله ولكنه لم يات بهذه الاستعارة دفعة ولم يرمها اليك بغتة بل
ذكر ما ينبئ عنها ويستدل به عليها فذكر ان هناك صاعقة وقال من نصله
فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على ارؤس الاقران ثم قال
خمس فذكر خمس التي هي عدد انامل اليد فبان من مجموع هذه الامور غرضه
وانشد بعض العرب فان تعافوا العدل والايمانا فان في ايماننا نيرانا
يريد فان في ايماننا سيوفا نضربكم بها ولولا قوله اولا فان تعافوا العدل

والايمان وان في ذلك دلالة على ان جوابه انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة
بالسيف ثم قوله فان في ايماننا لما عقل مراده ولما جاز ان يستعير النيران
للسيوف لانه كان لا يعقل الذي يريد لانا وان كنا نقول في ايديهم سيوف
تلمع كانها شعل نار كما قال ناهضتهم والبارقات كانها شعل على ايديهم
تلهب فان هذا التشبيه لا يبلغ مبلغ ما يعرف مع الاطلاق كمعرفتنا اذا
قال رايت اسدا انه يريد الشجاعة واذا قال لقيت شمسا وبدرا انه يريد الحسن
ولا يقوى تلك القوة فاعرفه ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء ترتع
ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار وذلك انها لم ترد بالاقبال
والادبار غير معناهما فيكون قد تجوزت في نفس الكلمة وانما تجوزت في ان
جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة ذلك عليها واتصاله منها وانه لم يكن
لها حال غيرهما كانها قد تجسمت من الاقبال والادبار وانما كان يكون المجاز
في نفس الكلمة لو انها كانت قد استعارت الاقبال والادبار لمعنى غير معناهما
الذي وضعا له في اللغة ومعلوم ان ليس الاستعارة مما ارادته في شيء واعلم
انه ليس بالوجه ان يعد هذا على الاطلاق معد ما حذف منه المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه مثل قوله عز وجل واسأل القرية ومثل قول النابغة
وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب وقول الاعرابي لعادم
راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق وان كنا نراهم يذكرونه حيث
يذكرون حذف المضاف ويقولون انه في تقدير فانما هي ذات اقبال و
ادبار ذلك لان المضاف المحذوف من نحو الاية والبيتين في سبيل ما يحذف
من اللفظ ويراد في المعنى كمثل ان يحذف خبر المبتدا او المبتدا اذا دل الدليل
عليه الى سائر ما اذا حذف كان في حكم المنطوق به وليس الامر كذلك في
بيت الخنساء لانا اذا جعلنا المعنى فيه الان كالمعنى اذا نحن قلنا فانما هي ذات
اقبال وادبار افسدنا الشعر على انفسنا وخرجنا الى شيء مغسول والى كلام
عامي مرذول وكان سبيلنا سبيل من يزعم مثلا في بيت المتنبي بدت قمرا وماست
خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا انه في تقدير محذوف وان معناه
الا كالمعنى اذا قلت بدت مثل قمر ومالت مثل خوط بان وفاحت مثل عنبر
ورنت مثل غزال في انا نخرج الى الغثاثة والى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها
ويخفض من شانها ويصد اوجهنا عن محاسنها ويسد باب المعرفة
بها ولطايفها علينا فالوجه ان يكون تقدير المضاف في هذا على معنى

الا لو كان الكلام قد جي به على ظاهره ولم يقصد الى الذي ذكرنا من المبالغة
والاتساع وان تجعل الناقة كانها قد صارت بجملتها اقبالا وادبارا حتى
كانها قد تجسمت منهما لكان حينئذ يجي فيه تقدير المضاف فيقال فانما هي
ذات اقبال وادبار فاما ان يكون الشعر الان موضوعا على ارادة ذلك و
على تنزيله منزلة المنطوق به حتى يكون الحال فيه كالحال في حيث تقام راحلة
عنا قاحبر كان المعنى والقصد ان تقول حيث تقام راحلتي تقام عناق
مما لا مساغ له عند من كان صحيح الذوق صحيح المعرفة نسابة للمعاني فصل
هذه مسالة قد كنت عملتها قديما وقد كتبتها هاهنا لان لها اتصالا بهذا
الذي صار بنا القول اليه قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي لمن اعمل قلبه
فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي ان ينظر فيه فهذا
على ان يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكر كانه قد عدم القلب
من حيث عدم الانتفاع به وفاته الذي هو فايدة القلب والمطلوب منه كما جعل
الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يوديان اليه ولا يحصل
من روية ما يرى وسماع ما يسمع على فايدة بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر فاما
تفسير من يفسره على انه بمعنى من كان له عقل فانه انما يصح على ان يكون قد
اراد الدلالة على الغرض على الجملة فاما ان يوخذ به على هذا الظاهر حتى كان
اللفظ اسم للعقل كما يتوهمه الحشوية ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل
لانه يودي الى ابطال الغرض من الاية والى تحريف الكلام عن صورته وازالة
المعنى عن جهته وذلك ان المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه وذم
من يخل به ويغفل عنه ولا يحصل ذلك الا بالطريق الذي قدمته والا بان
يكون قد جعل من لا يفقه بقلبه ولا ينظر ولا يتفكر كانه ليس بذي قلب
كما يجعل كانه جماد وكانه ميت لا يشعر ولا يحس وليس سبيل من فسر القلب
هنا على العقل الا سبيل من فسر عليه العين والسمع في قول الناس هذا
بين لمن كانت له عين ولمن كان له سمع وفسر العمى والصمم والموت في صفة
من يوصف بالجهالة على مجرد الجهل واجرى جميع ذلك على الظاهر فاعرفه ومن
عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم ان يتوهموا ابدا في الالفاظ الموضوعة
على المجاز والتمثيل انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض
ويمنعوا انفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف و
ناهيك بهم اذا هم اخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طايل

هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به ونسال
الله العصمة والتوفيق فصل هذا فن من القول دقيق المسلك
لطيف الماخذ وهو انا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بان يذهبوا
بها مذهب الكناية والتعريض كذلك يذهبون في اثبات الصفة هذا
المذهب واذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملا الطرف ودقايق تعجز
الوصف ورايت هناك شعرا شاعرا وسحرا ساحرا وبلاغة لا يكمل لها الا
الشاعر المفلق والخطيب المصقع وكما ان الصفة اذا لم تاتك مصرحا بذكرها
مكشوفا عن وجهها ولكن مدلولا عليها بغيرها كان ذلك افخم لشانها والطف
لمكانها كذلك اثباتك الصفة للشي تثبتها له اذا لم تلقه الى السامع صريحا
وجيت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة كان له من
الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة
فيه وتفسير هذه الجملة وشرحها انهم يرومون وصف الرجل ومدحه و
اثبات معنى من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن
جعلها فيه بجعلها في شي يشتمل عليه ويتلبس به ويتوصلون في الجملة الى
ما ارادوا من الاثبات لا من الجهة الظاهرة المعروفة بل من طريق يخفى ومسلك
يدق ومثاله قول زياد الاعجم ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج اراد كما لا يخفى ان يثبت هذه المعاني والاوصاف خلالا للممدوح
وضرايب فيه فترك ان يصرح فيقول ان السماحة والمروة والندى مجموعة في ابن
الحشرج او مقصورة عليه او مختصة به وما شاكل ذلك مما هو صريح في
اثبات الاوصاف للمذكورين بها وعدل الى ما ترى من الكناية والتلويح
فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه واشارة اليه فخرج
كلامه بذلك الى ما خرج اليه من الجزالة وظهر فيه ما انت ترى من الفخامة
ولو انه اسقط هذه الواسطة من البين لما كان لكلامه ما عقلا وجد بشا
فاذ جا هذه الصنعة في طريق الاثبات هي نظير الصنعة في المعاني اذا
جات كنايات عن معان اخر نحو قوله وما يك في من عيب فاني جبان الكلب
مهزول الفصيل فكما انه انما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لاجل انه
اراد ان يذكر نفسه بالقرى والضيافة فكنى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل
وترك ان يصرح فيقول قد عرف ان جنابي مالوف وكلبي مودب لا يهر في وجوه
من يغشاني من الاضياف واني انحر المتالي من ابلي وادع فصالها هزلى كذلك انما

وانك تثبت زيادة لانه كنى عن اثباته السماحة والمروءة والندى كاينة في الممدوح
بجعلها كاينة في القبة المضروبة عليه هذا وكما ان من شان الكناية الواقعة
في نفس الصفة ان تجي على هذا الحد ثم يكون في ذلك ما يتناسب كما كان في تلك
في الكناية عن الصفة نفسها تفسير هذا انك تنظر الى قول يزيد بن الحكم يمدح
يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج اصبح في قيدك السماحة والجود و
فضل الصلاح والحسب فتراه نظير البيت زياد وتعلم ان مكان القيد هنا
هو مكان القبة هناك كما انك تنظر الى قوله جبان الكلب فتعلم انه نظير لقوله
زجرت كلابي ان يهر عقورها من حيث لم يكن ذلك الجبن منه الا لان دام
منه الزجر واستمر حتى اخرج الكلب عما هو عادته من الهرير والنبح في وجه من يدنو
من داره وهو مرصد لان يعس دونها وتنظر الى قوله مهزول الفصيل فتعلم انه
نظير قول ابن هرمة لا امتع العوذ بالفصال وتنظر الى قول نصيب لعبد
العزيز على قوله وعيرهم من ظاهره فبابك اسهل ابوابهم ودارك ماهولة
عامر وكلبك آنس بالزائرين من الام بالابنة الزائرة فتعلم انه من قول
الآخر يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم وان بينهما
قرابة شديدة ونسبا لاصقا وان صورتهما في فرط التناسب صورة بيتي زياد
ويزيد ومما هو اثبات الصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم المجد بين
ثوبيه والكرم في برديه وذلك ان قائل هذا يتوصل الى اثبات المجد و
الكرم للممدوح بان يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه كما توصل زياد الى اثبات
السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج بان جعلها في القبة التي هو جالس
فيها ومن ذلك قوله وحيثما يك امر صالح فكن وما جاء في معناه من قوله
يصير ابان قرين السماح والمكرمات معا حيث صارا وقول ابي نواس
فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير كل ذلك توصل
الى اثبات الصفة للممدوح باثباتها في المكان الذي يكون فيه والى لزومها له
بلزومها الموضع الذي يحله وهكذا ان اعتبرت قول الشنفرى يصف امراة
بالعفة يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت وجدته
يدخل في معنى بيت زياد وذلك انه توصل الى نفي اللوم عنها وابعادها عنه
بان نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه فكان مذهبه في ذلك مذهب زياد
في التوصل الى جعل السماحة والمروءة والندى في ابن الحشرج بان جعلها في
القبة المضروبة عليه وانما الفرق ان هذا ينفي وذاك يثبت وذاك يعرف في ان

موضع

موضع الجمع فهو يمنع ان يكونا من نصاب واحد مما هو في حكم التناسب لبيت
زياد وامثاله التي ذكرت وان كان قد اخرج في صورة اغرب وابدع فهذا حسان
بني المجد بيتا فاستقرت عماده علينا فاعيا الناس ان يتحولا وقول البحتري
او ما رايت المجد القى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول ذاك لان مدار الامر على ان جعل
المجد والممدوح في مكان وجعله يكون حيث يكون واعلم انه ليس كل ما جاء
كناية في اثبات الصفة يصلح ان يحكم عليه بالتناسب معنى هذا ان جعلهم الجود
والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح كما قال البحتري ظللنا نعود الجود من
وعكك الذي وجدت وقلنا اعتل عضو من المجد وان كان يكون القصد منه
اثبات الجود والمجد للممدوح فانه لا يصح ان يقال انه نظير لبيت
زياد كما قلنا ذلك في بيت ابي نواس ولكن يصير الجود حيث يصير وغيره
مما ذكرنا انه نظير له كما انه لا يجوز ان يجعل قوله وكلبك آنس بالزائرين مثلا
نظيرا لقوله مهزول الفصيل وان كان الغرض منهما جميعا الوصف بالقرى والضيافة
وكانا جميعا كنايتين عن معنى واحد لان تعاقب الكنايات على المعنى الواحد
لا يوجب تناسبها لانه في عروض ان تتفق الاشعار الكثيرة في كونها مدحا بالشجاعة
مثلا او بالجود او ما اشبه ذلك وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان المغزى
منهما شيء واحد ثم لا تكون احداهما في حكم النظير للاخرى مثال ذلك انه لا
يكون قوله جبان الكلب نظيرا لقوله مهزول الفصيل بل كل واحدة من هاتين
الكنايتين اصل بنفسه وجنس على حدة وكذلك قول ابن هرمة لا امتع العوذ
بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل ليس احدى كنايتيه في حكم النظير للاخرى
وان كان المكنى بهما عنه واحدا فاعرفه وليس لشعب هذا الاصل وفروعه وامثلته
وصوره وطرقه ومسالكه حد ونهاية ومن لطيف ذلك ونادره قول ابي تمام ابين
فما يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن ابا سعيد ومثله وان لم يبلغ مبلغه قول
الآخر متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم وكذلك قول بعض العرب
اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل وسقى ديارهم باكرا من الغيث في
الزمن الممحل وفي نمط منه غريب قول بعضهم في البرامكة سالت الندى والجود ما لي
اراكما تبدلتما ذلا بعز مؤبد وما بال ركن المجد امسى مهدما فقالا اصبنا بابن
يحيى محمد فقلت فهلا متما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد فقالا اقمنا
كي نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد **فصل** واعلم ان مما اغمض
الطريق الى معرفته ما نجد بسببه ان ههنا فروقا خفية تجهلها العامة وكثير

من الخاصة ليس انهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في اخر بل لا يدرون انها هي ولا
يعلمونها في جملة ولا تفصيل روي عن ابن الانباري انه قال ركب الكندي المتفلسف
الى ابي العباس وقال له اني اجد في كلام العرب حشوا فقال له ابو العباس في اي موضع
وجدت ذلك فقال اجد العرب يقولون عبد الله قايم ثم يقولون ان عبد الله قايم
ثم يقولون ان عبد الله لقايم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال له ابو العباس
بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله قايم اخبار عن قيامه وقولهم
ان عبد الله قايم جواب عن سوال سايل وقولهم ان عبد الله لقايم جواب عن انكار
منكر قيامه فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعاني قال فما احار المتفلسف جوابا فاذا
كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم او معترض فما ظنك
بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بباله واعلم ان ههنا دقايق
لو ان الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع ان ثم الطف النظر واكثر التدبر لعلم
علم ضرورة ان ليس سواء دخولها وان لا تدخل فاول ذلك واعجبه ما قدمت لك
ذكره في بيت بشار بكرا صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير وما انشده
معه من قول بعض العرب فغنها وهي لك الفدا ان غناء الابل الحداء وذلك انه
هل شي ابين في الفايدة وادل على ان ليس سواء دخولها وان لا تدخل انك ترى
الجملة اذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتاتلف معه وتتحد به حتى كان الكلامين قد
افرغا افراغا واحدا وكان احدهما قد سبك في الاخر هذه هي الصورة حتى اذا
جيت الى ان فاسقطتها رايت الثاني منهما قد نبا عن الاول وتجافى معناه عن معناه
ورايته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل حتى تجي بالفا فتقول بكرا صاحبي قبل
الهجير فذاك النجاح في التبكير وغنها وهي لك الفداء فغناء الابل الحداء
ثم لا ترى الفا تعيد الجملتين الى ما كانتا عليه من الالفة ولا ترد عليك الذي كنت تجد
بان من المعنى وهذا الضرب كثير في التنزيل جدا من ذلك قوله تعالى يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم وقوله تعالى يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ان صلوتك سكن لهم ومن ابين ذلك قوله
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في الاية الواحدة كقوله
وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وهي على
الجملة من الكثرة بحيث لا يدركها الاحصا ومن خصايصها انك ترى لضمير الامر و
الشان معها من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث يصلح

الا بها وذلك في مثل قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين و
قوله انه من يحادد الله ورسوله وقوله انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب وقوله
انه لا يفلح الكافرون ومن ذلك قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار واجاز ابو الحسن
فيها وجها اخر وهو ان يكون الضمير مجازا للابصار اضمر قبل الذكر على
شريطة التفسير والحاجة في هذا الوجه ايضا الى ان قايمة كما كانت في الوجه
الاول فانه لا يقال هي لا تعمى الابصار كما لا يقال هي من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
فان قلت اوليس قد جا ضمير الامر مبتدا به معرى من العوامل في قوله تعالى قل هو
الله احد قيل هو وان جا ههنا فانه لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط والجزا بل تراه
لا يجي الا بان على انهم قد اجازوا في قل هو الله احد ان لا يكون الضمير للامر ومن لطيف
ما جا في هذا الباب ونادره ما تجده في اخر هذه الابيات انشدها الجاحظ لبعض
الحجازيين اذا طمع يوما عراني قريته كتايب ياس كرها وطرادها اكد ثمادي والمياه
كثيرة اعالج منها حفرها واكتدادها وارضى بها من بحر اخر انه هو الري ان ترضى
النفوس ثمادها قوله انه هو الري وذلك ان الهاء في انه تحتمل امرين احدهما ان
يكون ضمير الامر ويكون قوله هو ضمير ان ترضى وقد اضمر قبل الذكر على شريطة التفسير
الاصل ان الامر ان ترضى النفوس ثمادها الري ثم اضمر قبل الذكر كما اضمر الابصار
في فانها لا تعمى الابصار على مذهب ابي الحسن ثم اتى بالمضمر مصرحا به في اخر الكلام فعلم بذلك
ان الضمير السابق له وانه المراد به والثاني ان يكون الهاء في انه ضمير ان ترضى قبل
الذكر ويكون هو فصلا ويكون اصل الكلام ان ان ترضى النفوس ثمادها هو الري
ثم اضمر على شريطة التفسير واي الامرين كان فانه لا بد فيه من ان ولا سبيل الى اسقاطها
لانك ان اسقطتها افضى ذلك الى شي شنيع وهو ان يقول وارضى بها من بحر اخر
هو هو الري ان ترضى النفوس ثمادها هذا وفي ان هذه شي اخر يوجب الحاجة
اليها وهو انها تتولى من ربط الجملة بما قبلها نحوا مما ذكرت لك في بيت بشار الا
ترى انك لو اسقطت ان والضمير معا واقتصرت على ما ذكر ما يبقى من الكلام
لم تلف الا بالفا كقولك وارضى بها من بحر اخر فالري ان ترضى النفوس ثمادها
فلو ان الفيلسوف قد كان تتبع هذه المواضع لما ظن الذي ظن هذا واذا كان
خلف الاحمر وهو القدوة ومن يوخذ عنه ومن هو بحيث يقول الشعر فينحله الفحول
والجاهليين فيخفى له ذلك يجوز ان يشتبه ما نحن فيه عليه حتى يقع له ان ينتقد على
بشار فلا غرو ان يدخل الشبهة في ذلك على الكندي ومما تصنعه ان في الكلام انك
تراها تهيي النكرة وتصلحها لان يكون لها حكم المبتدا اعني ان يكون محدثا

عنها تجلت من بعيدها ومثال ذلك قوله ان شواء ونشوة وخبب البازل
الأمون قد ترى حسنها وصحة المعنى معها ثم انك تدخلها من غير ان فقلت
شواء ونشوة وخبب البازل الامون لم يكن كلاما فان كانت النكرة موصوفة و
كانت لذلك تصلح ان يبتدأ بها فانك تراها مع ان احسن وترى المعنى ح
اولى بالصحة وامكن افلا ترى الى قوله ان دهرا يلف شملي بسعدى لزمان
يهم بالاحسان ليس بخفى وان كان يستقيم ان تقول دهر يلف شملي بسعدى
وهو صالح الا ليس الحالان على سواء وكذلك ليس بخفى انك لو عمدت الى قوله
ان امرأ فاد جاء عن جوانبي شغلك فاسقطت منه ان لعدمت الحسن والطلاوة
والتمكن الذي انت واجده الان ووجدت ضعفا وفتورا ومن تاثير ان في
الجملة انها تغنى اذا كانت فيها من الخبر في بعض الكلام ووضع صاحب الكتاب
في ذلك بابا فقال هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الاحرف الخمسة
لاضمارك ما يكون مستقرا لها وموضعا لو اظهرته وليس هذا المضمر بنفس
المظهر وذلك ان مالا وان ولدا وان عددا اى ان لهم مالا فالذي اضمرت هو لهم
ويقول الرجل للرجل هل لكم احد ان الناس الب عليكم فيقول ان زيدا وان
عمرا اى لنا وقال ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا ويقول
ان غيرها ابلا وشاء كانه قال ان لنا او عندنا غيرها قال وانتصب الابل والشاء
كانتصاب الفارس اذا قلت ما في الناس مثله فارسا قال ومثل ذلك قوله يا ليت
ايام الصبا رواجعا قال فهذا كقوله الا ماء باردا وكانه قال يا ليت ايام الصبا
اقبلت رواجعا فقد اراك في هذا كله ان الخبر محذوف وقد ترى حسن الكلام
وصحته مع حذفه وترك النطق به ثم انك عمدت الى ان فاسقطتها وجدت
الذي كان حسن من حذف الخبر لا يحسن او لا يسوغ فلو قلت مال وعدد ومحل و
مرتحل وغيرها ابلا وشاء لم يكن شيئا وذلك ان ان كانت السبب في ان حسن حذف
الذي حذف من الخبر وانها حاضنته والمترجم عنه والمتكفل بشانه واعلم ان الذي
قلنا في ان من انها تدخل على الجملة من شانها اذا هي اسقطت منها ان يحتاج فيها
الى الفاء لا يطرد في كل شيء وفي كل موضع بل يكون في موضع دون موضع وفي
حال دون حال فانك تراها قد دخلت على الجملة ليست هي مما يقتضى الفاء وذلك
فيما لا يحصى كقوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون وذلك
ان قبله ان هذا ما كنتم به تمترون فالمتقون في جنات وعيون لم يكن كلاما
ولذلك قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لانك لو قلت

لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون فالذين سبقت لهم منا الحسنى لم تجد لادخال
الفاء فيه وجها وكذا قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين و
النصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة الذين
امنوا اسم ان وما بعده معطوف عليه وقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
جملة في موضع الخبر ودخول الفاء فيها ممتنع لان الخبر لا يعطف على المبتدا ومثله
سواء ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
فاذا انما يكون الذي ذكرنا في الجملة من حديث اقتضاء الفاء اذا كان مصدرها
مصدر الكلام يصح به ما قبله ويحتج له ويبين وجه الفائدة فيه الا ترى
ان الغرض من قوله ان ذلك النجاح في التبكير ان يبين المعنى في قوله لصاحبيه
بكرا وان يحتج لنفسه في الامر بالتبكير ويبين وجه الفائدة فيه وكذلك
الحكم في الاى التي تلوناها فقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم بيان للمعنى
في قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم وعلم امروا بان يتقوا وكذلك قوله ان
صلوتك سكن لهم بيان للمعنى في امر النبي صم بالصلوة عليهم اى بالدعاء لهم
وهذا سبيل كل ما انت ترى فيه الجملة تحتاج فيها الى الفاء فاعرف ذلك فاما
الذي ذكر عن ابي العباس من جعله لها جواب سائل اذا كانت وحدها وجواب
منكر اذا كانت معها اللام فالذي يدل على انها اصلا في الجواب انا رايناهم
قد الزموها الجملة من المبتدا والخبر اذا كانت جوابا للقسم نحو والله ان زيدا
منطلق وامتنعوا من ان يقولوا والله زيد منطلق ثم انا اذا استقرينا الكلام
وجدنا الامر بينا في الكثير من مواقعها انه يقصد بها الى الجواب كقوله تعالى
ويسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وكقوله تعالى نحن نقص نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وكقوله تعالى فان
عصوك فقل اني بريء مما تعملون وقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله وقل اني انا النذير المبين واشباه ذلك مما يعلم انه كلام
امر النبي عم بان يجيب به الكفار في بعض ما جادلوا وناظروا فيه وعلى ذلك
قوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وذلك انه يعلم ان المعنى
فاتيا فاذا قال لكما ما شانكما وما جاء بكما وما تقولان فقولا انا رسول رب
العالمين هذا سبيله ومن البين في ذلك قوله تعالى في قصة السحرة قالوا
الى ربنا منقلبون وذلك لانه عيان انه جواب فرعون عن قوله امنتم
له قبل ان اذن لكم هذا هو وجه القول في نصرة هذه الحكاية ثم ان [illegible]

الذي ينبغي ان يكون عليه البنا هو الذي دون في الكتب من انها للتاكيد واذا كان
قد ثبت ذلك فاذا كان الخبر بامر ليس للمخاطب ظن في خلافه البتة ولا يكون
قد عقد في نفسه ان الذي تزعم انه كاين غير كاين او ان الذي تزعم انه لم
يكن كاين فانت لا تحتاج هناك الى ان وانما تحتاج اليها اذا كان له ظن في
الخلاف وعقد قلب على نفي ما تثبت او اثبات ما تنفي ولذلك تراها تزداد
حسنا اذا كان الخبر بامر يبعد مثله في الظن وبشي قد جرت عادة الناس
بخلافه كقول ابي نواس عليك بالياس عن الناس ان غنى نفسك
في الياس فقد ترى حسن موقعها وكيف قبول النفس لها وليس ذلك الا
ان الغالب على الناس انهم لا يحملون انفسهم على الياس ولا يدعون الرجا
والطمع ولا يعترف كل احد ولا يسلم ان الغنى في الياس فلما كان كذلك
كان الموضع موضع فقر الى التاكيد فلذلك كان من حسنها ما ترى ومثله
هو قول محمد بن وهيب اجارتنا ان التعفف بالياس وصبرا على استدرار
دنيا بابساس حريان على ان لا يقذفا بمذلة كريما وان لا يحوجاه الى الناس
اجارتنا ان القداح كواذب واكثر اسباب النجاح مع الياس هو كما لا
يخفى كلام مع من لا يرى ان الامر كما قال بل ينكره ويعتقد خلافه ومعلوم
انه لم يقله الا والمراة تحثه وتبعثه على التعرض للناس وعلى الطلب ومن
لطيف مواقعها ان يدعى على المخاطب ظن لم يظنه ولكن يراد التهكم به
وان يقال ان حالك والذي صنعت يقتضي ان يكون قد ظننت ذلك ومثال
ذلك قول الاول جاء شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح يقول
ان مجيه هكذا مدلا بنفسه وبشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل على اعجاب
شديد وعلى اعتقاد منه انه لا يقوم له احد حتى كان ليس مع احد منا رمح
يدفع به وكانا كلنا عزل واذا كان كذلك وجب اذا قيل انها جواب سايل
ان يشترط فيه ان يكون للسايل ظن في المسول عنه على خلاف ما انت تجيبه به
فاما ان يجعل مجرد الجواب اصلا فيها فلا لانه يودي الى ان لا يستقيم لنا اذا
قال الرجل كيف زيد ان نقول صالح واذا قيل اين هو ان نقول في الدار وان
لا يصح حتى نقول انه صالح وانه في الدار وذلك مما لا يقوله احد واما جعلها
اذا جمع بينها وبين اللام نحو ان عبد الله لقايم للكلام مع المنكر كانت الحاجة
الى التاكيد اشد وذلك انك احوج ما يكون الى الزيادة في تثبيت خبرك
اذا كان هناك من يدفعه وينكر صحته الا انه ينبغي ان تعلم انه كما يكون للانكار

قد كان

من السامع فانه يكون مع السامعين وجملة الامر انك لا تقول انه كذلك حتى
تريد ان تضع كلامك وضع من يزع فيه عن الانكار واعلم انها قد تدخل للدلالة
على ان الظن كان من المتكلم في الذي كان انه لا يكون وذلك قولك للشي
هو بمراى من المخاطب ومسمع انه كان من الامر ما ترى وكان مني الى فلان احسان
ومعروف ثم انه جعل جزاي ما رايت فتجعلك كانك ترد على نفسك ظنك الذي
ظننت وتبين الخطا في الذي توهمت وعلى ذلك والله اعلم قوله تعالى حكاية
عن مريم عم قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قوله تعالى
حكاية عن نوح عم قال رب ان قومي كذبون وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف
من الدقايق والامور الخفية بالشي يدرك بالهوينا ونحن نقتصر الان على ما ذكرناه
وناخذ في القول عليها اذا اتصلت بها ما مسايل انما قال الشيخ ابو علي في الشيرازيات
يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ان المعنى ما حرم ربي الا الفواحش قال واصبت ما يدل على صحة قولهم
في هذا وهو قول الفرزدق انا الذايد الحامي الذمار وانما يدافع عن
احسابهم انا او مثلي فليس يخلو هذا الكلام من ان يكون موجبا او منفيا فلو كان
المراد به الايجاب لم يستقم الا ترى انك لا تقول يدافع انا ولا يقاتل انا وانما تقول
ادافع واقاتل الا ان المعنى لما كان ما يدافع الا انا فصلت الضمير كما تفصله مع
النفي اذا الحقت معه الا حملا على المعنى وقال ابو اسحق الزجاج في قوله انما حرم
عليكم الميتة قال ابو اسحق والذي اختاره ان تكون ما هي التي تمنع ان من العمل
ويكون المعنى ما حرم عليكم الا الميتة لان انما تاتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا
لما سواه وقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي المعنى ما يدافع عن
احسابهم الا انا او مثلي انتهى كلام الشيخ ابي علي واعلم انهم وان كانوا قد قالوا هذا
الذي كتبته لك فانهم لم يعنوا بذلك ان المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه
وان سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد وفرق بين ان يكون
في الشي معنى الشي وبين ان يكون الشي الشي على الاطلاق يبين لك انهما لا يكونان
سواء انه ليس كل كلام يصلح فيه ما والا يصلح فيه انما الا ترى انها لا تصلح في مثل قوله تعالى وما من اله الا الله ولا في نحو قولنا
ما احد الا وهو يقول ذاك اذ لو قلت انما من اله الله وانما احد وهو يقول ذاك
قلت ما لا يكون له معنى فان قلت ان سبب ذلك ان احدا لا يقع الا في النفي وما يجري
مجرى النفي من النهي والاستفهام وان من المزيدة في وما من اله الا الله كذلك لا يكون
الا في النفي وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام قيل فحي هذا كفاية فانه

اعترافا بانهما سواء ولانهما لو كانا سواء لكان ينبغي ان يكون في انما مثل ما يكون
في ما والا وكما وجدت انما لا تصلح فيما ذكرنا كذلك تجد ما والا لا تصلح في ضرب من
الكلام قد صلحت فيه انما وذلك في مثل قولك انما هو درهم لا دينار لو قلت ما
هو الا درهم لا دينار لم يكن شيئا واذ قد بان بهذه الجملة انهم حين جعلوا انما
في معنى ما والا لم يعنوا ان المعنى فيهما واحد على الاطلاق وان يسقطوا الفرق
فاني ابين لك امرهما وما هو اصل كل واحد منهما بعون الله وتوفيقه اعلم
ان موضوع انما على ان تجي لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته او لما ينزل
هذه المنزلة تفسير ذلك انك تقول للرجل انما هو اخوك وانما هو صاحبك
القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته وذلك لمن يعلمه ويقر به الا انك
تريد ان تنبهه للذي يجب عليه من حق الاخ وحرمة الصاحب ومثله قول الاخر
انما انت والد والاب القاطع احنى من واصل الاولاد لم يرد ان يعلم كافورا انه
والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ولكنه اراد ان يذكره منه بالامر
المعلوم لينبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد ومثل ذلك
قولهم انما يعجل من يخشى الفوت وذلك ان من المعلوم الثابت في النفوس
ان من لم يخش الفوت لم يعجل ومثاله من التنزيل قوله تعالى انما يستجيب الذين
يسمعون وقوله تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله انما انت
منذر من يخشاها كل ذلك تذكير بامر معلوم ثابت وذلك ان كل عاقل يعلم
انه لا يكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى اليه وان من لم يسمع
ولم يعقل لم يستجب وكذلك معلوم ان الانذار انما يكون انذارا ويكون له
تاثير اذا كان مع من يؤمن بالله ويخشاه ويصدق بالبعث والساعة فاما
الكافر الجاهل فالانذار وترك الانذار معه واحد فهذا مثال ما الخبر فيه خبر
بامر يعلمه المخاطب ولا ينكره بحال واما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله انما
مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ادعى كون الممدوح بهذه الصفة
انه امر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء اذا مدحوا ان يدعوا في الاوصاف التي
يذكرون بها الممدوحين انها ثابتة لهم وانهم قد شهروا بها وانهم لم يصفوا
الا بالمعلوم والظاهر الذي لا يدفعه احد كما قال وتعذلني ابناء سعد عليهم وما
قلت الا بالتي علمت سعد وكما قال البحتري لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها
عداه ومثله قولهم انما هو اسد وانما هو نار وانما هو سيف صارم اذا ادخلوا
انما جعلوا ذلك في حكم الظاهر والمعلوم الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى واما الخبر بالنفي

والاثبات

والاثبات نحو ما هو الا كذا وان هو الا كذا فيكون للامر الذي ينكره المخاطب ويشك
فيه فاذا قلت ما هو الا مصيب او ما هو الا مخطي قلته لمن يدفع ان يكون الامر
على ما قلت واذا رايت شخصا من بعيد فقلت ما هو الا زيد لم تقله الا وصاحبك
يتوهم انه ليس بزيد وانه انسان اخر ويجد في الانكار ان يكون زيدا واذا كان
الامر ظاهرا كالذي مضى لم تقله كذلك فلا تقول للرجل ترققه على اخيه وتنبهه
للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحاني ما هو الا اخوك وكذلك لا
يصلح في انما انت والد ما انت الا والد فاما نحو انما مصعب شهاب فيصلح فيه
ان تقول ما مصعب الا شهاب لانه ليس من المعلوم على الصحة وانما ادعى الشاعر
فيه انه كذلك واذا كان هذا هكذا جاز ان تقوله بالنفي والاثبات الا انك
تخرج المدح حينئذ عن ان يكون على حد المبالغة من حيث لا يكون قد ادعيت فيه
انه معلوم وانه بحيث لا ينكره منكر ولا يخالف فيه مخالف وقوله تعالى ان
انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا انما جاء والله
اعلم بان والا دون انما فلم يقل انما انتم بشر مثلنا لانهم جعلوا الرسل كانهم بادعائهم
النبوة قد اخرجوا انفسهم عن ان يكونوا بشرا مثلهم وادعوا امرا لا يجوز ان يكون
لمن هو بشر ولما كان الامر كذلك اخرج اللفظ مخرجه حيث يراد اثبات امر
يدفعه المخاطب ويدعي خلافه ثم جاء الجواب من الرسل الذي هو قوله قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم كذلك بان والا دون انما لان من حكم من ادعي عليه
خصمه الخلاف في امر هو لا يخالف فيه ان يعيد كلام الخصم على وجهه ويجي به
على هيئته ويحكيه كما هو فاذا قلت للرجل من شانك كيت وكيت قال نعم انا من
شاني كيت وكيت ولكن لا ضير علي ولا يلزمني من اجل ذلك ما ظننت انه يلزم
فالرسل عم كانهم قالوا ان ما قلتم من انا بشر مثلكم كما قلتم لسنا ننكر ذلك
ولا نجهله ولكن ذلك لا يمنعنا ان يكون الله تعالى قد من علينا واكرمنا بالرسالة
واما قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم فجاء بانما لانه ابتداء كلام قد امر النبي صلعم بان
يبلغه اياهم ويقوله معهم وليس هو جوابا لكلام سابق قد قيل ان انت الا بشر
فيجب ان يؤتى به على وفق ذلك الكلام ويراعى فيه حذوه كما كان ذلك في الاية
وجملة الامر انك متى رايت شيئا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي
فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه فمن ذلك قوله تعالى وما انت بمسمع
من في القبور ان انت الا نذير انما جاء والله اعلم بالنفي والاثبات لانه لما قال
تعالى وما انت بمسمع من في القبور وكان المعنى في ذلك ان يقال للنبي عم انك لا تستطيع

ان تحول قلوبهم عما هى عليه من الاباء وامتناع ان توضع الايمان فى نفوسهم مع
اصرارهم على كفرهم واستمرارهم على جهلهم وصدهم باسماعهم عما يقوله لهم
ويتلوه عليهم كان اللائق ان يجعل حال النبى عم حال من قد ظن انه يملك
ذلك ومن لا يعلم يقينا انه ليس فى وسعه شى اكثر من ان ينذر ويحذر فخرج
اللفظ مخرجه اذا كان الخطاب مع من يشك فقيل ان انت الا نذير ويبين
ذلك انك تقول للرجل يطيل مناظرة الجاهل ومقابلته انك لا تستطيع ان
تسمع الميت وان تفهم الجماد وان تحول الاعمى بصيرا ليس بيدك الا ان تبين وتحتج
ولست تملك اكثر من ذلك لا تقول ههنا فانما الذى بيدك ان تبين وتحتج
ذاك لانك لم تقل له انك لا تستطيع ان تسمع الميت حتى جعلته بمثابة من يظن
انه يملك وراء الاحتجاج والبيان شيئا هذا واضح فاعرفه ومثل هذا فى ان
الذى تقدم من الكلام اقتضى ان يكون اللفظ كالذى تراه من كونه بان و
الا قوله تعالى قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون

فصل هذا بيان اخر فى انما اعلم انها تفيد فى الكلام بعدها ايجاب
الفعل لشى ونفيه عن غيره فاذا قلت انما جاء زيد عقل منه انك اردت ان
يكون الجائى غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى فى قولك جاء زيد لا عمرو
الا ان لها مزية وهى انك تعقل معها ايجاب الفعل لشى ونفيه عن غيره دفعة
واحدة وفى حال واحد وليس كذلك الامر فى جاء زيد لا عمرو فانك تعقلهما
فى حالين ومزية ثانية وهى انها تجعل الامر ظاهرا فى ان الجائى زيد ولا يكون
هذا الظهور اذا جعلت الكلام بلا فقلت جاء زيد لا عمرو ثم اعلم ان قولنا
فى لا العاطفة انها تنفى عن الثانى ما وجب للاول ليس المراد به انها تنفى عن الثانى
ان يكون قد شارك الاول فى الفعل بل انها تنفى ان يكون الفعل الذى قلت انه
كان من الاول قد كان من الثانى دون الاول الا ترى ان ليس المعنى فى قولك
جاء زيد لا عمرو انه لم يكن من عمرو مجى اليك مثل ما كان من زيد حتى كانه
عكس قولك جاء زيد وعمرو بل المعنى ان الجائى هو زيد لا عمرو فهو كلام
تقوله مع من يغلط فى الفعل قد كان من هذا فيتوهم انه كان من ذلك والنكتة
انه لا شبهة فى انه ليس ههنا جائيان وانه ليس الا جاء واحد وانما الشبهة
فى ان ذلك الجائى زيد ام عمرو فانت تحقق على المخاطب بقولك جاء زيد لا عمرو
حتى يكون قد بلغ المخاطب انه كان مجى اليك من جاء الا انه ظن انه كان من عمرو

فاعلمته

فاعلمته انه لم يكن من عمرو ولكن من زيد واذ قد عرفت هذه المعانى فى الكلام بلا
العاطفة فاعلم انها بجملتها قائمة لك فى الكلام بانما فاذا قلت انما جاءنى زيد
لم يكن غرضك ان تنفى ان يكون قد جاء مع زيد غيره ولكن ان تنفى ان يكون
المجى الذى قلت انه كان منه كان من عمرو وكذلك يكون الشبهة مرتفعة فى ان
ليس ههنا جائيان وان ليس الا جاء واحد وانما تكون الشبهة فى ان ذلك
الجائى زيد ام عمرو فاذا قلت انما جاءنى زيد حققت الامر فى انه زيد وكذلك
لا تقول انما جاءنى زيد حتى يكون قد بلغ المخاطب ان قد جاءك جاء
ولكنه ظن انه عمرو مثلا فاعلمته انه زيد فان قلت فانه قد يصح ان يقول انما
جاءنى من بين القوم زيد وحده وانما اتانى من جملتهم عمرو فقط فان ذلك
شى كالتكلف والكلام هو الاول ثم ان الاعتبار به اذا اطلق فلم يقيد بوحده
وما فى معناه ومعلوم انك اذا قلت انما جاءنى زيد ولم تزد على ذلك انه لا
يسبق الى القلب من المعنى الا ما قدمنا شرحه من انك اردت النص على زيد انه
الجائى وان تبطل عن المخاطب ان المجى لم يكن منه ولكن كان من عمرو حسب
ما يكون اذا قلت جاءنى زيد لا عمرو فاعرفه واذ قد عرفت هذه الجملة فانا
نذكر جملة من القول فى ما والا وما يكون من حكمها اعلم انك اذا قلت ما جاءنى
الا زيد احتمل امرين احدهما ان تريد اختصاص زيد بالمجى وان تنفيه عمن
عداه وان يكون كلاما تقوله لا لان بالمخاطب حاجة الى ان يعلم ان زيدا قد
جاءك ولكن لان به حاجة الى ان يعلم انه لم يجى اليك غيره والثانى ان تريد
الذى ذكرناه فى انما ويكون كلاما تقوله ليعلم ان الجائى زيد لا غيره فمن ذلك
قولك للرجل يدعى انك قلت قولا ثم قلت خلافه ما قلت اليوم الا ما قلت امس
بعينه وتقول لم تر زيدا وانما رايت عمرا فتقول بل لم ار الا زيدا وعلى
ذلك قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم لانه ليس
المعنى انى لم ازد على ما امرتنى به شيئا ولكن المعنى انى لم ادع ما امرتنى به ان
اقوله لهم وقلت خلافه ومثاله ما جاء فى الشعر من ذلك قوله قد علمت سلمى
وجاراتها ما قطر الفارس الا انا المعنى انى انا الذى قطر الفارس وليس المعنى
على انه يريد ان يزعم انه انفرد بان قطره وانه لم يشركه فيه غيره وههنا كلام
ينبغى ان تعلمه الا انى اكتب لك من قبله مسالة لان فيها عونا عليه قوله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء فى تقديم اسم الله تعالى معنى خلاف ما يكون لو اخر
وانما يبين لك ذلك اذا اعتبرت الحكم فى ما والا وحصلت الفرق بين ان تقول

ما ضرب زيدا الا عمرو وبين قولك ما ضرب عمرو الا زيدا والفرق بينهما انك اذا
قلت ما ضرب زيدا الا عمرو فقدمت المنصوب كان الغرض بيان الضارب من
هو والاخبار بانه عمرو خاصة دون غيره واذا قلت ما ضرب عمرو الا زيدا
فقدمت المرفوع كان الغرض بيان المضروب من هو والاخبار بانه زيد
خاصة دون غيره واذ قد عرفت ذلك فاعتبر الاية واذا اعتبرتها علمت
ان تقديم اسم الله تعالى انما كان لاجل ان الغرض ان يبين الخاشون من
هم ويخبر بانهم العلماء خاصة دون غيرهم ولو اخر ذكر اسم الله تعالى وقدم
العلماء فقيل انما يخشى العلماء الله لصار المعنى على ضد ما هو عليه الان و
لصار الغرض بيان المخشي من هو والاخبار بانه الله دون غيره ولم يجب
ان تكون الخشية من الله مقصورة على العلماء وان يكونوا مخصوصين بها كما
هو الغرض في الاية بل كان يكون المعنى ان غير العلماء يخشون الله تعالى ايضا الا
انهم مع خشيتهم الله يخشون معه غيره والعلماء لا يخشون غير الله وهذا
المعنى وان كان قد جاء في التنزيل في غير هذه الاية كقوله تعالى ولا يخشون
احدا الا الله فليس هو الغرض في الاية ولا اللفظ بمحتمل له البتة ومن اجاز حملها
عليه كان قد ابطل فائدة التقديم وسوى بين قوله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء وبين ان يقال انما يخشى العلماء الله واذا سوى بينهما لزمه ان
يسوي بين قولنا ما ضرب زيدا الا عمرو وبينه ما ضرب عمرو الا زيدا وذلك
ما لا شبهة في امتناعه فهذه هي المسئلة واذ قد عرفتها فالامر فيها بين ان
الكلام بما والا قد يكون في معنى الكلام بانما الا ترى الى وضوح الصورة
في قولك ما ضرب زيدا الا عمرو وما ضرب عمرو الا زيدا انه في الاول لبيان
من الضارب وفي الثاني لبيان من المضروب وانه تكلف ان تحمله على
نفي الشركة فتريد بما ضرب زيدا الا عمرو انه لم يضربه اثنان وبما ضرب عمرو
الا زيدا انه لم يضرب اثنين ثم اعلم ان السبب في انه لم يكن تقديم المفعول في هذا
كتاخيره وانه لم يكن ما ضرب عمرو الا زيدا وما ضرب زيدا الا عمرو سواء في
المعنى ان الاختصاص يقع في واحد من الفاعل والمفعول ولا يقع فيهما جميعا
ثم انه يقع في الذي يكون بعد الا منهما دون الذي قبلها لاستحالة ان يحدث
معنى الحرف في الكلمة من قبل ان يجيء الحرف واذا كان الامر كذلك وجب ان
يفترق الحال بين ان تقدم المفعول على الا فتقول ما ضرب زيدا الا عمرو
وبين ان تقدم الفاعل عليها فتقول ما ضرب عمرو الا زيدا لانا ان زعمنا

ان الحال لا تتغير فجعلنا المتقدم كالمتاخر في جواز حدوثه فيه عد ذلك يقتضي
المحال الذي هو ان يحدث معنى الا في الاسم قبل ان يجيء بها فاعرفه واذ قد
عرفت ان الاختصاص مع الا يقع في الذي يؤخر من الفاعل والمفعول فكذلك
يقع مع انما في المؤخر منهما دون المقدم فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو
كان الاختصاص في الضارب واذا قلت انما ضرب عمرو زيدا كان الاختصاص
في المضروب وكما لا يجوز ان يستوي الحال بين التقديم والتاخير مع الا
كذلك لا يجوز مع انما واذا استبنت هذه الجملة عرفت بها ان الذي صنعه الفرزدق
في قوله وانما يدافع عن احسابهم انا ومثلي شيء لو لم يصنعه لم يصح له المعنى
ذاك لان غرضه ان يخص المدافع عنه لا انه يزعم ان المدافعة منه تكون عن
احسابهم لا عن احساب غيرهم كما يكون اذا قال وما ادافع الا عن احسابهم
وليس ذلك معناه انما معناه ان يزعم ان المدافع هو لا غيره فاعرف ذلك
فان الغلط كما اظن يدخل على كثير ممن تسمعهم يقولون انه فصل الضمير للحمل
على المعنى فيرى انه لو لم يفصله لكان يكون معناه مثله الان هذا ولا يجوز
ان ينسب فيه الى الضرورة فيجعل مثلا نظيرا لقول الاخر كانا يوم قرى انما نقتل
ايانا لانه ليس بضرورة مثل ذلك من حيث ان ادافع ويدافع واحد في الوزن فاعرف
هذا ايضا وجملة الامر ان الواجب ان يكون اللفظ على وجه يجعل الاختصاص
فيه للفرزدق وذلك لا يكون الا بان يقدم الاحساب على ضميره وهو لو قال
وانما ادافع عن احسابهم استكن ضميره في الفعل فلم يتصور تقديم الاحساب
عليه فلم يقع الاحساب الا مؤخرا عن ضمير الفرزدق فاذا تاخرت انصرف الاختصاص
اليها لا محالة فان قلت انه كان يمكنه ان يقول وانما ادافع عن احسابهم انا
فيقدم الاحساب على انا قيل انه اذا قال ادافع كان الفاعل الضمير المستكن
في الفعل وكان انا الظاهر تاكيدا له اعني المستكن والحكم يتعلق بالمؤكد
دون التاكيد لان التاكيد كالتكرير فهو يجيء من بعد نفوذ الحكم ولا يكون
تقديم الجار مع المجرور الذي هو قوله عن احسابهم على الضمير الذي هو تاكيد
تقديما له على الفاعل لان تقديم المفعول على الفاعل انما يكون اذا ذكرت المفعول
قبل ان تذكر الفاعل ولا يكون لك اذا قلت وانما ادافع عن احسابهم سبيل
الى ان تذكر المفعول قبل ان تذكر الفاعل لان ذكر الفاعل ههنا هو ذكر الفعل
من حيث ان الفاعل مستكن في الفعل فكيف يتصور تقديم شيء عليه فاعرفه
واعلم انك ان عمدت الى الفاعل والمفعول فاخرتهما جميعا الى ما بعد الا فان

الاختصاص يتبين في الذي يلي الا منهما فاذا قلت ما ضرب الا عمرو زيدا كان الاختصاص
في الفاعل وكان المعنى انك قلت ان الضارب عمرو لا غيره وان قلت ما ضرب الا زيدا
عمرو كان الاختصاص في المفعول وكان المعنى انك قلت ان المضروب زيد لا من
سواه وحكم المفعولين حكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك تقول لم يكس
الا زيدا جبة فيكون المعنى انه خص زيدا من بين
الناس بكسوة الجبة فان قلت لم يكس الا جبة زيدا كان المعنى انه خص الجبة من
اصناف الكسوة وكذلك الحكم حيث يكون بدل احد المفعولين جار ومجرور
كقول السيد الحميري لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا الاختصاص
في منكم دون فارسا ولو قلت ما اختار الا فارسا منكم صار الاختصاص
في فارسا واعلم ان الامر في المبتدا والخبر اذا كانا بعد انما العبرة التي ذكرت لك
في الفاعل والمفعول اذا تقدمت احدهما على الاخر معنى ذلك انك ان تركت
الخبر في موضعه فلم تقدمه على المبتدا صار الاختصاص الذي كان فيه في
المبتدا تفسير هذا انك تقول انما هذا لك فيكون الاختصاص في لك بدلالة
انك تقول انما لك هذا لا ذاك والاختصاص يكون ابدا في الذي اذا جئت
بلا العاطفة كان العطف عليه وان اردت ان يزداد لك وضوحا فعندك
فانظر الى قوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله عز وجل انما
السبيل على الذين يستاذنونك فانك ترى الامر ظاهرا ان الاختصاص في الاية
الاولى في المبتدا الذي هو البلاغ والحساب دون الخبر الذي هو عليك
وعلينا وانه في الاية الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدا الذي هو
السبيل واعلم انه اذا كان الكلام بما والا كان الذي ذكرته من ان الاختصاص
يكون في الخبر ان لم تقدمه وفي المبتدا ان قدمت الخبر اوضح وابين تقول
ما زيد الا قائم فيكون المعنى انك اختصصت القيام من بين الاوصاف التي
يتوهم كون زيد عليها بجعله صفة له وتقول ما قائم الا زيد فيكون المعنى انك
اختصصت زيدا بكونه موصوفا بالقيام فقد قصرت في الاول الصفة على
الموصوف وفي الثاني الموصوف على الصفة واعلم ان قولنا في الخبر اذا اخر
نحو ما زيد الا قائم انك اختصصت القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون
زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه فانما نعني انك نفيت عنه الاوصاف التي
تنافي القيام نحو ان يكون جالسا او مضطجعا او متكئا او ما شاكل ذلك
ولم ترد انك نفيت ما ليس من القيام بسبيل اذ لسنا ننفي عنه بقولنا ما هو

الا قائم ان يكون اسود او ابيض او طويلا او قصيرا او عالما او جاهلا كما انا اذا
قلنا ما قائم الا زيد لم نرد انه ليس في الدنيا قائم سواه وانما نعني ما قائم حيث نحن
وبحضرتنا وما اشبه ذلك واعلم ان الامر بين في قولنا ما زيد الا قائم ان ليس المعنى
على نفي الشركة ولكن على نفي ان لا يكون المذكور ويكون بدله شيء اخر
الا ترى ان ليس المعنى انه ليس له مع القيام صفة اخرى بل المعنى انه ليس له
بدل القيام صفة ليست بالقيام وان ليس القيام منتفيا عنه وكائنا مكانه
فيه القعود والاضطجاع او نحوهما فان قلت فصورة المعنى اذا صورته
اذا وضعت الكلام بانما فقلت انما هو قائم وحين ترى انه يجوز في هذا ان
تعطف بلا فتقول انما هو قائم لا قاعد ولا ترى ذلك جائزا مع ما والا اذ
ليس من كلام الناس ان يقولوا ما زيد الا قائم فقد نفيت عنه كل صفة تنافي
القيام وصرت كانك قلت ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متكئ وهكذا
حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام فاذا قلت من بعد ذلك لا قاعد كنت قد
نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدات فنفيته وهي موضوعة لان تنفي بها
ما بدات فاوجبته لا لان تفيد بها النفي في شيء قد نفيته ومن ثم لم يجز ان
تقول ما جاءني احد لا زيد على ان تعمد الى بعض ما دخل في النفي بعموم احد
فتنفيه على الخصوص بل كان الواجب اذا اردت ذلك ان تقول ما جاءني احد
ولا زيد فتجي بالواو من قبل حتى تخرج بذلك من ان يكون لا عاطفة وذلك
فاذ قد عرفت هذا فان تقول ما زيد الا قائم لا قاعد فانك تعرف بذلك امتناع
ان تقول ما جاءني الا زيد لا عمرو وما ضربت الا زيدا لا عمرا وما شاكل ذلك
وذلك انك اذا قلت ما جاءني الا زيد فقد نفيت ان يكون قد جاءك احد
غيره فاذا قلت لا عمرو كنت قد طلبت ان تنفي بلا العاطفة شيئا قد تقدمت
فنفيته وذلك كما عرفتك خروج بها عن المعنى الذي وضعت له الى خلافه فان
قيل فانك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا ان يكون المجيء قد كان
من غيره فكان ينبغي ان يجوز فيه ايضا ان تعطف بلا فتقول انما جاءني زيد
لا عمرو قيل ان الذي قلته من انك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا
المجيء عن غيره غير مسلم لك على حقيقته وذلك انه ليس معك الا قولك جاءني زيد
وهو كلام كما تراه مثبت ليس فيه نفي البتة كما كان في قولك ما جاءني الا زيد
وانما فيه انك وضعت يدك على زيد فجعلته الجائي وذلك وان اوجب
انتفاء المجيء عن غيره فليس يوجبه من اجل ان كان ذلك اعمال نفي في شيء وانما

او جبه من حيث كان المجيء الذي اخبرت به مجيئا مخصوصا اذا كان لزيد لم يكن
لغيره والذي يبناه ان تنفي بلا العاطفة الفعل عن شيء قد نفيته عنه لفظا و
نظيره انا نعقل من قولنا زيد هو الجائي ان هذا المجيء لم يكن من عمرو ثم
لا يمنع ذلك من ان تجيء فيه بلا العاطفة فتقول زيد هو الجائي لا عمرو ولانا
لم نعقل ما عقلناه من انتفاء المجيء عن غيره بنفي او عطف على شيء ولكن بانه لما
كان المجيء المقصود مجيئا واحدا كان النص على زيد بانه فعله واثباته له نفيا له عن
غيره ولكن من طريق المعقول لا من طريق ان كان في الكلام نفي كما كان ثم فاعرفه
فان قيل فانك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا ان يكون المجيء قد
كان من غيره فكان ينبغي ان لا يجوز فيه ايضا ان تعطف بلا فتقول انما جاءني
زيد لا عمرو قيل ان الذي قلته من انك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت
فيه ايضا المجيء عن غيره غير مسلم لك على حقيقته وذلك انه ليس معك الا قولك
جاءني زيد وهو كلام كما تراه مثبت ليس فيه نفي البتة كما كان في قولك ما جاءني
الا زيد وانما فيه انك وضعت ولم يكن غرضك ان تنفي ان يكون قد جاء
معه واحد آخر كان المجيء ايضا مجيئا واحدا احتمل انه وان كان واحدا فانك
انما عنيت ان زيدا الفاعل لا بان نفي المجيء عن كل من سوى زيد كما تصنع اذا اردت
ان تنفي ان يكون قد جاء معه جاء في آخر واذا كان كذلك كان ما قلناه من
انك ان جئت بلا العاطفة فقلت ما جاءني الا زيد لا عمرو كنت قد نفيت الفعل
عن شيء قد نفيته عنه مرة صحيحا ثابتا كما قلناه فاعرفه واعلم ان حكم غير في جميع
ما ذكرنا حكم الا فاذا قلت ما جاءني غير زيد احتمل ان تريد نفي ان يكون قد
جاء معه انسان آخر وان تريد نفي ان لا يكون قد جاء وجاء مكانه واحد
آخر ولا يصح ان تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو كما لم يجز ما جاءني الا زيد لا عمرو

فصل في نكتة تتصل بالكلام الذي تقدم بها ولا اعلم ان الذي
ذكرناه من انك تقول ما ضرب الا عمرو زيدا فتوقع الفاعل والمفعول جميعا بعد
الا ليس بأكثر الكلام وانما الاكثر ان تقدم المفعول على الا نحو ما ضرب زيدا
الا عمرو حتى انهم ذهبوا فيه عن نحو قولك ما ضرب الا عمرو زيدا الا انه على كلامين
وان زيدا منصوب بفعل مضمر حتى كان المتكلم بذلك ابهم في اول امره فقال ما ضرب
الا عمرو ثم قيل له من ضرب فقال ضرب زيدا وههنا اذا تأملت معنى لطيف
يوجب ذلك وهو انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو فكان غرضك ان تختص
عمرا بضرب زيد لا بالضرب على الاطلاق واذا كان كذلك وجب ان تعدي الفعل

الى

الى المفعول من قبل ان تذكر عمرا الذي هو الفاعل لان السامع لا يعقل عنك
انك اختصصته بالفعل معدى حتى يكون قد بدأت فعديته لا يفهم عنك
انك اردت ان تختص عمرا بضرب زيد حتى تذكره له معدى الى زيد
فاما اذا ذكرته غير معدى فقلت ما ضرب الا عمرو فان الذي يقع في نفسه انك اردت
ان تزعم انه لم يكن من احد غير عمرو ضرب وانه ليس ههنا مضروب الا وضاربه
عمرو فاعرفه اصلا في شأن التقديم والتأخير

فصل اذ قد عرفت في
كلامك كله على ان انما للخبر لا يجهله المخاطب ولا يكون ذكرت له لان تفيده اياه
وانا لنراها في كثير من الكلام والقصد بالخبر بعدها ان تعلم السامع امرا قد
غلط فيه بالحقيقة واحتاج الى معرفته كمثل ما ذكرت في اول الفصل الثاني من
قولك انما جاءني زيد لا عمرو وتراه كذلك تدوم في الكتب للكشف عن معاني
غير معلومة ويدل المتعلم منها على ما لم يعلم قبل اما ما يجيء في الكلام من نحو
انما جاءني زيد لا عمرو فانه وان كان يكون اعلاما لامر لا يعلمه السامع فانه لا
بد مع ذلك من ان يدعي هنالك فضل انكشاف وظهور في ان الامر كالذي
ذكر وقد قدمت في اول ما افتتحت القول فيها فقلت انها تجيء للخبر لا يجهله
السامع ولا ينكر صحته او لما ينزل هذه المنزلة واما ما ذكرت من انها تجيء في
الكتب لدلالة المتعلم على ما لم يعلمه فانك اذا تأملت مواقعها وجدتها في الامر
الاكثر قد جاءت لامر قد وقع العلم بموجبه وشيء يدل عليه مثال ذلك ان
صاحب الكتاب قال في باب كان اذا قلت كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف
عنده مثله عندك وانما ينتظر الخبر فاذا قلت حليما فقد اعلمته مثل ما علمت واذا
قلت كان حليما فانما ينتظر ان تعرفه صاحب الصفة وذلك انه اذا كان معلوما انه
لا يكون مبتدأ من غير خبر ولا خبر من غير مبتدأ كان معلوما انك اذا قلت كان زيد
فالمخاطب ينتظر الخبر فاذا قلت كان حليما انه ينتظر الاسم فلم يقع اذا بعد انما
الا شيء كان معلوما للقارئ من قبل ان ينتهي اليه ومما الامر فيه بين قولهم في
باب ظننت وانما يحكي بعد قلت ما كان كلاما لا قولا ودل ان انه معلوم انك لا
تحكي بعد قلت نحو معنى الا ما كان جملة مفيدة فلا يقول قلت الا وان زيد
وقلت الا اللهم الا ان تريد انه قال هذا الاسم على هذه الهيئة كانك تريد انه ذكره
مرفوعا ومثل ذلك قولهم انما يحذف الشيء اذا كان في الكلام دليل عليه الى اشباه
ذلك مما لا يحصى فان رأيتها قد دخلت على كلام هو ابتداء اعلام بشيء لم يعلمه
السامع فلان الدليل عليه حاضر معه والشيء بحيث يقع العلم به عن كثب واعلم

انه ليس بكائن ما يعرض بسبب هذا الحرف من الدقايق ومما يجب ان يعلم
انه اذا كان الفعل بعدها فعلا لا يصح الا من المذكور ولا يكون من غيره كالتذكر
الذي يعلم انه لا يكون الا من اولي الالباب لم يحسن العطف بلا فيه كما يحسن
فيما لا يختص بالمذكور ويصح من غيره تفسير هذا انه لا يحسن ان تقول انما يجي زيد
لا عمرو ثم ان النفي فيما يجي فيه النفي يتقدم تارة ويتاخر اخرى فمثال التاخير
ما تراه في قولك انما جاني زيد لا عمرو وكقوله تعالى انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر
وكقول لبيد انما يجزي الفتى ليس الجمل ومثال التقديم قولك ما جاني
زيد وانما جاني عمرو وهذا مما انت تعلم به مكان الفايدة فيها وذلك انك
تعلم ضرورة انك لو لم تدخلها وقلت ما جاني زيد وجاني عمرو لكان الكلام
مع من ظن انهما جاءاك جميعا وان المعنى الآن مع دخولها ان الكلام مع من
غلط في عين الجائي فظن انه كان زيدا لا عمرا وامر اخر وهو انه ليس ببعيد
ان يظن الظان انه ليس في انضمام ما الى ان فايدة اكثر من انها تبطل عملها حتى
ترى النحويين لا يزيدون في اكثر كلامهم على انها كافة ومكانها ههنا يزيل
هذا الظن ويبطله وذلك انك ترى انك لو قلت ما جاني زيد وان عمرا
جاني لم يعقل منه انك رددت ان الجائي زيد لا عمرو بل يكون دخولك ان كالشي
الذي لا يحتاج اليه ووجدت المعنى ينبو عنه ثم اعلم انك اذا استقريت وجدتها
اقوى ما تكون واعلق ما ترى بالقلب اذا كان لا يراد بالكلام بعدها
نفس معناه ولكن التعريض بامر هو مقتضاه نحو انا نعلم ان ليس الغرض
من قوله تعالى انما يتذكر اولو الالباب ان يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن
ان يذم الكفار وان يقال انهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في
حكم من ليس بذي عقل وانكم ان طمعتم منهم في ان ينظروا ويتذكروا كنتم
كمن طمع في ذلك من غير اولي الالباب وكذلك قوله انما انت منذر من يخشاها
وقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب المعنى على ان من لم تكن له هذه الخشية
فهو كانه ليس له اذن تسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار
ومثال ذلك من الشعر قوله انا لم ارزق محبتها انما للعبد ما رزقا الغرض ان
يعلمك من طريق التعريض انه قد صار ينصح نفسه ويعلم انه ينبغي له ان يقطع
الطمع من وصلها وييأس من ان يكون منها اسعاف ومن ذلك قوله وانما
يعذر العشاق من عشقا يقول انه ليس ينبغي للعاشق ان يلوم
من يلومه في عشقه وانه ينبغي ان لا ينكر ذلك منه فانه لا يعلم كنه البلوى في العشق

ولو كان ابتلي به لعرف ما هو فيه فعذره وقوله ما انت بالسبب الضعيف وانما
نجح الامور بقوة الاسباب فاليوم حاجتنا اليك وانما يدعى الطبيب لساعة
الاوصاب يقول في البيت الاول انه ينبغي ان انجح في امري حين
جعلتك السبب اليه ويقول في الثاني انا قد وضعنا الشي في موضعه وطلبنا
الامر من جهته حين استعنا بك فيما عرض من الحاجة وعولنا على فضلك كما
ان من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد اصاب في التعويل موضعه
وطلب الشي من معدنه ثم ان العجب في ان هذا التعريض الذي ذكرت لك
لا يحصل من دون انما فلو قلت يتذكر اولو الالباب لم يدل على ما دل عليه
في الاية وان كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس الا انه ليس فيه انما والسبب في ذلك
ان هذا التعريض انما وقع بان كان من شان انما ان تضمن الكلام معنى النفي من
بعد الاثبات والتصريح بامتناع التذكر ممن لا يعقل فاذا اسقط من الكلام
فقيل يتذكر اولو الالباب كان مجرد وصف لاولي الالباب بانهم يتذكرون و
لم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم ومحال ان يقع تعريض بشي ليس له
في الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه فالتعريض بمثل هذا المعنى اعني بان يقول
يتذكر اولو الالباب باسقاط انما يقع اذا ان وقع على ان يقال بالتيقظ وبانه
فعل ما فعل وتنبه لما تنبه له لعقله ولحسن تمييزه كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا
يفعل الكريم وهذا موضع فيه دقة وغموض وهو مما لا يكاد يقع في نفس احد
انه ينبغي ان يتعرف سببه ويبحث عن حقيقة الامر فيه ومما يجب لك ان تجعله على
ذكر منك من معاني انما ما عرفتك اولا من انها قد تدخل في الشي على ان يخيل فيه
المتكلم انه معلوم ويدعي انه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع كقوله انما مصعب
شهاب من الله ومن اللطيف في ذلك قول قتيبة بن مسلم الا ايها الناهي فزارة
بعدما اجدت لغزو انما انت حالم ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون دخلت انما لتدل على
انهم حين ادعوا لانفسهم انهم مصلحون اظهروا انهم يدعون من ذلك امرا
ظاهرا معلوما ولذلك اكد الامر في تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين الا
الذي هو للتنبيه وان الذي هو للتاكيد فقيل الا انهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون اعلم انه لا يصح تقدير الحكاية في النظم والترتيب
بل لن تعدو الحكاية الالفاظ واجراس الحروف وذلك ان الحاكي هو من ياتي
بمثل ما اتى به المحكي عنه ولا بد من ان تكون حكايته فعلا له وان يكون بها عاملا عملا

مثل عمل الحاكي هو ان يصوغ انسان خاتما فيبدع فيه صنعة ويأتي في صناعته بخاصة تستغرب فيعمد واحد آخر فيعمل خاتما على تلك الصورة والهيئة ويجيء بمثل صنعته فيه ويؤديها كما هي فيقال عند ذلك انه قد حكى عمل فلان وصنعة فلان والنظم والترتيب في الكلام كما بينا عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في الفاظها وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الاصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضروب من النقش والوشي واذا كان الامر كذلك فانا ان تعدينا بالحكاية الالفاظ الى النظم والترتيب ادى ذلك الى المحال وهو ان يكون منشد شعر امرئ القيس قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج النتائج والفوائد مثل عمل امرئ القيس وان يكون حاله اذا انشد قوله فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازا وناء بكلكل حال الصائغ ينظر الى صورة قد عملها صائغ من ذهب له او فضة فيجيء بمثلها في ذهبه وفضته وذلك يخرج بمرتكبه الى ان يكون الراوي مستحقا لان يوصف بانه استعار وشبه وان يجعل كالشاعر في كل ما يكون ناظما فيقال انه جعل هذا فاعلا وذاك مفعولا وهذا مبتدأ وذاك خبرا وجعل هذا حالا وذاك صفة وان يقول نفى كذا واثبت كذا وابدل كذا من كذا واضاف كذا الى كذا على هذا السبيل كما يقال ذاك في الشاعر واذا قيل ذلك لزم منه ان يقال فيه صدق وكذب كما يقال في المحكي عنه وكفى بهذا بعدا وجهالة ويجمع هذا كله انه يلزم منه ان يقال انه قال شعرا كما يقال فيمن حكى صنعة الصائغ في خاتم قد عمله انه قد صاغ خاتما وجملة الحديث انا نعلم ضرورة انه لا يتأتى لنا ان ننظم كلاما من غير روية وفكر فان كان راوي الشعر ومنشده يحكي نظم الشاعر على حقيقته فينبغي ان لا يتأتى له رواية شعره الا بروية والا بان ينظر في جميع ما نظر فيه الشاعر من امر النظم ولا يبقى معه موضع عذر للشاك هذا وسبب دخول الشبهة على من دخلت عليه انه لما راى المعاني لا تتجلى للسامع الا من الالفاظ وكان لا يوقف على الامور التي بتوخيها يكون النظم الا بان ينظر الى الالفاظ مرتبة على الانحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس وجرت العادة بان يكون التعامل مع الالفاظ فيقال قد نظم الفاظا فاحسن نظمها والف كلما فاجاد تاليفها جعل الالفاظ الاصل في النظم وجعله يتوخى فيها انفسها وترك ان يفكر في الذي بيناه من ان النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم وان توخيها في متون الالفاظ محال فلما جعل هذا في نفسه ونشب هذا الاعتقاد به خرج له من ذلك ان الحاكي اذا ادى الفاظ الشعر على النسق الذي سمعها عليه

كان قد حكى نظم الشاعر كما حكى لفظه وهذه شبهة قد ملكت قلوب الناس وعششت في صدورهم وتشربتها نفوسهم حتى انك لترى كثيرا منهم وهو حلولها عندهم محل العلم الضروري يجيبك ان اومات له الى شيء مما ذكرناه اشمأز لك وسد سمعه دونك واظهر التعجب منك وذلك جرية من ترك النظر واخذ الشيء من غير معدنه ومن الله التوفيق

فصل اعلم انا اذا اضفنا الشعر او غير الشعر من ضروب الكلام الى قائله لم تكن اضافتنا له من حيث هو كلم واوضاع لغة ولكن من حيث توخي فيها النظم الذي بينا انه عبارة من توخي معاني النحو في معاني الكلم وذلك ان من شان الاضافة الاختصاص فهي تتناول الشيء من الجهة التي يختص منها بالمضاف اليه فاذا قلت غلام زيد تناولت الاضافة الغلام من الجهة التي يختص منها بالمضاف اليه فاذا قلت غلام زيد بزيد وهي كونه مملوكا واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر بقائله فاذا نظرناه وجدناه يختص به من جهة توخيه في معاني الكلم التي الفه منها ما توخاه من معاني النحو ورأينا انفس الكلم بمعزل عن الاختصاص ورأينا حالها معه حال الابريسم مع الذي ينسج منه الديباج وحال الذهب والفضة مع من يصوغ منها الحلي فكما لا يشتبه الامر في ان الديباج لا يختص بناسجه من حيث الابريسم والحلي بصائغها من حيث الفضة والذهب ولكن من جهة العمل والصنعة كذلك ينبغي ان لا يشتبه ان الشعر لا يختص بقائله لنفس الكلم واوضاع اللغة ويزداد تبينا لذلك بان ننظر الى القائل اذا اضفته الى الشعر فقلت امرؤ القيس قائل هذا الشعر من اين جعلته قائلا له امن حيث نطق بالكلم وسمعت الفاظها من فيه ام من حيث صنع في معانيها ما صنع وتوخى فيها ما توخى فان زعمت انك جعلته قائلا له من حيث انه نطق بالكلم وسمعت الفاظها من فيه على النسق المخصوص فاجعل راوي الشعر قائلا له فانه ينطق بها ويخرجها من فيه على الهيئة والصورة التي نطق بها الشاعر فانه لم يبتدي فيها النسق والترتيب وانما ذلك شيء ابتدأه الشاعر فلذلك جعلت القائل له دون الراوي قيل لك خبرنا عنك اترى انه يتصور ان يجب للالفاظ الكلم التي تراها في قوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل هذا الترتيب من غير ان يتوخى في معانيها ما تعلم ان امرأ القيس توخاه من كون نبك جوابا للامر وكون من معدية له الى ذكرى وكون ذكرى مضافة الى حبيب وكون منزل معطوفا على حبيب ام ذلك محال فان شككت في استحالته لم تكلم وان قلت نعم هو محال قيل لك فاذا كان محالا ان يجب في الالفاظ ترتيب من غير ان يتوخى في معانيها معاني النحو كان

قولك ان الشاعر يبتدئ فيهما ترتيبا قد بل لا يحصل في جملة الامر انه لا يكون ترتيب
في شي حتى يكون هناك قصد الى صورة وصنعة ان لم يقدم فيه ما قدم ولم يؤخر
وبدئ بالذي ثني به او ثني بالذي ثلث به لم تحصل لك
الصورة وتلك الصنعة واذا كان كذلك فينبغي ان ينظر الى الذي يقصد واضع
الكلام ان يحصل له من الصورة والصنعة افي الالفاظ يحصل له ذلك ام في معاني
الالفاظ وليس في الامكان ان يشك عاقل اذا نظر ان ليس ذلك في الالفاظ و
انما الذي يتصور ان يكون مقصودا في الالفاظ هو الوزن وليس هو من كلامنا
في شي لانا نحن فيما يكون الكلام كلاما لاجله وليس للوزن مدخل في ذلك

فصل واعلم اني على طول ما اعدت وابدات وقلت وشرحت في هذا
الذي قام في اوهام الناس من حديث اللفظ لربما ظننت اني لم اصنع شيئا
وذلك انك ترى الناس كانه قد قضي عليهم ان يكونوا في هذا الذي نحن بصدده
على التقليد البحت وعلى التوهم والتخيل واطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى
قد صار ذلك الدأب والديدن واستحكم الداء منه الاستحكام الشديد وهذا
الذي بيناه واوضحناه كانك ترى ابدا حجازا بينهم وبين ان تعرفه وكانك
تسمعهم منه شيئا تلفظه اسماعهم وتنكره نفوسهم وحتى كانه كلما كان اظهر
كانوا عن العلم به ابعد وفي توهم خلافه اقعد وذلك لان الاعتقاد الاول
قد نشب في قلوبهم وتاشب فيها ودخل بعروقه في نواحيها وصار كالنبات
السوء الذي كلما قلعته عاد فنبت والذي له صاروا كذلك انهم حين راوهم
يفردون اللفظ عن المعنى ويجعلون له حسنا على حدة وراوهم قد قسموا الشعر
فقالوا ان منه ما حسن معناه ولفظه ومنه ما حسن لفظه دون معناه ومنه ما
حسن معناه دون لفظه وراوهم يصفون اللفظ باوصاف لا يصفون بها المعنى
ظنوا ان للفظ من حيث هو لفظ حسنا ومزية ونبلا وشرفا وان الاوصاف التي
نحلوه اياها هي اوصافه على الصحة وذهبوا عما قدمنا شرحه من ان لهم في ذلك
رايا وتدبيرا وهو ان يفصلوا بين المعنى الذي هو الغرض وبين الصورة التي
يخرج فيها فنسبوا ما كان من الحسن والمزية في صورة المعنى الى اللفظ ووصفوه
في ذلك باوصاف هي تخبر عن انفسها انها ليست له كقولهم انه حلي المعنى وانه كالوشي
عليه وانه قد كسب المعنى دلا وشكلا وانه رشيق انيق وانه متمكن وانه على قدر
المعنى لا فاضل ولا مقصر الى اشباه ذلك مما لا يشك انه لا يكون وصفا له من حيث
هو لفظ وصدى صوت الا انهم كانهم راوا بسلا حراما ان يكون لهم في ذلك فكر

وروية

وروية وان يعيروا فيه قليلا من نظر ويروا ما الصفة فيه للمعنى وان جرى في ظاهر
المعاملة على اللفظ الا انه يبعد عند الناس كل البعد ان يكون الامر فيه كذلك
وان لا يكون من صفة اللفظ بالصحة والحقيقة وصفنا اللفظ بانه مجاز وذلك
ان العادة قد جرت بان يقال في الفرق بين الحقيقة والمجاز ان الحقيقة ان يقر
اللفظ على اصله في اللغة والمجاز ان يزال عن موضعه ويستعمل في غير ما وضع له
فيقال اسد ويراد شجاع وبحر ويراد جواد وهو وان كان شيئا قد استحكم
في النفوس حتى انك ترى الخاصة فيه كالعامة فان الامر بعد على خلافه وذاك
انا اذا حققنا لم نجد لفظ اسد قد استعمل على القطع والبت في غير ما وضع له
ذاك لانه لم يجعل في معنى شجاع على الاطلاق ولكن جعل الرجل بشجاعته اسدا
فالتجوز في ان ادعيت للرجل انه في معنى الاسد وانه كانه هو في قوة قلبه وشدة
بطشه وفي ان الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له وهذا ان انت حصلته تجوز
منك في معنى اللفظ لا اللفظ وانما كان يكون اللفظ مزالا بالحقيقة عن موضعه
ومنقولا عما وضع له ان لو كنت تجد عاقلا يقول هو اسد وهو لا يضمر في نفسه
تشبيها له بالاسد ولا يريد الا ما يريده اذا قال هو شجاع وذلك مما لا يشك في
بطلانه وليس العجب الا انهم لا يذكرون شيئا من المجاز الا قالوا انه ابلغ من
الحقيقة فليت شعري ان كان لفظ اسد قد نقل وازيل عنه وجعل يراد به
الشجاع هكذا غفلا ساذجا فمن اين يجب ان يكون قولنا اسد ابلغ من قولنا
شجاع وهكذا الحكم في الاستعارة هي وان كانت في ظاهر المعاملة من صفة اللفظ
وكنا نقول هذه لفظة مستعارة وقد استعير له اسم الاسد فان مال
الامر الى ان القصد بها الى المعنى يدلك على ذلك انا نقول جعله اسدا وجعله
بدرا وجعله بحرا فلو لم يكن القصد بها الى المعنى لم يكن لهذا الكلام وجه
لان جعل لا يصلح الا حيث يراد اثبات صفة للشي كقولنا جعلته اميرا وجعلته
واحد دهره تريد انك اثبت له ذلك وحكم جعل اذا تعدى الى مفعولين حكم صير
فكما لا تقول صيرته اميرا الا على معنى انك اثبت له صفة الامارة كذلك لا يصح ان
تقول جعلته اسدا الا على معنى انك جعلته في معنى الاسد ولا يقال جعلته زيدا
بمعنى سميته زيدا ولا يقال للرجل اجعل ابنك زيدا بمعنى سمه زيدا وولد لفلان
ابن فجعله زيدا اي سماه زيدا وانما يدخل الغلط في ذلك على من لا يحصل فاما قوله تعالى و
جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فانما جاء على الحقيقة التي وصفتها
وذلك ان المعنى على انهم اثبتوا للملائكة صفة الاناث واعتقدوا وجودها

فيهم وعن هذا الاعتقاد هل رعتهم ما صدر من الاسم اعني اطلاق اسم البنات
وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاناث ولفظ البنات اسما من غير اعتقاد
معنى واثبات صفة هذا محال لا يقوله عاقل اما تسمع قول الله اشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسألون فان كانوا لم يزيدوا على اجراء الاسم على
الملائكة ولم يعتقدوا اثبات صفة ومعنى باجرائه عليهم فاي معنى لان يقال
اشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يعتقدوا اثبات صفة ولم يزيدوا
على ان وضعوا اسما لما استحقوا الا اليسير من الذم ولما كان هذا القول
منهم كفرا والامر في ذلك اظهر من ان يخفى وجملة الامر انه ان قيل انه ليس في الدنيا
علم قد عرض للناس فيه من فحش الغلط ومن قبيح التورط ومن الذهاب
مع الظنون الفاسدة ما عرض لهم في هذا الشان ظننت ان لا يخشى على من
يقوله الكذب وهل عجب اعجب من قوم عقلاء يتلون قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ويؤمنون به ويدينون بان القرآن معجز ثم يصدون بانفسهم
عن برهان الاعجاز ودليله ويسلكون غير سبيله ولقد جنوا لو دروا
ذاك عظيما

فصل

واعلم انه وان كانت الصورة في الذي اعدنا وابدانا
فيه من انه لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الظهور
والوضوح والانكشاف الى اقصى الغاية والى ان تكون الزيادة عليه كالتكلف
لما لا يحتاج اليه فان النفس تنازع الى تتبع كل ضرب من الشبهة يرى انه
يعرض للمسلم نفسه عند اعتراض الشك وانا نرى ان في الناس من اذا راى
انه يجري في القياس وضرب المثل ان تشبه الكلم في ضم بعضها الى بعض
بضم غزل الابريسم بعضه الى بعض وراى ان الذي ينسج الديباج ويعمل
النقش والوشي لا يصنع بالابريسم الذي ينسج منه شيئا غير ان يضم بعضه
الى بعض ويتخير للاصباغ المختلفة المواقع التي يعلم انه اذا اوقعها فيها حدث
له في نسجه ما يريد من النقش والصورة جرى في ظنه ان حال الكلم في ضم
بعضها الى بعض وفي تخير المواقع لها حال خيوط الابريسم سواء ورايت
كلامه كلام من لا يعلم انه لا يكون الضم فيها ضما ولا الموقع موقعا حتى يكون
قد توخي فيها معاني النحو وانك ان عمدت الى الالفاظ فجعلت تتبع بعضها
بعضا من غير ان تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعى به مؤلفا
وتشبه معه بمن عمل نسجا او صنع على الجملة صنعا اذ لم يتصور ان يكون قد

تخير

تخير لها المواقع وفساد هذا وشبهه من الظن وان كان معلوما ظاهرا فان ههنا
استدلالا لطيفا تكثر بسببه الفائدة وهو انه يتصور ان يعمد عامد الى نظم كلام
بعينه فيزيله عن الصورة التي اراده الناظم عليها ويفسده عليه من غير ان يحول منه
لفظا عن موضعه او يبدله بغيره او يغير شيئا في ظاهر امره على حال مثال ذلك
انك ان قدرت في بيت ابي تمام لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنى اشتارته
ايد عواسل ان لعاب الافاعي مبتدا ولعابه خبر كما يوهمه الظاهر افسدت عليه
كلامه وابطلت الصورة التي ارادها فيه وذلك ان الغرض ان يشبه مداد قلمه
بلعاب الافاعي على معنى انه اذا كتب في اقامة السياسات اتلف به النفوس و
كذلك الغرض ان يشبه مداده باري الجنى على معنى انه اذا كتب في العطايا والصلات
اوصل به الى النفوس ما تحلو مذاقته عندها وادخل السرور واللذة
عليها وهذا المعنى انما يكون اذا كان لعابه مبتدا ولعاب الافاعي خبرا فاما
تقديرك ان يكون لعاب الافاعي مبتدا ولعابه خبرا فيبطل ذلك ويمنع منه البتة
ويخرج بالكلام الى ما لا يجوز ان يكون مرادا في مثل غرض ابي تمام وهو ان يكون
اراد ان يشبه لعاب الافاعي بالمداد ويشبه كذلك الاري به فلو كان حال الكلم
في ضم بعضها الى بعض كحال غزل الابريسم لكان ينبغي ان لا تتغير الصورة الحاصلة
من نظم كلم حتى تزال عن مواقعها كما لا تتغير الصورة الحادثة عن ضم غزل
الابريسم بعضه الى بعض حتى تزال الخيوط عن مواضعها واعلم انه لا يجوز
ان يكون سبيل قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه سبيل قولهم عتابك السيف
وذلك ان المعنى في بيت ابي تمام على انك تشبه شيئا بشيء لجامع بينهما وليس
المعنى في عتابك على انك تشبه عتابه بالسيف ولكن على ان تزعم انه يجعل السيف
بدلا من العتاب افلا ترى انه يصح ان تقول مداد قلمه قاتل كسم الافاعي ولا يصح ان
تقول عتابك كالسيف اللهم الا ان تخرج الى باب اخر وشيء ليس هو غرضهم بهذا
الكلام فتريد انه قد عتب عتابا خشنا مؤلما ثم انك ان قلت السيف عتابك
خرجت به الى معنى ثالث وهو ان تزعم ان عتابه قد بلغ في ايلامه وشدة تاثيره
مبلغا صار له السيف كانه ليس بسيف واعلم انه ان نظر ناظر في شان المعاني
والالفاظ الى حال السامع فاذا راى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الالفاظ
في سمعه ظن لذلك ان المعاني تبع للالفاظ في ترتيبها فان هذا الذي بيناه
يريه فساد هذا الظن وذلك انه لو كانت المعاني تكون تبعا للالفاظ في ترتيبها
لكان محالا ان تتغير المعاني والالفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها فلما راينا

المعاني قد تحاذيها التغير من غير ان تتغير الالفاظ وتزول عن اماكنها علمنا ان
الالفاظ هي التابعة والمعاني المتبوعة واعلم انه ليس من كلام يعمد واضعه
فيه الى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبرا ثم يقدم الذي هو الخبر الا اشكل
الامر عليك فيه فلم تعلم ان المقدم خبر حتى ترجع الى المعنى وتحسن التدبر
انشد الشيخ ابو علي في التذكرة نم وان لم انم كراي كراكا ثم قال ينبغي ان يكون
كراي خبرا مقدما ويكون الاصل كراك كراي اي نم وان لم انم فنومك نومي
كما تقول قم وان جلست فقيامك قيامي هذا هو عرف الاستعمال في نحوه ثم
قال واذا كان كذلك فقد قدم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التاخير من
حيث كان خبرا قال فهو كبيت الحماسة بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن
ابناء الرجال الاباعد فقدم خبر المبتدا وهو معرفة وانما دل على انه ينوي
التاخير المعنى ولولا ذلك لكانت المعرفة اذا قدمت هي المبتدا لتقدمها فافهم
ذلك كله واعلم ان الفايدة تعظم في هذا الضرب من الكلام اذا انت احسنت
النظر فيما ذكرت لك من انك تستطيع ان تنقل الكلام في معناه عن صورة الى
صورة من غير ان تغير من لفظه شيا او تحول كلمة من مكانها الى مكان اخر
هو الذي وسع مجال التاويل والتفسير حتى صاروا يتاولون في الكلام
الواحد تاويلين او اكثر ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير وهو
على ذلك الطريق المزلة التي ورط كثيرا من الناس في الهلكة وهو مما يعلم به
العاقل شدة الحاجة الى هذا العلم وينكشف معه عوار الجاهل به ويفتضح عنده
المظهر الغنى عنه ذاك لانه قد يدفع الى الشي لا يصح الا بتقدير غير ما يريه الظاهر ثم لا
يكون له سبيل الى معرفة ذلك التقدير اذا كان جاهلا بهذا العلم فيتسكع عند ذلك
في العمى ويقع في الضلال مثال ذلك ان من نظر الى قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ثم لم يعلم
ان ليس المعنى في ادعوا الدعا ولكن الذكر بالاسم كقولك هو يدعى زيدا ويدعى
الامير وان في الكلام محذوفا وان التقدير قل ادعوه الله او ادعوه الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى كان بعرض ان يقع في الشرك من حيث انه ان جرى في
خاطره ان الكلام على ظاهره خرج ذلك به والعياذ بالله الى اثبات مدعوين
تعالى الله عن ان يكون له شريك وذلك من حيث كان محالا ان تعمد الى اسمين
كلاهما اسم شي واحد فتعطف احدهما على الاخر فتقول مثلا ادع لي زيدا
او الامير والامير هو زيد وكذلك محال ان تقول ايا تدعوا وليس هناك الا مدعو
واحد لان من شان اي ان تكون ابدا واحدا من اثنين او جماعة ومن ثم لم

لا بد من اضمار اما لفظا او تقديرا وهذا باب واسع ومن المشكل فيه قراءة من قرأ
وقالت اليهود عزير ابن الله بغير تنوين وذلك انهم قد حملوها على وجهين
احدهما ان يكون القاري له اراد التنوين ثم حذفه لالتقاء الساكنين
ولم يحركه كقراءة من قرأ قل هو الله احد الله الصمد بترك التنوين من
احد وكما حكي عن عمارة بن عقيل انه قرأ ولا الليل سابق النهار بالنصب
فقيل له ما تريد قال اريد سابق النهار فقيل له فهلا قلته فقال لو قلته
لكان اوزن وكما جاء في الشعر من قوله فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله
الا قليلا الى نظاير لذلك فيكون المعنى في هذه القراءة الاخرى سواء والوجه
الثاني ان يكون الابن صفة ويكون التنوين قد سقط على حد سقوطه
في قولنا جاءني زيد بن عمرو ويكون في الكلام محذوف ثم اختلفوا في المحذوف
فمنهم من جعله مبتدا فقدر وقالت اليهود هو عزير ابن الله ومنهم من جعله
خبرا فقدره وقالت اليهود عزير ابن الله معبودنا وفي هذا امر عظيم وذلك
انك اذا حكيت عن قايل كلاما انت تريد ان تكذبه فيه فان التكذيب ينصرف
الى ما كان فيه خبرا دون ما كان صفة تفسير هذا انك اذا حكيت عن انسان انه
قال زيد بن عمرو سيد ثم كذبته لم تكن قد انكرت بذلك ان يكون زيد بن
عمرو ولكن ان يكون سيدا وكذلك اذا قال زيد الفقيه قد قدم فقلت له
كذبت او غلطت لم تكن قد انكرت ان يكون زيد فقيها ولكن ان يكون قد
قدم هذا مما لا شبهة فيه وذلك انك اذا كذبت قايلا في كلام او صدقته
فانما ينصرف التكذيب منك والتصديق الى اثباته ونفيه والاثبات والنفي
يتناولان الخبر دون الصفة يدلك على ذلك انك تجد الصفة ثابتة في حال
النفي كثبوتها في حال الاثبات فاذا قلت ما جاءني زيد الظريف كان الظرف
ثابتا لزيد كثبوته اذا قلت جاءني زيد الظريف وذلك ان ليس ثبوت
الصفة التي هي صفة له بالمتكلم وباثباته لها فينتفي بنفيه وانما ثبوتها
بنفسها وتقرر الوجود فيها عند المخاطب مثله عند المتكلم لانه اذا وقعت
الحاجة في العلم الى الصفة كان الاحتياج اليها من اجل خيفة اللبس على المخاطب
تفسير ذلك انك اذا قلت جاءني زيد الظريف فانك انما تحتاج الى ان تصفه
بالظريف اذا كان فيمن يجي اليك واحد اخر يسمى زيدا فانت تخشى ان قلت
جاءني زيد ولم تقل الظريف ان يلتبس على المخاطب فلا يدري اهذا عنيت
ام ذاك واذا كان الغرض من ذكر الصفة ازالة اللبس والتبيين كان محالا

ان يكون غير معلوم عند المخاطب غير ثابت لانه يؤدي الى ان تروم تبيين الشيء
للمخاطب بوصف هو لا يعلم ذلك الشيء وذلك ما لا غاية وراءه في الفساد و
اذا كان الامر كذلك كان جعل الابن صفة في الاية مؤديا الى الامر العظيم وهو
اخراجه عن موضع النفي والانكار الى موضع الثبوت والاستقرار جل الله
تعالى عن شبه المخلوقين وعن جميع ما يقوله الظالمون علوا كبيرا فان قيل
ان هذه قراءة معروفة والقول بجواز الوصفية في الابن كذلك معروف و
مدون في الكتب وذلك يقتضي ان يكونوا قد عرفوا في الاية تاويلا يخلص به
الابن في الانكار مع تقدير الوصفية فيه قيل ان القراءة كما ذكرت معروفة
والقول بجواز ان يكون الابن صفة مثبت مسطور في الكتب كما قلت ولكن
الاصل الذي قدمناه من ان الانكار اذا لحق الخبر دون الصفة ليس بالشيء
الذي يعترض فيه شك او يتسلط عليه شبهة فليس يتجه ان يكون الابن
صفة ثم يلحقه الانكار مع ذلك الا على تاويل غامض وهو ان يقال ان الغرض
الدلالة على ان اليهود قد كان بلغ من جهلهم ورسوخهم في هذا الشرك انهم
كانوا يذكرون عزيرا هذا الذكر كما تقول في قوم تريد ان تصفهم بانهم
قد استهلكوا في امر صاحبهم وغلوا في تعظيمه اني اراهم قد اعتقدوا امرا
عظيما فهم يقولون ابدا زيد الامير تريد انه كذلك يكون ذكرهم له اذا
ذكروه الا انه انما يستقيم هذا التاويل فيه اذا انت لم تقدر له خبرا معينا
ولكن تريد انهم كانوا لا يخبرون عنه بخبر الا كان ذكرهم له هكذا ومما هو
من هذا الذي نحن فيه قوله سبحانه وتعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا
لكم وذلك انهم قد ذهبوا في رفع ثلثة الى انها خبر مبتدا محذوف وقالوا
ان التقدير ولا تقولوا الهتنا ثلثة وليس ذلك بمستقيم وذلك انا اذا قلنا
ولا تقولوا الهتنا ثلثة صار ذلك والعياذ بالله شبه الاثبات ان ههنا
الهة من حيث انك اذا نفيت فانما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدا ولا
تنفي معنى المبتدا فاذا قلت ما زيد منطلق كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى
الخبر عن زيد ولم تنف معنى زيد ولم توجب عدمه واذا كان ذلك كذلك فاذا
قلنا ولا تقولوا الهتنا ثلثة كنا قد نفينا ان تكون عدة الالهة ثلثة ولم
ننف ان تكون الهة جل الله وتعالى عن الشريك والنظير كما انك اذا قلت
ليس امراؤنا ثلثة كنت قد نفيت ان تكون عدة الامراء ثلثة ولم تنف ان
تكون لكم امراء هذا ما لا شبهة فيه واذا ادى هذا التقدير الى هذا الفساد

وجب

وجب ان يعدل عنه الى غيره والوجه والله اعلم ان يكون ثلثة صفة مبتدا لا خبر
مبتدا ويكون التقدير ولا تقولوا لنا الهة ثلثة او في الوجود الهة ثلثة ثم
حذف الخبر الذي هو لنا او في الوجود كما حذف من لا اله الا الله وما من
اله الا الله فبقي ولا تقولوا الهة ثلثة ثم حذف الموصوف الذي هو الهة
فبقي ولا تقولوا ثلثة وليس في حذف ما قدرنا حذفه ما يتوقف في صحته اما
حذف الخبر الذي قلنا انه لنا او في الوجود فمطرد في كل ما معناه التوحيد
ونفي ان يكون مع الله تعالى اله عز ذلك الله واما حذف الموصوف بالعدد
فكذلك شايع وذلك انه كما يسوغ ان تقول عندي ثلثة وانت تريد ثلثة
اثواب ثم تحذف لعلمك ان السامع يعلم ما تريد كذلك يسوغ ان تقول
عندي ثلثة وانت تريد ثلثة اثواب لانه لا فصل بين ان تجعل المقصود بالعدد
مميزا وبين ان تجعله موصوفا بالعدد في انه يحسن حذفه اذا علم المراد سببي
ذلك انك قد ترى المقصود بالعدد قد ترك ذكره ثم لا تستطيع ان تقدره الا
موصوفا وذلك في قولك عندي اثنان وعندي واحد يكون المحذوف
ههنا موصوفا لا محالة نحو عندي رجلان اثنان وعندي درهم واحد
ولا يكون مميزا البتة من حيث كانوا قد رفضوا اضافة الواحد والاثنين الى
الجنس فتركوا ان يقولوا واحد رجال واثنا رجال على حد ثلثة رجال
ولذلك كان قول الشاعر ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل شاذا وهذا ولا
يمنع ان يجعل المحذوف من الاية في موضع التمييز دون موضع الموصوف فيجعل
التقدير ولا تقولوا ثلثة الهة ثم يكون الحكم في الخبر على ما مضى ويكون
المعنى والله اعلم ولا تقولوا لنا ثلثة الهة او في الوجود ثلثة الهة فان قلت
فلم صار لا يلزم على هذا التقدير ما لزم على قول من قدر ولا تقولوا
الهتنا ثلثة فذاك لانا اذا جعلنا التقدير ولا تقولوا لنا او في الوجود
ثلثة او ثلثة الهة كنا قد نفينا الوجود عن الالهة كما نفيناه في لا اله الا الله
وما من اله الا الله واذا زعموا ان التقدير ولا تقولوا الهتنا ثلثة كانوا
قد نفوا ان تكون عدة الالهة ثلثة ولم ينفوا وجود الالهة فان قيل فانه
يلزم على تقديرك الفساد من وجه اخر وذاك انه يجوز اذا قلت ليس
لنا امراء ثلثة ان يكون المعنى ليس لنا امراء ثلثة ولكن لنا اميران اثنان و
اذا كان كذلك كان تقديرك وتقديرهم جميعا خطا قيل ان ههنا امرا
قد اغفلته وهو ان قولهم الهتنا يوجب ثبوت الهة جل الله تعالى عما يقول

الظالمون علوا كبيرا ويقولنا ليس لنا آلهة ثلثة لا يوجب ثبوت اثنين البتة
فان قلت افكان لا يوجب فانه لا ينفيه قيل ينفيه ما بعده من قوله تعالى انما
الله اله واحد فان قيل فانه كما ينفي الالهية كذلك ينفي الالهة واذا كان
كذلك وجب ان يكون تقديرهم صحيحا كتقديرك قيل هو كما قلت ينفي
الالهة ولكنهم اذا زعموا ان التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلثة وكان ذلك
والعياذ بالله من الشرك يقتضي اثبات آلهة كانوا قد دفعوا هذا النفي
وخالفوه واخرجوه الى المناقضة واذا كان كذلك كان محالا ان يكون
الصحيح سبيل الى ما قالوه وليس كذلك الحال فيما قدرناه لانا لم نقدر شيئا
يقتضي اثبات الهين تعالى الله حتى يكون حالنا حال من يدفع ما يجب بموجب
هذا الكلام من نفيهما ليس لك ذلك لانه يصح لنا ان نتبع ما قدرناه نفي الاثنين
ولا يصح لهم تفسيرا لذلك لانه يصح لنا ان نقول ولا تقولوا لنا آلهة ثلثة ولا
الهين لان ذلك يجري مجرى ان نقول ليس لنا آلهة ثلثة ولا الهان وهذا
صحيح ولا يصح لهم ان يقولوا ولا تقولوا آلهتنا ثلثة ولا الهان لان ذلك
يجري مجرى ان يقولوا ولا تقولوا آلهتنا الهان وذلك فاسد فاعرفه
والحسن تامله ثم ان ههنا طريقا اخر وهو ان نقدر ولا تقولوا الله و
المسيح وامه ثلثة اي مثلهما كما نعبد الله تعالى يبين ذلك قوله تعالى لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة وقد استقر في العرف انهم اذا ارادوا الحاق اثنين بواحد
في وصف من الاوصاف وان يجعلوهما شبيهين له قالوا هم ثلثة كما يقولون
اذا ارادوا الحاق واحد بآخر وجعله في معناه هما اثنان وعلى هذا السبيل
كانهم يقولون هم يعدون معدودا واحدا ويوجب لهم التساوي والتشارك
في الصفة والرتبة وما شاكل ذلك واعلم انه لا معنى لان يقال ان القول حكاية و
انه اذا كان حكاية لم يلزم منه اثبات الالهة لانه يجري مجرى ان يقول ان من دين
الكفار ان يقولوا الالهة ثلثة وذلك لان الخطاب في الاية للنصارى انفسهم الا
ترى الى قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا
الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا
بالله ورسوله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم واذا كان الخطاب للنصارى كان
تقدير الحكاية محالا فلا تقولوا اذا في معنى لا تعتقدوا واذا كان في معنى الاعتقاد
لزم اذا قدرنا ولا تقولوا آلهتنا ثلثة ما قلنا انه يلزم من اثبات الالهة وذلك
لان الاعتقاد يتعلق بالخبر لا بالمخبر عنه فاذا قلت لا تعتقدوا ان الامر ثلثة

كنت

كنت نهيته عن ان يعتقد كون الامر على هذه العدة لا عن ان يعتقد ان ههنا امرا هذا
ما لا يرتاب فيه عاقل وانما يكون النهي عن ذلك اذا قلت لا تعتقدان ههنا امرا
لا يصح ويصير كانك قلت لا تعتقد وجود امر هذا ولو كان الخطاب مع المؤمنين
لكان تقدير الحكاية لا يصح ايضا ذلك لانه لا يجوز ان يقال للمؤمنين نهوا عن
ان يحكوا عن النصارى مقالتهم ويخبروا عنهم بانهم يقولون كيت وكيت كيف
وقد قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ومن اين يصح النهي عن حكاية قول المبطل في ترك حكايته ترك له وكره وامتناع
من النعي عليه ومن الانكار لقوله والاحتجاج عليه واقامة الدليل على بطلانه لانه
لا سبيل الى شيء من ذلك الا من حكاية القول والافصاح به فاعرفه والله اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم قد اردنا ان نستانف تقريرا يزداد به الناس
تبصيرا انهم في عمياء من امرهم حتى يسلكوا المسلك الذي سلكناه ويفرغوا خواطرهم
لتامل ما استخرجناه وانهم ما لم ياخذوا انفسهم بذلك ولم يجردوا عنايتهم
له في حكم من يعد نفسه الري من السراب اللامع ويخادعها بالكاذب المطامع
يقال لهم انكم تتلون قول الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القران لا يأتون بمثله وقوله عز وجل قل فأتوا بعشر سور مثله وقوله
بسورة من مثله فقولوا الان ايجوز ان يكون تعالى قد امر نبيه بان يتحدى
العرب الى ان يعارضوا القران بمثله من غير ان يكونوا قد عرفوا الوصف الذي
اذا اتوا بالكلام على ذلك الوصف كانوا قد اتوا بمثله ولا بد من انهم ان قالوا
يجوز مطلقا التحدي من حيث ان التحدي كالمطالبة بان يأتوا بالكلام على
وصف ولا يصح المطالبة بالاتيان به على وصف من غير ان يكون ذلك الوصف
معلوما للمخاطب بطل بذلك دعوى الاعجاز ايضا وذلك انه لا يتصور ان
يقال انه كان عجز حتى يثبت معجوز عنه معلوم فلا يقوم في عقل عاقل ان يقول
لخصم له قد اعجزك ان تفعل مثل فعلي وهو لا يشير له الى وصف يعلمه في فعله
ويراه قد وقع عليه الا ترى انه لو ان رجلا اخرج الى رجل خاتما قد صنعه
صنعة انت لا تستطيع مثلها لم يجب عليه حجة ولم يثبت انه قد اتى بما يعجزه
الا من بعد ان يريه الخاتم ويشير له الى ما زعم انه ابدع فيه من الصنعة لانه
لا يصح وصف الانسان بانه قد عجز عن شيء حتى يريد ذلك الشيء ويقصد
اليه ثم لا يتأتى له وليس يتصور ان يقصد الى شيء لا يعلمه وان يكون منه
ارادة لامر لا يعلمه في جملة ولا تفصيل ثم ان هذا الوصف ينبغي ان يكون

وصفا قد تجدد بالقرآن وامرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله واذا كان
كذلك فقد وجب ان نعلم انه لا يجوز ان يكون في الكلم المفردة لان تقدير كونه
فيها يؤدي الى المحال وهو ان يكون الالفاظ المفردة التي هي اوضاع اللغة قد
حدث في مذاقة حروفها واصدائها اوصاف لم تكن لتكون تلك الاوصاف
فيها قبل نزول القرآن وتكون قد اختصت في انفسها بهيئات وصفات
يسمعها السامعون عليها اذا كانت متلوة في القرآن لا يجدون لها تلك
الهيئات والصفات خارج القرآن ولا يجوز ان يكون في معاني الكلم المفردة
التي هي لها بوضع اللغة لانه يؤدي الى ان يكون قد تجدد في معنى الحمد والرب
ومعنى العالمين والملك واليوم والدين وهكذا وصف لم يكن قبل نزول
القرآن وهذا ما لو كان ههنا شيء ابعد من المحال واشنع لكان اياه ولا يجوز
ان يكون هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات حتى كانهم تحدوا الى
ان يأتوا بكلام تكون كلماته على توالي في زنة كلمات القرآن وحتى كان الذي
بان به القرآن من الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض
لانه يخرج الى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة في انا اعطيناك الجماهر فصل
لربك وجاهر والطاحنات طحنا وكذلك الحكم ان زعم زاعم ان الوصف
الذي تحدوا اليه هو ان يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذي
تراه في القرآن ايضا ليس باكثر من التعويل على مراعاة وزن وانما الفواصل
في الاي كالقوافي في الشعر وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو فلو لم يكن
التحدي الا الى فصول من الكلام يكون لها اواخر اشباه القوافي لم يعوزهم
ذلك ولم يتعذر عليهم وقد خيل الى بعضهم ان كانت الحكاية صحيحة شيء
من هذا حتى وضع على ما زعموا فصول كلام اواخرها كاواخر الاي مثل
يعلمون ويؤمنون واشباه ذلك وجملة الامر انه لن يعرض هذا وشبهه
من الظنون لمن يعرض له الا من سوء المعرفة بهذا الشان او للخذلان
او لشهوة الاغراب في القول ومن هذا الذي يرضى من نفسه ان يزعم ان
البرهان الذي بان لهم والامر الذي بهرهم والهيبة التي ملأت صدورهم
والروعة التي دخلت عليهم فازعجتهم حتى قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر انما كان لشيء راعهم من مواقع حركاته
ومن ترتيب بينها وبين سكناته ام لفواصل في اواخر آياته ام من اين يليق
هذه الصفة وهذا التشبيه بذلك ام ترى ان ابن مسعود حين قال في صفة

القرآن

القرآن لا يتفه ولا يتشان وقال اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات
اتانق فيهن اي اتتبع محاسنهن قال ذلك من اجل اوزان الكلمات ومن اجل
الفواصل في اواخر الايات ام ترى انهم لذلك قالوا لا تفنى عجائبه ولا يخلق
على كثرة الرد ام ترى الجاحظ حين قال في كتاب النبوة ولو ان رجلا قرأ على
رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها ومخرجها
من لفظها وطابعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها ابلغ العرب لاظهر
عجزه عنها لغا ولغط فليس كلام هذا مما ذهبوا اليه في شيء وينبغي ان
يكون موازنتهم بين بعض الاي وبين ما قاله الناس في معناها كموازنتهم
بين ولكم في القصاص حيوة وبين قتل البعض احياء للجميع خطأ منهم
لانا لا نعلم لحديث التحريك والتسكين وحديث الفاصلة مذهبا في هذه
الموازنة ولا نعلمهم ارادوا واعتبروا الا ما يريده الناس اذا وازنوا بين كلام وكلام
في الفصاحة والبلاغة ودقة النظم وزيادة الفائدة ولولا ان الشيطان
قد استحوذ على كثير من الناس في هذا الشان وانهم بترك النظر واهمال التدبر
وضعف النية وقصر الهمة قد طرقوا له حتى جعل يلقي في نفوسهم كل محال و
كل باطل وجعلوا هم يعطون الذي يلقيه حظا من قبولهم ويبوئونه مكانا
من قلوبهم لما بلغ من قدر هذه الاقوال الفاسدة ان يدخل في تكلف و
يعاديك في تبيين وجه الفساد فيها وتعريف ثم ان هذه الشناعات
التي تقدم ذكرها تلزم اصحاب الصرفة وذلك انه لو لم يكن عجزهم عن معارضة
القرآن وعن ان يأتوا بمثله لانه معجز في نفسه ولكن لان ادخل عليهم العجز
وصرفت هممهم وخواطرهم عن تاليف كلام مثله وكان حالهم على الجملة حال من
اعدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين امر قد كان يتسع له لكان
ينبغي ان لا يتعاظمهم ولا يكون منهم ما يدل على اكبارهم امره وتعجبهم منه و
على انه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم بل كان ينبغي ان يكون الاكبار منهم
والتعجب للذي دخل من العجز عليهم ورأوه من تغير حالهم ومن ان حيل بينهم
وبين شيء قد كان عليهم سهلا وان سد دونه باب كان لهم مفتوحا ارأيت
لو ان نبيا قال لقومه ان آيتي ان اضع يدي على رأسي هذه الساعة وتمنعون
كلكم من ان تستطيعوا وضع ايديكم على رؤوسكم وكان الامر كما قال مم يكون
تعجب القوم امن وضعه يده على رأسه ام من عجزهم ان يضعوا ايديهم على
رؤوسهم ونعود الى النسق فنقول فاذا ابطل ان يكون الوصف الذي اعجزهم

من القرآن في شيء مما عددناه لم يبق الا ان يكون في النظم والتأليف لانه ليس من بعد
ما ابطلنا ان يكون فيه الا النظم واذا ثبت انه في النظم والتأليف وكنا قد علمنا
ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم وانا ان بقينا
الدهر نجهد افكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعا يجمع شملها
ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو واحكامه
فيها طلبنا ما كل محال دونه فقد بان وظهر ان المتعاطي القول في النظم والزاعم
انه يحاول بيان المزية فيه وهو لا يعرض فيما يعيده ويبديه للقوانين و
الاصول التي قدمنا ذكرها ولا يسلك اليه المسالك التي نهجناها في عمياء
من امره وفي غرور من نفسه وفي خداع من الاماني والاضاليل ذاك لانه اذا
كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم كان من
اعجب العجب ان يزعم زاعم انه يطلب المزية في النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو
واحكامه التي النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم فان قيل قولك الا النظم
يقتضي اخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز
وذلك ما لا مساغ له قيل ليس الامر كما ظننت بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة
ونظائرها فيما هو به معجز وذلك لان هذه المعاني التي هي الاستعارة و
الكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم و
عنه يحدث وبه يكون لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد
لم يتوخ فيما بينها حكم من احكام النحو فلا يتصور ان يكون ههنا فعل او اسم
قد دخلته الاستعارة من دون ان يكون قد الف مع غيره افلا ترى انه لو قدر
في اشتعل من قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ان لا يكون الرأس فاعلا
له ويكون شيبا منصوبا عنه على التمييز لم يتصور ان يكون مستعارا وهكذا
السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك واعلم ان السبب في ان لم يقع النظر
منهم موقعه انهم حين قالوا نطلب المزية ظنوا ان موضعها اللفظ بناء
على ان النظم نظم للالفاظ وانه يلحقها دون المعاني وحين ظنوا ذلك واعتقدوه
وقفوا على اللفظ وجعلوا لا يرمون باوهامهم الى شيء سواه الا انهم على
ذلك لم يستطيعوا ان ينطقوا في تصحيح هذا الذي ظنوه بحرف بل لم يتكلموا
بشيء الا كان ذلك نقضا وابطالا لان يكون اللفظ من حيث هو لفظ موضعا
للمزية والا تراهم قد اعترفوا من حيث لم يدروا بان ليس للمزية التي طلبوها
موضع ومكان يكون غير معاني النحو واحكامه وذلك انهم قالوا ان الفصاحة

لا تظهر

لا تظهر في افراد الكلمات وانما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة فقولهم بالضم لا يصح
ان يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما لانه لو جاز
ان يكون لمجرد ضم اللفظ الى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي اذا قيل ضحك خرج
ان يحدث في ضم خرج الى ضحك فصاحة واذا بطل ذلك لم يبق الا ان يكون
المعنى في ضم الكلمة الى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما وقولهم على طريقة
مخصوصة يوجب ذلك ايضا وذلك انه لا يكون للطريقة اذا انت اردت مجرد
اللفظ معنى وهذا سبيل كل ما قالوه اذا انت تأملته تراهم في الجميع قد دفعوا
الى جعل المزية في معاني النحو واحكامه من حيث لم يشعروا ذلك لانه امر ضروري
لا يمكن الخروج منه ومما تجدهم يعتمدونه ويرجعون اليه قولهم ان المعاني
لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ وهذا كلام اذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه
غير ان تجعل تزايد الالفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو
واحكامه فيما بين الكلم لان التزايد في الالفاظ من حيث هي الفاظ ونطق لسان محال
ثم انا نعلم ان المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير
شبهة ومحال ان يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ويستعان عليها
بالروية اللهم الا ان يريد تأليف النغم وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل ومن
ههنا لم يجز اذا عد الوجوه التي تظهر بها المزايا ان يعد فيها الاعراب و
ذلك ان العلم بالاعراب مشترك بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر
ويستعان عليه بالروية فليس احدهم بان اعراب الفاعل الرفع والمفعول به
النصب والمضاف اليه الجر باعلم من غيره ولا ذاك مما يحتاجون فيه الى
حدة ذهن وقوة خاطر انما الذي تقع الحاجة فيه الى ذلك العلم بما يوجب
الفاعلية للشيء اذا كان ايجابها من طريق المجاز كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم
وكقول الفرزدق سقتها خروق في المسامع واشباه ذلك مما يجعل الشيء
فيه فاعلا على تأويل يدق ومن طريق يلطف وليس يكون هذا علما بالاعراب
ولكن بالوصف الموجب للاعراب ومن ثم لا يجوز لنا ان نعتد في شأننا هذا
بان يكون المتكلم قد استعمل من اللغتين في الشيء ما يقال انه افصحهما وبان يكون
قد تحفظ مما تخطئ فيه العامة ولا بان يكون قد استعمل الغريب لان العلم بجميع ذلك لا
يعدو ان يكون علما باللغة وبانفس الكلم المفردة وبما طريقه طريق الحفظ دون
ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه باعمال الفكر ولئن كانت العامة و
اشباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غير ذلك من اضعف النحيزة

احظا رشده في الفكر واجراه في الذكر وانت تزعم انك ناظر في دلائل الاعجاز اترى
ان العرب تحدوا واعتبروا الفتح من الميم من السمع والهاء من النبه على الاسكان
وان تحفظوا من تغليط العامة في مثل هو بيوع الفا والآن ياتوا بالغريب
الوحشي في كلام يعارضون به القرآن كيف وانت تقرا السورة من السور الطوال
فلا تجد فيها من الغريب شيئا وتتامل ما جمعه العلما في غريب القرآن فلا
ترى الغريب منه الا في القليل انما كان غريبا من اجل استعارة هي فيه كقوله و
اشربوا في قلوبهم العجل ومثل قوله خلصوا نجيا ومثل فاصدع
بما تؤمر دون ان يكون اللفظة غريبة في نفسها انما ترى ذلك في كلمات معدودة
كمثل عجل لنا قطنا وذات الواح ودسر وجعل ربك تحتك سريا ثم انه لو كان
اكثر الفاظ القرآن غريبا لكان محالا ان يدخل ذلك في الاعجاز وان يصح التحدي به
ذاك لانه لا يخلوا اذا وقع التحدي به من ان يتحدى من له علم بامثاله من الغريب
او من لا علم له بذلك فلو تحدى به من يعلم امثاله لم يتعذر عليه ان يعارضه
بمثله الا ترى انه لا يتعذر عليك اذا عرفت ما جاء من الغريب في معنى الطويل
ان تعارض من يقول الشوقب بان تقول انت الشوذب واذا قال الاسوان
تقول الاشق وعلى هذا السبيل ولو تحدى به من لا علم له بامثال ما فيه من الغريب
كان ذلك بمنزلة ان يتحدى العرب الى ان يتكلموا بلسان الترك هذا وكيف
ان يدخل الغريب في باب الفضيلة وقد ثبت انهم كانوا يرون الفضيلة في ترك
استعماله وتجنبه الا ترى الى قول عمر رحمه في زهير انه كان لا يعاظل بين القول
ولا يتبع حوشي الكلام فقرن تتبع الحوشي وهو الغريب من غير شبهة الى المعاظلة
التي هي التعقيد وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ورايت الناس
يتداولون رسالة يحيى بن يعمر عن لسان يزيد بن المهلب الى الحجاج انا لقينا
العدو فقتلنا طائفة بعراعر الاودية واهضام الغيطان وبتنا بعرعرة
الجبل وبات العدو بحضيضه فقال الحجاج ما يزيد بهذا الكلام
فحمل اليه فقال اين ولدت فقال بالاهواز فقال فانى لك هذه الفصاحة
فقال اخذتها عن ابي وقال في اخرى ابيهم يرون في كتبهم ان امرأة خاصمت
زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى ان سالتك ثمن شكرها
وشبرك انشات تطلها وتضهلها ثم قال فارى كانوا قلدوا هذا الكلام
لكن دل على فصاحة وبلاغة فقلبا عليه السلام من صفة البلاغة واعلم انك
كلما نظرت وجدت سبيلها سبيلا واحدا وهو طلبهم الذي ظنوه في اللفظ

وجعلهم

وجعلهم الاوصاف التي تجري عليها كلها اوصافا له في نفسه ومن حيث هو لفظ
وتركهم ان يميزوا بين ما كان وصفا له في نفسه وبين ما كانوا قد كسوه اياه
من اجل امر عرض في معناه ولما كان هذا دابهم ثم راوا الناس واظهر شي عندهم
في معنى الفصاحة تقويم الاعراب والتحفظ من اللحن لم يشكوا انه ينبغي ان
يعتد به في جملة المزايا التي يفاضل بها بين كلام وكلام في الفصاحة وذهب
عنهم انه ليس هو من الفصاحة التي يعنينا امرها في شي وان كلامنا في فصاحة
تجب للفظ لا من اجل شي يدخل في النطق ولكن من اجل لطايف تدرك بالفهم
وانما يعتبر في شاننا هذا فضيلة تجب لاحد الكلامين على الاخر من بعد ان
يكونا قد برئا من اللحن وسلما في الفاظهما من الخطا ومن العجب انا اذا نظرنا في
الاعراب وجدنا التفاضل فيه محالا لانه لا يتصور ان يكون للرفع والنصب
في كلام مزية عليهما في كلام اخر وانما الذي يتصور ان يكون هاهنا كلامان قد
وقع في اعرابهما خلل ثم كان احدهما اكثر صوابا من الاخر وكلاما قد استمر
احدهما على الصواب ولم يستمر الاخر ولا يكون هذا تفاضلا في الاعراب و
لكن تركا له في شي واستعمالا له في اخر فاعرف ذلك وجملة الامر انك لا ترى ظنا
هو انأى بصاحبه عن ان يصح له كلام او يستمر له نظام او يثبت له قدم او ينطق
عنه الا بالمحال ثم من ظنهم هذا الذي حام بهم حول اللفظ وجعلهم لا يعدونه
ولا يرون للمزية مكانا دونه واعلم انه قد يجري في العبارة منا شي هو يعيد الشبهة
جذعة عليهم وهو انه يقع في كلامنا ان الفصاحة تكون في المعنى دون
اللفظ فاذا سمعوا ذلك قالوا كيف يكون هذا ونحن نراها لا تصلح صفة
الا للفظ ونراها لا تدخل في صفة المعنى البتة لانا نرى الناس قاطبة يقولون
هذا لفظ فصيح وهذه الفاظ فصيحة ولا نرى عاقلا يقول هذا معنى فصيح و
هذه معان فصاح ولو كانت الفصاحة تكون في المعنى لكان ينبغي ان يقال ذلك
كما انه لما كان الحسن يكون فيه قيل هذا معنى حسن وهذه معان حسنة وهذا
شي يشكل ياخذ من الغر في المعنى دون اللفظ لانه لو كانت المزية التي من اجلها
يستحق اللفظ الوصف بانه فصيح ما ذكرنا والجواب عنه ان يقال ان غرضنا من قولنا
ان الفصاحة تكون في المعنى ان المزية التي من اجلها استحق اللفظ الوصف بانه
فصيح تكون فيه دون معناه لكان ينبغي اذا قلنا في اللفظة انها فصيحة ان تكون
تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال ومعلوم ان الامر بخلاف ذلك فانا نرى
اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع

وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير وانما كان كذلك لان المزية التي من اجلها
نصف اللفظ في شأننا هذا بانه فصيح مزية تحدث من بعد ان لا تكون وتظهر
في الكلم من بعد ان يدخلها النظم وهذا شيء ان انت طلبته فيها وقد جئت بها افرادا
لم ترم فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا طلبت محالا واذا كان ذلك كذلك وجب
ان يعلم قطعا وضرورة ان تلك المزية في المعنى دون اللفظ وعبارة اخرى في
هذا بعينه وهي انا قد علمنا علما لا تعترض معه شبهة ان الفصاحة فيما
نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة واذا كان كذلك فينبغي
لنا ان ننظر الى المتكلم هل يستطيع ان يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس هو
في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة واذا نظرنا وجدناه
لا يستطيع ان يصنع باللفظ شيئا اصلا ولا ان يحدث فيه وصفا كيف وهو
ان فعل ذلك افسد على نفسه وابطل ان يكون متكلما لانه لا يكون متكلما حتى
يستعمل اوضاع لغة على ما وضعت له واذا ثبت من حاله انه لا يستطيع ان
يصنع بالالفاظ شيئا ليس هو لها في اللغة وكنا قد اجمعنا على ان الفصاحة
فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم البتة وجب ان نعلم قطعا وضرورة انهم
وان كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ فانهم لم
يجعلوها وصفا له في نفسه ومن حيث هو صدى صوت ونطق لسان ولكنهم
جعلوها عبارة عن مزية افادها المتكلم ولما لم تزد افادته في اللفظ شيئا لم يبق الا ان
يكون عبارة عن مزية افادها في المعنى وجملة الامر انا لا نوجب الفصاحة للفظة
مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها
ومعلقا معناها بمعنى ما يليها فاذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تع واشتعل
الراس شيبا انها في اعلى رتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها
ولكن موصولا بها الراس معرفا بالالف واللام ومقرونا اليهما الشيب منكرا منصوبا
هذا وانما يقع ذلك في الوهم لمن يقع له اعني ان توجب الفصاحة للفظة وحدها
فيما كان استعارة فاما ما خلا من الاستعارة من الكلام الفصيح البليغ فلا يعرض
توهم ذلك فيه لعاقل اصلا افلا ترى انه لا يقع في نفس من يعقل ادنى شيء
اذا هو نظر الى قوله تع يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم والى
اكبار الناس شأن هذه الاية في الفصاحة ان يضع يده على كلمة منها فيقول
انها فصيحة كيف وسبب الفصاحة فيها امور لا يشك عاقل في انها معنوية اولها
ان كانت على فيها متعلقة بمحذوف في موضع المفعول الثاني والثاني ان

ان كانت الجملة التي هي هم العدو بعدها عارية من حرف عطف والثالث التعريف
في العدو وان لم يقل هم عدو ولو انك علقت على بظاهر وادخلت على الجملة
التي هي هم العدو حرف عطف واسقطت الالف واللام من العدو فقلت يحسبون
كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو لرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها باسرها و
لو انك اخطرت ببالك ان يكون عليهم متعلقا بنفس الصيحة ويكون حاله معها
كحاله اذا قلت صحت عليه لاخرجته عن ان يكون كلاما فضلا عن ان يكون فصيحا
وهذا هو الفيصل لمن عقل ومن العجب في هذا ما روي ان امير المؤمنين علي عم
انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا وسمعتها من رسول الله ص وسمعته يقول
مات حتف انفه وما سمعتها من عربي قبله لا شبهة في ان وصف اللفظ بالعربي
في مثل هذا يكون في معنى الوصف بانه فصيح واذا كان الامر كذلك فانظر هل
يقع في وهم متوهم ان يكون ع قد جعلها عربية من اجل الفاظها واذا نظرت
لم تشك في ذلك واعلم انك تجد هؤلاء الذين يشكون فيما قلناه تجري على
السنتهم الفاظ وعبارات لا يصح لها معنى سوى توخي معاني النحو واحكامه
فيما بين معاني الكلم ثم تراهم لا يعلمون ذلك فمن ذلك ما يقوله الناس قاطبة من
ان العاقل يرتب في نفسه ما يريد ان يتكلم به واذا رجعنا الى انفسنا لم نجد
لذلك معنى سوى انه يقصد الى قولك ضرب فيجعله خبرا عن زيد ويجعل الضرب
الذي اخبر بوقوعه منه واقعا على عمرو ويجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه
ويجعل التاديب غرضه الذي فعل الضرب من اجله فيقول ضرب زيد عمرا يوم
الجمعة تاديبا له وهذا كما ترى هو توخي معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلم
ولو انك عرفت اذ توخى في ضرب ان تجعله خبرا عن زيد وفي عمرو ان تجعله
مفعولا به الضرب وفي يوم الجمعة ان تجعله زمانا لهذا الضرب وفي التاديب ان
تجعله غرضا له من الضرب ما تصور في عقل ولا وقع في وهم ان يكون مرتبا لهذه
الكلم واذ قد عرفت ذلك فهو العبرة في الكلام كله فمن ظن ظنا يؤدي الى خلافه ظن
ما يخرج به من المعقول ومن ذلك اثباتهم التعلق والاتصال فيما بين الكلم وصفا حينا
تارة ونفيهم لها اخرى ومعلوم علم الضرورة ان لن يتصور ان يكون للفظة تعلق
بلفظة اخرى من غير ان تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ويراعى هناك امر يصل
احداهما بالاخرى كمراعاة كون نبك جوابا للامر في قولنا قفا نبك وكيف بالشك
في ذلك ولو كانت الالفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي الفاظ ومع اطراح
النظر في معانيها لادى ذلك الى ان يكون الناس حين ضحكوا مما يصنعه المجان

من قراءة اشعار الكتب فضحكوا من جهالته وان يكون ابو تمام قد اخطأ حين قال
عزله شيبها بالجبوب كانما قرات تهلل الوجوه اسطر كتاب لانهم لم يضحكوا الا
من عدم التعلق ولم يخطئ ابو تمام حينا الا لذلك فانظر الى ما يلزم هؤلاء
القوم من طرائف الامور **فصل** وهذا فن من الاستدلال لطيف على
بطلان ان يكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ لا تخلو الفصاحة
من ان تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع او تكون صفة فيه معقولة
تعرف بالقلب فمحال ان يكون صفة محسوسة لانها لو كانت كذلك لكان ينبغي
ان يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا واذا بطل ان يكون
محسوسة وجب الحكم ضرورة بانها صفة معقولة واذا لا نعرف للفظ صفة
يكون طريق معرفتها العقل دون الحس الا دلالته على معناه واذا كان كذلك
لزم منه العلم بان وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه لا
من جهة نفسه وهذا ما لا يبقى لعاقل معه عذر في الشك والله الموفق للصواب
وبيان اخر وهو ان القارئ اذا قرأ قوله تعالى واشتعل الراس شيبا فانه لا يجد
الفصاحة التي يجدها الا من بعد ان ينتهي الكلام الى اخره فلو كانت الفصاحة
صفة للفظ اشتعل لكان ينبغي ان يحسها القارئ فيه في حال نطقه به فمحال
ان يكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة الا من بعد عدمه ومن ذا رأى
صفة يعرى موصوفها عنها في حال وجوده حتى اذا عدم صارت موجودة
فيه وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه بصفة شرط حصولها
لموصوفها ان يعدم الموصوف فان قالوا ان الفصاحة التي ادعيناها للفظ
اشتعل تكون فيه في حال نطقنا به الا انا لا نعلم في تلك الحال انها فيه فاذا
بلغنا اخر الكلام علمنا حينئذ انها كانت فيه حين نطقنا به قيل هذا فن اخر
من العجب وهو ان يكون ههنا صفة موجودة في شيء ثم لا يكون في الامكان
ولا يسع في الجواز ان نعلم وجود تلك الصفة في ذلك الشيء الا من بعد ان يعدم
فيكون العلم بها وبكونها فيه محجوبا عنا حتى يعدم فاذا عدم علمنا حينئذ انها
كانت فيه حين كان ثم انه لا شبهة في ان هذه الفصاحة التي تدعونها للفظ
هي مدعاة لمجموع الكلمة دون احاد حروفها اذ ليس يبلغ بهم تهافت الراي الى ان
يدعوا لكل واحد من حروف اشتعل فصاحة فيجعلوا الشين على حدته فصيحا
وكذلك الفاء والعين واللام واذا كانت الفصاحة مدعاة لمجموع الكلمة لم يتصور
حصولها الا من بعد ان تعدم كلها وينقضي امر النطق بها اذ الشأن لا يتصور

ان ينطق الحروف فيجعلها في النطق دفعة واحدة حتى يجعل الفصاحة موجودة فيها
في حال وجودها وما بعد هذا الا ان نسأل الله العصمة والتوفيق فقد بلغ
الامر في الشناعة الى حد اذا تنبه العاقل لفرط ما يرتكب استحيا من العقل حين يراه
قد قال بقول هذا مؤداه وسلك مسلكا الى هذا مفضاه وما مثل من يزعم ان الفصاحة
صفة للفظ من حيث هو لفظ ونطق لسان ثم يزعم انه يدعيها لمجموع حروفه دون
احادها الا مثل من يزعم ان ههنا غزلا اذا نسج منه ثوب كان احمر واذا فرق و
نظر اليه خيطا خيطا لم يكن فيه حمرة اصلا ومن طريف امرهم انك ترى كافتهم لا ينكرون
ان اللفظ المستعار اذا كان فصيحا كانت فصاحته تلك من اجل استعارته ومن اجل
لطف وغرابة كانا فيها وتراهم مع ذلك لا يشكون في ان الاستعارة لا تحدث في
حروف اللفظ صفة ولا تغير اجراسها عما يكون عليه اذا لم يكن مستعارا وكان
متروكا على حقيقته وان التاثير من الاستعارة انما يكون في المعنى كيف وهم
يعتقدون ان اللفظ اذا استعير لشيء نقل عن معناه الذي وضع له بالكلية
واذا كان الامر كذلك فلولا اهمالهم انفسهم وتركهم النظر لقد كان يكون في هذا
ما يوقظهم من غفلتهم ويكشف الغطاء عن اعينهم **فصل** ومما ينبغي ان يعلمه
الانسان ويجعله منه على ذكر انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افرادا
ومجردة من معاني النحو فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل ان يتفكر متفكر في معنى
فعل من غير ان يريد اعماله في اسم ولا ان يتفكر في معنى اسم من غير ان يريد اعمال فعل
فيه وجعله فاعلا له او مفعولا او يريد فيه حكما سوى ذلك من الاحكام مثل
ان يريد جعله مبتدأ او خبرا او صفة او حالا او ما شاكل ذلك وان اردت ان ترى
ذلك عيانا فاعمد الى اي كلام شئت وازل اجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا
يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في قفا نبك من ذكرى حبيب و
منزل من نبك قفا حبيب ذكرى منزل ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها
واعلم اني لست اقول ان الفكر لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو ومنطوقا بها
على وجه لا يتاتى معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها كالذي اريتك والا فانك
اذا فكرت في الفعلين او الاسمين تريد ان تخبر باحدهما عن الشيء ايهما اولى ان
تخبر به عنه واشبه بغرضك مثل ان تنظر ايهما امدح او اذم او فكرت في الشيئين
تريد ان تشبه الشيء باحدهما ايهما اشبه به كنت قد فكرت في معاني انفس الكلم
الا ان فكرك ذلك لم يكن الا من بعد ان توخيت فيها معنى من معاني النحو وهو
ان اردت جعل الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شيء اردت فيه مدحا او ذما او تشبيها

او غير ذلك من الاغراض ولم تجي الى فعل او اسم ففكرت فيه فردا او من غير ان كان
لك قصد ان تجعله خبرا او غير خبر فاعرف ذلك وان اردت مثالا فخذ بيت بشار
كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وانظر هل
يتصور ان يكون بشار قد اخطر معاني هذه الكلم بباله افرادا عارية عن معاني
النحو التي تراها فيها وان يكون قد وقع كان في نفسه من غير ان يكون قصد ايقاع
التشبيه منه على شي وان يكون فكر في مثار النقع من غير ان يكون اراد اضافة الاول
الى الثاني وفكر في فوق رؤسنا من غير ان يكون اراد ان يضيف فوق الى
الرؤس وفي الاسياف من دون ان يكون اراد عطفها بالواو على مثار وفي
الواو من دون ان يكون اراد ان يجعل تهاوى فعلا للكواكب ثم يجعل الجمله
صفة لليل ليتم الذي اراد من التشبيه ام لم يخطر هذه الاشيا بباله الا مرادا فيها
هذه الاحكام والمعاني التي تراها فيها وليت شعري كيف يتصور وقوع
قصد منك الى معنى كلمة دون ان تريد تعليقها بمعنى كلمة اخرى ومعنى القصد
الى معاني الكلم ان تعلم السامع بها شيا لا يعلمه ومعلوم انك ايها المتكلم لست
تقصد ان تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول خرج زيد
لتعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد كيف ومحال ان تكلمه بالفاظ لا يعرف هو
معانيها كما تعرف ولهذا لم يكن الفعل وحده من دون الاسم ولا الاسم وحده
من دون اسم اخر او فعل كلاما وكنت لو قلت خرج ولم تات باسم ولا قدرت
فيه ضمير الشي او قلت زيد ولم تات بفعل ولا اسم اخر ولم تضمره في نفسك
كان ذلك وصوتا تصوته سواء فاعرفه واعلم ان مثل واضع الكلام مثل من ياخذ
قطعا من الذهب او الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة
وذلك انك اذا قلت ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تاديبا له فانك
للسامع تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان
كما يتوهمه الناس وذلك لانك لم تات بهذه الكلم لتفيده انفس معانيها وانما
جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل
فيه والاحكام التي هي محصول التعلق واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان
ننظر في المفعولية من عمرو وكون الجمعة زمانا للضرب وكون الضرب ضربا شديدا
وكون التاديب علة للضرب ايتصور فيها ان تفرد عن المعنى الاول الذي هو
اصل الفائدة وهو اسناد ضرب الى زيد واثبات الضرب به له حتى يعقل كون
عمرو مفعولا به وكون يوم الجمعة مفعولا فيه وكون ضربا شديدا مصدرا وكون

التاديب علة للضرب مفعولا له من غير ان يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب واذا
نظرنا وجدنا ذلك لا يتصور لان عمروا مفعول لضرب وقع من زيد عليه ويوم الجمعة
زمان لضرب وقع من زيد وضربا شديدا بيان لذلك الضرب كيف هو وما صفته
والتاديب علة له وبيان انه كان الغرض منه واذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت
ان المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معاني وهو اثباتك زيدا فاعلا
ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا ولهذا المعنى نقول انه كلام
واحد واذ قد عرفت هذا فهو العبرة ابدا فبيت بشار اذا تاملته وجدته كالحلقة
المفرغة التي لا تقبل التقسيم ورايته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين
ياخذ كسرا من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب ويخرج لك منها سوارا او خلخالا
وان انت حاولت قطع بعض الفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم
السوار وذلك انه لم يرد ان يشبه النقع بالليل على حدة والاسياف بالكواكب على
حدة ولكنه اراد ان يشبه النقع والاسياف تجول فيه بالليل في حال ما تنكدر الكواكب
وتتهاوى فيه والمفهوم من الجميع مفهوم واحد والبيت من اوله الى اخره كلام واحد
فانظر الان ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي اجزاء البيت اتقول ان الفاظها اتحدت
فصارت الالفاظ من اجل ذلك كانها لفظة واحدة فان كنت لا تشك ان الاتحاد
الذي تراه هو في المعاني اذ كان من فساد العقل ومن الذهاب في الخبل ان يتوهم
متوهم ان الالفاظ يندمج بعضها في بعض حتى يصير لفظة واحدة فقد اراك ذلك
ان لم تكابر عقلك ان النظم يكون في معاني الكلم دون الفاظها وان نظمها هو توخي
معاني النحو فيها وذلك لانه اذا ثبت الاتحاد وثبت انه في المعاني فينبغي ان ينظر الى الذي
به اتحدت المعاني في بيت بشار واذا نظرنا لم نجدها اتحدت الا بان جعل مثار
النقع اسم كان وجعل الظرف الذي هو فوق رؤسنا معمولا لمثار ومعلقا به و
اشرك الاسياف في كان بعطفه لها على مثار ثم بان قال ليل تهاوى كواكبه خبرا لكان
فانظر هل ترى شيا كان الاتحاد به غير ما عددناه وهل تعرف له موجبا سواه
فلولا الاخلاد الى الهوينا وترك النظر وغطاء القي على عيون اقوام لكان ينبغي
ان يكون في هذا وحده الكفاية وما فوق الكفاية ونسال الله تعالى التوفيق واعلم
ان الذي هو افة هؤلاء الذين لهجوا بالاباطيل في امر اللفظ انهم قوم قد اسلموا انفسهم
الى التخيل والقوا مقادتهم الى الاوهام حتى عدلت بهم عن الصواب كل معدل
ودخلت بهم من فحش الغلط في كل مدخل وتعسفت بهم في كل مجهل وجعلتهم
يرتكبون في نصرة رايهم الفاسد القول بكل محال ويقتحمون في كل جهالة حتى

انك ان قلت لهم انه يتأتى للناظم نظم لا بالفكر والروية فاذا جعلتم النظم في الالفاظ
لزمكم من ذلك ان تجعلوا الفكر للانسان اذا هو فكر في نظم الكلام فكرا في الالفاظ
التي يريد ان ينطق بها دون المعاني فلم يبالوا ان يرتكبوا ذلك وان يتعلقوا بما
في العادة ومجرى الجبلة من ان الانسان يخيل اذا هو فكر انه كانه ينطق في نفسه
بالالفاظ التي يفكر في معانيها حتى يرى انه يسمعها سماعه لها حين يخرجها
من فيه وحين يجري بها اللسان وهذا تجاهل لان سبيل ذلك سبيل انسان
يتخيل دائما في الشيء قد رآه وشاهده انه كانه يراه وينظر اليه وان مثاله نصب
عينيه فكما لا يوجب هذا ان يكون رائيا له وان يكون الشيء موجودا في نفسه
كذلك لا يكون تخيله انه كانه ينطق بالالفاظ موجبا ان يكون ناطقا بها وان
يكون موجودة في نفسه حتى يجعل ذلك سببا الى جعل الفكر فيها ثم انا نعمل
على انه ينطق بالالفاظ في نفسه وانه يجدها فيها على الحقيقة فمن اين لنا انه
اذا فكر كان الفكر منه فيها ام ماذا يروم ليت شعري بذلك الفكر ومعلوم ان
الفكر من الانسان يكون في ان يخبر عن شيء بشيء او يصف شيئا بشيء او يضيف شيئا
الى شيء او يشرك شيئا في حكم شيء او يخرج شيئا من حكم قد سبق منه لشيء
او يجعل وجود شيء شرطا في وجود شيء على هذا السبيل وهذا كله فكر في امور
معقولة زائدة على اللفظ واذا كان هذا كذلك لم يخل هذا الذي يجعل في
الالفاظ فكرا من احد امرين اما ان يخرج هذه المعاني من ان يكون لواضع الكلام
فيها فكر او يجعل في اللفظ مع فكره في هذه المعاني فان ذهب الى الاول لم يكلم
وان ذهب الى الثاني لزمه ان يجوز وقوع فكر من الاعجمي الذي لا يعرف معاني الالفاظ
العربية اصلا في الالفاظ وذلك مما لا يخفى مكان الشنعة والفضيحة فيه وشبيه هذا
التوهم منهم انك قد ترى احدهم يعتبر حال السامع فاذا رأى المعاني لا تترتب في
نفسه الا بترتيب الالفاظ في سمعه ظن عند ذلك ان المعاني تبع للالفاظ وان
الترتيب فيها مكتسب من الالفاظ ومن ترتيبها في نطق المتكلم وهذا ظن فاسد
ممن يظنه فان الاعتبار ينبغي ان يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له والواجب
ان ينظر الى حال المعاني معه لا مع السامع واذا نظرنا علمنا ضرورة انه محال ان يكون
الترتيب فيها تبعا لترتيب الالفاظ ومكتسبا عنه لان ذلك يقتضي ان تكون الالفاظ
سابقة للمعاني وان تقع في نفس الانسان اولا ثم تقع المعاني من بعدها وتالية
لها بالعكس مما يعلمه كل عاقل اذا هو لم يوخذ عن نفسه ولم يضرب حجاب بينه
وبين عقله وليت شعري هل كانت الالفاظ الا من اجل المعاني وهل هي الا خدم

شيء

لها

لها ومعرفة على حكمها والمبينة سمات لها واوضاعا قد وضعت لتدل عليها
فكيف يتصور ان تسبق المعاني وان تتقدمها في تصور النفس ان جاز ذلك
جاز ان يكون اسامي قد وضعت قبل ان عرفت الاشياء وقبل ان كانت وما
ادري ما اقول في شيء يجر الذاهبين اليه الى اشباه هذا من فنون المحال وردي
الاقوال وهذا سوال لهم من جنس اخر في النظم قالوا لو كان النظم يكون في
معاني النحو لكان البدوي الذي لم يسمع بالنحو قط ولم يعرف المبتدا والخبر وشيئا
مما يذكرونه لا يتاتى له نظم كلام وانا لنراه ياتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم
في علم النحو قيل هذه شبهة من جنس ما عرض للذين عابوا المتكلمين فقالوا انا
نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم والعلماء في الصدر الاول لم يكونوا يعرفون الجوهر والعرض
وصفة النفس وصفة المعنى وسائر العبارات التي وضعتموها فان كان
لا تتم الدلالة على حدث العالم والعلم بوحدانية الله تعالى الا بمعرفة هذه
الاشياء التي ابتدعتموها فينبغي لكم ان تدعوا انكم قد علمتم في ذلك ما لم يعلموه
وانكم فضلتم في العلم اعلى من سابقهم وجوابنا هو مثل جواب المتكلمين
وهو ان الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات فاذا عرف البدوي
الفرق بين ان يقول جاءني زيد راكبا وبين قوله جاءني زيد الراكب لم يضره
ان لا يعرف انه اذا قال راكبا كان عبارة النحويين فيه ان يقولوا في راكبا انه
حال واذا قال الراكب انه صفة جارية على زيد واذا عرف في قوله زيد منطلق
ان زيدا مخبر عنه ومنطلق خبر لم يضره ان لا يعلم انا نسمي زيدا مبتدا
واذا عرف في قولنا ضربته تاديبا له ان المعنى في التاديب انه غرضه من الضرب
وانه ضربه ليتادب لم يضره ان لا يعلم انا نسمي التاديب مفعولا له ولو كان
عدم العلم بهذه العبارات يمنعه ان يعرف ما وضعناها له واردناه بها لكان ينبغي
ان لا يكون له سبيل الى بيان اغراضه وان لا يفصل فيما يتكلم به بين نفي واثبات
وبين ما اذا كان استفهاما وبينه اذا كان بمعنى الذي واذا كان بمعنى المجازاة
لانه لم يسمع عباراتنا في الفرق بين هذه المعاني اترى الاعرابي حين سمع
المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنصب فانكر وقال صنع ماذا
انكر من غير علم ان النصب يخرجه عن ان يكون خبرا ويجعله والاول في
حكم اسم واحد وانه اذا صار الاول في حكم اسم واحد احتيج الى اسم اخر
او فعل حتى يكون كلاما وحتى يكون قد ذكر ما له فائدة ان كان لا يعلم ذلك فلماذا
قال صنع ماذا فطلب ما يجعله خبرا ويكفيك انه يلزم على ما قالوه ان يكون

امرؤ القيس حين قال قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل غالط وهو لا يعلم ما
يعنيه بقولنا ان قفا امر ونبك جواب الامر وذكرى مضاف الى حبيب و
منزل معطوف على الحبيب وان يكون هذه الالفاظ قد ترتبت من غير قصد منه
الى هذه المعاني فى الشرط وجب ان يكون قد قال نبك بالجزم من غير ان يكون
عرف معنى يوجب الجزم واتى به موخرا عن قفا من غير ان عرف للتاخير
موجبا سوى طلب الوزن ومن افضت به الحال الى امثال هذه الشناعات
ثم لم يرتدع ولم يتبين انه على خطاء فليس الا تركه والاعراض عنه ولولا
انا نحب ان لا يبقى احد فى عمى السوال عن الاعتراض بحرف الا اريناه الذى
استهواه لكان ترك التشاغل بايراد هذا وشبهه اولى ذاك انا قد علمنا
علم ضرورة انا لو بقينا الدهر الاطول نصعد ونصوب ونبحث وننقب
نبتغى كلمة قد اتصلت بصاحبة لها ولفظة قد انتظمت مع اختها من غير
ان يتوخى فيما بينهما معنى من معانى النحو طلبنا ممتنعا وثنينا مطايا الفكر
ظلعا فان كان ههنا من يشك فى ذلك ويزعم انه قد علم لاتصال الكلم بعضها
ببعض وانتظام الالفاظ بعضها مع بعض معانى غير معانى النحو فانا نقول
له هات فبين تلك المعانى وارنا مكانها واهدنا لها ولعلك تاتى بعلم قد
حجب عنا وفتح لك باب قد اغلق دوننا وذاك له اذا العنقاء صارت مربية
وشب ابن الخصى **فصل** قال رح قد اعيد القول فى شى هو اصل الفساد
ومعظم الآفة والذى صار حجازا بين القوم وبين التامل واخذ بهم
عن طريق النظر وحال بينهم وبين ان يصغوا الى ما يقال لهم وان يفتحوا
للذى تبين اعينهم وذلك قولهم ان العقلاء قد اتفقوا على انه يصح ان يعبر
عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون احدهما فصيحا والآخر غير فصيح و
ذلك قالوا يقتضى ان يكون للفظ نصيب فى المزية لانها لو كانت مقصورة
على المعنى لكان محالا ان يجعل لاحد اللفظين فضل على الآخر مع ان المعبر
عنه واحد وهذا شى تراهم يعجبون به ويكثرون ترداده ثم انهم
يوكدونه فيقولون لولا ان الامر كذلك لكان ينبغى الا يكون للبيت من الشعر
فضل على تفسير المفسر له لانه ان كان اللفظ انما يشرف من اجل معناه
فان لفظ المفسر ياتى على المعنى ويوديه لا محاله اذ لو كان لا يوديه لكان لا يكون
تفسيرا له ثم يقولون واذا لزم ذلك فى تفسير البيت من الشعر لزم مثله فى
الآية من القرآن وهم اذا انتهوا فى الحجاج الى هذا الموضع ظنوا انهم قد اتوا بما

لا يجوز ان يسمع عليه كلام وانه نقض ليس بعده ابرام وربما اخرجهم الاعجاب
به الى الضحك والتعجب ممن يرى ان الكلام عليه سبيلا وانه يستطيع ان يقيم
على بطلان ما قالوه دليلا والجواب وبالله التوفيق ان يقال للمحتج بذلك قولك
انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين يحتمل امرين احدهما ان تريد
باللفظين كلمتين معناهما واحد فى اللغة مثل الليث والاسد ومثل شحط
وبعد واشباه ذلك مما وضع اللفظان فيه لمعنى والثانى ان تريد كلامين
فان اردت الاول خرجت من المسالة لان كلامنا نحن فى فصاحة تحدث بعد
التاليف دون الفصاحة التى يوصف بها اللفظة مفردة ومن غير ان يعتبر حالها
مع غيرها وان اردت الثانى ولا بد لك من ان تريده فان ههنا اصلا من
عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو ان يعلم ان سبيل المعانى سبيل اشكال
الحلى كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شان هذه الاشكال ان يكون الواحد
منها غفلا ساذجا لم يعمل صانعه فيه شيئا اكثر من ان اتى بما يقع عليه اسم
الخاتم ان كان خاتما والشنف ان كان شنفا وان يكون مصنوعا بديعا قد اغرب
صانعه فيه كذلك سبيل المعانى ان ترى الواحد منها غفلا ساذجا عاميا
موجودا فى كلام الناس كلهم ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصير بشان البلاغة
واحداث الصور فى المعانى فيصنع فيه ما يصنع الصنع الحاذق حتى يغرب
فى الصنعة ويدق فى العمل ويبدع فى الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك كيف
شئت وامثلته نصب عينك من اين نظرت تنظر الى قول الناس الطبع لا
يتغير ولست تستطيع ان تخرج الانسان عما جبل عليه فترى معنى غفلا ساذجا
عاميا معروفا فى كل جيل وامة ثم تنظر اليه فى قول المتنبى يراد من القلب
نسيانكم وتابى الطباع على الناقل فتجده قد خرج فى احسن صورة وتراه قد
تحول جوهرة بعد ان كان خرزة وصار اعجب شى بعد ان لم يكن شيئا واذ قد
عرفت ذلك فان العقلاء الى هذا قصدوا حين قالوا انه يصح ان يعبر عن المعنى
الواحد بلفظين ثم يكون احدهما فصيحا والآخر غير فصيح كانهم قالوا انه يصح
ان يكون ههنا عبارتان اصل المعنى فيهما واحد ثم يكون لاحديهما فى تحسين
ذلك المعنى وتزيينه واحداث خصوصية فيه تاثير لا يكون للاخرى واعلم
ان المخالف لا يخلو من ان ينكر ان يكون للمعنى فى احدى العبارتين حسن ومزية
لا يكون له فى الاخرى وان تحدث فيه على الجملة صورة لم تكن او يعترف بذلك فان
انكر لم يكلم لانه يوديه الى ان لا يجعل للمعنى فى قوله وتابى الطباع على الناقل مزية

على الذي يعقل من قولهم الطبع لا يتغير ولا يستطيع ان يخرج الانسان عما جبل
عليه ولا ترى ان قول ابي نواس وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم
في واحد مزية على انه غير بديع في قدرة الله تعالى ان يجمع فضائل الخلق
كلهم في رجل واحد ومن اداه فوق تقوله الى مثل هذا كان الكلام معه محالا
وكنا اذا كلفناه ان يعرف كمن يكلف ان يميز بحور الشعر بعضها من بعض
فيعرف المديد من الطويل والبسيط من السريع من ليس له ذوق يقيم به الشعر
من اصله وان اعترف بان ذلك يكون قلنا له اخبرنا عنك اتقول في حق له
وتابى الطباع على الناقد انه غاية في الفصاحة فاذا قال نعم قيل له اوكان
ذلك منك من اجل حروفه ام من اجل حسن ومزية حصلا في المعنى فان
قال من اجل حروفه دخل في الهذيان وان قال من اجل حسن ومزية حصلا
في المعنى قيل له فذاك ما اردناه عليه حين قلنا ان اللفظ يكون فصيحا من اجل
مزية تقع في معناه لا من اجل جرسه وصداه واعلم انه ليس شي ابين واوضح
واحرى ان يكشف الشبهة عن متامل في صحة ما قلناه من التشبيه فانك تقول
زيد كالاسد او مثل الاسد او شبيه بالاسد فيكون تشبيها ايضا الا انك
ترى له صورة خاصة وتجدك قد فخمت وزدت فيه بان اعلمت انه من
الشجاعة وشدة البطش وان قلبه قلب لا يخامره الذعر ولا يدخله الروع
بحيث يتوهم انه الاسد بعينه فلا افاد هذه المبالغة ولكن في صورة احسن
وصفة اخص وذلك انك تجعله كانه يتوهم انه الاسد وتجعل هذا يرى
منه الاسد على القطع فتخرج الامر عن حد التوهم الى حد اليقين ثم ان نظرت
الى قوله ان ارعشت كفا ابيك واصبحت يداك يدي ليث فانك غالبه وجدته
قد بدا لك في صورة انق واحسن ثم ان نظرت الى قول ارطاة بن سهية ان
تلقني لا ترى غيري بناظره تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد وجدته قد
فضل الجميع ورايته قد اخرج في صورة غير تلك الصور كلها واعلم ان من
الباطل والمحال ما يعلم الانسان بطلانه واستحالته بالرجوع الى النفس حتى لا
يشك ثم انه اذا اراد بيان ما يجد في نفسه والدلالة عليه راى المسلك اليه
يغمض ويدق وهذه الشبهة اعني قولهم انه لو كان يجوز ان يكون الامر على
خلاف ما قالوه من ان الفصاحة وصف للفظ من حيث هو لفظ لكان ينبغي
ان لا يكون للبيت من الشعر فضل على تفسير المفسر له لا جرم من ذات وقد علقت
ذلك بالنفوس وقويت فيها حتى انك لا تلقى الى احد من المتعلقين بامر

اللفظ

اللفظ كلمة مما عنى فيه الا كان هذا اول كلامه ولا عجب وقال ان التفسير بيان
للمفسر فلا يجوز ان يبقى من معنى المفسر شي لا يكون الى العلم به سبيل واذا كان
الامر كذلك ثبت ان الصحيح ما قلناه من انه لا يجوز ان يكون للفضل من جهة المعنى
لم يبق الا ان يكون من جهة اللفظ نفسه هذه جملة ما يمكنهم ان يقولوا في
نصرة هذه الشبهة قد استقصيتها لك واذ قد عرفتها فاسمع الجواب والله تعالى
الموفق للصواب اعلم ان قولهم ان التفسير يجب ان يكون كالمفسر دعوى لا تصح لهم
الا من بعد ان ينكروا الذي بيناه من ان من شان المعاني ان تختلف بها الصور
ويدفعوه اصلا وحتى يدعوا انه لا فرق بين الكناية والتصريح وان حال
المعنى مع الاستعارة كحاله مع ترك الاستعارة وحتى يبطلوا ما اطبق عليه العقلاء
من ان المجاز يكون ابدا ابلغ من الحقيقة فيزعموا ان قولنا طويل النجاد وطويل
القامة واحد وان حال المعنى في بيت ابن هرمة ولا ابتاع الا قريبة الاجل كحاله
في قولك انا مضياف وانك اذا قلت رايت اسدا لم يكن الامر اقوى من ان تقول
رايت رجلا هو من الشجاعة بحيث لا ينقص عن الاسد ولم تكن قد زدت في
المعنى بان ادعيت له انه اسد بالحقيقة ولا بالغت فيه وحتى يزعموا انه لا فضل
ولا مزية لقولهم القيت حبله على غاربه على قولك في تفسيره خليته وما
يريد وتركته يفعل ما يشاء وحتى لا يجعلوا للمعنى في قوله واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم مزية على ان يقال اشتدت محبتهم للعجل وغلبت على قلوبهم وان
تكون صورة المعنى في قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا صورته في قول من
يقول وشاب راسي كله وحتى لا يروا فرقا بين قوله تعالى فما ربحت تجارتهم و
حتى يرتكبوا جميع ما اريناك الشناعة فيه من ان لا يكون فرق بين قول المتنبي
وتابى الطباع على الناقد وبين قولهم انك لا تقدر ان تغير طباع الانسان و
يجعلوا حال المعنى في قول ابي نواس وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في
واحد كحاله في قولنا انه ليس ببديع في قدرة الله تعالى ان يجمع فضائل الخلق
كلهم في واحد ويرتكبوا ذلك في الكلام كله حتى يزعموا انا اذا قلنا في قوله تعالى
ولكم في القصاص حياة ان المعنى فيه انه لما كان الانسان اذا هم بقتل اخر لشي غاظه
منه فذكر انه ان قتله قتل ارتدع صار المهموم بقتله كانه قد استفاد حياة فيما
يستقبل بالقصاص كنا قد ادينا المعنى في تفسيرنا هذا على صورته التي هو عليها في
الاية حتى لا يعرف فضل وحتى يكون حال الاية والتفسير حال اللفظين احدهما غريب
والاخرى مشهور فتفسر الغريبة بالمشهورة مثل ان تقول في الشرجب انه طويل

وفي الفظاظة الكتاب وفي الدسر انها المسامير ومن صار الامر به الى هذا كان الكلام
معه محالا واعلم انه ليس بعجب اعجب من حال من يرى كلامين اجزاء احدهما مخالفة
في معانيها لاجزاء الاخر ثم يرى انه يسع في العقل ان يكون معنى احد الكلامين مثل
معنى الاخر سواء حتى يتعدى فيقول انه لو كان يكون الكلام فصيحا من اجل مزية
تكون في معناه لكان ينبغي ان يوجد تلك المزية في تفسيره ومثله في العجب انه
ينظر الى قوله تعالى فما ربحت تجارتهم فيرى اعراب الاسم الذي هو التجارة قد تغير
فصار مرفوعا بعد ان كان مجرورا ويرى انه قد حذف من اللفظ بعض ما
كان فيه وهو الواو في ربحوا وفي في قولنا في تجارتهم ثم لا يعلم ان ذلك يقتضي
ان المعنى قد تغير كما تغير اللفظ واعلم انه ليس للحجج والدلائل في صحة ما نحن فيه حد
ونهاية وكلما انتهى منه باب انفتح فيه باب اخر وقد اردت ان اخذ في نوع اخر
من الحجاج ومن البسط والشرح فتامل ما اكتبه لك اعلم ان الكلام الفصيح
ينقسم قسمين قسم تعزى المزية والحسن فيه الى اللفظ وقسم تعزى ذلك فيه
الى النظم فالقسم الاول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة
وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر فما من ضرب من
هذه الضروب الا وهو اذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي اوجب الفضل والمزية
فاذا قلت هو كثير رماد القدر كان له موقع وحظ من القبول لا يكون اذا قلت هو
كثير القرى والضيافة وكذا اذا قلت هو طويل النجاد كان له تاثير في النفس
لا يكون اذا قلت رايت رجلا شبيها بالاسد ومساويه في الشجاعة وكذلك اذا
قلت رايت اسدا كان له مزية لا يكون اذا قلت هو طويل القامة وكذلك اذا قلت
رايت اسدا كان له مزية لا يكون اذا قلت رايت رجلا يشبه الاسد ويساويه
في الشجاعة وكذلك اذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان له موقع لا
يكون اذا قلت اراك تتردد في الذي دعوتك اليه كمن يقول اخرج ولا اخرج
فيقدم رجلا ويؤخر اخرى وكذلك اذا قلت القى حبله على غاربه كان له ماخذ من
القلب لا يكون اذا قلت هو كالبعير الذي يلقى حبله على غاربه حتى يرعى كيف يشاء
ويذهب حيث يريد لا يجهل المزية فيه الا عديم الحس ميت النفس والا من لا يكلم لانه
من مبادى المعرفة التي من عدمها لم يكن للكلام معه معنى واذ قد عرفت هذه الجملة
فينبغي ان تنظر الى هذه المعاني واحدا واحدا وتعرف محصولها وحقائقها
وان تنظر اولا الى الكناية واذا نظرت اليها وجدت حقيقتها ومحصول امرها
انها اثبات لمعنى انت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ الا ترى

انك

انك لما نظرت الى قولهم هو كثير رماد القدر عرفت منه انهم ارادوا انه كثير القرى والضيافة
لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنك عرفته بان رجعت الى نفسك فقلت انه كلام قد
جاء عنهم في المدح ولا معنى للمدح بكثرة الرماد فليس الا انهم ارادوا ان يدلوا بكثرة
الرماد على انه تنصب له القدور الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة وذلك لانه اذا
كثر الطبخ في القدور كثر احراق الحطب تحتها واذا كثر احراق الحطب كثر الرماد
لا محالة وهكذا السبيل في كل ما كان كناية فليس من لفظ الشعر عرفت ان ابن هرمة
اراد بقوله ولا ابتاع الا قريبة الاجل التمدح بانه مضياف ولكنك عرفته
بالنظر اللطيف وبان علمت انه لا معنى للتمدح بظاهر ما يدل عليه اللفظ من قرب
اجل ما يشتريه فطلبت له تاويلا فعلمت انه اراد انه يشتري ما يشتريه للاضياف
فاذا اشترى شاة او بعيرا كان قد اشترى ما قد دنا اجله لانه يذبح وينحر عن
قريب واذ قد عرفت هذا في الكناية فالاستعارة في هذه القضية وذاك ان
موضوعها على انك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكنه
يعرفه من معنى اللفظ بيان هذا انا نعلم انك لا تقول رايت اسدا الا وغرضك
ان تثبت للرجل انه مساو للاسد في شجاعته وجراته وشدة بطشه واقدامه
وفي ان الذعر لا يخامره والخوف لا يعرض له ثم تعلم ان السامع اذا عقل هذا المعنى
لم يعقله من لفظ اسد ولكنه يعقله من معناه وهو انه يعلم انه لا معنى لجعله
اسدا مع العلم بانه رجل الا انك اردت انه بلغ من شدة مشابهته للاسد ومساواته
اياه مبلغا يتوهم معه انه اسد بالحقيقة فاعرف هذه الجملة وحسن تاملها واعلم
انك ترى الناس وكانهم يرون انك اذا قلت رايت اسدا وانت تريد التشبيه كنت
نقلت لفظ اسد عما وضع له في اللغة واستعملته في معنى غير معناه حتى كان ليس
الاستعارة الا ان تعمد الى اسم الشيء فتجعله اسما للشبيه وحتى كان لا فصل بين الاستعارة
وبين تسمية المطر سماء والنبت غيثا والمزادة راوية واشباه ذلك مما يوقع فيه
اسم الشيء على ما هو منه بسبب ويذهبون عما هو مركوز في الطباع من ان المعنى فيه
المبالغة وان يدعى في الرجل انه ليس برجل ولكنه اسد بالحقيقة وانه انما يعار
اللفظ من بعد ان يعار المعنى وانه لا يشرك في اسم الاسد الا من بعد ان يدخل في
جنس الاسد لا ترى احدا يعقل الا ويعرف ذلك اذا رجع الى نفسه ادنى رجوع ومن
اجل ان كان الامر كذلك رايت العقلاء كلهم يثبتون القول بان من شان الاستعارة
ان تكون ابدا ابلغ من الحقيقة والا فان كان ليس ههنا الا نقل اسم من شيء الى
شيء فمن اين يجب ليت شعري ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة ويكون قولنا

رأيت أسدا مزية على قولنا رأيت شبيها بالأسد وقد علمنا أنه محال أن يتغير الشيء في
نفسه بأن ينقل إليه اسم قد وضع لغيره من بعد أن لا يراد من معنى ذلك الاسم فيه
شيء بوجه من الوجوه فيجعل كأنه لم يوضع لذلك المعنى الأصلي أصلا وفي أي عقل
يتصور أن يتغير معنى شبيه بالأسد بأن يوضع لفظ أسد عليه وينقل إليه
واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم إذا قاسوا وشبهوا على أن الأشياء تستحق الأسامي
لخواص معان هي فيها دون ما عداها فإذا أثبتوا خاصة شيء لشيء أثبتوا له
اسمه فإذا جعلوا الرجل بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ولا يعدم
منها شيئا قالوا هو أسد وإذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة أو
بالحسن الذي يبهر قالوا هو ملك وإذا وصفوا الشيء بغاية الطيب قالوا هو مسك
وكذلك الحكم أبدا ثم إنهم إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه قالوا
ليس هو بإنسان وإنما هو أسد وليس هو آدميا وإنما هو ملك كما قال تعالى ما
هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ثم إن لم يريدوا أن يخرجوه عن جنسه جملة قالوا
هو أسد في صورة إنسان وهو ملك في صورة آدمي وقد خرج هذا للمتنبي في
أحسن عبارة وذلك في قوله نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص
الجمال ففي هذه الجملة بيان لمن عقل أن ليست الاستعارة نقل اسم عن شيء إلى شيء
ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء إذ لو كانت نقل اسم وكان قولنا رأيت أسدا بمعنى
رأيت شبيها بالأسد ولم يكن ادعاء أنه أسد بالحقيقة لكان محالا أن يقال ليس هو
بإنسان ولكنه أسد ويقال هو أسد في صورة إنسان كما أنه محال أن يقال ليس
هو بإنسان ولكنه شبيه بأسد أو يقال هو شبيه بأسد في صورة إنسان واعلم
أنه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ النقل في الاستعارة فمن ذلك قولهم إن
الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل وقال
القاضي أبو الحسن الاستعارة ما اكتفي فيه بالاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة
فجعلت في مكان غيرها ومن شأن ما غمض من المعاني ولطف أن يصعب تصويره
على الوجه الذي هو عليه لعامة الناس فيقع لذلك في العبارات التي يعبر بها عنه
ما يوهم الخطأ وإطلاقهم في الاستعارة أنها نقل للعبارة عما وضعت له من ذلك
فلا يصح الأخذ به وذلك أنك إذا كنت لا تطلق اسم الأسد على الرجل إلا من بعد
أن تدخله في جنس الأسود من الجهة التي بينا لم تكن قد نقلت الاسم عما وضع له
بالحقيقة لأنك إنما تكون ناقلا إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودك
ونفضت به يدك فأما أن تكون ناقلا له عن معناه مع إرادة معناه فمحال واعلم

أن في الاستعارة ما لا يتصور تقدير النقل فيه البتة وذلك مثل قول لبيد وغداة ريح
قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها لا خلاف في أن اليد استعارة ثم إنك
لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء وذلك أنه ليس المعنى على أنه
شبه شيئا باليد فيمكنك أن تزعم أنه نقل لفظ اليد إليه وإنما المعنى على أنه أراد
أن يثبت للشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها شبه الإنسان قد أخذ الشيء بيده
يقلبه ويصرفه كيف يريد فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد استعار لها اليد
وكما لا يمكنك تقدير النقل في لفظ اليد كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من
صفة اللفظ ألا ترى أنه محال أن تقول إنه استعار لفظ اليد للشمال وكذلك سبيل
نظائره مما تجدهم فيه قد أثبتوا للشيء عضوا من أعضاء الإنسان من أجل إثباتهم
له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان كبيت الحماسة إذا هز في عظم قرن
تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك فإنه لما جعل المنايا تضحك جعل
لها الأفواه والنواجذ التي يكون الضحك فيها وكبيت المتنبي خميس بشرق الأرض
والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم لما جعل الجوزاء تسمع على عادتهم في
جعل النجوم تعقل ووصفهم لها بما يوصف به الأناسي أثبت لها الأذن التي يكون بها
السمع من الأناسي فأثبت أنك لا تستطيع أن تزعم في بيت الحماسة أنه استعار لفظ
النواجذ ولفظ الأفواه لأن ذلك يوجب المحال وهو أن يكون في المنايا شيء قد
شبهه بالأفواه فليس إلا أن تقول إنه لما ادعى أن المنايا تسر وتستبشر إذا هو هز
السيف وجعلها لسرورها بذلك تضحك أراد أن يبالغ في الأمر فجعلها في صورة
من يضحك حتى تبدو نواجذه من شدة السرور وكذلك لا تستطيع أن تزعم أن
المتنبي قد استعار لفظ الأذن لأنه يوجب أن يكون في الجوزاء شيء قد أراد تشبيهه
بالأذن وذلك من شنيع المحال فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادعاء
معنى الاسم للشيء علمت أن الذي قالوه من أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له
في اللغة ونقل لها عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه لأنه إذا كانت الاستعارة ادعاء
معنى الاسم لم يكن الاسم مزالا عما وضع له بل مقرا عليه واعلم أنك تراهم لا يتحاشون
إذا تكلموا في الاستعارة من أن يقولوا إنه أراد المبالغة فجعله أسدا بل تراهم يتجاوزون
إلى القول به وذلك صريح في أن الأصل فيها المعنى وأنه المستعار في الحقيقة وأن
قولنا استعير له اسم الأسد إشارة إلى أنه استعير له معناه وأنه جعله إياه وذلك
أنا إن لم نقل ذلك لم يكن لجعل ههنا معنى لأن جعل لا يصلح إلا حيث يراد إثبات صفة
للشيء كقولنا جعلته أميرا وجعلته لصا تريد أثبت له الإمارة ونسبته إلى اللصوصية

ولا دعيتها عليه ورتبته بها وحكم جعل اذا تعدى الى مفعولين حكم صير فكما لا تقول صيرته
اميرا الا على معنى انك اثبت له صفة الامارة كذلك لا تقول جعلته اسدا الا على معنى انك
اثبت له معاني الاسد واما ما تجده في بعض كلامهم من ان جعل يكون بمعنى سمى مما
تسامحوا فيه ايضا لان المعنى معلوم وهو مثل ان تجد الرجل يقول انا لا
اسميه انسانا وغرضه ان يقول انا لا اثبت له المعاني التي بها كان الانسان انسانا
فاما ان يكون جعل في معنى سمى هكذا غفلا مما لا يعقل فلا ترى انك لا تجد عاقلا
يقول جعلته زيدا بمعنى سميته زيدا ولا يقال للرجل اجعل ابنك زيدا بمعنى سمه زيدا
وولد لفلان ابن فجعله عبد الله اي سماه عبد الله هذا ما لا يشك فيه ذو عقل
اذا نظر واكثر ما يكون منهم هذا التسامح اعني قولهم ان جعل يكون بمعنى سمى في قوله
تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فقد ترى في التفسير ان
جعل يكون بمعنى سمى وعلى ذلك فلا شبهة في ان ليس المعنى على مجرد التسمية ولكن
على الحقيقة التي وصفتها لك وذلك انهم اثبتوا للملائكة صفة الاناث واعتقدوا
وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم اعني اطلاق اسم
البنات وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاناث ولفظ البنات من غير
اعتقاد معنى واثبات صفة هذا محال اولا ترى الى قوله اشهدوا خلقهم ستكتب
شهادتهم ويسالون فلو كانوا لم يزيدوا على اجراء الاسم على الملائكة ولم
يعتقدوا اثبات صفة لما قال الله اشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يعتقدوا
اثبات صفة ولم يكن غير انهم وضعوا اسما لا يريدون به معنى لما استحقوا الا
اليسير من الذم ولما كان هذا القول منهم كفرا والتفسير الصحيح والعبارة المستقيمة
ما قاله ابو اسحق الزجاج رحمه الله فانه قال ان الجعل ههنا في معنى القول والحكم على
الشيء تقول قد جعلت زيدا اعلم الناس اي وصفته بذلك وحكمت به ونرجع
الى الغرض فنقول اذا ثبت ان ليست الاستعارة نقل الاسم ولكن ادعاء معنى
الاسم وكنا اذا عقلنا من قول الرجل رايت اسدا انه اراد به المبالغة في وصفه
بالشجاعة وان يقول انه من قوة القلب ومن فرط البسالة وشدة البطش وفي
ان الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له بحيث لا ينقص عن الاسد لم نعقل ذلك من
لفظ اسد ولكن من ادعائه معنى الاسد الذي رآه ثبت بذلك ان الاستعارة
كالكناية في انك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول دون طريق اللفظ واذ قد
عرفت ان طريق العلم بالمعنى في الاستعارة والكناية معا المعقول فاعلم ان حكم
التمثيل في ذلك حكمها بل الامر في التمثيل اظهر وذلك انه ليس من عاقل يشك اذا نظر

في كتاب

في كتاب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد حين بلغه انه يتلكأ في بيعته اما بعد فاني
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت
والسلام نعلم ان المعنى انه يقول له بلغني انك في امر البيعة بين رايين مختلفين
ترى تارة ان تبايع واخرى ان تمتنع من البيعة فاذا اتاك كتابي هذا فاعمل على اي
الرايين شئت انه لم يعرف ذلك من لفظ التقديم والتاخير او من لفظ الرجل و
لكن بان علمنا انه لا معنى لتقديم الرجل وتاخيرها في رجل يدعى الى البيعة وان المعنى
على انه اراد ان يقول ان مثلك في ترددك بين ان تبايع وبين ان تمتنع مثل رجل
قائم ليذهب في امر فجعلت نفسه تريه تارة ان الصواب في ان يذهب واخرى انه
في ان لا يذهب فجعل يقدم رجلا تارة ويؤخر اخرى وهكذا كل كلام كان ضرب
مثل لا يخفى على من له ادنى تمييز ان الاغراض التي يكون للناس في ذلك لا تعرف من الالفاظ
ولكن يكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام ادلة على الاغراض والمقاصد
ولو كان الذي يكون غرض المتكلم يعلم من اللفظ ما كان لقولهم ضرب كذا مثلا لكذا
معنى فما اللفظ يضرب مثلا ولكن المعنى فاذا قلنا في قوله ص اياكم وخضراء الدمن
انه ص ضرب خضراء الدمن مثلا للمراة الحسناء في منبت السوء لم يكن المعنى انه ص ضرب
لفظ خضراء الدمن مثلا لها هذا ما لا يظنه من به مس فضلا عن العاقل فقد زال
الشك وارتفع في ان طريق العلم بما يراد اثباته والخبر به في هذه الاجناس الثلاثة
التي هي الكناية والاستعارة والتمثيل المعقول دون اللفظ من حيث يكون
القصد بالاثبات فيها الى معنى ليس هو معنى اللفظ ولكنه معنى يستدل بمعنى
اللفظ عليه ويستنبط منه كنحو ما ترى من ان القصد في قولهم هو كثير رماد القدر
الى كثرة القرى وانت لا تعرف ذلك من هذا اللفظ الذي تسمعه ولكنك تعرفه
بان تستدل عليه بمعناه على ما مضى الشرح فيه واذ قد عرفت ذلك فينبغي ان يقال
لهؤلاء الذين اعترضوا علينا في قولنا ان الفصاحة وصف يجب للكلام من اجل
مزية تكون في معناه وانها لا تكون وصفا له من حيث اللفظ مجردا عن المعنى و
احتجوا بان قالوا انه لو كان اذا وصف بانه فصيح كان ذلك من اجل مزية تكون في معناه
لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله اخبرونا عنكم اترون ان من شان هذه الاجناس
اذا كانت في الكلام ان يكون له بها مزية توجب له الفصاحة ام لا ترون ذلك فان قالوا
لا نرى ذلك لم يكلموا وان قالوا نرى للكلام اذا كانت فيه مزية توجب له الفصاحة
قيل لهم فاخبرونا عن تلك المزية اتكون في اللفظ ام في المعنى فان قالوا في اللفظ دخلوا
في الجهالة من حيث يلزم من ذلك ان تكون الكناية والاستعارة والتمثيل اوصافا

للفظ لانه لا يتصور ان يكون مزيتها في اللفظ حتى يكون لو صفا فاله وذلك محال من
حيث يعلم كل عاقل انه لا يكنى باللفظ عن اللفظ وانه انما يكنى بالمعنى عن المعنى
وكذلك يعلم انه لا يستعار اللفظ مجردا عن المعنى ولكن يستعار المعنى ثم اللفظ
يكون تبعا للمعنى على ما قدمنا الشرح فيه ويعلم كذلك انه محال ان يضرب المثل
باللفظ وان يكون قد ضرب لفظ اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى مثلا للتردد
في امر البيعة وان قالوا هي في المعنى قيل لهم فهو ما اردناكم عليه فدعوا الشك
عنكم وانتبهوا من رقدتكم فانه علم ضروري قد ادى التقسيم اليه وكل علم كان
كذلك فانه يجب القطع على كل سوال يسال فيه بانه خطا وان السايل ملبوس
عليه ثم ان الذي يعرف به وجه دخول الغلط عليهم في قولهم انه لو كان الكلام
يكون فصيحا من اجل مزية تكون في معناه لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله
هو انك اذا نظرت الى كلامهم هذا وجدتهم كانهم قالوا انه لو كان الكلام
اذا كان فيه كناية او استعارة او تمثيل كان لذلك فصيحا لوجب ان يكون
اذا لم يوجد فيه هذه المعاني فصيحا ايضا ذلك ان تفسير الكناية ان تتركها
وتصرح بالمكنى عنه فتقول ان المعنى في قولهم هو كثير رماد القدر انه كثير القرى
وكذلك الحكم في الاستعارة فان تفسيرها ان تتركها وتصرح بالتشبيه فتقول
في رايت اسدا ان المعنى رايت رجلا يساوي الاسد في الشجاعة وكذلك الامر
في التمثيل لان تفسيره ان تذكر المتمثل به فتقول في قوله اراك تقدم رجلا و
تؤخر اخرى ان المعنى انه قال اراك تتردد في امر البيعة فتقول تارة افعل واخرى
لا افعل كمن يريد الذهاب في وجه فيريد نفسه تارة الى الصواب في ان يذهب
واخرى الى ان لا يذهب فهو يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهذا خروج
عن المعقول لانه بمنزلة ان يقول لرجل قد نضب لوصف علة فاذا كان هذا الوصف
يعطيك العلة فينبغي ان يجب مع عدمها ثم ان الذي استهواهم هو انهم نظروا
الى تفسير الفاظ اللغة بعضها ببعض فلما راوا اللفظ اذا فسر بلفظ مثل ان يقال
في الشرجب انه الطويل لم يجز ان يكون في المفسر من حيث المعنى مزية لا يكون في التفسير
ظنوا ان السبيل فيما نحن فيه ذلك السبيل وذلك غلط منهم لانه انما كان للمفسر فيما
نحن فيه الفضل والمزية على التفسير من حيث كانت الدلالة في المفسر دلالة معنى على
معنى وفي التفسير دلالة لفظ على معنى وكان من المركوز في الطباع والراسخ في
غرائز العقول انه متى اريد الدلالة على معنى فترك ان يصرح به ويذكر باللفظ الذي
هو له في اللغة وعمد الى معنى اخر فاشير به اليه وجعل دليلا عليه كان للكلام بذلك

حسن

حسن ومزية لا يكونان اذا لم يصنع ذلك وذكر بلفظه صريحا ولا يكون هذا الذي ذكرت
انه سبب فضل المفسر على التفسير من كون الدلالة في المفسر دلالة معنى على معنى وفي
التفسير دلالة لفظ على معنى حتى يكون للفظ المفسر معنى معلوم يعرفه السامع وهو
معنى لفظ التفسير في نفسه وحقيقته كما ترى من ان الذي هو معنى اللفظ في قولهم
هو كثير رماد القدر غير الذي هو معنى اللفظ في قولهم هو كثير القرى ولو لم يكن
كذلك لم يتصور ان يكون هاهنا دلالة معنى على معنى واذ قد عرفت هذه الجملة فقد
حصل لنا منها ان المفسر يكون له دلالتان دلالة اللفظ على المعنى ودلالة المعنى الذي
دل اللفظ عليه على معنى لفظ اخر ولا يكون للتفسير الا دلالة واحدة وهي دلالة
اللفظ وهذا الفرق هو سبب ان كان للمفسر الفضل والمزية على التفسير ومحال
ان يكون هذا الحكم في التفسير والمفسر في الفاظ اللغة ذاك لان معنى المفسر يكون
ابدا مجهولا عند السامع ومحال ان يكون للمجهول دلالة ثم ان معنى المفسر يكون هو
معنى التفسير بعينه ومحال اذا كان المعنى واحدا ان يكون للمفسر فضل على التفسير
لان الفضل كان في مسئلتنا بان دل لفظ المفسر على معنى ثم دل معناه على معنى اخر
وذلك لا يكون مع كون المعنى واحدا ولا يتصور فبان ان هذا انه محال ان يقال ان
معنى الشرجب الذي هو المفسر يكون دليلا على معنى تفسيره الذي هو الطويل على
حد قولنا ان معنى كثير رماد القدر يدل على معنى تفسيره الذي هو كثير
القرى لا ريب في انك لا تفسر الشرجب حتى يكون معناه مجهولا عند
السامع ومحال ان يكون للمجهول دلالة ولانا في ان المعنى في تفسيرنا الشرجب بالطويل
ان يعلم السامع ان معناه هو معنى الطويل بعينه واذا كان كذلك كان محالا ان يتصور
ان معناه يدل على معنى الطويل بل الذي يعقل ان يقال ان معناه هو معنى الطويل
فاعرف ذلك وانظر الى لعب الغفلة بالقوم والى ما راوا في منامهم من الاحلام
الكاذبة ولو انهم تركوا الاستنامة الى التقليد والاخذ بالهوينا وترك النظر
واشعروا قلوبهم ان هاهنا كلاما ينبغي ان يصغى اليه لعلموا ولعادوا باللائمة على انفسهم
في سوالهم هذا وفي ساير اقوالهم عجبا منها ومن تطويح الظنون بها واذ قد
بان سقوط ما اعترض به القوم وفحش غلطهم فينبغي ان يعلم ان ليست المزايا
التي تجلبها هذه الاجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تحسها
فيها في انفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره اليها ولكنها في طريق اثباتها
وتقريره اياها وانك اذا سمعتهم يقولون ان من شان هذه الاجناس ان تكسب
المعاني مزية وفضلا وتوجب لها شرفا ونبلا وان تفخمها في نفوس السامعين

فانهم لا يعنون انفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره اليها كالقرى والشجاعة و
التردد في الراي وانما يعنون اثباتها لما تثبت له ويخبر بها عنه فاذا جعلوا
للكناية مزية على التصريح لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكني عنه ولكن في
اثباته للذي تثبت له وذلك انا نعلم ان المعاني التي يقصد الخبر بها لا تتغير
في انفسها بان يكنى عنها بمعنى سواها ويترك ان يذكر الالفاظ التي هي
لها في اللغة ومن هذا الذي يشك في ان معنى طول القامة وكثرة القرى لا
يتغيران بان يكنى عنهما بطول النجاد وكثرة رماد القدر وتقدير
التغير فيهما يؤدي الى ان لا تكون الكناية عنهما ولكن عن غيرهما وقد ذكرت
هذا في صدر الكتاب وذكرت ان السبب في ان كان يكون للاثبات اذا كان
من طريق الكناية مزية لا تكون اذا كان من طريق التصريح انك اذا كنيت عن
كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد اثبت كثرة القرى باثبات شاهدها
ودليلها وما هو علم على وجودها وذلك لا محالة يكون ابلغ من اثباتها بنفسها
وذلك لانه يكون سبيلها سبيل الدعوى تكون معها شاهد وذكرت ان
السبب في ان كانت الاستعارة ابلغ من الحقيقة انك اذا ادعيت للرجل انه
اسد بالحقيقة كان ذلك ابلغ واشد في تسويته بالاسد في الشجاعة ذاك لانه
محال ان يكون من الاسود ثم لا يكون له شجاعة الاسود وكذلك الحكم في التمثيل
فاذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان ابلغ في اثبات التردد له من
ان تقول انت كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى واعلم انه قد يهجس في نفس
الانسان شيء يظن انه من اجله انه ينبغي ان يكون الحكم في المزية التي تحدث
بالاستعارة انها تحدث في المثبت دون الاثبات وذلك ان تقول اذا نظرنا
الى الاستعارة وجدناها انما كانت ابلغ من اجل انها تدل على قوة الشبه
وانه قد تناهى الى ان صار المشبه لا يتميز عن المشبه به في المعنى الذي من اجله
شبه به واذا كان كذلك كانت المزية الحادثة بها حادثة في الشبه واذا كانت
حادثة في الشبه كانت في الحقيقة دون الاثبات والجواب عن ذلك ان يقال ان الاستعارة
لعمري تقتضي قوة الشبه وكونه بحيث لا يتميز المشبه عن المشبه به ولكن ليس ذاك
سبب المزية وذلك لانه لو كان ذاك سبب المزية لكان ينبغي اذا جئت به صريحا فقلت
رأيت رجلا مساويا للاسد في الشجاعة وبحيث لولا صورته لظننت انك رأيت
اسدا وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ان تجد لكلامك المزية التي تجدها لقولك
رأيت اسدا وليس يخفى على عاقل ان ذلك لا يكون وان كان قايل ان المزية من اجل

وان قال

ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة في ان يكون في امرك على بصيرة ونظرت نظر تام
العناية في ان تورد وتصدر عن معرفة وتمييز تصنيع ما اذا مارس بابا من
العلم لم يقنعه الا ان يكون على ذروة السنام ويضرب بالمعلى من السهام فقد هديت
لضالتك وفتح لك الطريق الى بغيتك وهيئ لك الاداة التي بها تصل فخذ
لنفسك بالتي هي املا ليديك واعود بالحظ عليك ووازن بين حالك الان
وقد تنبهت من رقدتك وافقت من غفلتك وصرت تعلم اذا انت خضت في امر اللفظ
والنظم معنى ما تذكر وتعلم كيف تورد وتصدر وبينها وانت من امرهما في عمياء
وخابط عشواء قصاراك ان تكرر الفاظا لا تعرف لشيء منها تفسيرا وضروب كلام
للبلغاء ان سئلت عن اغراضهم فيها لم تستطع لها تبيينا فانك تراك تطيل التعجب
من غفلتك وتكثر الاعتذار الى عقلك من الذي كنت عليه طول مدتك ونسأل الله
تعالى ان يجعل كل ما نأتيه ونقصده ونعيه لوجهه خالصا والى رضاه عز وجل
مؤديا ولثوابه مقتضيا وللزلفى عنده موجبا بمنه وفضله ورحمته ه ه
بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه لما كان الغلط الذي دخل على الناس
في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في العروق ويفسد مزاج البدن وجب
ان يتوخى دائما فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقه من تعهده بما يزيد في منته ويبقيه
على صحته ويؤمنه النكس في علته وقد علمنا ان اصل الفساد وسبب الافة هو ذهابهم
عن ان من شأن المعاني ان تختلف عليها الصور وتحدث فيها خواص ومزايا من
بعد ان لا تكون وانك ترى الشاعر قد عمد الى معنى مبتذل فصنع فيه ما يصنع
الصانع الحاذق اذا هو اغرب في صنعة خاتم وعمل شنف وغيرهما من اصناف الحلي
فان جهلهم بذلك من حالها هو الذي اغواهم واستهواهم وورطهم فيما تورطوا
فيه من الجهالات وادّاهم الى التعلق بالمحالات وذلك انهم لما جهلوا شأن
الصورة وضعوا لانفسهم اساسا وبنوا على قاعدة فقالوا انه ليس الا المعنى
واللفظ ولا ثالث وانه اذا كان كذلك وجب اذا كان لاحد الكلامين فضيلة لا
تكون للاخر ثم كان الغرض من احدهما هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع
تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وان لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك
زعموا يؤدي الى التناقض وان يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا ولما
اقر هذا في نفوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة الى اللفظ
على ظاهره وابوا ان ينظروا في الاوصاف التي اتبعوها نسبتهم الفضيلة الى اللفظ
مثل قولهم لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه الى سائر ما ذكرناه قبل فيجعلوا

انهم لم يوجبوا للفظ ما اوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان واجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والحضري والبدوي وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير وما يعنونه اذا قالوا انه يأخذ الحديث فيشنفه ويقرطه ويأخذ المعنى خرزة فيرده جوهرة وعباءة فيجعله ديباجة ويأخذه عاطلا فيرده حاليا وليس كون هذا مرادهم بحيث كان ينبغي ان يخفى هذا الخفاء ويشتبه هذا الاشتباه ولكن اذا تعاطى الشيء غير اهله وتولى الامر غير البصير به اعضل الداء واشتد البلاء ولو لم يكن من الدليل على انهم لم ينحلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بانه يزين المعنى وانه حلي له لكان فيه الكفاية وذاك ان الالفاظ ادلة على المعاني وليس للدليل الا ان تعلمك الشيء على ما يكون عليه فاما ان يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها فما لا يقوم في عقل ولا يتصور في وهم ومما اذا تفكر فيه العاقل اطال التعجب من امر الناس ومن شدة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا الاخذ والسرقة ان من اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به وهو كلام مشهور متداول يقرؤه الصبيان في اول كتاب عبد الرحمن ثم لا ترى احدا من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ يفكر في ذلك فيقول من اين يتصور ان يكون ههنا معنى عار من لفظ يدل عليه ثم من اين يعقل ان يجيء الواحد منا الى معنى من المعاني بلفظ من عنده ان كان المراد باللفظ نطق اللسان ثم هب انه يصح له ان يفعل ذلك فمن اين يجب اذا وضع لفظا على معنى ان يصير احق به من صاحبه الذي اخذه منه ان كان هو لا يصنع بالمعنى شيئا ولا يحدث فيه صفة ولا يكسبه فضيلة واذا كان كذلك فهل يكون لكلامهم هذا وجه سوى ان يكون اللفظ في قولهم فكساه لفظا من عنده عبارة عن صورة يحدثها الشاعر او غير الشاعر للمعنى فان قالوا بلى يكون وهو ان يستعير للمعنى لفظا قيل الشأن في انهم قالوا اذا اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به والاستعارة عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيئا وترون انه لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه واذا كان كذلك فمن اين ليت شعري يكون احق به فاعرفه ثم ان اردت مثالا في ذلك فان من احسن شيء فيه ما صنع ابو تمام في بيت ابي نخيلة

وذلك

وذلك ان ابا نخيلة قال في مسلمة بن عبد الملك امسلم اني يا ابن كل خليفة ويا جبل الدنيا ويا واحد الارض شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من اوليته صالحا يقضي وانبهت لي ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض فعمد ابو تمام الى هذا البيت الاخير فقال لقد زدت اوضاحي امتدادا ولم اكن بهيما ولا ارضي من الارض مجهلا ولكن ايادي صادفتني جسامها اغر فاوفت بي اغر محجلا وفي كتاب الشعر والشعراء للمرزباني فصل في هذا المعنى حسن قال ومن الامثال القديمة قولهم حرا اخاف على جاني كماة لا قرا يضرب مثلا للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يخفه فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال وحذرت من امر فمر بجانبي لم ينكني ولقيت ما لم احذر وقال لبيد اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك والاسد قال واخذه البحتري فاحسن وطغى اقتدارا على العبارة واتساعا في المعنى فقال لو انني اوفي التجارب حقها فيما ارت لرجوت ما اخشاه وشبيه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب ايضا انشد لابراهيم بن المهدي يا من لقلب صيغ من صخرة في جسد من لؤلؤ رطب جرحت خديه بلحظي فما برحت حتى اقتص من قلبي ثم قال قال علي بن هرون اخذه احمد بن ابي فنن لفظا ومعنى فقال ادميت باللحظات وجنته فاقتص ناظره من القلب قال ولكنه بنقاء عبارته وحسن ماخذه قد صار اولى به ففي هذا دليل لمن عقل انهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى وشيئا طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على كل حال لم يقل في البحتري انه احسن وطغى اقتدارا على العبارة من اجل حروف لو انني اوفي التجارب حقها وكذلك لم يصف ابن ابي فنن بنقاء العبارة من اجل حروف ادميت باللحظات وجنته واعلم انك اذا سبرت احوال هؤلاء الذين زعموا انه اذا كان المعبر عنه واحدا والعبارة اثنتين ثم كانت احدى العبارتين افصح من الاخرى واحسن فانه ينبغي ان يكون السبب في كونها افصح واحسن اللفظ نفسه وجدتهم قد قالوا ذلك من حيث قاسوا الكلامين على الكلمتين فلما رأوا انه اذا قيل في الكلمتين ان معناهما واحد لم يكن بينهما تفاوت ولم يكن للمعنى في احداهما حال لا يكون له في الاخرى ظنوا ان سبيل الكلامين هذا السبيل ولقد غلطوا فافحشوا لانه لا يتصور ان تكون صورة المعنى في احد الكلامين او البيتين مثل صورته في الآخر البتة اللهم الا ان يعمد عامد الى بيت فيضع مكان كل لفظة منه لفظة في معناها ولا يعرض لنظمه وتاليفه كمثل ان تقول في بيت الحطيئة دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم

الكاسي دع المفاخر لا تذهب لطلبها واجلس فانك انت الآكل اللابس وما كان
هذا سبيله كان بمعزل عن ان يكون به اعتداد وان يدخل في قبيل ما يفاضل فيه
بين عبارتين بل لا يصح ان يجعل الذي يتعاطاه بمحل ان يوصف بانه احسن معنى ذلك
لانه لا يكون بذلك صانعا شيئا فضلا ان يدعى من اجله واصنع كلام واشد
عبارة وقابل شعرك ان بيت الحطيئة لم يكن كلاما وشعرا من اجل معاني الالفاظ
المفردة التي تراها فيه مجردة معراة من معاني النظم والتاليف بل منها حتى فيها
ما ترى من كون المكارم مفعولا لدع وكون قوله لا ترحل لبغيتها جملة اكدت الجملة
فيما قبلها وكون اقعد معطوفا بالفا على اقعد فالذي يجيء لا بغير شيء من
هذا به كان كلاما وشعرا لا يكون قد اتى بكلام ثان وعبارة ثانية بل لا يكون
قد قال من عند نفسه شيئا البتة وجملة الامر انه كما لا يكون الفضة او الذهب خاتما
او سوارا او غيرهما من اصناف الحلي بانفسهما ولكن بما يحدث فيهما من
الصورة كذلك لا يكون الكلم المفردة التي هي اسماء وافعال وحروف كلاما وشعرا
من غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو واحكامه فاذا
ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من ان يعمد الى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة
في معناها الا ان يسترك عقله ويستخف ويعمل عمل الذي حكي انه قال انى
قد قلت بيتا هو اشعر من بيت حسان قال حسان يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل وقلت يغشون حتى ما تهر كلابهم ابدا ولا يسألون
من ذا المقبل فقيل له هو بيت حسان ولكنك قد افسدته واعلم انه انما اتى القوم
من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد
وفي كلامهم في اخذ الشاعر من الشاعر في ان يقول الشاعران على الجملة في معنى
واحد وفي الاشعار التي دونوها في هذا المعنى ولو انهم كانوا اخذوا انفسهم
بالنظر في تلك الكتب وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان يكون ذلك قد ايقظهم من
غفلتهم وكشف الغطاء عن اعينهم وقد اردت ان اكتب جملة من الشعر الذي انت
ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين قسم انت ترى
احد الشاعرين فيه قد اتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد اخرجه في صورة
تروق وتعجب وقسم انت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور
وابدا بالقسم الاول الذي يكون المعنى في احد البيتين غفلا وفي الآخر مصورا
مصنوعا ويكون ذلك اما لان متاخرا قصر عن متقدم واما لان هدي متاخر
لشيء لم يتهيأ للمتقدم ومثال ذلك قول المتنبي بم التعلل لا اهل ولا وطن

شوقا الى من يبيت يرقدها مع قول البحتري ليل يصادفني ومرهفة الحشا ضدين
اسهره لها وتنامه وقول البحتري ولو ملكت زماما لملك جذبني عن ردّ الكاس نحوك
كنيك من عقلي مع قول المتنبي وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا
تقيدا وقول المتنبي اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض ومن فوقها والباس
والكرم المحض مع قول البحتري ظللنا نعود الجود من وعكك الذي وجدت وقلنا
اعتل عضو من المجد وقول المتنبي يعطيك مبتدئا فان اعجلته اعطاك معتذرا
كمن تلا اجرا مع قول ابي تمام اخو عزمات فعله فعل محسن اليناولكن عذره عذر
مذنب وقول المتنبي كريم متى استوهبت ما انت راكب وقد لقحت حرب فانك
نازل مع قول البحتري ماض على عزمه في الجود لو وهب الشباب يوم لقاء البيض
ما لاما وقول المتنبي والذي يشهد الوغى ساكن القلب كان القتال فيها ذمام مع
قول البحتري لقد كان ذاك الجاش جاش مسالم على ان ذاك الزي زي محارب
وقول ابي تمام الصبح مشهور بغير دلائل من غيره ابتغيت والاعلام مع قول
المتنبي وليس يصح في الافهام شيء اذا احتاج النهار الى دليل وقول ابي تمام
وفي شرف الحديث دليل صدق لمختبر على شرف القديم مع قول المتنبي اعاله نسب
لو لم يقل معها جدي لخبّر عن نسبه العرق بالغصن وقول البحتري واحب آفاق
البلاد الى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب مع قول المتنبي وكل امرئ يولي
الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب وقول المتنبي يقر له بالفضل من لا يوده
ويقضي له بالسعد من لا ينجم مع قول البحتري لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها
اليه عداه وقول خالد الكاتب رقدت فلم ترث للساهر وليل المحب بلا آخر مع قول
بشار لخديك من كفيك في كل ليلة الى ان ترى ضوء الصباح وساد تبيت تراعي
الليل ترجو نفاده وليس لليل العاشقين نفاد وقول ابي تمام ثوى بالمشرقين
لهم ضجاج اطار قلوب اهل المغربين وقول البحتري تناذر اهل الشرق منه وقائعا
اطاع لها العاصون في بلد الغرب مع قول مسلم لما نزلت على ادنى ديارهم القى اليك
الاقاصي بالمقاليد وقول محمد بن بشير افرغ لحاجتنا ما دمت مشغولا فلو فرغت
لكنت الدهر مبذولا مع قول ابي علي البصير فقل لسعيد اسعد الله جده لقد رث
حتى كاد يصرم حبله فلا تعتذر بالشغل عنا فانما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل
وقول البحتري من غادة منعت وتمنع وصلها فلو انها بذلت لنا لم تبذل مع قول
ابن الرومي ومن البلية انني علقت ممنوعا وقول ابي تمام لئن كان ذنبي ان احسن
مطلبي اساءة في سوء القضاء الى العذر مع قول البحتري فجاء مجيء العير قادته

حيرة الى ابهرت الشرقين تدمى اظافره وقول ابن اوس اذا انصرفت نفسي عن
الشي لم تكد اليه بوجه اخر الدهر تقبل مع قول العباس بن الاحنف نقل الجبال
الرواسي من اماكنها اخف من رد نفس حين تنصرف وقول امية بن ابي الصلت
عطاؤك زين لامرئ ان اصبته بخير وما كل العطاء يزين مع قول ابي تمام بلى
عطاياه وحر اوجهات شهرت كانت فخار المرء بعينه موتشفا ماذلت منتظرا
المحبوبة عتنا حتى رايت سوالا عيني ترفا وقول جرير تعبق الهوى ثم ارتمين
قلوبنا باسهم اعداء وهن صديق مع قول ابي نواس اذا امتحن الدنيا
لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق وقول كثير اذا ما اردت خلة ان
تزيلنا ابينا وقلنا الحاجبية اول مع قول ابي تمام نقل فؤادك حيث شئت
من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول وقول المتنبي وعيد من اليوم الوفاء لصاحب
شيب واوفى من ترى اخوانه مع قول ابي تمام فلا تحسبا هندا لها الغدر
وحدها سجية نفس كل غانية هند وقول البحتري حلم ارضي رتق الصدع
لي جودا تحاولت عود النيل عند احتفاله مع قول المتنبي قواصد كافور
بدار الحيرة ومن قصد البحر استقل السواقيا وقول المتنبي كانما يولد الندى
معهم لا صغر عاذر ولا هرم مع قول البحتري عريقون في الافضال يؤتنف
الندى لناشيهم من حيث يؤتنف العمر وقول البحتري فلا تغلين بالسيف
كل غلائه ليمضي فان الكف لا السيف يقطع مع قول المتنبي اذا الهند سوت بين
سيفي كريهة فسيفك في كف يزيل التساويا وقول البحتري ساموك من
حسد فافضل منهم غير الجواد وجاد غير المفضل فبذلت فينا ما بذلت سماحة
وتكرما وبذلت ما لم يبذل مع قول ابي تمام ارى الناس منهاج الندى بعد
ما عفت مهايعه المثلى ومحت لواحبه ففي كل نجد في البلاد وغاير مواهب
ليست منه وهي مواهبه وقول المتنبي بيضاء تطمع فيما تحت حلتها وعز
ذلك مطلوبا اذا طلبا مع قول البحتري تبدو بعطفة مطمع حتى اذا شغل
الخلي ثنت بصدفة مؤيس وقول المتنبي اذكار مثلك ترك اذكاري له
اذ لا تريد لما اريد مترجما مع قول ابي تمام فحمت من شمس اذا حجبت بدت
من خدرها فكانها لم تحجب مع قول قيس بن الخطيم قضى لها الله حين
صورها الخالق الا يكنها سدف وقول المتنبي راميات باسهم ريشها
الهدب تشق القلوب قبل الجلود مع قول كثير رمتني بسهم ريشها الكحل
لم يضر ظواهر جلدي وهو في القلب جارح وقول بعض شعراء الجاهلية

ودعوت

ودعوتني بالسلامة جاهدا لتصحني فاذا السلامة داء مع قول ابي العتاهية
اسرع في نقص امرئ تمامه تدبر في اقبالها ايامه وقول اقلل زيارتك الحبيب
تكون كالثوب استجده ان الصديق يمله ان لا يزال يراك عنده مع قول ابي تمام
وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد وقول الخزيمي
زاد معروفك عندي عظما انه عندك محقور صغير تتناساه كان لم تاته وهو
عند الناس مشهور كبير مع قول المتنبي تظن من فقدك اعتدادهم انهم انعموا
وما علموا وقول البحتري الم تر للنوايب كيف تسمو الى اهل النوافل والفضول
مع قول المتنبي افاضل الناس اغراض لذا الزمن يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وقول المتنبي تذللها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع
مع قول بعض الحارثيين كن اذا احببت عبدا للذي تهوى مطيعا لن تنال
الوصل حتى تلزم النفس الخضوعا وقول مضرس بن ربعي لعمرك اني بالخليل
الذي له علي دلال واجب لمفجع واني بالمولى الذي ليس نافعي ولا ضائري فقد
انه لممتع مع قول المتنبي لما تغلظ الايام في بان ارى بغيضا تناى او حبيبا
تقرب وقول المتنبي مظلومة القد في تشبيهه غصنا مظلومة الريق في تشبيهه
ضربا مع قول اذا اغن شبهناك بالبدر طالعا بخسناك حظا انت ابهى واجمل
وتظلم ان قسناك بالليث في الوغى لانك احمى للحريم وابسل ذكر ان
ترى فيه في كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا او استاذية على الجملة
فمن ذلك وهو النادر قول لبيد واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق
النفس يزري بالامل مع قول نافع بن لقيط واذا صدقت النفس لم تترك لها
املا ويامل ما اشتهى المكذوب وقول رجل من الخوارج اتى به الحجاج في جماعة
من اصحاب قطري فقتلهم ومن عليه ليد كانت له عنده وعاد الى قطري فقال
له قطري عاود قتال عدو الله الحجاج فابى وقال اقاتل الحجاج عن سلطانه
بيد تقر بانها مولاته ماذا اقول اذا وقفت ازاءه في الصف واحتجت له فعلاته
مع قول ابي تمام اسربل هجر القول من لو هجوته اذا لهجاني عنه معروفه عندي
وقول النابغة اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد ايقن ان قبيلة اذا ما التقى الصفان اول غالب مع قول ابي نواس
واذا مج القنا علقا وتراءى الموت في صوره راح في ثني مفاضته اسد يدمي
شاهده تتايا بالطير غدوته ثقة بالشبع من جزره المعقم البيت الاخير وحكى
المرزباني قال حدثني عمرو الوراق قال رايت ابا نواس ينشد قصيدته التي اولها

ايها المتناب عن عفره لحملته فلما بلغ الى قوله تتايا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره
قلت له ما تركت للنابغة شيئا حيث يقول اذا ما غدا بالجيش البيتين فقال اسكت
فلئن كان سبق لما اساء الاتباع وهذا الكلام من ابي نواس دليل بين في ان
المعنى ينقل من صورة الى صورة ذلك انه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئا لكان
قوله لما اساء الاتباع محالا لانه على كل حال لم يتبعه في اللفظ ثم ان الامر ظاهر لمن نظر
في انه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة الى صورة اخرى وذلك
ان هاهنا معنيين احدهما اصل وهو علم الطير بان الممدوح اذا غزا عدوا كان
الظفر له وكان هو الغالب والاخر فرع وهو طمع الطير في ان تتسع عليها المطاعم
من لحوم القتلى وقد عمد النابغة الى الاصل الذي هو علم الطير بان الممدوح
يكون الغالب فذكره صريحا وكشف عن وجهه واعتمد في الفرع الذي هو
طمعها في لحوم القتلى وانها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى وعكس ابو
نواس القصة فذكر الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحا فقال كما ترى
ثقة بالشبع من جزره وعول في الاصل الذي هو علمها بان الظفر يكون للممدوح
على الفحوى ودلالة الفحوى على علمها ان الظفر يكون للممدوح هي في انه قال
من جزره وهي لا تثق بان شبعها يكون من جزر الممدوح حتى تعلم ان الظفر
يكون له افيكون شيء اظهر من هذا في النقل عن صورة الى صورة ارجع
الى النسق ومن ذلك قول ابي العتاهية شيم فتحت من المدح ما قد كان
مستغلقا على المداح مع قول ابي تمام نظمت له خرز المديح مواهب ينفثن
في عقد اللسان المفحم وقول ابي وجزه اتاك المجد من هنا وهنا وكنت له
بمجتمع السيول مع قول منصور النمري ان المكارم والمعروف اودية احلك
الله منها حيث تجتمع وقول بشار الشيب كره وكره ان يفارقني اعجب بشيء
على البغضاء مودود مع قول البحتري تعيب الغانيات علي شيبي ومن
لي ان امتع بالمعيب وقول ابي تمام وشتان من كان عنده وبكى الوجد عنه
للامس مع قول ابن الرومي امام يظل الامس يعمل نحوه تلفت ملهوف
ومشتاق الغد انظر الى انه قال ومشتاق الغد فاعاد لفظ ابي تمام
ولكن انظر الى قوله يعمل نحوه تلفت ملهوف وقول ابي تمام لمن ذمت الاعداء
سوء صباحها فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر مع قول المتنبي وانبتت
منهم ربيع السباع فاثنت باحسان ايادي الشامل وقول ابي تمام ورب نائي
المغاني روحه بدا لصيق روحي ودان ليس بالداني مع قول المتنبي لنا ولاهله

ابدا

ابدا قلوب تلاقى في جسوم ما تلاقى وقول ابي هفان اصبح الدهر مسيئا كله ما له الا ابن يحيى
حسنه مع قول المتنبي ازالت بك الايام عتبي كانما بنوها لها ذنب وانت لها عذر
وقول علي بن جبلة واري الليالي ما طوت من قوتي رددته في عظتي وفي افهامي
مع قول ابن المعتز وما ينتقص من شباب الرجال تزد في نهاها والبابها و
قول بكر بن النطاح ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
مع قول المتنبي انك من معشر اذا وهبوا ما دون اعمارهم فقد بخلوا وقول البحتري
ومن ذا يلوم البحر ان بات زاخرا يفيض وصوب المزن ان راح يهطل مع
قول المتنبي وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل
وقول الكلابي عزوا وعز بعزهم من جاوروا فهم الذرى وجماجم الهامات
ان يطلبوا بتراتهم يعطوا بها او يطلبوا لا يدركوا بترات مع قول المتنبي تفيت
الليالي كل شيء اخذته وهن لما ياخذن منك غوارم وقول ابي تمام اذا امضى
على الايام حاكما غدا العفو منه وهو في السيف حاكم مع قول المتنبي له من كريم
الطبع في الحرب منتض ومن عادة الاحسان والصفح غامد فانظر الان نظر من
نفى الغفلة عن نفسه فانك ترى عيانا ان للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع
ذلك صورة وصفة غير صورته وصفته في البيت الاخر وان العلماء لم يريدوا
حيث قالوا ان المعنى في هذا هو المعنى في ذاك ان الذي يعقل من هذا لا يخالف
الذي يعقل من ذاك وان المعنى عائد عليك في البيت الثاني على هيئته وصفته
التي كان عليها في البيت الاول وان لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه
وان حكم البيتين مثلا حكم الاسمين قد وضعا في اللغة لشيء واحد كالليث و
الاسد ولكن قالوا ذلك على حسب ما يقوله العقلاء في الشيئين يجمعهما جنس
واحد ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات كالخاتم والخاتم والشنف والشنف
والسوار والسوار وسائر اصناف الحلي التي يجمعها جنس ثم يكون بينها الاختلاف
الشديد في الصنعة والعمل ومن هذا الذي ينظر الى بيت الخارجي وبيت
ابي تمام فلا يعلم ان صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا كيف والخارجي يقول
واحتجت له غلاته ويقول ابو تمام اذا اهجاعه معروفه عندي ومتى كان اجتمع
وهما واحدا في المعنى وكذلك الحكم في جميع ما ذكرناه فليس يتصور في نفس
عاقل ان يكون قول البحتري وحلقت البلاد الى الغنى ادم يسال بها كرم
المطلب وقول المتنبي وكل كانت يتبت العز طيب سواء واعلم ان قولنا الصورة
انما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بابصارنا فلما راينا البينونة

بيننا ان حال الاجناس يكون من الصورة فكان تبين انسان من انسان وفرس
من فرس بخصوصية يكون في صورة هذا لا يكون في صورة ذلك وكذلك الامر
في المصنوعات فكان تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا
بين المعنى في احد البيتين وبينه في الاخر بينونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك
الفرق وتلك البينونة بان قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك وليس العبارة
عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتداناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في
كلام العلما ويكفيك قول الجاحظ وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير واعلم
انه لو كان المعنى في احد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الاخر وكان
الثاني من الشاعرين يجيك به معادا على وجهه لم يحدث فيه شيئا ولم يغير له صفة
كان قول العلما في شاعر انه اخذ المعنى من صاحبه فاحسن واجاد وفي اخر
انه اساء وقصر لغوا من القول من حيث كان محالا ان يحسن او يسي في شي لا
يصنع به شيئا وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيرا للبيت ومناسبا له خطا
منهم لانه محال ان يناسب الشي نفسه وان يكون نظيرا لنفسه وامر ثالث وهو انهم
يقولون في واحد انه اخذ المعنى فظهر اخذه وفي اخر انه اخذه فاخفى
اخذه ولو كان المعنى يكون معادا على صورته وهيئته وكان الاخذ له من صاحبه
لا يصنع شيئا غير ان يبدل لفظا مكان لفظ لكان الاخفا فيه محالا لان اللفظ
لا يخفي المعنى وانما يخفيه اخراجه في صورة غير التي كان عليها مثال ذلك ان
القاضي ابا الحسن ذكر فيما ذكر فيه تناسب المعنى بيت ابي نواس خليت والحسن
تاخذه تنتقي منه وتنتخب وبيت عبد الله بن مصعب كانك جيت محتكما عليهم
تخير في الابوة ما تشاء وذكر انهما معا من بيت بشار خلقت على ما في غير مخير
هواي ولو خيرت كنت المهذبا والامر في تناسب هذه الثلاثة ظاهر ثم انه
ذكر ان ابا تمام قد تناوله فاخفاه وقال فلو صورت نفسك لم تزدها على ما
فيك من كرم الطباع ومن العجيب في ذلك ما تراه اذا انت تاملت قول ابي العتاهية
جزي البخيل علي صالحة عني لخفته على ظهري اعلى واكرم عن يديه يدي فعلت
ونزه قدره قدري ورزقت من جدواه عافية ان لا يضيق بشكره صدري وغنيت
خلوا من تفضله احنو عليه باحسن العذر ما فاتني خير امري وضعت
عني يداه مونة الشكر ثم نظرت الى قول الذي يقول اعتقني سوء ما صنعت
من الرق فيا بردها على كبدي فصرت عبدا للسوء فيك وما احسن سوء قبلي
لاحد وما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما صنع الجاحظ بقول نصيب

ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب حين نثره فقال وكتب به الى ابن الزيات نحن اعزك
الله نسحر بالبيان ونموه بالقول والناس ينظرون الى الحال ويقضون بالعيان
فاثر من امرنا اثرا ينطق اذا سكتنا فان المدعي بغير بينة متعرض للتكذيب وهذه جملة
من وصفهم الشعر وعمله وادلالهم به ابو حية النميري ان القصائد قد علمن باني
صنع اللسان بهن لا اتنحل واذا ابتدات عروض نسج ريض جعلت تذل لما اريد
وتسهل حتى تطاوعني ولو يرتاضها غيري لحاول صعبة لا تقبل تميم بن مقبل
اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها قايلا بعدي اطب واشعرا واكثر بيتا سايرا
ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسرا اغر غريبا يمسح الناس وجهه
كما يمسح الايدي الاغر المشهرا عدي بن الرقاع وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم
ميلها وسنادها نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها كعب بن
زهير فمن للقوافي شانها من يحوكها اذا ما ثوى كعب وفوز جرول نقومها
حتى تلين متونها فيقصر عنها كلما يتمثل بشار عميت جنينا والذكا من
العمى فجيت عجيب الظن للعلم موئلا وغاض ضيا العين للعلم رافدا لقلب
اذا ما ضيع الناس حصلا وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن
الشعر اسهلا وله ردوا ملوك عليها به يعرف من شعره ومن خطبه لله ما راح في
جوانحه من لولو لا ينام عن طلبه يخرج من فيه للندى كما يخرج ضوء السراج
من لهبه ابو شريح العميري فان اهلك فقد ابقيت بعدي قوافي تعجب
المتمثلينا لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا الفرزدق
بلغن الشمس حين يكون شرقا ومسقط قرنها من حيث غابا بكل ثنية وبكل ثغر
غرايبهن تنتسب انتسابا ابن ميادة فجرنا ينابيع الكلام وبحره فاصبح فيه ذو الرواية
يسبح وما الشعر الا شعر قيس وخندف وشعر سواهم كلفة وتملح وقال عقال بن هشام
عقال بن هشام يرد عليه الا ابلغ الرماح نقض مقالة بها خطل الرماح او كان يمزح
لقد خرق الحي اليمانون قبلهم بحور كلام تستقى وهي طفح وهم علموا من بعدهم
فتعلموا وهم اعربوا هذا الكلام واوضحوا فللسابقين الفضل لا يجحدونه وليس
لمسبوق عليهم تبجح ابو تمام كشفت قناع الشعر عن حر وجهه وطيرته عن وكره وهو
واقع بغر يراها من يراها بسمعه ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع يود ودادا
ان اعضا جسمه اذا انشدت شوقا اليها مسامع وله حذا تملا كل اذن حكمة
وبلاغة وتدر كل وريد كالدر والمرجان الف نظمه بالشذر في عنق الفتاة الرود
كشقيقة البرد المنمنم وشيه في ارض مهرة او بلاد تزيد يعطى بها البشرى الكريم

وبزيدى برد انها فى المحفل المشهود ونبرى المعنى الى الباقى تتابعت نثر اثره
بالفارس المولود وله جاءتك فى نظم اللسان قلادة سمطان فيها اللؤلؤ المكنون
احدا كما صنع الضمير يمده اخذ لفظ الصنع من الجيه ما هى صنع اللسان
سمى لا تتخل ونقله الى الضمير وقد جعل حسان ايضا اللسان صنعا وذلك فى قوله
اهدى لهم مدحا قلب موازره فيما احب لسان حائك صنع وله فى تمام البيت رجاءها
الشعر بجلالة ممتلئ ببعض المعانى العجايب عجايب لقت فى فنايك انسها من
المجد فهى لان غير غرايب ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت حياضك منه
فى السنين الذواهب ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحايب منه اعقبت بسحايب
البحترى الست الموالى غيك نظم قصايد هى الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناء كان الروض منه منورا ضحى وكان الوشى منه منمنما وله احسن ابا حسن بالشعر
اذ جعلت عليك انجمه بالمديح تنثنى فعقلا انسك القوافى عن غنايه كما نفح غب
الوابل الزهر وله السلك القوافى تمار عاف قواصد نسير ضاحى وشبها و
يمنم ومشرقة فى النظم غر يزينها بهاء وحسنا انها لك تنظم وله منقوشة
نقش الدنانير ينتقى لها اللفظ مختارا كما ينتقى التبر وله انى هب هذا الدهر
لم ير موضع ولم يدر ما مقدار حلى ولا عقدى ويكسد مثلى وهو تاجر سودد
يبيع ثمينات المكارم والمجد سوابر شعر جامع بدد العلى تعلق من قبلى
والبقين من بعدى يقلد فيها صانع متعمل لاحكامها تقدير داود فى السرد
وله اسهر فى بعض ليلة ما لا وينام دون قرابه يقظان ينحل الكلام كانه
جيش لديه يريد ان يلقى به فاتى به كالسيف رقرق صيقل ما بين قايم سنخه و
ذبابه ومن نادر وصفه للبلاغة قوله فى نظام من البلاغة ما شك امرؤ انه
نظام فريد وبديع كانه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد مشرق فى جوانب
السمع ما يخلقه عوده على المستعيد حجج تخرس الالد بالفاظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعانى لو فصلتها القوافى هجنت شعر جرول ولبيد حزن مستعمل الكلام
اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد وركبن اللفظ القريب فادركن به غاية المراد
البعيد كالعذارى غدون فى الحلل الصفر اذا رحن فى الخطوط السود الغرض من كتب هذه
الابيات لاستطها رحتى ان حمر حامدا نفسه على العرد والشحم مى عن بصيرة فزعم
ان الاعجاز فى ملايمة الحروف وفى سلامتها مما يثقل على اللسان علم بالنظر فيها
فساد ظنه وقبح غلطه من حيث يرى عيانا ان ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه ببال
ولا صفاتهم صفات يصلح له على حال اذ لا يخفى على عاقل انه لم يكن ضرب من الحروف

حال الشعر لانهم لم يلفظوا بحروف تثقل على اللسان ولو كان ثقلهم على الشعر و
تشبيهه نظره فيه بنظر المثقف فى كعوب قناته لذلك تعانه فى ان يكون له حمل لثبات
نور العين ثم غاض فصار الى قلبه وان يكون اللؤلؤ الذى كان ظنه ابنا عن طلبه و
ان ليس هو صوب العقل الذى اذا انجلت سحايب منه اعقبت بسحايب وان
ليس هو الدر والمرجان مولفا بالشذر فى العقود ولا الذى لو كان البحترى مقدرا
تقدير داود فى الزرد كيف وهذه كلها عبارات عن ادراك بالعقل ويستنبط
بالفكر وليس الفكر الطريق الى تمييز ما يثقل على اللسان مما لا يثقل انما الطريق الى
ذلك الحس ولولا ان البلوى قد عظمت بهذا الراى الفاسد وان الذين قد
استهلكوا فيه قد صاروا من فرط شغفهم به يصغون الى كل شئ يسمعونه حتى
لو ان انسانا قال لهم ان يجاد بريهم انه يريد نصرة مذهبهم لا قبلوا باوجههم
عليه والقوا اسماعهم اليه لكان اطراحهم وترك الاشتغال به اصوب لانه قول
لا يتحصل منه جانب الصواب البتة ذلك لانه اول شئ يؤدى الى ان يكون القران
معجزا لا بما به كان قرانا وكلام الله عز وجل لانه على كل حال انما كان قرانا وكلام
الله عز وجل بالنظم الذى هو عليه ومعلوم انه ليس النظم من ملايمة الحروف
وسلامتها مما يثقل على اللسان فى شئ ثم انه اتفاق من العقلاء ان الوصف الذى
به تناهى القران الى حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة وما راينا
عاقلا جعل القران فصيحا او بليغا بان لا يكون فى حروفه ما يثقل على اللسان لانه
لو كان يصح ذلك لكان يجب ان يكون السوقى الساقط من الكلام والسفساف
الردى من الشعر فصيحا اذا خفت حروفه والعجيب من هذا انه يلزم من ان لو عمد
عامد الى حركات الاعراب فجعل مكان كل ضمة وكسرة فتحة فقال الحمد لله بفتح
الدال واللام والهاء وجرى على هذا فى القران كله ان لا يسلبه ذلك الوصف
الذى هو معجز به بل كان ينبغى ان يزيد فيه لان الفتحة كما لا يخفى اخف من كل
واحدة من الضمة والكسرة فان قال ان ذلك يحيل المعنى قيل له اذا كان المعنى
والعلة فى كونه معجزا الوصف بمحض لفظ دون معناه كان محالا ان يخرج عن
كونه معجزا مع قيام ذلك الوصف فيه ودع هذا وهب انه لا يلزم شئ منه فانه
يكفى فى الدلالة على سقوطه وقلة تمييز القايل به انه يقتضى اسقاط الكناية و
الاستعارة والتمثيل والمجاز والايجاز جملة واطراح جميعها راسا مع انها
الاقطاب التى تدور البلاغة عليها والاعضاد التى تستند الفصاحة اليها
والطلبة التى يتنازعها المحسنون والرهان الذى تجرب فيه الجياد والنضال

الذي يخبر فيه الأبيات الشداد وهي التي يتوهمها البلغاء ووقع عن اعتدادها
العلماء وصنفوا فيها الكتب وتكلموا بها الهمم وصرفوا إليها الخواطر حتى صار الكلام
فيها نوعا من العلم مفردا وصناعة على حدة ولم يتعاط أحد من الناس القول
في الإعجاز إلا ذكرها وجعلها العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية وخصوصا
الاستعارة والإيجاز فإنك تراهم يجعلونهما عنوان ما يذكرون
وأول ما يوردون وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله تعالى واشتعل الرأس
شيبا وقوله وأشربوا في قلوبهم العجل وقوله عز وجل وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقوله فلما استيأسوا منه
خلصوا نجيا وقوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها وقوله فما ربحت تجارتهم
ومن الإيجاز قوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء وقوله
تعالى وتراهم على لسان واحد يقولون إن المجاز والإيجاز من الأركان في أمر الإعجاز
وإذا كان الأمر كذلك عند كافة العقلاء الذين تكلموا في المزايا التي للقرآن
فينبغي أن ينظر في أمر الذي يسلم نفسه إلى الغرور فيزعم أن الوصف الذي
له كان القرآن معجزا هو سلامة حروفه مما يثقل على اللسان أيصح له القول
بذلك إلا من بعد أن يدعي الغلط على العقلاء قاطبة فيما قالوه والخطأ فيما
أجمعوا عليه وإذا نظرنا وجدناه لا يصح له ذلك إلا بأن يقتحم هذه الجهالة
اللهم إلا أن يخرج إلى الضحكة فيزعم مثلا أن من شأن الاستعارة والإيجاز
إذا دخلا الكلام أن يحدث بهما في حروفه خفة ويتجدد فيها سهولة ونسأل
الله تعالى العصمة والتوفيق واعلم أنا لا نأبى أن يكون مذاقة الحروف وسلامتها
مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة وأن يكون مما يؤكد أمر
الإعجاز وإنما الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزا به
وحده ويجعله الأصل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات ثم إن العجب
كل العجب ممن يجعل كل الفضل في شيء هو إذا انفرد لم يجب به فضل البتة ولم يدخل
في اعتداد بحال وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه لا يكون لسهولة الألفاظ وسلامتها
مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألف منها كلام ثم كان ذلك الكلام
صحيحا في نظمه والغرض الذي أريد به وأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها
من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلاما لم تر عاقلا يعتد السهولة فيها
فضيلة لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني فإذا
عدمت الذي له تراد أو اختل أمرها فيه لم يعتد بالأوصاف التي تكون

في

في أنفسها عليها وكان السهولة وغير السهولة فيها واحدا ومن هاهنا رأيت العلماء
يذمون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضم لهما المعنى ويدخل الخلل عليه
من أجلهما وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما ويركب الوعورة ويسلك
المسالك المجهولة كالذي صنع أبو تمام في مثل قوله سيف الإمام الذي سمته هيبته
لما تخرم أهل الأرض مخترما قرت بقران عين الدين واشترت بالأشترين
عيون الشرك فاصطلما وقوله ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون
أمذهب أم مذهب وصنيع المتكلفين في الأسجاع وذلك أنه لا يتصور أن يجب
بها من حيث هي فضل ويقع بها مع الخلو من المعنى اعتداد وإذا نظرت
إلى تجنيس أبي تمام أمذهب أم مذهب فاستضعفته وإلى تجنيس القائل حتى نجا
من خوفه وما نجا وقول المحدث ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما
أودعاني فاستحسنته لم تشك بحال أن ذلك لم يكن لأمر يرجع إلى اللفظ ولكن
لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني ورأيتك رأيت أبا
تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكررة لا تجد لها فائدة
وإن وجدت فإلا متكلفة متمحلة ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظ كأنه يخدعك
عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها
ولهذه النكتة كان التجنيس وخصوصا المستوفى منه مثل نجا ونجا من حلى
الشعر والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول ولم يكن
غرضنا من ذكرهما شرح أمرهما ولكن توكيد ما انتهى بنا القول إليه من استحالة أن
يكون الإعجاز في مجرد السهولة وسلامة الألفاظ مما يثقل على اللسان وجملة
الأمر أنا ما رأينا في الدنيا عاقلا اطرح النظم والمحاسن التي هو السبب فيها من
الاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز والإيجاز وصد بوجهه عن
جميعها وجعل الفضل كله والمزية أجمعها في سلامة الحروف وكيف وهو
يؤدي إلى السخف والخروج من العقل كما بينا واعلم أنه قد آن لنا أن نعود إلى
ما هو الأمر الأعظم والغرض الأهم وكالذي كأنه هو الطلبة وكل ما عداه ذرائع إليه
وهو المرام وما سواه أسباب للتسلق عليه وهو بيان العلل التي لها وجب
أن يكون لنظم مزية على نظم وأن يعظم أمر التفاضل فيه ويتناهى إلى الغايات
البعيدة ونحن نسأل الله تعالى العون على ذلك والتوفيق له والهداية إليه
بسم الله الرحمن الرحيم ما أهل بلنا بها القارئ لكتابنا أن تكتب عنه حقه

من النظر والتدبر حق التدبر الا انك قد علمت علما ابى ان يكون للشك فيه نصيب
وللتوقف نحوه مذهب ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه و
وجوهه وفروقه فيما بين الكلم وانك قد تبينت انه اذا رفع معاني
النحو واحكامه مما بين الكلم حتى لا تراد بها في جملة ولا تفصيل خرجت الكلم المنطوق
ببعضها في اثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر عن ان يكون لكونها
في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتض وعن ان يتصور ان يقال
في كلمة منها انها مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها وكائنة بسبب منها و
ان حسن تثبتك لذلك قد شفيت فيه قلبك وملأ من الثقة نفسك وباعدك
من ان تحن الى الذي كنت عليه وان يجري ببالك الفكر والاعتياد اليه وانك جعلت
ما قلناه نقشا في صدرك واثبته في سويداء قلبك وصادقت بينه وبين
نفسك فان كان الامر كما ظنناه رجونا ان يصادف الذي يريد ان حسنا نفعه
نعوذ بالله تعالى من نية حسنة تعتريها الملل ورغبة صادقة تدفع عنك الملل
وارجو ان تخف معها عليك تعب الفكر وكد النظر والله تعالى ولي توفيقك
وتوفيقنا بمنه وفضله ومن بين ما يقول اذا اشتبه الان ان شك في مزيد في
ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت
من ذلك ان طالب دليل الاعجاز من نظم القران اذا هو لم يطلبه في معاني النحو
واحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم انها معدنه ومعانه وموضعه
ومكانه وانه لا مستنبط له سواها وانه لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه
بالكاذب من الطمع ومسلم لها الى الخدع وانه ان ابى ان يكون فيها كان قد
ابى ان يكون القران معجزا بنظمه ولزمه ان يثبت شيئا اخر يكون معجزا به و
ان يلحق باصحاب الصرفة فيدفع الاعجاز من اصله وهذا تقرير لا يدفعه الا معاند
يعتل بالرجوع عن باطل قد اعتقده عجزا والثبات عليه من قبل لزوم الحجة
جلدا ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها من الانسانية ونسال الله
تعالى العصمة والتوفيق وهذه اصول يحتاج الى معرفتها قبل الذي عمدنا له
اعلم ان معاني الكلام كلها معان لا تتصور الا فيما بين شيئين والاصل و
الاول هو الخبر واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع ومن الثابت
في العقول والقائم في النفوس انه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه

وانه ينقسم الى اثبات ونفي والاثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له والنفي يقتضي منفيا و
منفيا عنه فلو حاولت ان تتصور اثبات معنى او نفيه من دون ان يكون هناك
مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم ومن اجل ذلك
امتنع ان يكون لك قصد الى فعل من غير ان تريد اسناده الى شيء وكنت اذا
قلت ضرب لم تستطع ان تريد منه معنى في نفسك من غير ان تريد الخبر به عن شيء مظهر
او مقدر وكان لفظك به اذا انت لم ترد ذلك وصوتا تصوته سواء وان اردت
ان تستحكم معرفة ذلك في نفسك فانظر اليك اذا قيل ما فعل زيد فقلت
خرج هل يتصور ان يقع في خلدك من خرج معنى من دون ان تنوي فيه ضمير
زيد وهل تكون ان انت زعمت انك لم تنو ذلك الا مخرجا نفسك الى الهذيان
وكذلك فانظر اذا قيل لك كيف زيد فقلت صالح هل يكون لقولك صالح اثر
في نفسك من دون ان تريد هو صالح ام هل يعقل السامع منه شيئا ان هو
لم يعتقد ذلك فانه مما لا يبقى معه لعاقل شك ان الخبر معنى لا يتصور الا بين
شيئين يكون احدهما مثبتا والاخر مثبتا له او يكون احدهما منفيا والاخر
منفيا عنه وانه لا يتصور مثبت من غير مثبت له ومنفي من دون منفي عنه ولما
كان الامر كذلك اوجب ذلك ان لا يعقل الا من مجموع جملة فعل واسم كقولنا
خرج زيد او اسم واسم كقولنا زيد منطلق فليس في الدنيا خبر يعرف من غير
هذه السبيل وبغير هذا الدليل وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وامة و
حكم يجري عليه الامر في كل لسان ولغة واذ قد عرفت انه لا يتصور الخبر الا فيما بين
شيئين مخبر به ومخبر عنه فينبغي ان تعلم انه يحتاج من بعد هذين الى ثالث
وذلك انه كما لا يتصور ان يكون ههنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه كذلك
لا يتصور ان يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته ويكون له
نسبة اليه ويعود التبعة فيه عليه فيكون هو الموصوف بالصدق ان كان صدقا
وبالكذب ان كان كذبا افلا ترى ان من المعلوم انه لا يكون اثبات ونفي حتى يكون
مثبت وناف يكون مصدرهما من جهته ويكون هو المزجي لهما والمبرم والناقض
فيهما ويكون بهما موافقا ومخالفا ومصيبا ومخطئا ومحسنا ومسيئا وجملة
الامر ان الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الانسان في نفسه ويصرفها في
فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتوصف بانها مقاصد واغراض
واعظمها شانا الخبر فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيه الصناعات
العجيبة وفيه يكون في الامر الاعم المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة كما

شرحنا فيما تقدم ونشرح فيما نستقبل من بعد ان شاء الله تعالى واعلم انك اذا فتشت اصحاب
اللفظ عما في نفوسهم جملة ثم تدقيقهم الى الخبر انه صفة للفظ وان المعنى في
كونه اثباتا انه لفظ يدل على وجود المعنى من الشيء وفي كونه نفيا انه لفظ
يدل على عدمه وانتفائه عن الشيء وهو قد لقنهم وسرى في عروقهم وامتزج
بطباعهم حتى صار الظن باكثرهم ان القول لا ينجع فيهم والدليل على بطلانه
ما اعتقدوه انه محال ان يكون اللفظ قد نصب دليلا على شيء ثم لا يحصل منه العلم
بذلك الشيء اذ لا معنى لكون الشيء دليلا على شيء ثم لا يحصل منه العلم بذلك
الشيء الا افادته اياك العلم بما هو دليل عليه واذا كان ذلك كذلك علم منه ان
ليس الامر على ما قالوه من ان المعنى في جميع وصفنا اللفظ بانه خبر انه قد وضع
لان يدل على وجود المعنى او عدمه لانه لو كان كذلك لكان ينبغي ان لا يقع من
سامع شك في خبر يسمعه وان يسمع الرجل يثبت وينفي الا علمت وجود
ما اثبت وانتفاء ما نفى وذلك مما لا شك في بطلانه واذ لم يكن ذلك مما
يشك في بطلانه وجب ان يعلم ان مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى او
عدمه ولكن الحكم بوجود المعنى من الشيء او منه يسمى اثباتا واذا كان
الحكم بالمعنى وانتفائه عن الشيء يسمى نفيا ومن الدليل على فساد ما زعموه انه لو
كان معنى الاثبات الدلالة على وجود المعنى واعلامه السامع ايضا وكان معنى
النفي الدلالة على عدمه واعلامه السامع ايضا لكان ينبغي اذا قال واحد زيد عالم
وقال اخر زيد ليس بعالم ان يكون قد دل هذا على وجود العلم وهذا على عدمه
واذا قال الموحد العالم محدث وقال الملحد هو قديم ان يكون قد دل الموحد
على حدوثه والملحد على قدمه وذلك مما لا يقوله عاقل فقد بان لك بعبارة
اخرى لا يتصور ان يفتقر المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة الى دليل يدل
يدل عليها زائدا على اللفظ كيف وقد اجمع العقلاء على ان العلم بما في نفوس الناس
في محاوراتهم علم ضرورة ومن ذهب مذهبا يقتضي ان لا يكون الخبر معنى في نفس
المتكلم ولكن يكون وصفا للفظ من اجل دلالته على وجود المعنى من الشيء او
فيه او انتفاء وجوده عنه فقد نقض منه الاصل الذي قدمناه من حيث
يكون قد جعل المعنى المدلول عليه باللفظ لا يعرف الا بدليل سوى اللفظ ذاك
لانا لا نعرف وجود المعنى المثبت وانتفاء المنفي باللفظ ولكنا نعلم بدليل
يقوم لنا زائد على اللفظ وما من عاقل الا وهو يعلم ببديهة النظر ان المعلوم بغير
اللفظ لا يكون مدلول اللفظ ثم بقية اخرى الدلالة على الشيء هي لا محالة اعلامك

السامع

السامع اياه وليس بدليل ما انت تعلم به مدلولا عليه واذا كان كذلك وكان مما يعلم ببداية
العقول ان الناس انما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده فينبغي
ان ينظر الى مقصود المخبر من خبره ما هو وهو ان يعلم السامع المخبر به والمخبر عنه ام ان
يعلم اثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه فان قيل ان المقصود اعلامه السامع مع وجود
المعنى من المخبر عنه فاذا قال ضرب زيد كان مقصوده ان يعلم السامع وجود
الضرب من زيد وليس الاثبات الا اعلامه السامع وجود المعنى قيل له فاذا كان قولنا
اثبت مع الله تعالى عما يقول الظالمون الها اخر يكون قاصدا ان يعلم نعوذ بالله ان
مع الله تعالى الها اخر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وكفى بهذا فضيحة وجملة الامر
انه ينبغي ان يقال لهم اتشكون في انه لا بد ان يكون لخبر المخبر معنى يعلمه السامع علما
لا يكون معه شك ويكون ذلك معنى اللفظ وحقيقته فاذا قالوا لا نشك قيل لهم
فما ذلك المعنى فان قالوا هو وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او عنه اذا كان اثباتا
وانتفاؤه اذا كان نفيا لم يمكنهم ان يقولوا ذلك الا من بعد ان يكابروا فيدعوا انهم
اذا سمعوا الرجل يقول خرج زيد علموا علما لا يشك معه وجود الخروج من زيد وكيف
يدعى ذلك وهو يقتضي ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا وان لا يجوز فيه
ان يقع على خلاف المخبر عنه وان يكون العقلاء قد غلطوا حين جعلوا من خاص
وصفه انه يحتمل الصدق والكذب وان يكون الذي قالوه في اخبار الاحاد و
اخبار التواتر من ان العلم يقع بالتواتر دون الاحاد سهوا منهم ويقتضي المعنى
عن المعجزة لانه انما احتيج اليها ليحصل العلم بكون الخبر على وفق المخبر عنه فاذا كان
لا يكون الا على وفق المخبر عنه لم يبق الحاجة الى دليل يدل على كونه كذلك فاعرفه
واعلم انه انما لزمهم ما قلناه من ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا من حيث انه
اذا كان معنى الخبر عندهم اذا كان اثباتا انه لفظ موضوع ليدل على وجود المعنى
المخبر به من المخبر عنه او غيره وجب ان يكون كذلك ابدا وان لا يصح ان يقال ضرب
زيد الا كان الضرب قد وجد من زيد وكذلك يجب في النفي ان لا يصح ان يقال ما ضرب
زيد الا اذا كان الضرب لم يوجد منه لانه لا يجوز ان يقع ضرب زيد من غير ان يكون
قد كان منه ضرب يوجب على اصلهم اخلاء اللفظ من معناه الذي وضع ليدل عليه
وذلك مما لا يشك في فساده ولا يلزمنا ذلك على اصلنا لان معنى اللفظ عندنا
هو الحكم بوجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او عنه اذا كان الخبر اثباتا والحكم بعدمه
اذا كان نفيا واللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ولا يخلو منه وذلك انا نقول ضرب
وما ضرب يدل من قول الكاذب على نفس ما يدل عليه من قول الصادق لانا

انه نعلم انه لم يخل من ان يزعم ان الكاذب يخلي اللفظ من المعنى او يزعم انه يجعل للفظ
معنى غير ما وضع له وكلاهما باطل ومعلوم انه لا يزال يجري في كلام العقلاء في وصف
الكاذب انه يثبت ما ليس بثابت وينفي ما ليس بمنتفي والقول بما قالوه يؤدي الى
ان يكون العقلاء قد قالوا المحال من حيث يجب على اصلهم ان يكونوا قد قالوا ان الكاذب
يدل على وجود ما ليس بموجود وعلى علم ما ليس بمعلوم وكفى بهذا تهافتا
وخطلا ودخولا في الفحش من القول واذا اعتبرنا اصلنا كان تفسيره ان الكاذب
يحكم بالوجود فيما ليس بموجود وبالعلم فيما ليس بمعلوم وهذا اسد كلام
واحسنه والدليل على ان اللفظ من قول الكاذب يدل على نفس ما يدل عليه من
قول الصادق انهم جعلوا خاص وصف الخبر انه يحتمل الصدق والكذب
فلولا ان حقيقته فيهما حقيقة واحدة لما كان لحكمهم هذا معنى ولا يجوز ان
يقال ان الكاذب يأتي بالعبارة على خلاف المعبر عنه لان ذلك انما يتصور ممن اراد شيئا
ثم اتى بلفظ لا يصلح للذي اراد ولا يمكننا ان نزعم في الكاذب انه اراد امرا ثم اتى
بعبارة لا تصلح لما اراد ومما ينبغي ان يحصل في هذا الباب انهم قد اصلوا في المفعول
وكل ما زاد على جزئي الجملة انه يكون زيادة في الفائدة وقد يتخيل الى من ينظر الى
ظاهر هذا من كلامهم انهم ارادوا بذلك انك تضم بما تزيده على جزئي الجملة فائدة
الى اخرى وذلك محال لانه لا يتصور في زيد من قولك ضربت زيدا ان يكون شيئا
برأسه حتى يكون بتعديتك ضربت اليه قد ضممت فائدة الى اخرى فاذا كان
ذلك كذلك وجب ان نعلم ان الحقيقة في هذا ان الكلام يخرج بذكر المفعول
الى معنى غير الذي كان وان يعرف ان الفعل قد عدي الى مفعول معين وعلق اطلاقه فلم
يقصد به الى مفعول دون مفعول فهذا كالاسم المخصص بالصفة مع الاسم المشترك
على اشياء كقولك جاءني رجل ظريف مع قولك جاءني رجل فانك لست في
ذلك تضم معنى الى معنى وفائدة الى فائدة ولكنك تريد ههنا شيئا اخر
فاذا قلت ضربت زيدا كان المعنى غيره اذا قلت ضربت ولم تقصد الى مضروب
مخصوص واذا قلت ضربت زيدا بالسوط كان المعنى غيره اذا قلت ضربت زيدا
ولم تزد وهكذا يكون الغرض كلما زدت شيئا وجدت المعنى قد صار غير
الذي كان ومن اجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد اذا اتى به مطلقا في الشرط
ومعدى الى شي في الجزاء كقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله عز وجل
واذا بطشتم بطشتم جبارين مع العلم بان الشرط ينبغي ان يكون غير الجزاء من حيث
كان الشرط سببا والجزاء مسببا وانه محال ان يكون الشي سببا لنفسه فلولا ان المعنى

في احسنتم الثانية غير المعنى في الاول وانها في حكم فعل ثان لما ساغ ذلك كما لا يسوغ
ان يقول قمت قمت وان خرجت خرجت ومثله من الكلام قوله المرء باصغريه ان قال
قال ببيان وان صال صال بجنان ويجري ذلك مجرى الفعلين قد عديا جميعا لان الثاني
منهما قد تعدى الى شي زايد على ما تعدى اليه الاول ومثاله قولك ان اتاك زيد
اتاك لحاجة وهو اصل كبير وعليه ادلة كثيرة ومن اولاها بان تحفظ انك ترى
البيت قد استحسنه الناس وقضوا لقائله بالفضل فيه وبانه الذي غاص على
معناه بفكره ثم لا ترى في ذلك الحسن وتلك الغرابة كانا لما بناه على الجملة دون
نفس الجملة ومثال ذلك قول الفرزدق وما حملت ام امرئ في ضلوعها اعق
من الجاني عليها هجائيا فلولا ان معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئا غير الذي كان
ويتغير في ذاته لكان محالا ان يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية وان يكون معناه
خاصا بالفرزدق وان يقضى له بالسبق اليه اذ ليس في الجملة التي بني عليها ما يوجب
شيئا من ذلك فاعرفه والنكتة التي يجب ان يراعى في هذا انه لا يبين لك صورة المعنى
الذي هو معنى الفرزدق كذا اعتد لحرف من البيت حتى ان قطعت عنه قوله
هجائيا بل الياء التي هي ضمير الفرزدق لم يكن الذي تعقله منه مما اراده الفرزدق
بسبيل لان غرضه تهويل امر هجائه والتحذير منه وان من عرض له كان قد عرضها
لاعظم ما يكون من الشر وكذلك حكم نظايره من الشعر فاذا نظرت الى قول العتابي
فهي سبيله من قول يصيب به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي وجدتك لا
تحصل على معنى يصح ان يقال انه غرض الشاعر ومعناه له عند قوله ذي الغلة و
يزيدك استبصارا فيما قلناه ان تنظر فيما كان من الشعر جملا قد عطف بعضها
على بعض بالواو كقوله النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم
وذلك لانك ترى الذي تعقله من قوله النشر مسك لا يصير بانضمام قوله و
الوجوه دنانير اليه شيئا غير الذي كان بل تراه باقيا على حاله وكذلك ترى ما
تعقل من قوله والوجوه دنانير لا يتغير بانضمام قوله واطراف الاكف عنم اليه
واذ قد عرفت ما قررناه من ان شان الجملة ان يصير معناها بالبناء عليها شيئا غير
الذي كان وانه يتغير في ذاته فاعلم ان ما كان من الشعر مثل بيت بشار كان مثار
النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي وقول امرئ القيس فقولا لذي يا دوانا و
مايلي لنا ان نجوتنا لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق كان له مزية على مثل بيت
الفرزدق فيما ذكرنا لانك تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى وان لم يكن

معنى يصح ان يقال انه معنى فلان ولا تجد في جملة هذه الابيات ما يصح ان يجعل جملة تؤدي
معنى فضلا عن ان يؤدي معنى يقال انه معنى فلان ذاك لان قوله كان مثار النقع الى
واسيافنا خبر واحد وليل تهاوى كواكبه صلة لليل الذي ما لم تأت به لم يكن
قد استكمل الكلام هكذا سبيل البيتين الاخيرين وقوله كان قلوب الطير رطبا و
يابسا لدى وكرها جزء وقوله العناب والحشف البالي الجزء الثاني وقوله وانا
ولم تلق لنا ان نهجونا جزء وقوله كما البحر الجزء الثاني وقوله مهما تلق في البحر يغرق
وان كان جملة مستانفة لشرطها فانها تعلق بقوله كما البحر فانها لما كانت مبينة
لحال هذا التشبيه صار كانها متعلقة بهذا التشبيه وجرى مجرى ان يقول
كالبحر فانه يلقى فيه شيء الا غرق   واذا ثبت ان الجملة اذا بني عليها
حصل منها ومن الذي بني عليها في الكثير معنى يجب فيه ان ينسب الى واحد
مخصوص فان ذلك يقتضي لا محالة ان يكون الخبر في نفسه معنى هو غير المخبر به والمخبر
عنه ذاك لعلمنا باستحالة ان يكون للمعنى المخبر به نسبة الى المخبر وان يكون المستنبط
والمستخرج والمستعان على تصويره بالفكر فليس يشك عاقل انه محال ان يكون
للمبالغ قوله وما حاتم امرئ في صلوعها نسبة الى الفرزدق وان يكون الفكر منه
كان فيه نفسه وان يكون معناه الذي قيل انه استنبط واستخرج وغاص عليه
وهكذا السبيل ابدا لا يتصور ان يكون للمعنى المخبر به نسبة الى الشاعر وان يبلغ
من امره ان يصير خاصا به خاطر فهو من الدليل القاطع فيه ما بيناه في الكناية و
الاستعارة والتمثيل وشرحناه من ان من شان هذه الاجناس ان توجب الحسن
والمزية وان المعاني تتصور من اجلها بالصور المختلفة وبان العلم في ايجابها
ذلك ثابت في العقول ومركوز في غرائز النفوس وبينا كذلك انه محال
ان يكون المزايا التي تجدها لها حادثة في المعنى المخبر به المثبت او المنفي لعلمنا باستحالة
ان يكون المزية التي تجدها لقولنا هو طويل النجاد على قولنا هو طويل القامة
في الطول والتي تجدها في قولهم هو كثير رماد القدر على قولنا هو كثير القرى
والضيافة واذا كان ذلك محالا ثبت ان المزية والحسن يكونان في اثبات ما يراد
ان يوصف به المذكور والاخبار عنه واذا ثبت ذلك ثبت ان الاثبات معنى لان
حصول المزية والحسن فيما ليس بمعنى محال   وهو آخر دلائل الاعجاز بسم الله
الرحمن الرحيم اعلم ان ههنا اصلا انت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من
جانب وينكر من آخر وهو ان الالفاظ المفردة التي هي اوضاع اللغة لم توضع
لتعرف معانيها في انفسها ولكن لان يضم بعضها الى بعض فيعرف فيما بينها

فوايد وهذا علم شريف واصل عظيم والدليل على ذلك انا ان زعمنا ان الالفاظ التي هي
اوضاع اللغة انما وضعت لتعرف بها معانيها في انفسها ادى ذلك الى ما لا يشك
عاقل في استحالته وهو ان يكونوا قد وضعوا للاجناس الاسماء التي وضعوها
لها لتعرفها بها حتى كانهم لو لم يكونوا قالوا رجل وفرس ودار لما كان يكون
لنا علم بمعانيها حتى لو لم يكونوا قالوا فعل ويفعل لما كنا نعرف الخبر في نفسه و
من اصله ولو لم يكونوا قد قالوا افعل لما كنا نعرف الامر من اصله ولا نجده في نفوسنا
وحتى لو لم يكونوا قد وضعوا الحروف لكنا نجهل معانيها فلا نعقل نفيا ولا نهيا
ولا استفهاما ولا استثناء كيف والمواضعة لا تكون ولا تتصور الا على معلوم فمحال
ان يوضع اسم او غير اسم لغير معلوم ولان المواضعة كالاشارة فكما انك اذا قلت
خذ ذا لم تكن هذه الاشارة لتعرف السامع المشار اليه في نفسه ولكن ليعلم
انه المقصود من بين سائر الاشياء التي تراها وتبصرها كذلك حكم اللفظ مع ما وضع
له ومن هذا الذي يشك انا لم نعرف الرجل والفرس والضرب والقتل الا من اساميها
لو كان لذلك مساغ في العقل لكان ينبغي اذا قيل زيد ان تعرف المسمى بهذا الاسم من
غير ان تكون قد شاهدته او ذكر لك بصفة واذا قلنا في العلم واللغات من مبتداها
الامر انه كان الهاما فان الالهام في ذلك يرجع الى معاني اللغات ولكن الى كون الفاظ
اللغات سمات لتلك المعاني وكونها مرادة بها افلا ترى الى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها
ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين افترى انه قيل
لهم انبئوا باسماء هؤلاء وهم لا يعرفون المشار اليهم بهؤلاء واذ قد عرفت هذه الجملة
فاعلم ان معاني الكلام كلها معان لا تتصور الا فيما بين شيئين والاصل والاول هو الخبر
واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع ومن الثابت في العقول والقائم في
النفوس انه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه لانه ينقسم الى اثبات ونفي والاثبات
يقتضي منفيا ومنفيا عنه فلو حاولت ان تتصور اثبات معنى او نفيه من غير ان يكون
هناك مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم ومن اجل ذلك امتنع
ان يكون لك قصد الى فعل من غير ان تريد اسناده الى شيء وكنت اذا قلت ضرب لم تستطع
ان تريد منه معنى في نفسك من غير ان تريد الخبر به عن شيء مظهر او مقدر وكان لفظك به
اذا انت لم ترد ذلك صوتا تصوته سواء فان اردت ان تستحكم معرفة ذلك في نفسك
فانظر اليك اذا قيل لك ما فعل زيد فقلت خرج هل يتصور ان يقع في خلدك
من خرج معنى من دون ان تنوي فيه ضمير زيد وهل تكون ان انت زعمت انك لم تنو ذلك
الا مخرجا نفسك الى الهذيان وكذلك فانظر اذا قيل لك كيف زيد فقلت صالح
هل يكون لقولك صالح اثر في فكرك من دون ان تنوي زيد هو صالح ام هل يعقل السامع
منه شيئا وهو لا يعتقد ذلك فانه مما لا ينبغي معه لعاقل ان يشك ان الخبر معنى لا يتصور

او اسم واسم كقولنا زيد خارج فليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل وبغير هذا
الدليل وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وامة وحكم يجري عليه الامر في كل لسان ولغة و
اذ قد عرفت انه لا يتصور الخبر الا فيما بين شيئين مخبر به ومخبر عنه فينبغي ان يعلم انه
يحتاج من بعد هذين الى ثالث وذلك انه كما لا يتصور ان يكون ههنا خبر حتى يكون مخبر
به ومخبر عنه كذلك لا يتصور حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته ويعود
التبعة فيه عليه فيكون هو الموصوف بالصدق ان كان صدقا وبالكذب ان كان كذبا
افلا ترى ان من المعلوم ضرورة انه لا يكون اثبات ونفي حتى يكون مثبت وناف يكون
مصدرهما من جهته ويكون هو المزجي لهما والمبرم والناقض فيهما ويكون بهما موافقا
ومخالفا ومصيبا ومخطئا ومحسنا ومسيئا وجملة الامر ان الخبر وجميع معاني الكلام
ينشيها الانسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله و
توصف بانها مقاصد واغراض واعظمها شانا الخبر فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة
ويقع فيها الصناعات العجيبة وفيه يكون المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة
ثم انا اذا نظرنا في المعاني التي تصفها العقلاء بانها معان مستنبطة ولطائف مستخرجة
ويجعلون لها اختصاصا بقائل دون قائل كمثل قولهم في معاني من الشعر انه معنى لم يسبق
اليه فلان وانه الذي فطن له واستخرجه وانه الذي غاص عليه بفكره وانه ابو عذره
لم نجد تلك المعاني في الكلام الاعم شيئا غير الخبر الذي هو اثبات المعنى للشيء ونفيه عنه يدلك
على ذلك انك لا تنظر الى شيء من المعاني الغريبة التي تختص بقائل دون قائل الا وجدت الاصل
فيه والاساس الاثبات والنفي وان اردت في ذلك مثالا فانظر الى بيت الفرزدق وما حملت
ام امرئ في ضلوعها اعق من الجاني عليها هجائيا فانك اذا نظرت لم تشك في ان الاصل
والاساس هو قوله وما حملت ام امرئ وان ما جاوز ذلك من الكلمات الى اخر البيت مستند
ومبني عليه وانك ان رفعته لم تجد لشيء منها بيانا ولا رايت لذكرها معنى بل ترى ذكرك
لها ان ذكرتها هذيانا والسبب الذي من اجله كان كذلك ان من حكم كل ما عدا جزئي الجملة
الفعل والفاعل والمبتدا والخبر ان يكون تخصيصا للمعنى المثبت والمنفي فقوله في ضلوعها
والاثبات ولا ما كان في سبيلهما من الامر به والنهي عنه والاستخبار عنه واذ قد
ثبت ان الخبر وسائر معاني الكلام معان ينشيها الانسان في نفسه ويصرفها في
فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها لبه واعلم ان الفائدة في العلم بها واقعة
من المنشئ لها وصادرة عن القاصد اليها واذا قلت في الفعل انه موضوع للخبر
لم يكن المعنى فيه انه موضوع لان يعلم به الخبر في نفسه وجنسه ومن اصله
وما هو ولكن المعنى انه موضوع حتى اذا ضممته الى اسم عقل منه ومن الاسم الخبر
بالمعنى الذي اشتق ذلك الفعل منه عن مسمى ذلك الاسم واقعا منك ايها المتكلم
هذا اخر دلائل الاعجاز والله تعالى ولي التوفيق

تم بقلم الفقير الحقير
محمد بن الحسا(؟) في شهر
ربيع الاول في سنة ١٠١١

في ملكي وانا الفا(؟) مير لجعل(؟) ابن الشيخ
موسى ابن الشيخ جعفر
ابن شيخ خضر
الجناجي(؟)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي انطق السنة الاقلام باحكام الاحكام وضيق لعشيه الافئدة الاوهام والاوهام واودع خزائن الصدور جواهر الكلام وذللها للالسن الالسنة فانتظمت في انتظام فاسفرت الفصاحة عن وجه كالبدر في التمام واشرفت سماؤها على الشرف فحلب منه في ذروة السنام واشرقت شموسها فخنست نجوم العلوم الخالية منها اذا كانت في الظلام وعظمت حتى عدلت دلايل الرسالة بالهدى ودين الاسلام على ممر الشهور وتطاول الاعوام ومن بلغ حصلها وبذكنها القلوب خلع القبول وتطابق على فضلها براهين المنقول والمعقول وسعى في طلابها اقدام الهمم من الفاضل والمفضول العلم انها في العلوم كالانسان في السواد وانه الطف شيء بها الا الافراد وقد دل على تعظيمها قوله انا افصح من نطق بالضاد فهي المحل الاول والسمال الاغر والطريق الاسل فالمكب عنها خليق بالتكبيرات الاربع والمكب عليها حقيق من المحامد بالمقام الارفع يرعى انفه قلمه ببيان بيانه ويشرف بعث كلمة بلبان لسانه عقوق عليه درايات المحامد وتطرق لديه رؤوس الافاضل الاجلاء للفوايد والفرايد وعلم البيان احد توأميها مدعو باسمها تولد البدايع والغرايب ويهدي المناقب والعجايب ولغموضه ودقة رموزه استولت عليه يد النسيان والخمة فصوت الهمم عن ادراكه ولم اجد من المصنفات فيه الا القليل مع انها مشحونة بالقال والقيل واجمعها كتاب دلايل الاعجاز للامام البحر النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني قدس سره فانه جمع فاوعى وقال فاوعى فلقد ملك صدر العراب بالعسد ويقدم سور المعضلات بالسور المشيد حتى عاد اشمل من النفس واصحب للفهم من العنوان لشهاب القبس في الغلس فجزاه الله خير الجزاء وجعل نصيبه من اوفر الاجر اجزاء انه واسع الخطو كثيرا ما يكون الضبط فقد للتوسط ابدا من الترتيب بهل الناظر ويعنى الناظر وقد سهل الله جمع مقاصده وقواعده وضبط جوامعه وشوارده مع فوايد سمح بها الخاطر وزوايد نقلت من الكتب والدفاتر هذا وان تاليفه وقع في ايام تلاقي مع كثرة العوايق والشواغل فالحمد لله على ما انعم واولى هو احق بالحمد واولى حمدا يملأ الاخرة والاولى واصلي على محمد خاتم انبيائه ومبلغ انبائه وعلى اله واصحابه اعلام الهدى ومصابيح الدجى وائمة التقى صلى الله عليه وعليهم اجمعين صلوة تبلغ قائلها اعلى عليين وتسعفه بدرجات المقربين وقد رتبته على سوابق ومقاصد ولواحق اما السوابق ففي المقدمات وهي ثلث المقدمة الاولى في فضل علم البيان غير خاف على لب الفطن ان العلوم وان تسجلت اساليبها وتفرقت اعاجيبها منتظمة في سلك الشرف مودعة في خزاين العقول الا انه الدر الاصدف ولولا العلم لم يفضل الانسان على غيره من الحيوان ولما كان

الا الصورة المجردة والسلالة ومن ثم دخله الفضة وعظم في تعليم المنتحى فضل المعلوم على الاباء وادخل المعلول في زمرة الابناء وقال القايل من علم الناس ذاك خير اب ذاك ابو الروح لا ابو النطف وفضل بعض على كل علم علم وما في انه مسلح في التحقيق شهير حتى ان ارباب العلوم الى دفع وخفض وابرام ونقض بين مغمور بالهوى مطرود عن محجة الهدى ومظهر خلاف معتقده تكلف في مباحثة اظهار مسلكه دفعا لعار الجهل عن نفسه موهما انه قد نال الفضل بفضله وجنسه وفيما تقع انصاف ويظهر من ناقص اعتراف بما ذاك الا لفرط محبة العلم وايثار النفس بسمات الظلم واما من صفت طينته وطهرت قريحته فهو يذعن لكل علم بفضله غير جاحد لما يستحقه من فضله والعلوم وان شردت عن يد الاحصا وفاقت تنويعها وتفصيلها على يد الحصا وربما للعقلاء اتحاد تخرج من قسمين احدهما علم الالفاظ والاخر علم المعاني وعلم البيان متوغل في ذرى سنامها متوسط عقد نظامها اذ لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي وينظم الدر وينفث السحر ويريك بدايع الزهر ويحمل البدايع من الثمر وبه تنعقد معاقد النثر والنظم ولاجله يفصل المعضلات عند النزاع في الحكم ومن ثم لم تجد علما اتى من الظلم ما لقيه وغشيه من الحيف ما غشيه لا يقوم بدا لاجتهاد ولا تعظم الا الافراد حسادك حيث داوم احسن منهم والبدر يحسده النجوم اذا بدا

المقدمة الثانية في بيان حصر مواقع الغلط في اللفظ اعلم ان مدار ذلك على ثلثة امور الجهل بالالفاظ الافرادية او الاعرابية او مواقع التركيبية اذ الامر في موضوع اللفظ اللغوي وموضوع ما عرض له من علم الاعراب وما عرض له من التركيب عرف اللفظ من جميع وجوهه فاستحال الغلط اذ ذاك وعلم البيان هو الثالث والذي ينتهي اليه سياق القسمين الاولين فانه عبارة عن توخي معاني النحو في التركيب فالجاهل به لا بد ان ينكب عن القصد الاسنى والطريقة الحسنى علما درايته وحيدا في فنه فصدته وحللت في مستند مولانا وسيدنا الامام العالم العلامة المتقن البارع الورع الذي تحدى باسمه مطايا الامال وحط بفنائه رحال الرجال ذا النفس الطاهر والصفات الباهر والسمات الفاخرة علم المحققين سيد الوري واكهف الفضلاء ذا المناقب والفضايل تحوز قصب سبق الاوايل كال الملة والدين ابا الحسن علي الاميني فانه جمع اصناف العلم بعد ما كانت اشتاتا واحيا دريسها بعد ما فات رفاتا فحصل من حصله سعد على اسعاد ومن حمله على ايجاد وحظي بشرف الانساب وعلو الاسناد فان المضاف ابدا يكتسي احكام المضاف اليه ويحوز غرايب التعريف عليه ادامه الله في الدارين نعمه كما رقى في ثنا خيل الحروف همته وابرح لاهل الفضل حوزا كما لم يزل للعافين كنزا وعزا ما اتقى ما رقع المغارب والمشارق بمجد واله الطيبين الطاهرين

٢ صادق

المقدمة الثالثة في طريق تحصيله وذلك بإتقان جمل من علمي اللغة والإعراب فإنهما مرقاة إليه
ومتعلقاته يبين بهما ولعل شأوه يقصر عن الفهم ويبعد عن أن تخيله الوهم وهذا
الكتاب يتضمن قوانينه التي منها اقتباسه وعليها بناء أساسه وسأوضح ذلك بالأمثلة
وأشير إلى فائدة المشكل حتى يظهر للأذهان ظهور المرئي في العيان والله سبحانه ولي
الإسعاد والتوفيق والإرشاد بمنه وكرمه وقد سميته كتاب التبيان في علم البيان المطلع
على إعجاز القرآن وأما المقاصد فنجمعها ثلاثة أركان الركن الأول في الدلالات الإفرادية
المقصود منها في هذا القسم بيان ما يتعلق بالغرض في هذا الفن وفيه أبواب ثلاثة
الباب الأول في الحقيقة والمجاز فمقول اللفظ إما أن يراد به ظاهره في ذلك الاصطلاح
وهو الحقيقة كالأسد إذا أريد به الحيوان المفترس أو غير ظاهره وهو المجاز ثم المجاز
لا بد أن ينقسم على أقسام ثلاثة الكناية والاستعارة والتمثيل القسم الأول الكناية وهي أن
تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع وتأتي بتاليه وجوداً لتومئ إليه وتجعله
شاهداً له ودليلاً عليه مثاله فلان كثير رماد القدر والمراد كثرة القرى وطويل النجاد
والمراد طول قامته فهذه الكناية أبلغ من التصريح وسره أن ذكر الحكم بدليله وشاهده
أوقع منه مجرداً عن الشاهد فإذا ذكرت كثرة رماد القدر فقد ذكرت دليل الكرم
وإذا ذكرت طول الحمائل فقد ذكرت ما لا يكون إلا مع طول القامة إشارة ليست الكناية
منحصرة في هذا المذهب بل قد يجيء على وجه آخر وهو أن يأتوا بالمراد منسوباً إلى أمر
يشتمل عليه من هو له حقيقة كقول زياد الأعجم ؛ إن السماحة والمروءة والندى في قبة
ضربت على ابن الحشرج ؛ أراد أن يقول إن السماحة والمروءة والندى مجموعة في
ابن الحشرج أو مقصورة عليه أو مختصة به فجعل كونها في القبة المضروبة عليه كناية
عن كونها فيه من الصنعة نظير النوع المتقدم ومثله ؛ وما يك فيّ من عيب فإني
جبان الكلب مهزول الفصيل ؛ كنى عن كرم نفسه وكثرة القرى والضيافة بجبن الكلب
وهزال الفصيل ولو صرح لقال قد عرفت أن جنابي مألوف وكلبي مؤدب لا يهر في وجه
من يغشاني من الأضياف وأني أنحر [illegible] فصالها هزلى ونظيره قول الأعجم قولا
لابن الحكم مدح بها يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج ؛
أصبح في قيدك السماحة والمجد وفضل الصلاح والحسب ؛ ونظيره الثاني قول
نصيب لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن ظاهره ؛ فبابك أسهل أبوابهم ودارك
ما هولة عامر وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائرة ؛ وهذا قريب
من قول الآخر ؛ يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجم ؛
وقريب من الطراز الأول قولهم المجد بين ثوبيه والكرم في برديه ومنه قول أبي
نواس ؛ فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير ؛

توصل إلى إثبات الصفة للممدوح بإثباتها في مكانه وإلى لزومها له كانت قواعد في الغرابة
أدخل قول حسان ؛ وقول البحتري ؛ أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم
لم يتحول ؛ وأما قول البحتري أيضاً ؛ طلبنا لعود المجد من وعلك الذي وجدت
وقلنا اتفق عضو من المجد ؛ فليس نظيراً بسبب زياد وإن كانا من باب الكناية جميعاً
كما أن جبان الكلب ليس نظيراً مهزول الفصيل وإن كانا من بيت واحد ومن نادر ذلك
قول أبي تمام ؛ أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد
ودونه قول الآخر ؛ متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم ؛ وقد جاء
منه نوع غريب مثاله قول بعضهم في البرامكة ؛ سألت الندى والجود ما لي أراكما تبدلتما
ذلاً بعز مؤبد ؛ وما بال ركن المجد أمسى مهدماً فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد ؛ فقالا أقمنا كي نعزى
بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد ؛ وليس لشعب هذا الأصل غاية ينتهي إليها فعليك
أن تجعل فكرك في كل مثال يطرأ لك كنوز المطالب القسم الثاني الاستعارة وهو ضربان
الضرب الأول أن يطلق اسم المشبه به على المشبه من غير أداة التشبيه كقولك رأيت أسداً
وأنت تريد إنساناً كالأسد في شجاعته فقد جعلت الشيء الشيء وليس به الضرب الثاني
أن تجعل الشيء للشيء وليس له نحو قوله ؛ إذا أصبحت بيد الشمال زمامها ؛ فهذا
يدعي أن للشمال يداً وأن للسحاب زماماً فإن قلت قولك رأيت أسداً كقولك زيد أسد
قلت لا ألا ترى أن الأول قد نزل منزلة الشيء الثابت الذي لم يبق له حاجة إلى الأخذ
في إثباته وأن الثاني بعكسه فظهر أن الأول أقعد في المعنى الاستعاري من الأول وهذه
أن المراد ذات الأسد بخلاف الثاني فإنه في حقيقة إنسان ادعى أنها حقيقة أسد
فإن قلت أتجعل الثاني في إجراء التشبيه أولى قلت لا بل قولك إن لقيته لقيت به أسداً أو لقيك منه
منه الثاني للأسد مثل قولك زيد أسد من حيث إنك فيه حقيقة إنسان ادعى أنها
حقيقة أسد والمختار عند محققي علم البيان أن يسمى الضرب الثاني تشبيهاً على وجه
المبالغة لا استعارة ليرد ذنبي قولك زيد أسد وزيد كالأسد إشارة اعلم أن الاستعارة
فائدتها أن توجب حصول ما يستحقه إيجاباً ذاتياً مستحيلاً مع ما ذكرته أن يجري
عنها ألا ترى أن الأسد لو أنه غاب أن يكون شجاعاً ولم ينله ذلك بسبب آخر
ومن بديع الاستعارة النوم يوماً منذ غبت عن بصري نفسي فداؤك ماذا بي فأعذره
؛ أسى وأصبح لا ألقاك واحربا القلب لا يوفي يكون هي القلب ؛ ومنه قول ابن
المعتز ؛ يا حي الأخلاف من تحت مطله فحصم الآمال واليأس في صدري
ومما أنشده الجاحظ ؛ لقد كنت في قوم عليك أشحة بنفسك إلا أن ما طاح طايح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم ولا يدفع الموت النفوس الشحاح . [illegible]

اذا حصف الطرف قولك فلان اسد رايت التجوز في المعنى دون اللفظ حيث اعتقدت
او توهمت ان ذات الرجل ذات الاسد ولذلك قالوا المجاز قد يكون ابلغ من الحقيقة
والبلاغة والزيادة انما تقع في المعنى ومن ثم قيل جعله اسدا وجعل زيدا كما تقول
جعلته اميرا فان قلت لعل جعل بمعنى سمى كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عند
الرحمن اناثا اى سموا والمعنى الثاني يسمى ابدا يكون المراد به اللفظ دون المعنى كقولك
سميت ولدي عبد الله اى سميته بهذا اللفظ قلت بل المراد انهم اثبتوا الملائكة صفة
الانوثة واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم اطلاق اسم البنات
لا انهم ذموا الاطلاق لفظ البنات على الملائكة من غير اعتقاد معنى الانوثة فيهم ولذلك
قال اشهدوا خلقهم **اشارة** كلما ازداد التشبيه خفاء ازدادت الاستعارة حسنا
حتى انك لتراها اغرب ما يكون اذا كان الكلام قد الف تاليفا لو اردت ان تفصح فيه
بالتشبيه خرجت الى ما يلفظه السمع وتعافه النفس ومثاله قول ابن المعتز ؎
اثمرت اغصان راحته لجناة الحسن عنابا ولو قلت اثمرت اصابع يده التي هي كالاغصان
لطالب الحسن شبيه العناب من اطرافها المخضوبة لم يخف عليك غثاثته القسم الثالث
القسم الثالث التمثيل هذا انما يكون مجازا اذا جاء على حد الاستعارة ومثاله قولك للمتحير
فلان يقدم رجلا ويؤخر اخرى ولو قلت انه في تحيره كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى
لم يكن من باب المجاز وكذلك قولك لمن اخذ في عمل لا يحصل البعيد اراك تنفخ في غير
ضرم وتخط على الماء والمراد انك تعمل هذا ومنه ما زال يفتل الذروة والغارب
حتى بلغ منه مراده والمعنى انه لم يزل يرفق بصاحبه رجما حاله فيه حال الرجل
يجيء الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يستأنس **تنبيه**
ينبغي ان يعلم انه يعرض في مثل هذه المراتب تفاوت شديد لا يدخل تحت الضبط لما
تعرض في ضبطها دون بعض مع انه راجعها الى قسم واحد كما تراه في قوله ؎
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباطح ؎ وقوله سالت عليه
شعاب الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير ؎ فلا والمراد انها سارت سيرا
شديدا في غاية سرعة مع لين وسلاسة حتى صارت كانها سيول وقعت في الاباطح فجرت
وهذه اللفظة وان كانت بعينها في البيت الثاني وان مراده اسراعهم الى نصرته وانه اذا دعاهم
ازدحموا حواليه حتى صاروا كسيول الحي من كل جانب فلسنا نداوه لا دون الاولى
وذلك لما عرض من نسبة السيول الى الاعناق المشعرة لاخذه في الطول التي بصور
ما جاء فيها من الاضطراب بحركة السير ما يقربها من الماء المضطرب ويحسن هذا التشبيه
الواضح ان نسبة السيل اليها بخلاف الثاني فانه نسب فيه السيل الى الوجوه التي
انبهت الماء في صفائه الذي ليس يلازم له كيف وقد شبهها بالدنانير لشدة حمرتها و

اثرها

واشراقها واستدادتها وكان ذلك ملازم الماء وهيئة الرقة في تحقيق الاسراع الذي
يشبه سرعة السيل لكن في خصوصية افادها بان جعل الفعل للاباطح ثم عداه
بالباء ثم ذكر الاعناق المستطيلة ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي في الاباطح لم يكن
شيئا والغرابة في الثاني بتعديته بعلى والباء وبان جعل الفعل لشعاب الحي ومن
غريب الاستعارة وشريفها ان تجمع بين عدة استعارات وتقصد ان تلحق الشكل
بشكله وان يتم المعنى والشبه المراد كقول امرئ القيس ؎ فقلت له لما تمطى بصلبه
واردف اعجازا وناء بكلكل ؎ فانظر كيف جعل لليل صلبا قد تمطى به وثنى
بذكر الاعجاز التي هي ردف الصلب وثلث بالكلكل الذي عليه يعتمد البعير اذا برك
فاستوفى لليل جملة اركان البعير حتى خيل انه على صورته ومراده تمادي الليل في
الطول **تنبيه** لا يعزب عن فهمك انك اذا كسبت المستعار حروف التشبيه فقد خلعت
عنه ثوب الاستعارة كقولك فلان كالاسد فان قلت ايهما ابلغ معنى قلت الاستعارة
لادعائك انه اسد بعينه ان يكون الشجاعة ههنا غير منفكة عنها لان الشجاعة حصلت
لمعنى عارض لم يرد هذا الجنس ومن الفائق الرائق ان يشبه شيئين بشيئين
كبيت امرئ القيس ؎ كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف
البالي ؎ وكبيت الفرزدق ؎ والشيب ينهض في الشباب كانه ليل يصيح بجانبيه
نهار ؎ واحسن الثلاثة منه قول بشار ؎ كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا
ليل تهاوى كواكبه ؎ فما احسن ما مزج ظلمة الغبار في الجو بالسيوف حتى صار كانه
ليل تنكدر الكواكب في سمائه ومما وقع فيه المزج بين شيئين بشيئين تعلقا
ايضا قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا شبهوا
في حفظهم التورية ودرسهم لها مع تركهم العمل باحكامها بحمار حمل كتب العلم
من جهله بما فيها الا الثقل ونحوه قول القائل ؎ زوامل للاشعار لا علم عنده
بجيدها الا كعلم الاباعر ؎ لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باوساقه او راح ما في الغرائر
الباب الثاني في الفرق بين الاثبات بالاسم والفعل والمعرفة والنكرة وفيه فصلان
الفصل الاول في الفرق بين الاثبات بالاسم والفعل اعلم انك تتوهم من قول ائمة العربية
ان منطلق في قولك زيد منطلق بمنزلة ينطلق ان ذلك حكم على المعنى على وجه التحقيق
اذ يلزم ان يكون الفعل اسما وان يكون حكمهما ابدا واحدا سيان ما هو الاصل في الخبر
وان يوضحوا ذلك بنوع من التقريب واذا امعنت النظر وجدت الاسم موضوعا على
ان يثبت به المعنى للشيء من غير ان يقتضي تجدده شيئا بعد شيء مثل صفة له
كانه سوى الطول والقصر في قولك زيد طويل او قصير بخلاف ما اذا اخبرت بالفعل
فانه يشعر بالتجدد في انه يقع جزءا جزءا وان اردت شاهدا على ذلك فتامل هو ابيت

لا بالف الدرهم المضروب جرسها الامير عليها وهو منطلق فجاء بالاسم ولو اتى بالفعل
لم يحسن هذا الحسن ومما يصح فيه امتناع الفعل قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد فان يبسط ذراعيه لا يؤدي هذا الغرض لانه يؤذن بمزاولة الكلب البسط
وانه يحدث له شيئا بعد شيء وباسط اشعر بثبوت الوصف كالشعر به قولك كلبهم
واحد ولو وصفت موضع فلان طويل او قصير يطول او يقصر لما صح فاما مجيء ذلك
في شيء يحققه الزيادة تارة والنقصان اخرى كالنبات مثلا ومنه قوله تعالى هل من
خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لو قيل رازقكم لزال المعنى المراد من تجدد
الرزق ومن ثم قال المخلصون ان سلام على ابراهيم عليه السلام ابلغ من سلام الملائكة
حتى قالوا سلاما قال سلام من جهة ان نصب سلاما انما يتجه على ارادة الفعل الناصب
فان التقدير سلمنا سلاما وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم اذ الفعل يجب
ان يكون وجوده متاخرا عن وجود الفاعل فاستلزم نسبة الفعل الى الفاعل الاستئناف
بذلك بخلاف سلام ابراهيم فانه مستغن عن تقدير الفعل لارتفاعه بالابتداء
فلم يكن مشعرا بما اشعر به حدوث التسليم وتجدده فاقتضى الثبوت على الاطلاق
وما هو ثابت مطلقا ابلغ مما يعرض له الثبوت في بعض الاحوال الفصل الثاني
في الفرق بين المعرفة والنكرة المعرفة ما دل على شيء بعينه والنكرة ما دل على واحد
لا بعينه ثم المعرفة خمسة اقسام واعرفها المضمر ثم العلم ثم اسم الاشارة والموصول ثم المعرف
بلام التعريف ثم المضاف الى واحد منها اضافة معنوية لا بعينه اشارة كان المعارف
متفاوتة في مراتب التعريف تكون تلك النكرات متفاوتة في مراتب التنكير فكل نكرة هي اعم
من غيرها فهي ابهم منه في الوضع ولذلك قضي بان قولنا موجود ابهم من قولنا جوهر
واختلف في لفظ شيء بناء على ان المعدوم شيء او ليس بشيء عند ذلك فان المعدوم شيء
يعني انه يتحقق في ذاته فانه اعم من موجود ومن انكر ذلك منع من اطلاق اسم الشيء
عليه بطريق الحقيقة وسوغه بطريق المجاز ومما يدل على ذلك قوله تعالى وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم فنفى الشيئية في الاية الاولى
واثبتها في الثانية تنبيه الاسم قد يكون له دلالة على امرين فصاعدا فيذكر لقصد الدلالة
على احدهما ويرجع المدلول الاخر تبعا على وجه التبع بيانه ان قولك رجل يدل
على الجنس والوحدة فتارة تطلقه وتريد به الدلالة على الجنسية نحو قولنا رجل خير من امرأة
وتارة تطلقه وتريد به الدلالة على الوحدة كقولك رجل اتاك ام رجلان فانه سؤالك
عن الوحدة دون كونه رجلا ومن هنا ظهر وهم الفخر الرازي في حد المطلق بانه
الدال على الحقيقة من حيث هي هي من غير ان يكون فيه دلالة على شيء من قيود تلك
الحقيقة سلبا كان ذلك القيد او ايجابا وان الصواب ما حققه خطا من جعله [?] بانه

الدال على واحد لا بعينه محتجا بان الوحدة والتعيين قيدان زائدان على الماهية
وهذا صحيح لكن في حد المطلق ولو صح ما قاله لم يتجه فرق بين قولنا اسد واسامة
[illegible] ونحوه الى غير ذلك من اعلام الاجناس ولعسر الفرق صار الى هذا المقال
والذي يتجه فرقا ان هذا اللفظ ان قصد به الحقيقة من حيث هي هي كان معرفة كاسامة
فانه وضع للحيوان المفترس من حيث هو هو وان قصد باللفظ واحد من تلك
الحقيقة فهو النكرة كاسد ولولا هذا لوجب ان يقضى ان جميع النكرات معارف
وهو خلاف المعلوم بالقطع من مجاري كلام العرب اشارة قد يعدل عن التنكير والابهام
الى التعريف والافهام بعجز عنه تعريف العلم ويقصر عن صيغه بيان العلم وذلك كما في
قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة فتنكير حيوة احسن من تعريفها لان الذي
اوجبه للتنكير [illegible] عرض الحي ولا يسلم حرصه على اصل الحيوة بل على الازدياد
منها والمعنى على انهم احرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على ان يزدادوا حيوة
الى حياتهم ونظيره قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة لان الانسان اذا علم انه اذا
قتل قتل ارتدع عن القتل فسلم هو وصاحبه فصار حيوة هذا المفهوم يحصل في
المستقبل مستفادة بالقصاص واذا كان المعنى على وجود حيوة في المستقبل مضمومة
الى الحيوة الاصلية امتنع التعريف لئلا يفضي الى ابهام ان الحيوة من اصلها مستفادة
بالقصاص ومنه قوله تعالى فيه شفاء للناس لانه لا يكون شفاء لجميعهم وهم وتنبيه
لعلك تقول قد اتضح سر التنكير في الاسم فما سره في قوله تعالى سلام على ابراهيم
وسلام عليه يوم ولد وسلام على نوح في العالمين قلت السلام في المواطن الثلاثة
تحية من الله تعالى وسلام ما كاف فيه ومغن عن كل تحية فقليلك لا يقال له قليل
وليس كذلك سلام عيسى في قوله والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا فانه اتى بلام التعريف لكونه [illegible] فان السلام المعرف
اسم من اسماء الله تعالى وفيه تعريض لطلب السلامة وهكذا كل اسم من اسمائه سبحانه بادية
به فانك تتعرض لما اشتق منه ذلك الاسم نحو يا كريم يا رحيم يا غفور لا تقول
ذلك الا وانت طالب للرزق والرحمة والمغفرة منه وليشعر ايضا بعموم التحية واطلاقها
فانها غير مقصورة على المتكلم صدورها اذ المقدر في قولك سلام عليك سلام
مني عليك فظهر ان قولك سلام عليك ليس بمنزلة السلام عليك في افادة هذه
المعاني الثلاثة ومن ثم كان اختتام الصلوة بالسلام المعرف لكونه اسما من اسماء الله تعالى
كما كان افتتاحها باسم من اسمائه ومن نوع حذف اللام من السلام في الخروج من الصلوة
عوضا عن هذه المقاصد ومما يقوى به اثبات لام التعريف في سلام عيسى عليه السلام
انه لا يستقيم ان يطلب السلامة من نفسه لنفسه اذ قد ثبت ان المنكر في تقدير سلام

سيء عليك وفيه ايضاً اعراض عن ذكر ما سواه وابطال الطلب منه معنى السلام وهي من
اهم مقاصدك ومن ثم بالغ في طلبها بالعطف فقال يوم ولدت ويوم اموت و
يوم ابعث حيا فان قلت لم حذفت في ابتداء التسليم واثبت في جوابه قلت لان
التحية شرعت لدفع الوحشة وتحصيل الانس بين المتلاقيين فكانت النعمة العظمى
اعلام المخاطب بحصول السلامة منه والمحيي في حكم الداعي للمسلم على ذلك والواو تدل
تحية عليه فتعين الاتيان باللام ليشعر بحصول التحية السابقة ويومي العقد بالرفق
اسم اسرتم وليس ببعيد ان يكون اللفظ مقصودا به معنى ويومي به الى معنى آخر
ولذلك لحصول الصور ارتج في الدعاء بكاد يقع بعدها الفعل الماضي لاذا
اريد به الدعاء كقولهم لا خيبه الله ولا عز فلان لتحقق ابين الشاو الاجابة
حتى كانها تحققت في الوجود وصارت من قبيل ما يخبر به ويوقع الدعاء في
لفظ واحد ليعلم الداعي السامع انه مخبر ومن ثم لا تقول اعزك الله وابقاك
الا اذا كنت بحضرة من تجمع ذلك **اشارة** اسماء الاجناس تنوع بالصفة فيصير
كل نوع كالجنس المستقل عن الآخر كقولك رجل طويل ورجل قصير وكذلك
المصادر كالعلم والضرب والقيام كثير سريع او بطيء ولا اضافة كالصفة في ذلك
فالضرب بالسيف غير الضرب بالسوط فهما نوعان مخصوصان ومنه قول المتنبي
وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الهيجاء غير الطعن في الميدان
فلو لم يتنوع المصدر لما قال الطعن في الهيجاء غير الطعن في الميدان فينزل
ذلك منزلة قولك الطعن غير الطعن وكما يتعدى اليه المصدر نوعه كقولك
ليس اعطاؤك الكثير كاعطائك القليل واعطاؤك سرا كاعطائك جهرا
والاسم المشتق يحل محله في ذلك كقولك الوفي في جميع الى احد والواهب
المائة المصطفاة وكقوله وحاتم الطائي وهاب المئي اي الذي من شانه
ان يهب ذلك **الباب الثاني في مفردات** تخرج عن الضوابط وهي تنقسم ثلاثة اقسام
باقسام الكلمة فمن قسم الاسم لفظ كل وهو صنع لشمول المنسوب اليه كقولك جاءني
القوم كلهم فانه وضع ان يكون يتجوز في نسبة المجيء الى جميع القوم مع ان الجائي
بعضهم لكون المتخلف عنهم واحدا او اثنين او لكون المتخلفين لا يعتد بهم
لخذاء او دناءة او شجاعة او نحو ذلك وان كثر عددهم او انك نسبت المجيء
الى جميعهم لصدوره من بعضهم وان كان واحدا كما في قوله تعالى فعقروا الناقة
والعاقر لها من قوم صالح فذا دوا ذلك لتنزيلهم منزلة الشخص الواحد في
الوضع بالفعل الذي فعله او في اسناد الفاعل او ملابسته وان كان على بعد
كما في قوله تعالى ثم اتخذتم العجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن من قبل قوم في بعضهم

ذلك

ذلك وان كان منهم المخاطب في غاية البعد **اشارة** كل مع النفي حاله لا يكون مع الاثبات قلت
وذلك لان النفي اذا دخل على كلام فيه تقييد توجه النفي الى ذلك التقييد كما اذا
جاء القوم مجتمعين وقد المخاطب لم ياتوك مجتمعين كان نفيه متوجها الى
الاجتماع دون الاتيان حتى لو اراد ان ينفي الاثبات من اصله كان من شانه ان يقول
انهم لم ياتوك اصلا واذا ثبت ذلك فالتاكيد ضرب من التقييد فيكون النفي متوجها
نحوه كما اذا قلت لم ياتني القوم كلهم او لم ادرك القوم واذا كان النفي يتبع على كل
خصوصا في واجب فاذا قلت لم ياتني القوم كلهم او لم ياتني كل القوم ان يكون قد اتاك
بعضهم كما يجب اذا قلت لم ياتني القوم مجتمعين ان يكونوا قد اتوك اشتاتا ولغايل
ان يقول الاثبات في ذلك كالنفي فانك اذا قلت جاءني القوم كلهم كان فائدة خبرك
شمول المجيء لهم كالاخبار بوجود المجيء وكان غرضك كما ان الذي لا تعرض له النزاع
وكذلك كل كلام فيه امر زائد على مجرد اثبات المعنى للشيء فهو الغرض الخاص من
ذلك كقولك جاءني زيد راكبا فان الغرض الخاص اثبات المجيء لا الركوب لا اثبات
المجيء مطلقا **تنبيه** كما صح في النفي انك اذا قلت لم ياتني القوم كلهم على معنى ان
النفي ليس بشامل افهم مثله في النهي اذا قلت لا يضرب القوم كلهم ولا يضرب الرجلين
كليهما ومن ثم قالوا لا تضربهما معا ولكن اضرب احدهما ولا باحدهما جميعا و
لكن احدهما ومنه قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي علي
ذنبا كله لم اصنع ما يخفى بصدده وليس بذلك لم يضطر اليه بصحيح المعنى فان
النصب يمنعه من المعنى الذي اراده وذلك انه اذا اراد انها تدعي عليه ذنبا لم يصنع
منه شيئا البتة فالرفع يعطيه ذلك والنصب يوذن بانه قد صنع بعضه على ما تقدم
من الامثلة ويشهد للرفع قوله فكيف وكل ليس يعدو حمامه وما لامرئ عما قضى
الله مرحل ولو قلت وكيف وليس يعدو كل حمامه لا فسد المعنى بتاخيرك
كلا وكنت مورد الان تعجز الناس يسلم من الحمام ونحوه وقول دعبل
الفاحم الجعد والله لا ادري باي شهابي مجتمعي وكل عندها ليس بالمكلل
ابا الحلم محرى الوشاح والني على عينيها مع الفاحم الجعد المعنى على نفي ان
يكون في شيء منهما اصلا ومن البين في ذلك ما جاء في حديث ذي
اليدين حين قال للنبي صلعم اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال عليه السلام
كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بعض ذلك قد كان فالمعنى على ان النبي صلعم
نفى ان يكون واحد منهما ولو قال لم يكن كل ذلك لكان المعنى على انه قد كان
بعضه ومن اجل ذلك امتنع ان تقول كلهم لم ياتني ولكن اتاني بعضهم وكل
ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك لافضائه الى التناقض **اشارة** ليس الهاتني

لا اعمال الفعل وتركه في الحقيقة وانما هو لدخول كلا في خبر النفي والا لم يدخل غير
وانما علق الحكم فيما مضى على اعمال الفعل وتركه اعماله من حيث كان اعماله فيه يقتضي
دخوله في خبر النفي وترك اعماله يوجب خروجه منه ومن حيث كان الحرف النافي
في البيت حرفا لا ينفصل عن الفعل وهو لم ويحقق لك انك لو جئت بحرف نفي
يتصور انفصاله عن الفعل لرأيت المعنى كل مع ترك اعمال الفعل مثله مع اعماله
ومثال ذلك قوله ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقول الآخر ما كل راي الفتى
يدعو الى الرشد كلا كما ترى غير محل فيها الفعل ومرفوعه اما بالابتداء او بما ثم
المعنى على ما اذا اعملت الفعل سواء فقلت ما يدرك المرء كل ما يتمناه وما يدعو كل
راي الفتى الى الرشد ولو قدمت كلا فقلت كلما يتمنى الفتى لا يدركه لتغير المعنى
وصار بمنزلة ان المرء لا يدرك شيئا مما يتمناه وذلك ان حرف النفي اذا تقدم على
كل لفظا او تقديرا فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل واذا لم يكن حرف النفي
داخلا على كل كان المعنى على تسلط النفي على الفعل عن كل ... اذا ابدأت كلا بكل
كنت قدمته على النفي وسلطت الكلية على النفي واعملتها فيه واعمال الكلية في النفي
تقتضي ان لا يشذ شيء عن النفي ... وعكسه ولذا لفات خفايا ... يكل عنها
هذا الضبط حتى ... تراها سوى للعالم النحرير ثم ... يعرض له الخطا في
اشكاله لفرط الغموض ومن ثم الاسم لفظ هذا فانه يرد مشارا به الى كلام سابق لقصد
تحقيقه وقد يجيء بعده ... ومنه قوله في المثل ... وجاله قل
... لما هو ... هذا وما ... الالباب ... اى هذه حالات
ولم تقع في ... وقد كلفتك ... وتصحب الجمل التي بعده ان كثيرا
ليكون القصد الثانية موكدة كالجملة السابقة كقوله تعم هذا ذكر وان للمتقين
لحسن مآب اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما قص ذكر ايوب واسماعيل
واليسع وذي الكفل ... باسم الاشارة كما تقول لولدك اثر عليك
بكيت وكيت ثم تقول بعد ذلك هذا الذي عندي والامر اليك فيما ترى وقد يجي
خبره كما في سياق هذه الآية جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب ... هذا وان للطاغين لشر مآب اى هذا ...
وذكر ... هذا محقق والجملة التي بعده في الاسرائيليات في موضع الحال
بل خروج من قصة الى قصة ومن ثم الاسم قولك اللهم ... الكلام على لفظها
مذكور في علم الاعراب والمقصود بها ... تم ... على حقيقتها
على حفظ ... المذكور ... بدلها ... لما بعده ما تستخدم العارلين كقولك
انالا نقطع عن ... ربك اللهم الا ان ... على ... اللهم

الا ان يكون سوى ذلك وفي كلام الحريري وما مثل المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره
الا المحصل المعنى وعسى كل ... الذي يعنى اللهم الا ان ... بالجوع ويكون الرد
المجموع فانت تراه لا يكاد يفارق حرف الاستثناء ومن ثم الفعل لفظ كاد روى عن
... انه ... ذو الرمة الكوفة فوقف يستنشد الناس قصيدته الحاسة التي فيها
هي البرء والاسقام والهم والمنى وموت الهوى في القلب منى المبرح وكان
الهوى بالنأي يمحي ويمحي وحب ... ويبرح اذا غير النأي المحبين
لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح فلما انتهى الى هذا البيت ناداه ابن شبرمة
اراه قد برح قال فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر ثم قال اذا غير النأي المحبين
لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فلما انصرفت حدثت ابي فقال
اخطأ ابن شبرمة حين انكر على ذي الرمة ما انكر واخطأ ذو الرمة حين غير شعره
لقول ابن شبرمة انما هذا كقول الله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده
لم يكد يراها وانما هو لم يرها ولم يكد واعلم ان سبب الشبهة في
ذلك انه قد جرى في العرف ان يقال ما كاد يفعل ولم يكد يفعل في فعل قد فعل
على معنى انه لم يفعل الا بعد الجهد كقوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون بمعنى
هنا وهم ابن شبرمة في زعمه ان الهوى قد برح وظن ذو الرمة مثل ذلك وانما هو
في الحقيقة على نفي المقاربة فان كاد موضوعة للدلالة على قرب الوجود من الحال
ان يكون نفيها موجبا وجود الفعل ومن ثم الحرف حرف الاثبات وهو ان والمثال
قول بعض العرب فعنها ... اذا الابل الحلال انه كره ان
رابط بين الجملتين حتى كان الجملتين قد افرغتا في قالب واحد ولو انك اثبت بالفاء
فقلت فعل ... الا ... عليه في التنزيل يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ويا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن
المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وقوله ولا تخاطبني في
الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يكرر قوله عز اسمه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وهي من الاحصاء على ما احل تنبيه
لها من الكتاب ان يكون ضمير الشان الذي يجري عنها اذا هو فارق طلبها كقوله عز
من قائل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين في قوله فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقد اجاز الاخفش ان يكون الضمير فيها عائد
الى الابصار ويكون من قبيل الاضمار قبل الذكر على شريطة التفسير ومع ذلك فان
على حالها من اعطائها المعنى المذكور ثم تنبيه لا ... يعود ... ضمير الشان

بحيث اغناها مع ظهور شانه كما في قوله تعالى قل هو الله احد وبعض طرقك عن قصوره
عن مصاحبة الشرط والجزاء الا على الندرة مع ان المعنى قاصر عما لو كان نعم ان اشارة
من خواصها انها تصحح النكرة للحديث عنها كقوله ش ان شواء ونشوة وخبب البازل
الامون ش ولو حذفت ان وقلت شواء ونشوة لم يكن كلاما ولو كانت النكرة موصوفة
ازداد حسنها بدخول ان نحو ش ان دهرا يلف شملي بسعدى لزمان يهم بالاحسان ش
ومن خواصها حسن حذف الخبر معها نحو ان مالا وان ولدا ولو قلت مال وولد
لم يسغ اشارة يصح لك ما قاله ابو العباس في ان زيدا منطلق انه جواب عن
سوال السائل في جواب القسم وفي التنزيل قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في
الارض ونحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وان عصوك فقل
اني بريء مما تعملون وقل اني انا النذير المبين وقوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين كانه قيل فاذا قالا لكما ما شأنكما فقولا ذلك تنبيه موقعها الجميل ان يكون
الكلام الذي تدخل عليه مما تردد المخاطب في ثبوته ونفيه اما ما يقطع فيه باحد الامرين
فليس من مظانها ومن ثم تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بعد مثله في الظن او سعى
حرف العادة على خلافه كقول ابي نواس ش عليك باليأس من الناس ان غنا نفسك
في الياس ش فان العادة لزوم الطمع فلذلك احتيج اليها لتأكيد ما يخالف العادة فان
الغنا بكالواقع مع من يحثه وبعثه على الطلب ومن لطيف مواقعها ان تدعي على
المخاطب ظنا لم يظنه ولكنك تتهكم به كقوله ش جاء شقيق عارضا رمحه ان بني
عمك فيهم رماح ش يقول انه يجيء هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل
على اعجابه بشدة بدئه وانه لا يقوم له احد حتى كانه ليس مع احد منا رمح بل ثم
بر فهذا يوهمك انه يشترط ان يكون في السائل ظن ان المسؤول عنه على خلاف جوابك
لا انها تقع في كل جواب ولا تحسن في كل جواب ايضا وانما يحسنها اللام في خبرها اذا كان
الكلام مع المنكر لان الحاجة الى الاثبات معه اشد وشرط الانكار ان يجهله او يظنه
ولا يكفي توهمه وقد تجي للدلالة على ان الظن قد كان منك ايها المتكلم في الذي كان وكنت
تظن ان لا يكون بمصير اداء على نفسك لنفسك الذي ظننت لا ان الظن واقع من المخاطب
كقوله تعالى حكاية عن ام مريم عليها السلم قالت رب اني وضعتها انثى وكذلك قوله تعالى
حكاية عن نوح صلى الله عليه وسلم قال رب ان قومي كذبون فانه كان على طمع ان لا يكون منهم تكذيب
ومن مشهور الحروف انما واما سمي على ما قبلها لان تركيبها احدث لها معنى الحق بالم يكن
قبل التركيب وقد قال ابو علي في الشيرازيات يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ان المعنى ما حرم ربي الا الفواحش قال
واصيب ما يدل على صحة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق ش انا الذائد الحامي الذمار

وانما

وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي ش وقال ابو اسحق الزجاج والذي اختاره في
قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة ان تكون ما هي التي تمنع ان من العمل ويكون المعنى ما
حرم عليكم الا الميتة لان انما تاتي اثباتا لما تذكر بعدها ونفيا لما سواه وقال ابو علي
التقدير في البيت وما يدافع عن احسابهم الا انا او مثلي قال عبد القاهر لم يعنوا
بذلك انها بمنزلة المتراد فيه وبينهما تفاوت انهما لا يكونان سواء انه ليس كل كلام يصلح
فيه ما والا يصلح فيه انما ويوضح لك ذلك قوله تعالى وما من اله الا الله وقولك ما احد
الا هو قال ذلك وكذلك ايضا لا يصلح ما والا في كل كلام يصلح فيه انما كقولك انما هو
درهم لا دينار ولو قلت ما هو الا درهم لا دينار لم يكن شيئا افادة اودع فهمك
ان الاصل في انما ان تجي لخبر لا يجهله المخاطب ولما هو منزل هذه المنزلة ومثال الاول
قولهم انما يعجل من يخشى الفوت وفي التنزيل انما يستجيب الذين يسمعون وانما انت منذر
من يخشاها كل ذلك تذكير بامر معلوم فان كل عاقل يعلم انه لا يكون استجابة الا ممن
يسمع وان الانذار انما يكون اذا كان مع من يصدق بالبعث ومنه قولك انما هو
اخوك وانما هو صاحبك القديم لمن يعرفه ويعلمه غير انك تريد ان تنبهه على ما يجب
من حق الاخوة عليه وحرمة الصحبة ومثال الثاني ش انما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء ش ادعى ان الممدوح بهذه الصفة ثابت له ذلك معلوم
للجماعة على عادة الشعراء في دعواهم ان الصفات التي ذكرت للممدوح مما لا يمكنونها
النزاع كقول البحتري ش لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداه ش ومثله
انما هو اسد وسيف صارم كانك لا تريد مما لا يدفع تنبيه اياك ان تعول على الغفلة
فتجري ذلك على ما والا حيث تقول ما هو الا كذا او ان هو الا كذا بل اذا امكنت ما هو
الا مصيب وما هو الا مخطئ فقلته لمن يدفع ان يكون الامر على ما قلت واذا رايت شخصا
من بعيد فقلت ما هو الا زيد لم تقله الا وصاحبك يتوهم انه ليس بزيد وانه انسان
آخر ولو كان الامر ظاهرا لم تقله بما والا فانه لا يحسن ما هو الا اخوك وانت تذكره
بصلة الرحم ويحسن في انما مصعب شهاب من الله ما والا لانه ليس من المعلوم وانما
الشاعر ادعاه ودعوى ولكن اذا اتيت بما والا خرجت عن المبالغة في المدح من حيث
انك ادعيت انه معلوم لا يخالف فيه احد وهم وتنبيه لا يحققك وهم فيما يتلى عليك
من البيان اذا ورد عليك قوله عز وعلا ان انتم الا بشر مثلنا حيث لم يوت فيه
بانما مع انه من الامور المعلوم ان الانبياء مثلهم في البشرية ولعل سر ذلك انهم جعلوا
الرسل لادعائهم النبوة كانهم اخرجوا انفسهم عن ان يكونوا مثلهم وادعوا امرا لا يجوز
ان يكون لبشر فاخرج اللفظ مخرجه حيث يراد اثبات امر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه
ثم جاء الجواب من الرسل حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم كذلك لانه من شان من ادعى عليه

خصم الخلاف في امر يخالف فيه ان يعدل كلام الخصم على وجهه فكان الرسل قالوا انا لسنا ننكر
ذلك ولكن لا يمنع ذلك ان يكون الله تعالى قد من علينا بالرسالة فان قلت فما الفرق بينه
وبين قوله عم انما انا بشر مثلكم قلت هذا ابتداء كلام امر النبي صلعم ان يبلغه اياهم
وليس بجواب لكلام سابق ... كما كان من العلوم قد جاء بالنفي وذلك لتقدير
معنى صادر في حكم المشكوك فيه كقوله سبحانه وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا
نذير لانه لما قيل وما انت بمسمع من في القبور وهو في تقدير ان يقال للنبي صلى الله عليه
وآله انك لا تستطيع ان تحول قلوبهم عما هي عليه من الاباء وعن ان يوقع الايمان في نفوسهم مع
صدهم عن سماع ما تقوله كان اللائق بهذا ان يجعل حال النبي صلعم حال من ظن انه يملك
ذلك وانه لا يعلم يقينا انه ليس في وسعه اكثر من ان ينذر ويحذر فاخرج اللفظ
هذا المخرج كما تقول للرجل يحاول محالا مالك تتعب نفسك انك لا تستطيع احيا الموتى
ولا يصح ان تقول انما انت تعالج وذلك انك لم تقل له ذلك حتى جعلته بمثابة
من يظن ذلك وطمع ومنه قوله تعالى ان انت الا نذير فان الذي يعلم قبله من
الكلام اقتضى ان يكون اللفظ كالذي تراه من كونه بان والا وهو قوله تعالى
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وهم وتنبيه كما بينت لك ما علمت ان انما تفيد ايجاب
الفعل للشيء ونفيه عن غيره فحتى اذا قلت انما جاءني زيد عرفت ان المراد في انما بمنزلة جاءني
زيد لا عمرو مع انها تفارقها في انها توجب وتنفي دفعة واحدة وان لا امرها ظاهر في
في انما جاءني زيد وليس كذلك مع لا فانك وضعتها على ان تنفي عن الثاني ما وجب للاول
وليست هي المقررة له وليس المراد بانها تنفي عن الثاني ما وجب للاول وان يكون قد
شاركه الاول في الفعل بل تنفي ان يكون الفعل الذي قلت انه قد كان من الاول قد
كان من الثاني دون الاول وهو كلام تقوله مع من يغلط فيمن فعل الفعل فيعتقد
انه زيد مثلا وليس بفاعل ... فاذا قلت جاءني زيد لا عمرو فانت
تحقق انه زيد وليس بعمرو عندك فان ... ذلك مع من يخص المجيء ولكن ظنه
المخاطب من غير من نسبت اليه اولا وانه من نفيت عنه ثانيا واذا عرفت ذلك ... لا
فتأمل فانما فاذا قلت انما جاءني زيد لم يكن غرضك ان تنفي الشك في المجيء الذي
قلت انه كان من زيد عن عمرو فان من شرط هذا الكلام ان يكون مع من يعرف انه
قد وقع المجيء وظن المخاطب انه من غير زيد وانه من عمرو مثلا فان قلت فقد
يقول انما جاءني من بين القوم زيد وحده وانما اتاني من جملتهم عمرو فقط قلت
هذا كالمتكلف فيه ثم ان اعتبار ما قلناه اذا لم تقبل بوحده ونحوها فاذا قيدتها
الحصر بالزيادة فلا يجعل اشارة اذا وقع بعد انما المبتدا والخبر فالمحصور هو الثاني

كما في الفاعل والمفعول مثاله انك تقول انما هذا لك فالمحصور هو المالك للمملوك
ولذلك تقول بعده لا لغيرك ولو قلت انما لك هذا كان الحصر في المشار الذي هو
مملوك ومن ثم تقول بعده لا ذاك فلا اختصاص ابدا يكون لما اذا اخرت بلا العاطفة
كان العطف عليه وفي التنزيل فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وانما السبيل على
الذين يستاذنونك تنبيه يعرض بانما التعريض حتى كانه المقصود ويعرض عن
الدلالة الوضعية كما في قوله تعالى انما يتذكر اولو الالباب المقصود ذم الكفار وان يعرف
انهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى في حكم من ليس بذي عقل وقوله تعالى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب المعنى ان من لم تكن له هذه الخشية كانه ليس له اذن يسمع وقلب
يعقل فالانذار معه كلا انذار وقوله ط ما انت بالنسب الضعيف وانما خلا امرؤ يشوقه
الاسباب فالقوم حاجتنا اليك وانما يرجى الطبيب لساعة الاوصاب تقول في
البيت الاول ينبغي ان يكون الشيخ في امره حيث جعلته السابليه وتقول في الثاني
قد طلبنا الامر من جهته حتى استعنا بك فيما عرض من الحاجة وعولنا على فضلك
كما ان من عول على الطبيب فيما عرض له من السقم كان قد اصاب وطلب الشيء من محله
وعلة حصول التعريض بانما ان الكلام يتضمن النفي عن غير المذكور اشارة قد يظن
ان المعنى يتغير بالحرف الزايد على الجملة نظرا الى اصل الحكم واعراضا عما هو كالمكمل
للمعنى والمحقق له حتى يقع في ذلك المورد على العارف فقد سال الكندي وله
على ابي العباس المبرد فقال له اني اجد في كلام العرب حشوا فقال له ابو العباس
في اي موضع ذلك فقال اجد العرب يقول عبد الله قايم ثم يقولون ان عبد الله قايم
ثم يقولون ان عبد الله لقايم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال ابو العباس
بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله قايم اخبار عن قيامه وقولهم ان
عبد الله قايم جواب عن سوال سايل وقولهم ان عبد الله لقايم جواب عن انكار منكر قيامه
فتكررت الالفاظ لتكرر المعاني قال فما احار الكندي جوابا فخليق ان تتوخى مواضع
الحروف حملا على ان يقع الحرف في غير محله فيذهب عليك مقصودك من المعنى
ومن [illegible] الهمزة ليس يعرب عن فهمك اذا قلت ا انت فعلت كان الشك في الفاعل
من هو وتقول ا انت بنيت هذه الدار فانت غير سائل في بناء الدار انك اشرت اليها
شاهدة بل الشك وقع في بانيها وتقول اقلت شعرا قط فتكون مستفهما عن وجود
شعر منه ولو قلت انت قلت شعرا قط احلت وانما يصح ذلك اذا ذكرت شعرا معينا
كقولك انت قلت هذا الشعر وهم وتنبيه تجنب صواري الوهم ان تحمل مثل قول
الحكم تغيير اذا اريد بالهمزة معنى التقرير كقوله عز وعلا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
فانهم لم يستفهموه عن كسر الاصنام هل كان بل عن الشخص الكاسر لها ومن ثم اجاب بل كر

الفاعل دون الفعل بما انكره القايل في القول كقولك انت قلت هذا الشعر
كلا لست في عداده وقوله تعالى آلله اذن لكم انكار ان يكون من الله اذن كانهم معترفين
لهم بالاذن ثم جعلوا في صورة غالط في نسبة الاذن الى الله تعالى فاذا احق من القايل
اعترف وانزجر ان يدعي اذنا اصلا ونحوه قولك لمن يدعي انا شكره متى كان ذلك
في ليل ام نهار تضع الكلام وضع من سلم ان ذلك قد كان ثم تطالبه ببيان وقته
لتبين كذبه اذا لم يقدر ان يذكر له وقتا هذا كله فيما اذا كان الفعل الواقع بعد الاسم
ماضيا فان كان مضارعا فاما ان يراد به الحال او الاستقبال فان اريد به الحال كقولك
اتفعل وهو في الفعل كان المعنى على انك اردت ان تنبهه على فعل هو يفعله موهما انه لا يعلم
بحقيقة وجوده وان قلت انت تفعل كنت مقررا بانه الفاعل وكان وجود الفعل
ظاهرا لا يحتاج الى الاقرار بانه كاين وان اردت بالمضارع الاستقبال كان المعنى
اذا بدات بالفعل على انك تعمد بالانكار الى الفعل نفسه وتزعم انه لا يكون او انه لا ينبغي ان يكون
ومثال الاول ع ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال ه
فهذا تكذيب منه لانسان تهدده بالقتل وانكار ان يقدر على ذلك ويستطيعه ومثال
الثاني قولك للرجل يركب الخطر اتخرج في هذا الوقت اتذهب في غير الطريق اتغرر بنفسك
اتنسى قديم احسان فلان اتترك صحبتك كما قال ع اتترك ان قلت دراهم خالد زيارته اني اذا للئيم
فان بدات بالاسم فقلت انت تفعل كنت موجها للانكار الى نفس المذكور وابيت
ان يكون محلا يجيء منه الفعل الا ترى انك اذا قلت انت تمنعني انت تاخذ على يدي كانك
قلت غيرك الذي يقدر على ذلك لا انت هذا اذا جعلته عاجزا عن الفعل وقد تريد انه
يجبن عنه ولا يرتضيه مثل ان تقول اهو يسال فلانا هو ارفع همة اهو الذي يمنع الناس
حقوقهم هو اكرم من ذلك وقد يجعله لا يفعله لصغر همته كقولك اهو يسمح بمثل هذا اهو
يرتاح الى الجميل هو اقل رغبة في الخير مما تظن فالحاصل انك اذا بدات بالاسم فقد قصدت
بالانكار الى ذات من قيل انه يفعل فعلا واذا بدات بالفعل وقوله تعالى انلزمكموها
وانتم لها كارهون ليس المعنى على انا لسنا ممن يجيء منه هذا الالزام وان غيرنا يفعله
بل ليس الالزام بما يصادر عنا وحالكم هذه فهذه الحال مانعة من الالزام كما ان في قوله والمشرفي
مضاجعي مانع من القتل تنبيه لعلك تقول ثم قرب الاستفهام من الانكار حتى عبر به
عن الانكار وما ارتباط بينهما حيث خفي عليك ان تحمل المعنى على ان الاستفهام [illegible]
السامع على ان اثبات ذلك منكر محجل عن الجواب وملجئ الى الاعتراف ومقصود
المستفهم انكار ثبوته لا استعلامه فلما كان الانكار لازمه وهو المقصود من سياقه
عبر به عنه بيانه انه قد يدعي القدرة على فعل تضعف قدرته عنه فاذا استفهم عن ذلك
فهو ليدعي اثباته مخافة ان يقال له افعل ان كنت صادقا فيفتضح اذ ذاك وقد يكون سبب

الانكار

الانكار عليه هو بعض ما يستصعب فاذا عوجج فيه مسيء على وجه الخطا فاحجم عن الجواب
وقد يكون سببه ادعاء وجود ما لا يوجد مثله مخافة من اثباته ان يقال له ارناه في
وقت او في حال لا يكون شاهد لك وقد يكون الانكار لتعريف المخاطب ان الفعل
الذي هو فيه لا يجدي النفع وان المدعي حصول المطلوب من هذا الفعل بمثابة
من يدعي الممتنع ومن هذا الضرب قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي فان اسماع
الصم ابدعيه احال المعنى على ان طلب اسماعهم لا يتوجه لانهم بمنزلة الصم والعمي ولما
قدم الاسم في الاية ولم يقل اتسمع الصم اشارة الى الانكار وتوجه نحو ما يظن من انه
انه مختص باسماع من به صمم وانه اوتي القدرة على ذلك وهذا ابلغ من انكار الفعل
وهم وتنبيه عسى ان يحمل ان المفعول قاصر عن الفاعل في لزوم الذكر وفي اقتضاء الفعل له
فيحملك ذلك على توهم قصوره عن الفاعل فيما ذكرنا اذا وليه الهمزة بل يكون الانكار
على طريق الاحالة والمنع من ان يكون بمثابة ان يوقع به مثل ذلك الفعل كما ترى في الفاعل
الفاعل على طريق احالة صدور الفعل منه فاذا قلت ازيدا تضرب كنت منكرا ان يكون
زيد بمثابة من يجترأ عليه بضرب او ان تعامل هذه المعاملة ولهذا المعنى قدم في قوله
تعالى افغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون ونحو ذلك فقيل اتخذ غير الله وليا
واتدعون غير الله لذهب ما فيه من الحماسة والحسن من جهة انه مع التقديم بمثابة
قولك ايكون غير الله بمثابة ان يتخذ وليا وايرضى عاقل من نفسه ان يفعل ذلك ولو
قدمت الفعل كنت منكرا ان يكون الفعل فقط وكذا الكلام في قوله تعالى قالوا ابشرا
منا واحدا نتبعه وذلك انهم بنوا كفرهم على ان من كان بشرا لم يكن بمنزلة ان يتبع
في امره ونهيه وطريقته كما جاء في قوله تعالى ان انتم الا بشر مثلنا وان هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة هذا كله اذا كان الفعل مرادا به المستقبل
فان اريد به الحال كانت الهمزة مرادا بها الانكار كما كانت مع الماضي وعليه قوله تعالى افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ومن قسم الحرف حرف النفي وهو ما اعلم انك اذا وليها
الفعل فقلت ما فعلت كنت نافيا عنك فعلا لم يثبت انه مفعول لكن لذلك اذا قلت
ما فعلت هذا كنت نافيا ان تكون انت القائل له مع اعترافك بوجوده ولكن من غيرك
واذا قلت ما انا ضربت زيدا لم تقله الا وزيد مضروب وكان قصدك ان تنفي ذلك
عن نفسك ومن ثم حسن على الوجه الاول ان يكون النفي عاما كقولك ما قلت شعرا قط
وما رايت اليوم فقيها ولم يصح على الوجه الثاني ان يقال ما انا قلت شعرا قط
وما انا رايت اليوم فقيها لافضائه الى المحال من جهة انه يقتضي ان يكون ثم انسان
قد قال كل شعر في العالم ورأى كل فقيه في اليوم فنفيت ان تكونه ومما يحقق
الفرق بين التقديم والتاخير قوله ع وما انا اسقمت جسمي به ولا انا اضرمت في القلب

نادراً اعترفوا بالشعر ولكن نفى ان يكون هو القائل له في نفسه ونظيره قوله ع وما انا وحدي
قلت الشعر كله **فرعان** احدهما يصح على الوجه الاول ما قلت هذا ولا قاله احد من الناس
ولا يصح على الوجه الثاني ان تقول ما انا قلت هذا ولا قاله احد من الناس لافضائه الى
التناقض وتبين ذلك منزلة قولك لست الضارب زيدا اعتنيت انه قد ضرب ثم تعقبه
بقولك ولا ضربه احد من الناس **الفرع الثاني** يصح على الوجه الاول ان تقول ما ضربت
الا زيدا ولا يصح على الثاني ما انا ضربت الا زيدا لان نقضك النفي بالا يقتضي ان يكون
قد ضرب زيدا وتقديمك ضميرك وايلاؤك اياه حرف النفي يقتضي نفي ان تكون
قد ضربته مع انهما **اشارة** اياك ان تكون ممن يحمل الى ان ذلك من خواص الضمير
بل يجري ذلك مع المظهر نحو ما فعل زيد وما زيد فعل وكذلك في تقديم المفعول
فاذا قلت ما ضربت زيدا كنت نافيا الوقوع ضرب منك على زيد بغير تعرض لامر اخر
بنفي او اثبات واذا قدمت المفعول فقلت ما زيدا ضربت كان المعنى على ان ضربا
منك وقع على انسان وظن ظان انه زيد فنفيت ان يكون اياه وعلى هذا لا يصح ان يكون
تقول ما ضربت زيدا ولا احدا من الناس كان فاسدا كنظيره في الفاعل **تنبيه**
اذا كان الغرض نفي فعل او اثباته عن غيره فحقه ان يقدم الفعل فتقول ما ضربت زيدا
ولكن اكرمته لانه في تقديره لم يكن هذا الفعل ولكن ذاك وان كان غرضك ان
المفعول لم يكن هذا وانما كان غيره فقدم المفعول فقل ما زيدا ضربت ولكن عمرا
لان المعنى انه لم يكن هذا المفعول ولكن الكاين عمرو والمجرور كالمنصوب في جميع
ما ذكرناه فاذا قلت ما امرتك بهذا كنت نافيا ان يكون قد صدر منك امر يتعلق بهذا
واذا قلت ما بهذا امرتك كنت مسندا انك امرته بشيء غيره **وهم وتنبيه** لعلك ان تتوهم
ان نظم الكلام وترتيبه معنى في الاستفهام لا يكون له في الخبر سوى ما اشتراه النظم
من الاستفهام بسبب زيادة حرفه بل قولك زيد قام وقام زيد متغايران معنا كما
لو دخل عليهما الهمزة او حرف النفي وذلك لان الغرض ان تعمل السؤال عن وجود تلك
النسبة او عدمها بنحو الى المتضمن معنى الجملة الخبرية فلو كان معنى الكلام
مع الهمزة مغايرا له مع عدمها لما امكن الجواب عما استفهم عنه **اشارة** كما لا تردد
في حكم النكرة مع الفعل متقدمة عليه ومتاخرة فانها هل لمثابة للمعرفة في ذلك
والذي يزيح عنك هذا التردد انك اذا قلت اجاءك رجل فسوالك عن مجيء واحد
من هذا الجنس واذا قلت ارجل جاءك فسوالك عن واحد من الجنس الذي وقع منه
المجيء وانما يكون ذلك لحسنك اذا علمت انه قد اتاك ات ولكن لم تعلم من اي الاجناس
هو فكما ان طلب تعيين الجنس هنا وان طلب تعيين عين الذي فيما اذا قلت
اجاءك ام عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسئلة الاولى لئلا ينتقل السؤال عن الفعل الى

الفاعل

الفاعل اما في تعيينه او جنسه فان قلت ارجل طويل جاءك ام قصير كان السؤال عن رجل
مخصوص من جهة خصوصية اطول ام قصر فسألت عن نفسها ولا فرق بين ان يكون
الصفة مفردة وجملة نحو ارجل عرفته جاءك ام رجل لم تعرفه فان قلت فاذا وجب
التقديم للاسم المسؤول عنه بالهمزة في نحو ارجل جاءك ام امراة فهل يجب ذلك في الجواب
قلت نعم ليطابق الجواب والسؤال فان قلت فيلزم منه الابتدا بالنكرة مع فقد شرطها
قلت لا يصلح ان تقول رجل جاءني حتى يريد ان تعلمه ان الذي جاءك رجل لا امراة
ويكون كلامك مع من قد عرف انه اتاك ات فان لم ترد ذلك فالوجه ان تقدم
الفعل وكذلك اذا قلت رجل طويل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن
ان الذي جاءك قصير وانك تنزله منزلة من قد ظن ذلك وقولهم شر اهر ذا ناب
انما قدم فيه الاسم لان المراد ان يعرف ان الذي اهر من جنس الشر لا من جنس الخير
وقول النحاة انه في تقدير ما اهر الا شر بيان لذلك ومن ثم لا تقول ما اتاني الا رجل
الا حيث يتوهم انه قد اتاك امراة لانه ولا انما يوتى بهما حيث يراد قصر الفعل على شيء
ونفيه عما عداه **ومن قسم الحصر** ما والا وقد ادريتك ان التركيب يشاه بسببه معاني
لا يجلبها قبله فاذا قلت ما جاءني الا زيد احتمل امرين احدهما ان يريد اختصاص
زيد بالمجي ونفيه عما عداه ويكون غرضك ان تعرف المخاطب انه لم يجي اليك غيره لا ان
نعرفه بانه قد جاءك **الثاني** ان يريد الذي ذكرناه في انما وهو ان يعلم ان الجاني
زيد لا غيره فمن ذلك قولك للرجل يدعي انك قلت قولا ثم قلت خلافه ما قلت اليوم
الا ما قلته امس بعينه وتقول لم تر زيدا وانما رايت فلانا فتقول بل لم ار الا زيدا
وعلى ذلك قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم لان المعنى
على اني لم ازد على ما امرتني به شيئا ولكن المعنى على اني لم ادع ما امرتني به وقلت خلافه
ومنه قوله ع قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا المعنى انا الذي قطر
الفارس وليس يزعم انه لم يقطر غيره الفارس **تنبيه** سأحرق قرطاسي معك
عليك البيت من هذا الفصل ليوقفك على السحر منه ويعينك على الادراك والتأمل
فيها قوله عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء في تقديم اسم الله معنا لا يكون
اذا اخر وانما ينكشف لك الغطاء اذا لم تهمل الفرق بين قولك ما ضرب عمرو الا زيدا
قاصدا الى حصر المفعول وبين ما ضرب زيدا الا عمرو قاصدا الى حصر الفاعل في المثال
الاول الغرض بيان انه المضروب لعمرو وسوى زيد ومن ثم يعلم ان الغرض بتقديم
اسم الله انما هو الاخبار بانه لا يخشى الله سواهم ولو عكس لصار الغرض بيان المخشي
من هو وانه الله تعالى دون غيره واذا كان يجوز ان يكون من العلماء من يخشى غير الله
فقد وضح ان قولك ما ضرب زيدا الا عمرو لبيان الضارب وانما ضرب عمرو الا زيدا لبيان

المضروب وانه كالمتكلف ان تحمله على نفي الشركة فيريد في الاول انه لم يضربه اثنان وفي
الثاني انه لم يضرب اثنين فان قلت فلم اختص ما بعد الا بالحصر دون الذي قبلها قلت لاستحالة
تحصيل الحصر في الحرف قبل وجوده وهو الا واذا تبين ان الحصر يقع فيما بعد الا فكان ذلك هو
الثاني من الفاعل والمفعول بعد الا فقط وهم وتنبيه لا يعرض هذا على ان تقضي الحصر الثاني
من المذكورين بعد الا مثل ما ضرب الا عمرو زيدا بل الاختصاص يقع فيما يليها فاعلا
كان او مفعولا قال وما الى الا جلحا فؤاده ولم يسل عن ليلى بمال ولا اهل
تسلي باخرى غيرها فاذا التي تسلي بها تغري بليلى ولا تسلي المعنى ان فؤاده ما تسلى
الا سراعه الى الحب وكذلك حكم المفعولين كقولك لم يكس الا زيدا جبة فيكون المعنى انه
خص زيدا من الناس بكسوة جبة فان قلت لم يكس الا جبة زيدا كان المعنى انه خص الجبة
من اصناف الكسوة وكذلك الحكم حيث يكون بدل احد المفعولين جار ومجرور
كقول السيد الحميري لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا ولو قلت ما اختار
الا فارسا منكم صار الاختصاص في فارس وليس وضع الفاعل والمفعول بعد الا
بالاكثر حتى ذهبوا في قولك ما ضرب الا عمرو زيدا الى انه على كلامين وان زيدا
منصوب بفعل مضمر وكان المتكلم بذلك الحم في اعله عمرو فقال ما ضرب الا عمرو ثم قال
انه قيل له من ضرب فقال ضرب زيدا دقيقة اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو كان غرضك
ان تختص عمرا بضرب زيد لا بالضرب على الاطلاق فلذلك وجب ان تعدي الفعل
الى المفعول قبل ان تعديه الى الفاعل الا اذا ذكرته غير معدى فقلت ما ضرب الا عمرو
اشعرت بانه لم يكن من احد غير عمرو ضرب وانه ليس هناك مضروب الا وضاربه
عمرو اشارة اذا دخل ما والا على المبتدا والخبر كان الحصر الثاني ويكون الامر فيهما
اسبته مع انما فقولك ما زيد الا قائم فيكون قد اختصصت القيام من بين الاوصاف
التي يتوهم ان زيدا عليها ويقول ما قائم الا زيد فيكون المعنى انك اختصصت القيام
زيدا بكونه موصوفا بالقيام فقد قصرت في الاول الصفة على الموصوف وفي الثاني
الموصوف على الصفة تنبيه معنى قولنا في الخبر اذا قيل ما زيد الا قائم انك اختصصت
القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه
انك نفيت الصفات التي تنافي القيام كالقعود والاضطجاع ولا انك نفيت كونه اسود
او طويلا او قصيرا او عالما او ما ضاد ذلك كما اذا قلنا ما قائم الا زيد لم يرد
انه ليس في الدنيا قائم سواه بل المراد حيث هو اشارة غير خاف ان الامر ظاهر في
قولنا ما زيد الا قائم ان المعنى ليس على نفي الشركة ولكن على نفي ان لا يكون المذكور
ويكون بدله شيء اخر الا ترى ان المعنى ليس على انه لا صفة له مع القيام بل على انه
ليس له بدل القيام صفة غيره مما ينافي القيام ويحيله كالقعود والاضطجاع فان قلت

فالحم

نا المعنى مع ما والا هو مثله مع انما نحو انما هو قائم والعطف جائز مع انما ممتنع مع ما و
الا فلا تقال ما زيد الا قائم لا قاعد قلت علة ذلك انك اذا قلت ما زيد الا قائم فقد
نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فكانك قلت ليس بمضطجع ولا جالس حتى تستوفي
كل صفة تضاد القيام فاذا قلت لا قاعد كنت نافيا بلا العاطفة شيئا قد سبق
نفيه ومن شرطها ان ينفى بها ما قد سبق ايجابه لا نفيه ومن ثم لا يجوز ما جاءني احد
لا زيد وجاز ولا زيد لان ها هنا غير العاطفة واذا كان العطف فاسدا في قولك
ما زيد الا قائم لا قاعد وكذلك هو في ما جاءني الا زيد لا عمرو وما ضربت الا زيدا لا عمروا
من جهة انك نفيت جميع ذلك بلا العاطفة ما تقدم نفيه وهو الخلاف العطف
مع انما جاء في زيد لا عمرو فانه كلام مثبت ليس فيه نفي نعم هو مقيد حصر المجيء في
زيد لكن لا عن طريق النفي بل عن طريق الاثبات ويشار الى ذلك بمنزلة قولك هو الجائي فانك
تفهم انه لم يكن مجيء من غيره ثم لا يمنع ذلك ان تقول لا عمرو فتعطف عليه بلا حيث
لم يكن في الكلام حرف يفيد النفي وان افاده المعقول تنبيه غير يعطل حكم
الا المذكور فاذا قلت ما جاءني غير زيد احتمل ان يكون مراده نفي ان يكون قد جاء معه
انسان اخر وان يريد ان يكون قد جاء غيره لا هو ولا يتبع يصح ان تقول ما جاءني
غير زيد لا عمرو وكلم يجز ما جاءني الا زيد لا عمرو ولا انهم وانهما معنى الفعل ومنه ثم جاء
حرف النفي مع المعطوف عليها نحو قوله سبحانه غير المغضوب عليهم ولا الضالين
ومن يستحق لو ووضعها لان يدل على امتناع امتناع اخر ويطلب فعلين تعلق الثاني
منهما على الاول تطبق المسبب بالسبب فان كانا مثبتين لفظا فهما منفيان معنى وان
كانا منفيين لفظا فهما مثبتان معنى وان كان الاول مثبتا والثاني منفيا او بالعكس
فهما في المعنى على العكس من لفظهما مثال ذلك لو قام زيد لم اقم ولو لم تقم زيد
صح ان القيام موجود ممن نفي عنه لفظا منتف عمن اسند له لفظا فان قلت كيف
تصنع بمثل نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان المعنى على ما قررت
اشعارا الله فعصاه قلت لو وضعها للتقدير والتقدير ان يعطى الموجود
معنى العلم والمعدوم معنى الوجود ويكون الواقع خلافه فلك عكس المعلل
لنفي الحكم عليه كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فرض وجود الالهة
ثم رتب على وجودهم الفساد اذ لحقق ذلك فاعلم انه قد يؤتى بها لقصد الاثبات
للحكم على تقدير مناسب للحكم لقصد ثبوت الحكم على خلافه الذي فيه مناسبة
يكون ذلك من طريق الاولى فيعلم ثبوت الحكم مطلقا وحينئذ نحو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون المعنى لو فهمهم لما حلي
عنهم الفهم فكيف وقد سلبوا القوم الفاهم فعلم بذلك انهم مع انتفاء الفهم احق

فيقل القبول والهداية خرج على هذا المسند صهيب فانه اذا لم يخف لا يصلح منه عصيان
لما اعطاه الله من طهارة الباطن فكيف به وقد استمسك من الخوف بالعروة الوثقى
فيكون انتفاء العصيان عنه من طريق الاولى وتجريه ان الشرطية هذا المجرى و
يلزمها واو الحال غالبا نحو لا انزل اكرامك وان اساءت الى للرحم فانك وان لم
تصلني منك يقع فيكون ثبوت الحكم مع هذا الفعل اجلى ومن قسم الحروف لا ولن لكن
على خاطرك انه لن لا وان اشتركا في النفي الا ان لن تنفي ما قرب وان لا تمد معنى
النفي فيها كما مد في خطها وسر ذلك ان الالفاظ مشاكلة للمعاني ولا اخرها الف و
الالف يمكن امتداد الصوت بها بخلاف النون فانها وان طال اللفظ بها لا يتسع طولها مع
لا فطابق كل لفظ معناه اشارة لعلك تقول بعض الزمخشري في مفصله ان لن لتأكيد
ما تعطيه لا من نفي المستقبل حتى نقل عنه انه بنى ذلك على مذهبه في الاعتزال ومما
ثبت عندك ما ذكرته في معناهما قوله جل وعلا ولا يتمنونه ابدا بعد حرف الشرط
وهو قوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين كانه قيل متى زعموا ذلك في وقت من الاوقات وقيل لهم
تمنوا الموت فلا يتمنونه فلما كان حرف الشرط لا يختص بوقت دون وقت وعم جميع
الازمنة قوبل بلا ليعم ما جعل جوابا له ولما فات العموم من قوله ثم قل ان كانت
لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
لان كان ليس فعلا يدل على الحدث بل يدخل على المبتدأ والخبر لمعنى مضمون الجملة
بالزمان الماضي فكانه قيل ان كان قد وجبت لكم الدار الآخرة عند الله فتمنوا
الموت الآن وكان حرف الشرط داخلا على فعل امله قريب جاء في جوابه لن
فانتظم الخطاب بالنفيين فان قلت قوله ابدا ينفي ما ذكرته قلت قد يأتي لفظ الابد
في الامر القريب بحمله امره واعطائه معنى الزمن الطويل كقولك زيد يصلي
ابدا ومما يحقق ان المراد به الزمن القريب قوله عم لن يتمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي واذا عرفت ذلك وضح
سر الاتيان بلن في قوله تعالى لن تراني حيث لم يرد انه النفي مطلقا بل في الدنيا
وبلا في قوله سبحانه لا تدركه الابصار حيث اريد نفي ادراك الابصار على الاطلاق
وهذا يؤذنك ان الرؤية مغايرة للادراك خلافا لبعضهم ولذلك قال عليه السلام
انكم سترون ربكم يوم القيمة ولم يأت بلفظ الادراك ومما يعرف الفرق بين الحرفين
ان لن لنفي المقصود حصوله ولا لنفي المشكوك فيه وهذا يعلمك ان لن اكد في
النفي على ما قاله الزمخشري وان كان زمانها اقصر الركن الثالث في مراعاة احوال
التأليف وتقدم على ذلك مقدمة فنقول يجب على الناثر والناظم ان يراعي ما يقتضيه

اللفظ

اللفظ في الحقيقة والمجاز وغير ذلك وما تقتضيه علم النحو اصوله وفروعه من تعريف
المبتدأ والخبر وتقديمه وجوبا كما اذا كان خبره معرفة واستحبابا كما عرف تفصيله
في علم العربية وان يراعي في الشرط والجزاء جعل الجملة الاولى فعلية والثانية بالفاء
ان كانت اسمية او فعلية لم يؤثر فيها حرف الشرط استقبالا وان ما في بابها او في الجملة
الاسمية اذا وقعت حالا وتقدم للماضي لفظا وحذف الواو مع المضارع المثبت
وان تضع كل حرف في خاص معناه فيأتي بما لنفي الحال وبلا لنفي الاستقبال و
بان في المحتمل وباذا في الغالب الحصول والمعلوم الحصول وسطوع الجمل ويعرف
فيها مواقع الفصل والوصل ويعرف مواضع التعريف والتنكير والتقديم والتأخير
والحذف والتكرار والاضمار والاظهار وغير ذلك مما يوجب صناعة علم
الاعراب وسيأتي عليك شرح المقاصد المتعلقة بذلك في هذا العلم اللهم لا
ان يكون قد سبق بيانه فيما تقدم من هذا الكتاب او اتضح امره في علم الاعراب
اشارة عليك ان تراعي احوال التأليف بين المفردات والجمل حتى يكون اخذ
الكلام بعضها آخذا باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال
البناء المحكم المتلائم الاجزاء وهذا يأتي على وجوه شتى ومن الامثلة الرائقة في ذلك
عن بعض العرب منها وهي ان الفاء ان عبا الابل الحلا والرابط بين
الجملتين ولو سقطت لاختل النظم الا ان يأتي الفاء وليس الاتيان بالفاء يصح في
كل موضع يحل فيه الا ترى الى قوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات و
عيون بعد قوله ان هذا ما كنتم به تمترون وكذا قوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون بعد قوله لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا لان
انا لا نضيع خبر ان والخبر لا يعطف على المبتدأ تنبيه كان من طلب الضبط لمواقع
ان التي يصح ان يلحقها الفاء عندها وقع بعدك اختلاف الامثلة وانقسامها الى ما
يصح فيه الفاء والى ما لا يصح والذي يعول عليه في الضبط ان كل جملة دخلت عليها
ان تعريه جملة سابقة ومقررة لها فان الفاء تصح مكانها مثل قوله تعالى ان زلزلة
الساعة شيء عظيم فانها موكدة للمقصود وقوله سبحانه يا ايها الناس اتقوا ربكم
ولم امرها ان تتقوا وقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وان جملتها
بيان المعنى امر النبي صلى الله عليه وآله بالدعاء لهم وهذه الفوائد وان كانت من
ثمرات ان الا انها راجعة الى الربط بين جملتين ولذلك ذكرته في قسم التأليف دون
قسم الحروف ومما حسن تأليفه واستظامه قول البحتري ملونا جراسه من قد
نرى فما ان رأينا العجم ربها هو المرتبك له الحادثات عزما وشيكا ولا صبا

سهل حلو سودد سمحا حامرجى وما سامهنا ⁘ فكالسيف رونقه صارما
وكالبحر ادحه مستسان ⁘ فالحسن قوله هو المركانه قال انيح هو الرجل
الكامل في الرجولية ثم حققه لك بقوله ابلت له الحادثات ثم انظر الى قوله سهل
في خلق سودد ثم الى تنكير السودد وايضا في الخلقة لسم الى قوله فكالسيف و
عطفه بالفاء مع حذف المبتدا والمعنى فهو كالسيف ثم الى تكرير الكاف في قوله و
كالبحر ثم الى ان قرن بكل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ذلك الشيء ثم الى
ان قرن بكل واحد من الشرطين حالا بلائم التشبيه وذلك قوله صارما هناك
ومستثنا هنا وليس اذا زلك التنكير في قوله حلو سودد دعبا ان يروعك في كل
شرح وصله بذلك عجب انتظام للمعنى ونظير هذا الاصناع التي تعمل بها النفوس
فان مقاديرها وكيما بها انسي على سنن واحد بل يراعى كل موضع ماهو
الاليق بحاله ومن الملائم الفائق بين الشرط والجزاء قول البحتري ايضا ⁘
اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر ⁘ فما اعلى
تاكيله الجزاء انما هو سعي في تقليله وذلك ان حقيقة النهي ان يحصل الانتهاء بسبب
له وطريق اليه فاذا صار طريقا الى ضده فما ظنك بغيره الذي ليس طريقا الى ذلك اصلا
فان ثبوت الحكم معه احلد ومما يقرب من هذا المعنى ان يثبت الحكم حال ثبوت ضده
فلكونه شئ الى ثبوته مع انتفاء الضد بطريق الاولى وتعقب الضد ضده فيكون
تعقبه لما لا يضاده سيما اوجب كقول ابي عبد الله الصابي ⁘ وسما الى
العليا اهوى وتحطيط لها اعلا ⁘ وساعد الحال يوسر ويوس اذ تعقبه
ترك ثابت السقوط وهو من العليا مكان عن الاعتلا وهو من الانحطاط عنه له
وعقب النعم بالبوس والبوس بالثروه ومما يلاحظ ما ذكرناه حسنا في المفردات
والتاليف قول الشاعر ⁘ قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولي
على النار فانك لا تجد فيه لفظة الا وقد تضمنت هجاء اما انه له لفظ قوم وهو خاص
بالرجال فاشعر بانهم عراب ليس لهم ثروة ضيف واحد ابهم عن مكارم الخصال
عغرلهم لفظ قوم يشعر بقلتهم وانهم من العشرة فما دونها ثم الى ايراد الى يوذن
بالشرط وان الاضياف شانهم لا في اوقات مخصوصة ثم الى [illegible] الاستفعال
ليوذن ان كلبهم ليس من عادة النباح بل انما يقع منه ذلك عند ضرب واحاته الى
ذلك ثم الى بالاضياف معرفا باللام للرمز الى عهد نزلهم اضياف مخصوص وانه لا
يقصدهم كل احد وان كلبهم لا يسمع الا [illegible] وهذا مودي عما سنه
وانه لم يبق له قوة النباح من الجوع فان قلت يجوز ان يكون [illegible] الاضياف
قلت تمام البيت ينفي ذلك وكذلك قوله استنبح فان الف للاضياف لا تسمع ثم جا

بالاضياف

بالاضياف في جميع القله ليوذن بقلة الطارق من نزلهم ثم افرد كلبهم ليوذن انهم ليس
لهم سوى كلب واحد ثم اضافه اليهم استحقارا لهم ثم اوتى بقالوا ليعرف انهم [illegible]
انفسهم ولا ترفعون [illegible] عنهم في المقال ثم جعل القول منهم مباشرا
لامهم ولم يكن عندهم من يخلفها في القيام بطعن البارد [illegible] مقام الام
في فصاحة الحجم ثم جعلهم [illegible] ما يستحسن وكم يقتصروا على طلب طفي النار دون
غيره بصريحا ما نطفاه [illegible] على النار [illegible] لها نارهم قليلة لا ينتفع بها
كانها نار الحباحب وانها لقلتها تطفيها بولة وانها انما ارت بذلك عند استنباح
الاضياف لئلا يهب عند الاضياف مكانهم فلا يهتدوا اليهم فقد قامت الحجة البالغة
على ان التاليف هو الدعامة العظمى في حسن المعاني وتعاميها وليس لك ان تسويه
بزمامه الا بضبط اثني عشر فنا اذكرها لك في هذا المختصر مرتبة مفصلة بعون الله وحسن
الاحتمال الاول في تقديم الاسم على الفعل وتاخره اعلم انك اذا ذكرت اسما اولا ثم اردت
ان تحدث عنه الفعل فقلت زيد قد فعل وانا قد فعلت وانت فعلت كان المعنى
مترددا بين احتمالين يرشد الى تعيين احدهما سياق الكلام او قرينة حال احدهما
ان يكون غرضك ان المذكور هو الفاعل لهذا الفعل دون كل احد كما اذا قلت انا
كتبت في معنى فلان وانا سعيت في عند الامير كان غرضك اظهار الاستبداد
وان ترد عن السامع شبهه ان يكون ذلك قد صدر من غيرك الاحتمال الثاني
ان يكون غرضك ليس اظهار الاستبداد بل ان يحقق عند السامع انه فعل [illegible] منك
او تتوهما شكه في ذلك كقولك هو يعطي الجزيل وهو يحب الثنا ليس مرادك انه
لا يعطي الجزيل ولا يحب الثنا غيره ولا ان تعرض بانسان وان تجعله لا يعطي كما يعطي
ولا يرغب كما يرغب ولكن مقصودك ان تحقق عند السامع ان اعطا الجزيل و
حب الثنا دابه وان تمكن ذلك من نفسه ومن القسم الثاني قوله هما يلبسان المجد احسن
لبسة شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما لم يشبهه انه لم يرد ان يقصر هذه الصفه
عليهما بل ان يعرف ان ذلك من شانهما وعادتهما وما هو اوضح مثلا قوله تعالى واذا
جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وقوله سبحانه والذين
اتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فان قلت من اين يجب ان
يكون قوله هما يلبسان [illegible] في جعلها يلبسانه ما اذا قلت يلبسان المجد قلت لانه
لا يوتى باسم معرى من العوامل الا لحديث قد نوي به اسناده اليه فاذا قلت
عبد الله فقد اشعرت السامع بانك قد اردت الحديث عنه فاذا ذكرت الحديث بعده
فقلت قام او قعد او نحو ذلك كنت قد اكدته [illegible] دخل القلب دخول المطمئن
اليه وذلك اشد لثبوته وانفى للشك اذ لا يخفى عليك ان الاعلام بعد الاعلام [illegible]

ليس كاعلامك به بعد تقديم التنبيه عليه يجري لذلك مجرى التوكيد في التقرير
ومما يشهد بفضل هذا قولهم ان الشي اذا اضمر ثم فسر كان افخم مما اذا لم يتقدم
اضمار الا ترى انك تجد روعة في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار لا تجد الحالة
لا شي منها اذا قلت فان الابصار لا تعمى وهذا مطرد في كل كلام تضمن ضمير شان
وقصة نحو قوله تعالى انه لا يفلح الكافرون فانه افخم مما لو قيل ان الكافرين لا يفلحون
ولما ذكرناه في الفرق جاء تقديم الاسم مسبوقا في جواب انكار نحو ان يقول
الرجل ليس لي علم بالذي   تقول انت تعلم ان الامر على ما اقول ولكنك
تخاف وانت تعلم بثبوت حقي عليك ولكنك تحلف كاذبا ومنه قوله تعالى ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون وجاء ايضا فيما اعترض فيه شك كقولك كانك لم
تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك فيقول انا اعلم ولكني اداريه وجاء في تكذيب
مدع كقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
وذلك ان قولهم امنا دعوى منهم انهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به فالموضع
موضع تكذيب وكذا قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون لان عبادتهم لها تقتضي ان لا يكون مخلوقة وكذلك كل شي كان خبرا
عما يستغرب نحو قولك العجب من فلان يدعي العظيم من الشجاعة وهو يفزع من
ادنى شي وكذلك ما يقول من يكثر الوعد والضمان انا اعطيك انا اقوم لك
بما على فلان وشان المضمون له ان يلحقه الشك وكذلك الموعود فانت تحتاج في
تقريره الى الجزم والتاكيد فلذلك تقدم الاسم على الفعل ومن هذا القبيل
ما يكثر في المدح نحو انت تعطي الجزيل وقوله   عن النساء يدعو العملا
لان من شان المادح ان يمنع السامعين عن الشك في مقاله وكذلك المفتخر وما
يزيد ما ذكرناه بيانا ان الفعل اذا كان مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجي مبنيا
على اسم قبله بل يقول طلعت الشمس وغابت وكذلك اذا لم يكن شك ولا تردد
في ذكره نحو قلت قد ركبت او تقول هو قد ركب ومما قدم فيه الاسم قوله تعالى
ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله اساطير الاولين اكتتبها
فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
فهم يوزعون فالمعنى مع تقديم الاسم اقوى مما لو لم يقدم فقيل ويتولى الصالحين
ويملى عليه ويوزعون تنبيه ليس ما ذكرناه بخاص بالفعل المثبت بل هو مع المنفي
كذلك نحو انت لا تحسن هذا ولو قلت لا تحسن انت هذا لفاتت تلك القوة ومثله
قوله سبحانه والذين هم بربهم لا يشركون وقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون
وقوله فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ومما يكاد يلزم تقدمه مثل وغير

نحو مثلك يكون الكرما وغيرك يسعى ظلمه ونحو ذلك مما لا يقصد فيه مثل الى انسان
سوى الذي اضيف اليه ولكنهم يعنون ان كل من كان مثله في الصفة كان من مقتضى
القياس وموجب العرف ان يفعل ما ذكر وان لا يفعل وقوله   غيري باكثر هذا الناس
ينخدع   غرضه انه ليس ممن ينخدع ويغتر وهذا المعنى لا يستقيم فيهما اذا لم يقدما
نحو يكون الكرما مثلك وينخدع باكثر الناس غيري فانت ترى الكلام مقلوبا عن
جهته خاتمة ما يخبر به على قسمين اسم او فعل ثم كل واحد منهما يقع جزءا من الجملة
الجملة تارة وجزءا زائدا على الجملة اخرى فمثال الاول زيد قايم وقام زيد واما الثاني
فيقع في حاشية خبر هو الحال نحو جاءني زيد راكبا فان الحال خبر في الحقيقة
لانك تثبت به المعنى لذي الحال كما تثبت للمبتدا بالخبر ولذلك كان الاخبار بالحال جاريا
على وجه التبع للخبر الذي تقيد الحال بخلاف خبر المبتدا والفعل المسند الى
الفاعل فانه ليس مشترطا فيه نقيم واسطة بينهما الفرق الثاني في خبر المبتدا اعلم ان
الخبر يكون معرفة ونكرة ويختلف الاخبار بهما فيختلف فاذا قلت زيد منطلق
كان كلامك مع من لم يعلم انطلاقا لا من زيد ولا من عمرو فانت تفيده ذلك واذا قلت
زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف وقوع انطلاق فانت تعرفه انه كان من
زيد دون غيره وهذه الفايدة مطلوبة لحصول السامع كما دل على حصول معرفة
حصول اصل تلك النسبة فانك اذا اعلمته انه قد كان انطلاق في موضع كنت في
وقت العرض كنت اجلم بعلم فاعله فاستعمل حصوله لزيد وان يكون لغيره فاذا
قيل لك زيد المنطلق صار ما كان معلوما على وجه الجواز معلوما على وجه الوجوب
ثم اذا ارادوا تاكيد هذا الوجوب ادخلوا الضمير المسمى فصلا فقالوا زيد هو
المنطلق فرع يجوز اذا نكرت الخبر ان تاتي بمبتدا ثان على ان تشركه بحرف عطف
في المعنى الذي اخبرت به عن الاول كقولك زيد منطلق وعمرو ولو عرفت الخبر لم يجز
ان تقول زيد المنطلق وعمرو لان المعنى مع التعريف على انك تثبت انطلاقا مخصوصا
كان من واحد فاذا اثبته لزيد لم يصح اثباته لعمرو فان كان ذلك الانطلاق من اثنين
فينبغي ان تجمع بينهما في الخبر فتقول زيد وعمرو هما المنطلقان لا ان تفرق فتثبته
اولا لزيد ثم تثبته لعمرو الثاني الالف واللام في الخبر على معنى الجنس ويجي على
اربعة اقسام الاول ان تقصد المبالغة في الخبر فتقصر جنس المعنى على المخبر عنه نحو
زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد انه الكامل ههنا لا يصح العطف عليه
للاشتراك فلا تقول زيد هو الجواد وعمرو الثاني ان تقصره على وجه المبالغة
بل على معنى انه لا يوجد الا منه وانما يكون ذلك اذا قيد المعنى بشي يخصصه ويجعله
في حكم نوع براسه كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا ومنه قول الاعشى

العرض ... المنطلق

هو الواهب المائة المصطفاة اما مخاضا واما عشارا اي لا يهب هذه المائة الا
الممدوح وليس اللام في الواهب مثلها في زيد هو المنطلق لان القصد هاهنا الى جنس
مخصوص من الهبة لا الى هبة مخصوصة بعينها ويوضح ذلك ان الهبة يصح ان
يجعلها مما يكون منه مرة بعد اخرى كلاهما في المنطلق فانها اشارة الى انطلاق
حصل او يحصل مرة واحدة الثالث ان تقرره في جنس اصح امرا واصلا ما يكون
ولا يخفى كقول الخنساء اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا
لم ترد ان ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل وانما ارادت انها تقرره في جنس
ما حسنه الحس الظاهر الذي لا ينكر وعلى هذا قوله اسود اذا ما ابدت الحرب
نابها وفي سائر الدهر الغيوث المواطر الرابع ان تقصد نحو التعريف بحقيقة
عقلها المخاطب في ذهنه في الخارج او توهم انه لم يعرفها فيقول له تصور كذا
وكذا فاذا تصورته في نفسك فهو فلان فانك تستحضر منه ما تصوره في نفسك كلا
وتأنسك به فضلا وذلك نحو قولك هو البطل المحامي وهو المتقي المرتجى كانك قلت
هل سمعت بالبطل المحامي او عرفت ما يستحق به الرجل هذه الصفة فان كنت عقلت
ذلك فاعلم انه فلان فاني صاحبه حرا فاشدد عليه يديك فانه ضالتك التي تنشدها
وطلبتك طريقة قولك هل سمعت بالاسد وهل تعرف ما هو فان كنت تعرفه فزيد
هو بعينه ويظهر هذا المعنى اذا اتبعت الصفة المخبر بها موصوفا كقول ابن الرومي
هو الرجل المشروك في جل ماله ولكنه بالمجد والحمد مفرد كانه قال اتكون في
رجل لا يتميز عن غيره في ماله في الاخذ والتصرف فاذا حصلت صورته في نفسك
فاعلم انه ذلك الرجل ويغلب على هذا الضرب في الاستعمال لفظ الذي كقوله
اخوك الذي ان تدعه لملمة يجبك وان تغضب الى السيف يغضب كانه قال
الصحيح اسم الاخوة التي تعقلها من هذه صفته تنبيه لا يذهب عنك ما يكون
عليك من احكام الخبر في نحو زيد المنطلق فيقضي انه لا يتقدم او يتأخر تمسكا
بقول ائمة العربية ان المبتدا والخبر اذا كانا معرفتين كنت مخيرا في جعل ايهما شئت
المبتدا وتقول اي فرق بين قولنا الخليفة عبد الملك وعبد الملك الخليفة بل
اذا قلت المنطلق زيد فالمعنى على انك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك
ميلا ولم تعرف ازيد هو ام عمرو فقلت لك صاحبك المنطلق زيد وقد ترى
الرجل قادما بين يديك وعليه ثوب ديباج والرجل ممن عرفته قديما ثم تناسيته
لبعد العهد فتقول لك اللابس الديباج صاحبك الذي تعرف من امره كيت وكيت
في العام الغابر وليس غرضك ان تحقق لبس الديباج اذ دونك الديباج عليه
تعدل عن اخباره بخبر ومنه قول العرب ليس الطيب الا المسك الا ترى انك لو قلت

طرفي

طرفي الجملة فقلت ليس المسك الا الطيب احتمل الغرض في نفي الطيب عن كل شيء غير المسك
وتحصيل معنى غير الذي كنت تحصله من النظم الاول ولا شك انه تعرض في بعض صور
هذا الباب خصوص العرف كما في مسئلة عبد الملك وبالجملة انك اذا قلت زيد اخوك
كنت مسميا باخيك معنى لزيد ولو عكست صرت مسميا للاخ معنى بزيد ومما يصح الزام
فيه قولهم الحبيب انت وانت الحبيب فان معنى الحبيب انت انه لا فصل بينك وبين من
احب اذا صدقت المحبة وان المتحابين كنفس واحدة كما قال بعض الحكماء الحبيب انت
الا انه غيرك ولو عكست لا يفيد هذا المعنى بل قولك انت الحبيب ولا يصح
وصار المعنى انت الذي اختصه من بين الناس بالمحبة وقد يجيء ذلك في اسم المفعول
فيقال زيد هو المظلوم على معنى ان كل ظالم بالنسبة الى ما اصابه قليل فان قلت فالحبيب
فعيل بمعنى مفعول فهلا قلت انه على هذا المعنى قلت ليس يعنون انه لم يحب احد احدا
محبتي لك وان المحبات كلها باطلة بالنسبة الى محبتي وانما يعنون ان المحبة مني كلها
مقصورة عليك فظهر انه ليس من باب انت الشجاع في ارادة ان محبة غيري مضمحلة
في جنب محبتي ولا من باب زيد المنطلق في ان محبته بعض من كل فانه لا يعمد الى
محبة معينة كما عمد الى انطلاق بعينه في قولك انت المنطلق لمن عرف انطلاقا واقعا
معينا يجهل فاعله فانك لا تعترض معنى الجنسية في الانطلاق في نحو زيد المنطلق
في حاجتك اي الذي من شأنه ان يسعى في حاجتك اشارة ليس بواجب ان يكون
كل معرفة مبتدا به مثال ذلك قول ابي تمام لعاب
الافاعي القاتلات لعابه واري الجنى اشتارته ايد عواسل فلو جعلت لعاب
الافاعي مبتدا انسلخ كلامه اذ كان غرضه ان يشبه مداد قلمه بلعاب الافاعي على معنى انه
اذا كتب في اقامة السياسات اتلف به النفوس وان يشبهه ايضا باري الجنى على معنى انه
اذا كتب في العطايا والصلات اوصل به الى النفوس ما تحلو مذاقته عندها وادخل السرور
واللذة عليها واما عكس هذا اذا اقتضى ان لعابه مبتدا ولعاب الافاعي الخبر والقصد
بالعكس يوجب ان يكون مراده تشبيه لعاب الافاعي بالمداد وشبه لا ادري به وليس مثل
قوله لعاب الافاعي القاتلات لعابه حصل قولك عتابك السيف على معنى انه شبه عتابه
بالسيف ولكن على معنى انه يجعل السيف من العتاب ولذلك يصح مداد قلمه حامل كسم
الافاعي ولا يصح عتابك كالسيف اللهم الا ان تخرج الى باب اخر ليس هو الغرض من هذا
الكلام وهو ان يزعم انه قد عاتب عتابا باحسا مولما ثم اذا اتى السيف عتابك كان الغرض
ان عتابك قد بلغ في ايلامه وشدة تأثيره مبلغا صار له كالسيف لكنه ليس بسيف
اشارة مذهب اللام للجنس في الاسم جرى غير مذهبها فيه مبتدا فاذا قلت الشجاع
موقي والجبان ملقي فانت تشير لك الى ذاك صفتها الشجاعة والجبن ونعم الحكم كل فرد

منهم لاشتماله على الحقيقة المحكوم عليها بذلك وليس هو دالا على التعدد كدلالة لفظ
الشجعان كما ظنه كثير واما قولك انت الشجاع فلا معنى فيه للاستغراق بل انت
تعمل باللام فيه الى معنى المصدر المشتق منه الصفة بوجهها اليها على قصد ان الشجاعات
الكثيرة مجتمعة في المذكور بل على معنى انك توفي الشجاعة وكيف ينبغي ان يكون ظانا انسان
في اعداد حتى يعلم انه شجاع على الكمال وانك اسموت الناس فلم تجد في واحد
حقيقة ما عرفته حتى ضربت الى المذكور فوجدته مشتملا على شرائطها وراسخا في
سنخها **وهم وتنبيه** قد تظن ظانا ان قولك انت الشجاع بمنزلة قولك انت
الخلق كلهم وانت الناس وانت العالم من جهة ان لام الجنس يقتضي استغراق المفردات
ويذهل عن ان الغرض من قولك انت الخلق كلهم انه جمع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس
من غير ان يخرج عنها الناس بل المعنى انك تدعي له امثالها كقولك هو معدود بالف
رجل يريد انه يعطيك من الشجاعة ما لا تجد مقداره الا في الف رجل من الرجال
وان الغرض من قولك انت الشجاع انك تدعي انه قد انفرد بحقيقة الشجاعة وانه قد اوتي
فيها خاصية لم يؤتها احد حتى صار ما كان يعده الناس شجاعة غير شجاعة وكل
قوة عرفت في الحروب ضعفا ومنه قولهم هو جواد حتى جعل كل جواد كما قال
وانك لا تجود على جواد هباتك ان يلقب بالجواد وكقوله اعطيت حتى تركت
الريح حاسرة وجدت حتى كان الغيث لم يجد **تنبيه** اذا وصفت الذي خبرا فلا
بد ان يكون صلتها معلومة للسامع كقولك هذا الذي قدم من البصرة لمن عرف
ذلك فان قلت فقد يقولون هذا الذي ان اعطى شكره وان منع صبر لمن لا يعرف ذلك
منه قلنا ما هو ان يكون عالما بذلك على الجملة واما ان تنزله منزلة من علمه ومن
لا يخفى عليه ذلك فمرادك ان تكون الصفة قد ثبت له ثبوتا لا يحتمل به ايدي
النزاع وان الحكم في اثباتها مسوى لا يتوهم نقضه ولا يستجاز له بالجملة فان كل
عاقل يقطع بالفرق بين قولك هذا الذي قدم رسولا من الحضرة وبين قولك
هذا قدم رسولا من الحضرة اذ انت في الاول مخبر بامر قد علمه المخاطب على الجملة وفي
الثاني مخبر بامر لم يعلم السامع اصلا **الفن الثالث** في تقديم بعض الاسماء على بعض
اعلم ان من اهمل ضبط هذا الفن فقد احتجب عن التحقيق ساحه وضعف عن ادراك
المعنى الدقيق ذايه واغفل اصلا عظيما من علم البيان وجهل جلا من اي القرآن
والمثال في ذلك قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فانك تجد لتقديم الشركاء حسنا
لا تجده اذا اخرت وقلت وجعلوا الجن شركاء لله وذلك ان تقديم الشركاء يفيد انه ما كان
ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم بخلاف ما اذا اخر لفظ الشركاء
وليس يخاف انه يقع في موضع المفعول الثاني بحالة شركاء مفعولا اول ويكون الجن

في كلام مقدر كانه قيل فمن جعلوا شركاء فقيل الجن وهذا يوجب ان يكون الانكار
وقع على جعلهم لله شركاء على الاطلاق فيدخل شرك غير الجن في الانكار دخول
اتخاذه من الجن لان الصفة اذا ذكرت مجردة عن الموصوف كان الذي تعلق بها من
النفي عاما في كل ما يجوز ان يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار كريم كنت
قد نفيت الكينونة في الدار عن كل من يكون الكرم صفة له وحكم الانكار ابدا حكم
النفي واذا اخر فقيل وجعلوا الجن شركاء لله كان الجن مفعولا اول والشركاء مفعولا
ثانيا وحينئذ يكون الشركاء مخصوصة غير مطلقة لانه جرى على الجن فزال الاطلاق
واذا لم يجز ان يكون الانكار توجه الى جعل الشركاء للجن خاصة وهذا من
اسرار النظم وهذا الباب سهل على كثير من المقاصد اذا اخذت الفطنة بيدك
الفن الرابع في المجاز الاسنادي هذا الفن داخل على النسبة لا على ذوات الكلم
المفردة ومثاله قولك نهارك صائم وليلك قائم ونام ليلي وتجلى همي والتجوز في
صائم ونائم ليس من جهة دلالته الافرادية ولكن من جهة اجرائهما خبرين على
النهار والليل ومنه قول المتنبي بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت
غزالا ليس فيه مجاز في المفردات وليس على حذف مضاف فتقديره مثل قمر
بل جعلها هي القمر وهذا ابلغ واقعد في المعنى ومن صار الى ذلك فقد عزل البلاغة
عن سلطانها وهذا النوع في الصناعة الشعرية قسم البديع ونظيره في الاسناد
المجازي قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار
وذلك انها اخبرت بالاقبال والادبار عنها لكثرة منه ذلك وكان الناقة تجسمها اقبال
وادبار وكانها قد تجسمت منهما ومما اجتمع فيه المجاز الافرادي والاسنادي قول
لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فانه ليس
هناك شيء يزعم انه شبيه باليد حتى يكون لفظ اليد مستعارا له ولكنه يخيل ويوهم
في وجود ما استعير له ذلك وليس ثم شيء يصح ان يكون قد شبه بالزمام فاطلق عليه
اسمه والمعنى على انه شبه الشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها بزمام يصرفه بيده فهو قد تم
على ارادته واراد ذلك فجعل للشمال يدا وعلى الغداة زماما ونحوه في الاستعارة قوله
سقته كف الليل اكواس الكرى كانه قيل لما اسكره النوم كسكر المدام استعار
للكرى الاكواس ولم يرد انه شبه شيئا بالكف لكن لما جعله ساقيا جعل له كفا وهذا
النوع يسمى ترشيح الاستعارة ونحوه في استعارة الكاس قوله وقد سقى القوم
كاس النعاس السهر والفرق بين هذا النوع وبين قوله بدت قمرا انك لو اردت
التصريح باداة التشبيه فقلت بدت مثل القمر امكن ولو قلت في هذا شيء مثل اليد
للشمال عليك شيء مثل الزمام للريح لوجدته من الفهاهة بمقام ومن الاعراض عن هذا

النوع وقع في مخبر جوا ساحل اذا ابلى عليه لتصنع على عيني وتجري باعيننا ومن لطيف
الاستعارة ان يذكر المستعار ويكنى عن المستعار له بشئ من توابعه نحو قولك فلان شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فقد لغزت الى انه اسد وبحر وهذا الطف من
الاستعارة المجردة الفن الخامس في التمثيل هذا ركن من اركان البلاغة لاخراجه الخفي الى الجلي
وادنائه البعيد من القريب وذلك كتشبيهك ما استدار بالحلقة والكرة وما اسود
بالليل وما ابيض بلجج البحر وقد يكون في الصورة واللون معا كتشبيه الزجاج بعد اهن
در جوهن عقيق ومنه قوله كانما النار في تلهبها والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت اناملها من فوق نارنجة تحضنها وليس هذا من باب المجاز اذ ذكر
شيئا او قد دل على مدلوله الحقيقي ولم يقع تجوز في اسناد ومن فوائده ان ينقلك
من شئ تعرفه الى شئ انت به اعرف ومثال هذا لك ما تجده في قول البحتري
دان على ايدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضريب كالبدر افرط في العلو
وضوءه للعصبة السارين جد قريب فانظر هل تجد في البيت الاول ما تجده في الثاني
من الجمال وقولي في معناه دنوت تواضعا وعلوت قدرا فشاناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع الفن السادس في الايجاز
ويسمى الاشارة وهو اثبات المعاني المتكثرة باللفظ القليل نحو قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر فانها جمعت معنى الرسالة وكقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين جمعت هذه الاية مكارم الاخلاق واللائق بفن الايجاز في
المصنف الاعجاز ايضا الفن السابع في التاكيد وهو تقرير معنى لفظ سابق و
هو ضربان ضرب يسوف له في علم النحو فليطلب منه والضرب الثاني في كل لفظ تابع للفظ
قبله تغايره لفظا وتطابقه معنى لتقرير ما سبقه وليس بتابع له في الاعراب ويجي
تارة بعدها كقول ابي نواس قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر
الا من له خطر اما ترى البحر يعلو فوقه جيف ويستقر باقصى قعره الدرر وفي
السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر وتارة تعترضه كقوله تعالى فلا
اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ويجي بغير ذلك ايضا كقوله
وانبح من ترد واغل للعوى من الكلب اشتى وهو عريان الحف وكقوله
فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل ومنه ما يجي ناسيا نحو قوله
فلا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وبعض يخص هذا
النوع ضرب يقال له الزيادة والغرض به تتميم المعنى كقول طرفة فسقى ديارك
غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي فقوله غير مفسدها زيادة احتاج المعنى من
المحن عسر لها الطف قوله لولا ساء التاكيد حط حسنها سمعنا الاداب

بالسوء الفن الثامن في الحذف فمحال ان يقول ان الحذف مخل بفايده المحذوف
ويغفل عن اسرار الرمز على الكثرة ورب صمت افصح من فصيح من الكلام العربي وعمر بعض
عن اشارات السهام وحبل الحسام وكم من اشارة هي قلادة الجيد وكناية هي واعظه
التحويل فان اعتز السريب فعليك ببيت الحماسة وعليك ابي يوم دالسارل كحبا
وتعدا قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا تحل سبيه بالباس عاصى
دني عقا علحرا ماحوها يرى بعيني مهاه احصرت بها على عسه يرسى و
اديمها حشفا مقبلة حرامله ربي العظام بل عسيرى فيها من لا واسى كتان
مثله جود عدلها ليس الحسن عادتها فانظر الى ما التحفت عليه هذه الابيات من
الحذف وامعن النظر فيعلم عين اليقين ان الحذف لو ظهر الى اللفظ لرايت منكرا
من القول وزورا ثم انظر الى قول عبد الله بن الزبير يذكر عمر واله فذاع عليه
عرضت على زيد ليأخذ بعض ما حاوله قبل اعتراض الشواغل فدب دبيب البغل يألم
ظهره وقال تعلمها فانني غير فاعل تأبى حتى قلت داسع نفسه واخرج انيابا له كالمعاول
العقد بوحي قلت هو داسع نفسه يعني جب من شدة النباب وما به الجهد ففك
نفسه وتخرجها من صدره كما يدسع البعير جرته فاذا حققت الكلام وجدته يروم ملك
وسينتفع البك ان تباعد عن وسمة المحذوف وتتوقاه توقي الشي المكروه
تنبيه ليس الحسن الذي ننبه من خواص حذف المبتدا بل ذلك شبيه في كل محذوف
من اسم او فعل كقوله تعالى ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى او البر بر التقي وقوله تعالى
ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى للمعنى لكان هذا
القران وهذا الطريق واضح الفن التاسع في المنصوبات وفيه فصول اربعة الفصل
الاول في المفعول به لما كان حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل اعني من حيث
ان الفعل ملتبس به كما هو ملتبس بالفاعل ولم يكن غرضهم الاخبار بوقوع الفعل فقط
والا لقيل حصل ضرب او وقع ضرب وكان ونحو ذلك مما يدل على وجود فعل مجرد
عن منسوب اليه كان اغراض الناس مختلفة في ذكر الافعال المتعدية فتراهم تارة يقصدون
اثبات المعاني التي دل عليها المشتقة للفاعلين مع قطع النظر عن المفعولات فيصير الفعل
المتعدي كاللازم نحو قولهم فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع ويحل ويعقد كانه قيل
صار اليه الحل والعقد ومنه قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له وقوله هو الذي يحيي ويميت وقوله وانه هو
اغنى واقنى وانه هو اضحك وابكى المعنى هو الذي منه الاحيا والاماتة والاغنا والاقنا
والاضحاك والابكا وكذا كل موضع كان الغرض اثبات المعنى الذي دل عليه الفعل للفاعل
غير متعلق بغيره تتمة لا يسوغ ان يقال في مثل ان المفعول المحذوف على الوجه بل قل

يحذف يحيى لفظا ويراد معنى ويدل عليه قرينة مثال الحال وسمع الحجلى ونحو
عنه ان تذكر الفعل وفي نفسك مفعول محذوف قد علم مكانه الا انك تنسيه نفسك
وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا لتثبت نفس معناه من غير ان تعديه الى شيء وتجعل
الى نفسه كانك غير عالم بمفعوله ومثاله قول البحتري يمدح المعتز ويعرض بالمستعين
٭ شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واع ٭ المعنى ان يرى مبصر
محاسنه ويسمع واع اخباره واوصافه يقول ان محاسن المعتز وفضائله يكفي فيها
ان يقع عليها بصر ويعيها سمع فيعلم انه المستحق للخلافة حتى ان حساده يتمنون
ان لا يكون في الدنيا مبصر ولا سامع كي يخفى استحقاقه لشرف الامامة فيجدوا
بذلك سبيلا الى منازعته اياها وقد يكون في ذلك مفعول معلوم الا انه ليس للفعل مفعول
سواه لكن يطرح ويتناساه ليتوفر الغرض على اثبات الفعل للفاعل كما في قول عمرو
٭ ولو ان قومي انطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت ٭ مفعول اجرت
ان يكون ضمير النفس تقديره اجرتني ولا يجوز ان يكون غير ضمير المتكلم لقوله انطقتني
كيف لا … اجرت غيري ومعنى اجرت جعله لا ينطق … ولو خرج فقال
اجرتني لجاز ان يتوهم انه لم يعن ان للرماح اجرارا بل انها اجرته فانه قد يذكر
الفعل والمراد منه المفعول مثل ان تقول اضربت زيدا وانت لا تنكر انه كان من
المخاطب ضرب وانما تنكر ان يكون قد وقع منه ضرب على زيد وانه يستجيز ذلك
ويستطيعه فلما كان في تعدية اجرت ما يوهم ذلك وقف عن التعدية ليخلص
العناية لاثبات الاجرار للرماح ونظيره قول طفيل ٭ امنيت المنى وخلبت
حتى تركت ضمير قلبي مستهاما ٭ غرضه ان يثبت انه كان منها تمنية وخلابة وان
يقول هكذا تصنعين وهذه حيلتك في فتنة الناس ثم افاد حذف مفعول
اجرت فائدة اخرى وهو التنبيه على انهم قعدوا عن القتال وعن الاسعاف بقوم
لا احرى ساعدتهم وان لم تلف تزداد … في لزوم حذف المفعول تحصيلا
لهذا الغرض فالحق قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون
ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فقد
حذف المفعول فيها في اربعة مواضع اذ المعنى وجد عليه امة من الناس يسقون اغنامهم
ومواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما وان
حل على ان المقصود ان يعلم انه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المرأتين ذود
وانهما قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى بعد ذلك سقي
فاما ان المسقي غنم او ابل او غير ذلك فخارج عن المقصود كيف وانه لو قيل

اغنامهم

يذودان غنمهما لجاز ان يكون الانكار لم يتوجه من موسى عليه السلام على الذود من حيث
هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان ذود ابل لم ينكره كما تقول اتمنع
اخاك فانت لم تنكر المنع من حيث هو منع بل من حيث هو منع للاخ فقد بان لك
ان حذف المفعول المحصل لهذا الحسن والروعة لا شيئا ذكره اساتذه وذكره الفصل
الثاني في تنازع الفعلين كان ذلك يظن في قول القائل اكرمني واكرمت عبد الله
انه ليس فيه اكثر من حذف فاعل الفعل الاول لفظا وهو اذا احققت من دقيق الصنعة
وجليل الفائدة التي لا تكون الا في كلام الفحول كقول البحتري ٭ ولو شئت لم
تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد ٭ الاصل لو شئت ان لا تفسد
سماحة حاتم لم تفسدها لكن لو ضرب الى ذلك ضرب الكلام عن … وسره ان في
البيان بعد الابهام الذي يحصل في النفس وعلمه لا يكون اذا لم يتقدم تحرك
تتميم كثيرا ما يجيء المشيئة بعد حرف الشرط غير معداة الى شيء كقوله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى ولو شئنا لهديكم اجمعين التقدير ولو شاء الله ان يجمعهم
على الهدى لجمعهم ولو شاء الله ان يهديكم اجمعين لهديكم وقد يتفق ان يكون
الاظهار المفعول الحسن كقوله ٭ ولو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة
الصبر اوسع ٭ ولو حذف فقال لو شئت بكيت دما والذي شبه من عضد الا
انه من البعيد ان يشاء الانسان ان يبكي دما فمن ثم كان ذكره اولى ليتقرر في
نفس السامع وهكذا متى كان مفعول المشيئة عظيما او غريبا كان الاحسن ان
يذكر نحو لو شئت ان القى الخليفة كل يوم لقيته سر ذلك ان السامع منكر لذلك
او كالمنكر فانت تقصد الى اثباته عنده فان لم يكن منكرا فالحذف نحو لو
شئت … وفي التنزيل لو نشاء لقلنا مثل هذا وكذلك الحكم في غير لو من
حروف الجزاء تقول ان شئت قلت وان اردت فعلت قال سبحانه فان يشأ الله
يختم على قلبك وقال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
واما قول الجوهري ٭ فلم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت ان ابكي بكيت
تفكرا ٭ فمن وادي ولو شئت ان ابكي دما لبكيته حيث اظهر مفعول شئت لم
يقل فلو شئت بكيت تفكرا لانه لم يرد ان يذكر المفعول كانه قال … اما في النحول فلم
يبق في … غير خواطر تجول حتى لو شئت بكاء … يخرج بدل الدمع التفكر
فليس ذلك يجري مجرى قولك لو شئت ان تعطي فلانا درهما اعطيته درهمين فان
المفعول الثاني لا يصلح ان يكون تفسيرا للاول وما هو من النادر اللطيف في
باب التنازع قول البحتري ٭ قد طلبنا فلم نجد لك في السودد والمجد و
المكارم مثلا ٭ المعنى قد طلبنا لك مثلا فلم نجده … وبالمعنى البيت …

اذ يفوت ايقاع نفي الوجوه على صريح لفظ المثل وبصير واقعا على ضميره ولن يبلغ الضمير العايد مبلغ المظهر وان اعترت منك في ذلك فعليك بقوله تعم وبالحق انزلناه وبالحق نزل وبقوله سبحانه قل هو الله احد الله الصمد فان فيه من النبل ما لا يخفى على بصير وهو على قولك وبالحق انزلناه وبه نزل وقل هو الله احد هو الصمد ومن ثم وجب في بيت ذي الرمة ان يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحتري فيعمل الاول من الفعلين وذلك قوله ✱ ولم امدح لارضيه بشعري لئيما ان يكون اصاب مالا ✱ اعمل لم امدح الذي هو الاول في صريح لفظ اللئيم واعمل ارضي في ضميره لان ايقاع نفي المدح على اللئيم صريحا اوجه فان الغرض وجعل قوله ارضي تعليلا له ولو عكس فقال ولم امدح لارضي بشعري لئيما كان فيها الا ما فيما هو الاصل وتسا فيما ليس بالاصل **الفصل الثالث** في الحال قد وضح في علم الاعراب انقسامها الى المفرد والجملة وان الجملة الاسمية تصحبها الواو وليس الا الا ما جاء من نحو قولهم كلمته فوه الى في وكقوله ✱ اذا اتيت ابا مروان تساله وجدته حاضراه الجود والكرم ✱ فوجدته ههنا ليست المتعدية الى مفعولين بل من باب وجدت الضالة كقولك لقيته فوجدته جالسا وكان حسن تقديم الخبر وهو حاضراه اغنى عن الواو وحسن من حذفها وانشد ابو علي في الاغفال ✱ ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق ✱ فان عرض للجملة الاسمية ان كان خبرها ظرفا فاسقطها فانه يكثر ترك الواو كقولك جاءني في يده سيف ومنه قول بشار ✱ اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي علي سواد ✱ يعني على بقية من الليل ومن ذلك قول الآخر ✱ لقد صبرت للذل اعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب ✱ واما المضارع المثبت فخبروا وجاء في النفي الامران ومنه قول مسكين الدارمي ✱ اكسبته الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب ✱ وقال مالك بن رفيع وكان جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير ✱ تعالى مصعب وسواه فاز احد عنهم لا احيد ✱ انا دون من دمي قد يوعد وفي وكنت وما ينهنهني الوعيد ✱ كان في البيت تاما والتقدير ولقد وجد غير ولا ولقد وجدت غير منتهي بالوعيد ولا معنى لجعلها ناقصة وجعل الواو زائدة ومنه قولك جئت امس وما ادري اين اصنع [حلي] وجعل يقول لا ادري وما جاء بغير واو قوله ✱ مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قدر ✱ وقال ارطاة بن سهية ✱ ان تلقني لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد ✱ فلا ترى في موضع الحال ومنه قول الاعشى ✱ املا ان وصحبي عاد من وردا الى اصفهان فلم يحمده

فقال ✱ اتينا اصفهان فهزلنا وكنا قبل ذلك في نعيم ✱ وكان سفاهة مني وجهلا مسيري لا اسير الى حميم ✱ فقوله لا اسير حال من ياء المتكلم في مسيري وهي فاعل في المعنى والتقدير ان سرت غير متوجه او ذاهب الى قريب وقال خالد بن يزيد بن معوية ✱ لو ان قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا احجب ✱ وهو كثير لكن لا اهتدي الى موضعه الا من كان صحيح الطبع واما ما لفظا فلا يجي الا مع ملا ظاهرة او مقدرة اما مجيها لفظا فكقوله ✱ متى ادى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل ✱ وكقول الآخر ✱ فآبوا بالرماح مكسرات وابنا بالسيوف قد انحنينا ✱ وقال الآخر ✱ يمشون قد كسروا الجفون الى الوغى متبسمين وفيهم استبشار ✱ وقد جاء قد ليس في اكثر بالواو وكقولك اتاني وليس عليه ثوب ويحوز جلسته ليس معه احد وقد يجي الجملة الاسمية مجردة على الضمير على حال من الحسن لطيف اعترف بها مثل قول الفرزدق ✱ فقلت على ان يمرهن كانما يحوالك الاسود الحوادر ✱ فالذي حسنه دخول كان وقد يجي في اثر مفرد وقع حالا فيلطف لذلك كقول ابن الرومي ✱ والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم ✱ فبرداك حال يأتيه حسن مجيها بغير واو وتقديم حولها سالما ✱ كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فلاجل انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضممته الى الفعل الاول في اثبات واحد وكل جملة وقعت حالا ثم امتنعت الواو فلانك مستانف بها خبرا غير قاصد الى ان تضمها الى الفعل الاول في اثبات واحد وقد مر قد مضى ان الحال خبر عن لهم خبر المبتدا غير انه يشترط ان يتقدم خبرا آخر عليه فاذا قلت جاء زيد يسرع فانت تثبت مجيا فيه اسراع وتجعلوا الكلام خبرا واحدا [ا] كانك قلت جاء في هذه الهيئة ✱ وكذا قوله ✱ متى ادى الصبح قد لاحت مخايله ✱ هو في تقدير متى ادى الصبح ما دنا لاحا ساطعا واذا قلت جاءني زيد وغلامه يسعى بين يديه او عمرا يت زيدا وسيفه على كتفه كان المعنى على انك ابتت المجي والرؤية ثم استانفت خبرا وابتداء اثباتا ثانيا لسعي الغلام بين يديه ولكون السيف على عاتقه فلما كان المعنى على الاستيناف احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجي بالواو كما جي بها في قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب وتسميتها واو الحال لا يخرجها عن ان يكون مجتلبة لضم جملة الى جملة ونظيرها الفا في جواب الشرط فانها وان لم يكن عاطفة بمعنى انها يدخل ما بعدها في حكم الشرط [المعلق] عليه الجزا الا يخرجها ان يكون العاطفة بمعنى انها يربط جملة ليس من شانها ان يرتبط بنفسها والمضارع اذا وقع جوابا للشرط لم يحتج الى الفا فكذلك اذا وقع

حالا لم يحتج الى الواو والجملة الاسمية يحتاج الى الفا في الجزا فكذلك يحتاج الى الواو
في الحال قياسا سويا **وهم وتنبيه** لعلك تقول اما علة ان وجب الواو في جملة
واستغنت عن اخرى ومجا تركها من جملة وذكرها تارة اخرى وجوابه انك
اذا قلت جاني زيد وهو يسرع كنت قد استانفت اثباتا للسرعة ولم يكن ذلك في
جاني زيد يسرع لانك اذا قلت ذلك ذكرت زيدا بضمير منفصل مرفوع بمنزلة ان تعيد اسمه
صريحا وان تقول جاني زيد وزيد يسرع فانك لا تجد سبيلا الى ان تدخل يسرع
في صلة المجي وتضمه اليه في الاثبات فان اعادة ذكر زيد انما يكون اذا قصد
استيناف الخبر عنه ولم تكن تابعا كالاسم الذي جعلته بمثل عصعص كما لو قلت جاني
زيد وعمرو يسرع امامه وجعلت يسرع لزيد حالا منه وجعلت عمرا لغوا
وان ذلك من الاحالة بمستقر **وهم وتنبيه** كان بك تعرف شيئا من جهة محل يسرع
في مسئلة عمرو وضميره وذلك واضح في منع ان يكون يسرع في قولك جاني زيد
لزيد بخلاف يسرع في مسئلة جاني وهو يسرع فان السرعة هنا لزيد ويغفل عن
ان المانع ليس هو ان يكون يسرع في قولك جاني زيد وعمرو يسرع امامه حال
من زيد وهو فعل لعمرو فانك لو اخرت عمرا ورفعته بيسرع فقلت جاني زيد
يسرع عمرو امامه صح جعله حالا من زيد مع انه فعل لعمرو فتعين ان يكون المانع
تركك عمرا واعصبه اذ جعلته مبتدا لا خبر له وبعض ما ادى ذلك الى ان يكون يسرع
في موضع نصب لكونه حالا من زيد وفي موضع رفع بجعله خبرا عن عمرو المرفوع
بالابتدا وذلك بين التدافع وهذا المانع سلا شي اذا اخرت عمرا وصار مثاله
قولك جاني زيد مسرعا عمرو امامه **اشارة** قد تبين ان الجملة الاسمية شرطها الواو
وجاء على خلاف ذلك قبيله سبيل الشي الذي يخرج عن اصله ومن النادر
مجيئها بحذف الواو من قولهم كلمته فوه الى فيه وقع موقع مشافهة او مشافها
وقولهم رجع عوده على بدئه بمن رفع في تقدير رجع ذاهبا في طريقه الذي
جاء فيه وقولهم وجلة حاضر الجود والكرم حسنه تقديم الخبر الذي جعله
معنى حاضرا عنده الجود والكرم وليس الحمل على المعنى بعزيز في كلامهم كما قالوا
اديناظرته فرفعوا زيدا وجعلوا خبره امرا لان المعنى على النصب ووضعت
الجملة الاسمية موضع الفعلية في قوله تعالى ادعوتموهم ام انتم صامتون والتقدير
ام صمتم فان اصل المعادلة بين الجملتين ان تكون الثانية كالاولى واما قوله
خرجت مع البازي على سواد فخرج على مذهب ابي الحسن اذ رفع ما بعد
الظرف به لا بالابتدا هذا مقال الجرجاني وادعى انه مخرج على مذهب سيبويه
ايضا فان الظرف اذا وقع حالا صح ان يعمل كما اذا وقع صفة او خبرا او صلة ولا

اعرف

ولا اعرف في هذا خلافا بين الاماميين وانما الخلاف اذا لم يكن الظرف معتمدا نحو في الدار
زيد فالذي يسبق في قول ابي الحسن ان يكون الظرف في موضع اسم الفاعل لا الفعل
وان يكون التقدير كائنا او مستقرا على سواد ولو قلت تقديره خرجت مع البازي
قد بقي على سواد لما امتنع ولكن الاول اظهر بخلاف اذا وقع خبرا فان المختار ان تقدره
بجملة لانه معمول العامل مقدر والاصل في العمل للافعال وما يعين ان تقدره
بفعل اذا وقع صلة الموصول فان الصلة لا تكون الا جملة ومن ثم دخلت الفا في خبر
الموصول بالظرف كقولك الذي في الدار فله درهم كما دخل في خبر الموصول بالفعل كقوله
تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم فان قلت
فلم اخرت تقديره بجملة اذا وقع خبرا وعممت اذا وقع حالا انه لو قدر بفعل
في ان يكون قد حذف مع الفعل قد والواو فيكثر تقدير المحذوفات وهو خلاف
الاصل ولا يجوز ان تقدره بفعل مضارع لانه لا يشعر بالثبوت شعور الماضي
هذا الذي حذف الواو فيه وليس الظرف مع ما بعده في تقدير جملة اسمية
الا ترى انك لو قلت خرجت مع البازي السواد عليه لم يحسن وكم من تقدير ممتنع
لا ما باه طبعك لو اتيته بتقدير سهل فاذا اخرج عن التقدير المستقيم ذايقتك
تعاقد مثاله قولك مررت بزيد ضاحكا لعمرو فلو جعلت ضاحكا حالا من عمرو لما مجه
سمعك وان كان سيبويه منع من تقديم حال المجرور عليه فاذا قلت مررت بزيد ضاحكا
تهتدي ام لا الى قبوله سبيلا لتعين جعله حالا من المجرور **الفصل الرابع**
في التمييز ليس يخفى عليك فايدة التمييز والقصد به التفرقة بين الاجناس و
كشف المحتملات كما يعرف الحال بين المتضايف الهيئات التي وقع عليها الفعل وله
من اللطائف في الجمل ما لا يدفع وضوحه ومما يلائم حسنه من جهة النظم والتاليف
قوله تعالى واشتعل الراس شيبا فاسند الفعل فيه الى شي وهو لشي من
سببه فحصل فيه من المعنى ما لم يحصل في قولك اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس
وسره افادته مع لمعان الشيب في الراس الشمول وانه قد شاع فيه واخذه من نواحيه
وجوانبه حتى لم يبق من السواد شي او لم يبق منه الا ما لا يعتد به ودونه قولك اشتعل
البيت نارا فانه يفيد استيلاء النار على البيت وشمولها بخلاف قولك اشتعلت النار
في البيت فانه لا يعطي اكثر من وقوعها فيه ونظيره قوله تعالى وفجرنا الارض عيونا افاد
ان الارض صارت عيونا كلها وان الما يفور من كل مكان وفي الاية الاولى فايدة
اخرى من جهة النظم وهو تعريف الراس باللام وافادة معنى الاضافة ولو قلت
اشتعل راسي شيبا لذهب بعض حسنه ومن النادر العجيب في هذا الفصل قول
المتنبي غضب الدهر والملوك عليها فبناها في وجنة الدهر خالا ويعني انها

واضحه وصفوح الحال او هاتا به ثبوت الحال الذي لا ينفك من الوجه وموضع
الاعجاز منه ان نصب الحال على الحال من قوله فسا ها اي شهد للحال النوع العاشر
في معرفة الفصل والوصل وهو من جليل العلم لا يقف عليه الا الافراد ولا ينتهي
اليه الا السعداء وقد سئل بعض البلغاء عن البلاغة فجعلها معرفة الفصل
والوصل فجعل ما سواه مغتفرا في جنبه ودعامة العظمى باب العطف واعلم ان
العطف ضربان عطف مفرد على مفرد وعطف جملة على جملة الضرب الاول عطف المفردات
قد شاهدت في علم الاعراب ان عطف المفرد على مثله يجعل مشاركة الثاني للاول
في الاعراب ليعلم انه مثل الاول في علته ومفعوليته او حكم خاص دون غيره كما
في قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين فيمن قرأ بالنصب فانه ان عطفها
على الوجوه كانت الارجل مغسولة وان عطفها على محل الجار والمجرور كانت الارجل
ممسوحة في ظاهر الآية وان خولف ذلك فلمعارض ظاهر خارج عن هذا الظاهر
كما في غيره ومن تتبع مواقع الاعراب وجد فوائد ذلك لا تحصى تنبيه
الظاهر في الصفات ان لا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها وان الصفة
تجري مجرى الموصوف فلما تعطف صفات الله عز وجل بعضها على بعض في
كتاب الله نحو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
الخالق البارئ المصور لانها صفات تعاقبت الذات في القدم والدلالة على الذات
القديمة المقدسة تجري مجرى الاسماء المترادفة واما قوله سبحانه هو الاول والآخر
والظاهر والباطن فلانها اسماء متضادة المعاني في اصل موضوعها فرفع الوهم
بالعطف عن من يستبعد ذلك في ذات واحدة فان الشيء الواحد لا يكون ظاهرا
باطنا من وجه واحد فكان العطف هاهنا احسن ومن ثم في العرف اذا قصد
بنا صفات حال الشخص قيل هذا قايم قاعد بغير واو بخلاف ما تقدم فان تلك
الصفات في حكم الصفة الواحدة لاستيفاء المضادة بينها ومن ثم جاء العطف في قوله
تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات
تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا فان الثيوبة والبكارة متضادتان
لا يجتمعان في محل واحد بخلاف الاسلام والايمان والقنوت والتوبة و
العبادة والسياحة ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عطف النهي
على الامر لان النهي يراد به منع الفعل وابقاه على العدم والامر يراد به ايجاد الفعل
والعدم والوجود متضادان لا يجتمعان في محل وحده من ثم لا ن هذه واو الثمانية
اعلى التي يجيء بعد سبعة مقبلة حقها ان يعطف فاسقط العاطف منها ثم جاءت

في الثامن في شي من التحقيق والمقاصد المعنوية فان قلت لم عطف في قوله تعالى غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول بعضا ولم يعطف بعضا
قلت لان غافر وقابل صفة تشعر بحدوث المغفرة والقبول وهما من صفات
الافعال وفعله في غيره لا في نفسه فدخل حرف العطف المغايرة بين المعنيين
ولتنزلهما منزلة الجملتين تنبيها على انه يفعل هذا ويفعل هذا الرجوع
ويامل واما شديد العقاب دالة على القوة والقدرة التامة فساوية صفات
الذات وقوله ذي الطول المراد به ذاته فلذلك جاء العاطف في بعضها دون
بعض وقد يكون بعض الصفات متاد في المعنى صفة اخرى قبله فلا تعطف
لذلك ويجي الاخرى معطوفة لتغايرها لما قبلها معنى وان كان ليس بينهما
مضادة ومنه قوله تعالى لا يبعدن قومي الذين هم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر فانه لم يعطف النازلين لانه
في معنى سم العداة وعطف الطيبون لكون المراد به العفاف والعفاف يغاير
الشجاعة معنى ولفظا فلذلك تعين العطف كما تعين في قوله وآفة الجزر لان
المراد به الكرم وذلك يغاير وصف الشجاعة الضرب الثاني عطف الجملة على الجملة
وهي في ذلك على نوعين احدهما ان تعطف جملة على جملة لها موضع من
الاعراب فيعود ذلك الى الضرب الاول فان الجملة لا يكون لها موضع من الاعراب
حين تحل محل المفرد مثاله ان تقول مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح
فيكون مشتركا بين الجملتين في القضاء بالجر على الصفة ومما اختلف في جعله من
عطف الجمل والمفردات قوله تعالى والراسخون في العلم فمنهم من جعله مبتدأ و
يقولون خبره ومما اختلف في استئنافه واتصاله قوله تعالى فيه هدى للمتقين
ومنهم من اساه على انه مبتدأ وخبره ومنهم من جعله في محل غير حرر وهدى
نصب على الحال في تقديرها دبا والاولى العوض عن تحتوا انقطاع الذين يحملون
العرش عن قوله انهم اصحاب النار وكذا فلا يحزنك قولهم فانه منقطع عن قوله
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون النوع الثاني وهو الذي يشكل الامر ان يعطف
جملة على جملة لا موضع لها من الاعراب نحو زيد قائم وعمرو قائم فانك اذا
حاولت ان تظهر للواو فائدة هاهنا لم تجد ولعمري ان هذا لخاص بالواو واما
الفاء فيظهر من فائدتها العطف بلا مهلة نحو اعطاني فشكرته ومن ثم بالمهلة نحو
جاءني زيد ثم عمرو ومن او التردد نحو جاء زيد او عمرو ومن لا نفي الحكم عن
الثاني نحو جاء زيد لا عمرو ومن بل الاضراب عن الاول ومعنى هذه الحروف مستقصى
في كتب النحو واما الواو فلا يعدل بها سابقي الاسماء اكثر من الاشتراك في فاعلية الاول

او مفعوليته وهذا المعنى لا وجود له بين الجمل التي لا محل لها من الاعراب فيظهر هذا
سقوط قايل تناسب الجمل وجوابه هذا ان لها فايدة اخرى وذلك انا لا
نقول زيد قايم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين
والشريكين بحيث اذا عرف السامع حال الاول اعناه ان يعرف حال الثاني ولذلك
عاد لك انك لو عطفت على الاول شيئا ليس منه بسبب لم يستقم كقولك خرجت
اليوم من داري واحسن الذي يقول كذا ومن ثم عيب ابو تمام في قوله
لا والذي هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم   اذ لا مناسبة بين كرم
ابي الحسين ومرارة النوى وليس بعض الحديث بهذا الحديث بالاحرى وهم
وتنبيه كانك تقول كيف تصنع بقوله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها واي رابط بين احكام
الاهلة وبين حكم اتيان البيوت على ما ترى قيل لهم عند سؤالهم عن الحكم في نقصانها
وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده
فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء
وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها
مواقيت للحج فانه كان من افعالهم في الحج ومنه قوله صلعم لما سئل عن التوضي بماء
البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته ومنه قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى فان
قلت وهل كان احدهم في الحج لا يدخل بيته الا من ظهره قلت في الحديث الصحيح
ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حايطا ولا دارا ولا
فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل و
يخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم
ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله ويجوز ان
يكون ذلك من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل
من ترك باب الدار ويدخل من ظهر البيت فقيل لهم ليس البر ما انتم عليه من
تعكيس الاسولة ولكن البر من اتقى ذلك ثم قال فاتوا البيوت من ابوابها اي
باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان يباشر عليها ولا تعكسوا والمراد ان يطمئن القلوب
على ان جميع افعال الله حكمة منه وانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون فان في السؤال
اتهاما ومنه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم
تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكذا كلما تراه في التنزيل معطوفا منقطعا
في الظاهر عما قبله فلا بد من اتصاله بوجه عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله

فانه

فانه كلام من حكيم محكم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
وهم وتنبيه ربما اشكل عليك حسن موقع الفاء وثم واو قوله تعالى وكم من قرية
اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان مجيء الباس ينبغي ان يتقدم
الاهلاك وقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فان الهداية
ينبغي ان يتقدم على العمل لكونه لا يصح دونها وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او
يزيدون فان الله تعالى يعلم الشيء على ما هو عليه ولا يتصور عليه سبحانه تردد وكذا
قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد
وبرق ويقول كيف يستقيم التردد عليه تعالى في تشبيههم وقد صح عن رسول الله صلعم
في الصحيح من حديث حذيفة بن اسيد اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة ارسل الله
ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها [illegible] وكتب رزقها واجلها فدل هذا على ارسال
الملك ليكتب الرزق والاجل عقيب ستين واربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك
ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه ثم يؤمر فيكتب رزقه واجله
فدل ان كتب الرزق والاجل يكون بعد مائة وعشرين وفي بعض طرقه ويؤمر بالواو
فلما كانت ثم للترتيب تناقض الحديثان وكذا قول الشاعر   ان من ساد ثم
ساد ابوه ثم قد ساد بعد ذلك جده   قلت اما الاية فمحمولة على انها لما اهلكها
حكم بان الباس جاءها وقيل انه من باب الترتيب اللفظي لكون الاهتمام بالاهلاك
اتم في عرض الاخبار وان كان مجيء الباس قبله في الوجود وان كان مجيء الباس
قبله في الوجود واما الثانية فعلى دوام الاهتداء وثباته اي ثم استمر على الهداية
وذلك مطلوب ومنه اهدنا الصراط المستقيم واما الثالثة فعلى الابهام من الكثرة بحيث
يقول فيهم الناظر هم مائة الف او اكثر واما الرابعة فهو انه تعالى ذكر مثلين مضروبين
للمنافقين في حالين مختلفين فهم لا يخلون من احدى الحالتين او على انها للترديد
كقولك زيد [illegible] ان يكون [illegible] الترديد الخالي عن الشك وعليه يخرج قوله تعالى
ولا تطع منهم اثما او كفورا لان الكافر والاثم متساويان في وجوب عصيانهما فحال
المنافقين مشبهة بحال هاتين القصتين لا تخلو منهما فانت مصيب وكذلك
ان مثلتهما بهما جميعا وقد حمل قوم او في قوله سبحانه ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة او اشد قسوة على ان من شاهد حالهم وقد تأثر الزواجر فيهم تردد
في تشبيه قلوبهم بالحجارة وبما هو اشد صلابة من الحجارة كالحديد [illegible] على ان
قلوبهم امعنت في الشدة الحاصلة من الجنسين الحاملين ونظيره قول ابن علية
فقالوا لنا ثنتان لا بد منهما   اي لا بد منهما على الحكم ثم قال   صدور رماح
اشرعت او سلاسل   يعني في حق كل واحد منهم على التعيين لا بد من هذه او هذه

واما على الجملة فلا مرات وانما ترجيحها واما حديث حذيفة فالاجود فيه ما قاله الشيخ ابو
عمرو بن الحاجب وهو ان العرب اذا اخبرت عن امر بجمله او متعدده تستعمل كرها الترتيب
بثم وللاخر والمتوسط تعلق خاص بالاول وهو كونه نطفة فقد يتجه تقديمه
لفظا على البواقي للتعلق الخاص ولكونه علقة ثم مضغة تعلق خاص بالاول وهو
كونه نطفة حسن تقديمه على ما بعده لفظا وان كان متقدما عليه وجودا لان المقصود
ترتيب الخلق الذي سبق الكلام لاجله فلو اخر بعد ذكر الارسال لم يحسن هذا الحسن
لحصول الفصل بين الاشيا التي سبقت المقصود ترتيب امور بعض المحصورين منها
التعجب من كيفية التقلب في الارحام من حال الى حال ثم ومن ثم قال عمر واحد من الفصحا
عند سماع قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة قبل ان يسمع اخرها فتبارك الله احسن الخالقين وما ذاك الا لما يقع
في نفوس المعتبرين من التعظيم لفاعل هذا الفعل العجيب بمن ثم حسن تاخير ذكر
ارسال الملك وان كان عقيب كل سبع واربعين ليلة ونحوه في قوله تعالى
وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه و
نفخ فيه من روحه لادم المتقدم ذكره في قوله خلق الانسان وهو في الوجود مقدم
على جعل نسله من سلالة وكلاهما موخر عن خلق الانسان الذي هو ادم من طين و
لكن حسن تقديم ثم جعل نسله من سلالة لما فيه من الترتيب المقصود المشار الى
مثله فيما تقدم لان مقصود السياق ذكر خلق الاصلين في الاصل والفرع في ادم
وذريته على الترتيب ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بادم من جهة اخرى والذي يوضح
ذلك لادم قوله تعالى اني خالق بشرا من طين في ادم وغيره وسبق لذكر البداية وما بعدها
لا ينفك عن ارتكاب مثل ما ذكرناه لانه لابد وان يجعل ثم سواه ونفخ فيه من روحه
لادم او للجميع اى الاول واضح واذا جعل للجميع وادم منهم فهو مقدم على جعل نسله من
سلالة فقد عطف بثم ما بعضه مقدم على ما قبله فيحتاج الى مثل ما ذكرناه مع انه مخالف
لظاهر ما سبق الى الفهم من ان سواه ونفخ فيه من روحه لادم لما ذكرناه ولانه لما يأتي
مثل ذلك الا لادم وعيسى فان قيل الجعل ثم سواه ونفخ فيه من روحه للنسل في قوله
ثم جعل نسله فالجواب انه بعيد للوجهين المذكورين ولانه يودي الى اسقاط ما
علم انه مقصود ذكره مع ما تقدم في كل موضع ذكر فيه ذلك هذا مع ما يودي اليه
من ترك الاعلام بالكيفية المجهولة الفاسدة والاعتنا بالكيفية المعلومة الحاضرة والذي
يحقق لك صحة هذا التاويل في حديث البخاري انه لو قيل ثم يرسل الله الملك قبل
جعله علقة كان ظاهرا عوادا واضحا واذا امتنع [illegible] صريحا زادة تقييده بالمعنى
الذي ذكرناه لان الحديث لا اخر عليه الجواب الثاني ان يكون بعضهم يرسل الله الملك
اليه الملك بعد سبع واربعين كتب ما ذكر وبعضهم يرسل اليه الملك بعد مائة

وعشرين ويكون كل واحد من الحديثين مخصصا بالاخر الجواب الثالث ان يكون
الارسال لكتب الرزق والاجل بعد سبع واربعين ليلة فيكون ذكره في حديث
حذيفة على حقيقته وفي حديث مسعود على ترتيب الاخبار بحسب اختيار المخبر
كان قيل اخبرتك بكذا ان اخبرتك بكذا ثم لخبرتك بكذا وان كان الثاني في المعنى
موخرا في الوجود عن الثالث نحو قول القايل قام زيد ثم اذ ذلك فاذا عطف
عليه جملة اخرى وهو يريد [illegible] اخباره بها باعتبار ترتيب القول في
فصله وان كان مدلول الجملة الثانية واقعا في الوجود قبل مدلول الجملة الاول
ونحوه قوله تعالى ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ثم اتينا موسى الكتاب اى اخبركم
بهذا الخبر ثم اخبركم بهذا الخبر وبهذا يخرج الجواب عن البيت المذكور و
نحوه فان قلت ان ثم تقتضي المهلة بين الامرين فاذا جعلت بين الاخبارين
وجب ان يكون بينهما مهلة ولا مهلة في الحديث والبيت المذكور انما هي في الاخبار
الثاني عقيب الاخبار الاول من غير مهلة بين الاخبارين قلت لما قصد ترتيب
القول في المعنى وجعله باعتبار المهلة في الوجود من حيث ان اعتبار ذلك يودي
الى اسقاطه لما يلزم من تحقق الاثبات بثم لانقطاع ما بعدها عما قبلها وفي
شرط العطف ذكر المعطوف بعد المعطوف عليه بلا مهلة وزمان متطاول
بين الاخبارين نقيد ذلك اعتبر ترتيب الاخبارين في المقصد مجردا عن المهلة الوجودية
اى ان الاخبار الثاني وجب ان يتراخى عن الاخبار الاول وان الاهتمام بالخبر الاول
يقتضي ان يقدم الاخبار به على الاخبار بالباقي مادحه [illegible] ثم الجود البعد
المعنوي بين الامرين نحو قولك العاقل يعرف ادلة الرسالة ثم يجحدها ونحو يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها وليس المعنى ثم ينكرونها بمهلة وجودية بل في ذلك شامل ثم المهملة
ويحتملها لان المقصود ان هذين الامرين المتباعدين في المعنى يقعان منهم ونحوه ما كان
لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من
المقصود بثم على ذلك التنبيه على تباين الامرين من التباعد المعنوي ولولا ذلك لكانت
الواو او الفا [illegible] بمعنى الاجتماع نفيا واثباتا ولكن لما قصد الى هذا المعنى كانت ثم اقعد
منها اشارة كما يجب ان [illegible] او النقص الخبر يكون المحدوث عنه في احدى الجملتين
تنعت المحدث عنه في الاخرى كذلك ينبغي ان يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى
[illegible] او النقص الخبر عن الاول حتى لو قلت زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خطا
نعم تقول زيد كاتب وعمرو شاعر وزيد طويل وعمرو قصير وانما قالوا العلم حسن
والجهل قبيح لان كون العلم حسنا معلوما في العقول الى كون الجهل قبيحا تنبيه
يصح عود الواو في الجمع فيما اذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا نحو زيد يشفع و

يفرق بينهما ويحسن موجباته الفعلين وان يتعلما معا ويضاعف الاستبان اذا
وقعت الجملتان صلة فان الفعلين يصيران في حكم فعل واحد ومنه قوله
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا المعنى لا
تطمعوا ان تروا اكرامنا مقرونا باهانتكم وهم وتنبيه قد يتوهم ان الربط بين
الجمل يشترط فيه الواو ولا بد لكل جملة باستقلالها ومخالفة ذلك يحتاج الى سبب
كما احتاجت الجملة الى الربط بكونها صلة او صفة او خبرا الى ضمير يربطها بما قبلها
وينهدم عن المزج المعنوي بين الجملتين المنزل الثانية من الاولى منزلة جزئها
الثاني وكما ان المفردات المتصلة الممتزجة كالصفة والتاكيد لا تفتقر الى حرف
رابط كذلك يكون في الجمل وذلك في كل جملة مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها حتى
كانها هي من غير فصل وذلك نحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فقوله لا ريب
فيه بيان وتوكيد لقوله ذلك الكتاب وكذلك قوله سبحانه ان الذين كفروا
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ختم الله على قلوبهم و
على سمعهم تاكيد لان من كان حاله اذا انذر كحاله اذا لم ينذر كان في غاية
من الجهل وكان مطبوعا على قلبه لا محالة وكذلك قوله عز وجل ومن الناس
من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين ثم قال يخادعون الله فان
المخادعة ليست شيئا غير قولهم امنا من غير ان يكونوا مؤمنين وكذا قوله عز من قائل
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزءون وذلك لان معنى قولهم انا معكم انا لم نؤمن بالنبي صلعم ولم نترك
اليهودية وقولهم انما نحن مستهزءون خبر بهذا المعنى بعينه لانه لا فرق بين ان
يقولوا انا لم نقل ذلك الا استهزاء وبين ان يقولوا انا لم نخرج من دينكم وكانهم قالوا
انا معكم لانا لم نفارقكم ومن الواضح في هذا قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى
مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا لم يات معطوفا فكان في اذنيه وقرا
لانه يؤدي معنى الاول وهو كان لم يسمعها وان كان الثاني ابلغ واكد وانما شرك
في افادة ان حاله بعد التلاوة كحاله قبل التلاوة ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فان هذا الا ملك كريم مشابه لقوله ما هذا بشرا
وذلك لان قوله ان هذا الا ملك كريم مؤكد للاول لان كونه ملكا ينفي كونه بشرا على
المعروف فيما اذا قيل ما هذا بشرا والمراد التعظيم انه ملك كريم وان يكنى به
عن ذلك مطابقة الثاني حينئذ لا محالة وغيره معنى الصفة كانه لما قيل ما هذا بشرا
قيل فما هو قال ان هذا الا ملك كريم فنزل الثاني منزلة الظريف في قولك جاءني زيد
الظريف في كونه ما هو نعت للذي اردت وكذلك قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له

وقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى تنبيه قد تعرض للجملة التي حقها
ان يعطف على ما قبلها امر يوجب ترك العاطف وان كان سائغا احسن تركه كما
في قوله تعالى انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم لان الجملة الثانية كالمسئول عنها
بسر تقدير السوال منزلة صريحه ومن لطيف ذلك قوله زعم العواذل انه
في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي فلما حكى عن العواذل انهم زعموا ذلك سوال
السامع له عن تصديقه زعمهم وتكذيبه كانه قيل له فما قولك في ذلك فقال القول
صدقوا ولكن لا يطمع لهم في فلاحي ولو قال او صدقوا لم تقدر في نفسه انه
مسئول وان كلامه كلام مجيب وجعل القطع واستئنافا فيغير تقدير السوال
ولو قال صدق العواذل لكان اكبر في تقدير الاستئناف وتاكيده حيث وضع الظاهر
موضع المضمر وجعله يفتقر غيره الى ما قبله ويجعله في حكم ما ليس قبله كلام ومثل
قوله زعم العواذل قول الاخر وقيل انه الوليد بن يزيد عرفت المنزل الخالي
عفا من بعد احوال عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال لما قال عفا من
بعد احوال قدره كانه قيل له ما عفاه فقال كل حنان ثم تخيل الى ان يقول
الغرض حال تقدير السوال وحال التصريح فان المقدر كالمصرح به وساوي ان
تقدير الشيء يوذن بفقده وان فقد الشيء ما ينافي وجوده ومن ههنا عصو مانه
اذا كان السوال موجودا لفظا فالاكثر ترك الفعل في الجواب والاقتصار على الاسم
وحده وانه يجب ذكر الفعل مع الاضمار بيانه انه لو قيل لك ما عفاه لصح ان تقول
من جرى بهم وساقا على تقدير عفاه من جرى بهم كما اذا قلت لك من الفعل
فعول في باب اضمار فعل واما اذا كان السوال مقدرا كالذي عليه البيت ضعفت
الدلالة على الفعل اذ لم يكن سوال يتضمن له ليدل على ارادته في الجواب فتعين
ان يلفظ به اشارة اذا رايت في التنزيل لفظ قال مفصولا غير معطوف فاعلم
ان هذا تقديره مثل قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ
دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل
سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة يدل على انه قد قالوا لا
تخف جاء على ما يقع في انفس المخلوقين من السوال كما لو قيل لقوم دخل فلان على
فلان قالوا فما قال اهو يقول العجب قال الا تاكلون وكذا ان الناس خوطبوا بما يعرفونه
وكذا قوله تعالى الا تاكلون فانه ورد بعد قوله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم كانهم
قيل فما قال لهم قال المجيب قال لهم الا تاكلون وكذلك قالوا لا تخف لانه قوله فاوجس
منهم خيفة يدل على انه تغير لونه ودخله الخوف فكانه قيل فما قالوا له حين راوه
كذلك فقيل قالوا لا تخف وعلى هذه السياق يخرج قصة فرعون مع موسى عليه السلام

في قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان
كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون
قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء
مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين وعلى هذا الباب في كل كلام جاء فيه لفظ
قال وهذا المعنى عزيز ان يكون في بعض المواضع اوضح من بعض في المواضع قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين فانه لا يخفى على عاقل ان ذلك جواب لقوله فما
خطبكم ايها المرسلون ومثله قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون الى قوله اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون **تنبيه** قد بان
لك وظهر ان الجمل على ثلاثة اقسام جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف
والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها عطف البتة لشبهها بمنزلة الشيء الواحد و
الشيء لا يعطف على نفسه ومن ثم حسن عند سيبويه الاستخراج على الثانية بالبدلية
كما في قول عبيد الله بن الحر متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا
تأججا ولذلك جزمه وجملة حالها مع الجملة التي قبلها حال الاسم يكون غير
الذي قبله الا انه شريك في حكم مثل ان يكون الاسمان فاعلين او مفعولين
فيكون شأنها العطف وجملة هي مع التي قبلها لا مشاركة بينهما بوجه ويكون ذكر
الجملة الثانية السابقة وترك ذكرها سواء فيكون بمنزلة الاسم مع اسم اخر
لا رابطة بينهما وان ذكر احدهما مع الاخر حصل ما ينفرد به ومن حق هذا ترك
العطف البتة فالجملة المعطوفة حالها بين حالين ودرستها بين درستين **رجوع**
لعلك تخيل مما يلي عليك انه ان من شرط الجملة المعطوفة ان لا يفصل بينها وبين
الجملة المعطوف عليها لكونها لهما دلو ... التنزيل وشعر الشعراء السلسل
لا ضرب عن هذا التحليل صفحا ومنه قوله عز وعلا وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر
وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ليس حينئذ
كل جملة معطوفة على ما يليها اذ يلزم ان يكون قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين
معطوفا على قوله فتطاول عليهم العمر وذلك يقتضي دخوله في معنى لكن ويخرج
منه ذلك فالوجه ان يكون مجموع وما كنت ثاويا الى قوله مرسلين معطوفا على
وما كنت من الشاهدين ومحله دون ما بعده قلت يلزم ان ينوى به التقديم حينئذ
على قوله ولكنا انشأنا قرونا وذلك تخرج لكن عن موضعها فان سبيل لكن سبيل
الا وكما لا يجوز ان تقول جاءني القوم وخرج اصحابك الا زيدا والا عمرا على ان تجعل زيدا

استثناء من القوم وعمرا من خرج اصحابك كذلك لا يجوز ان يصنع مثل ذلك بلكن
فتقول ما جاءني زيد وما خرج عمرو ولكن بكرا حاضر ولكن اخاك خارج و
التقدير الذي ابتدأ به ورد الهذا ومنه قول المتنبي **شعر** تولوا بغتة فكأن بينا
تهيبني ففاجأني اغتيالا **؎** فكان مسير عيسهم ذميلا وسير الدمع اثرهم انهمالا
فقوله فكان مسير عيسهم وقوله وسير الدمع معطوف على تولوا الى اخر البيت لا
على ما جاء في وجهه لئلا يدخل في صلة كان فيصير المعنى الى ان يكون لمسير عيسهم حقيقة
كما في الداخل عليه وهو ... **النوع الحادي عشر** في ... اسما بالتقديم والتأخير
معرفة التقديم في اللسان تبع للتقدم في الجنان على ما ستبين ان الالفاظ تتبع المعاني
والمعاني يتقدم باعتبارات خمسة **الاول** تقدم العلة والسببية على المعلول والمسبب
كتقديم المضيء على الضوء وليس تقدما بالزمان لان جرم الشمس لا ينفك عن الضوء
الثاني التقدم بالذات كالواحد مع الاثنين وليس الواحد علة لوجود الاثنين
بخلاف القسم الاول **الثالث** بالشرف كتقدم الانبياء على الاتباع ... العالم على الجاهل
الرابع بالرتبة كتقدم الامام على المأموم والجنس الاعلى على ما تحته اذا جعل مبتدأ
الخامس بالزمان كما لا يعقل خلاف ان مع الاقرب اليه ومنه تقدم الوالد على الولد
فان الوالد وجد في زمان لم يكن فيه الولد موجودا فكان من المعاني يتقدم على غيره
باحد هذه العبارات او باكثرها كان في العبارة كذلك ومن المتقدم بالزمان عادا و
ثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم ومنه وجعل الظلمات والنور فان الظلمة سابقة على النور
في المحسوس لاحساس وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي ومنه قوله تعالى
والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
فانتفاء العلم ظلمة وهي متقدمة بالزمان على نور الادراكات وقوله تعالى في ظلمات ثلاث
الى ظلمة الرحم والبطن والمشيمة وقيل ظلمة الصلب والرحم والبطن فهذه ظلمات ثلاث محسوسة
وفي الآية الاولى ظلمات ثلاث معقولة ومن المتقدم بالطبع قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع
ونحوه ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وكذلك مراتب العدد فكل مرتبة هي
ادنى من الاخرى وهي متقدمة على ما فوقها وهذا من مرتبة التقدم بالذات ومن
التقدم بالسبب تقدم العزيز على الحكيم لانه عز فحكم ومنه يحب التوابين ويحب المتطهرين
فان التوبة سبب الطهارة وكذلك كل افاك اثيم فان الافك سبب للاثم وكذلك معتد
اثيم ومن التقديم بالرتبة قوله تعالى يأتوك رجالا وعلى كل ضامر فان الذين يأتون
رجالا الغالب ان يكونوا من المكان القريب والذي يأتي على الضامر يأتي من المكان البعيد
على انه قد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال وددت اني حججت راجلا فان الله قدم الرجالة
على الركبان في القرآن فجعله من باب التقديم بالفضيلة والشرف والعسار موجودا

عند كثير من العلماء وقوله تعالى هماز مشاء بنميم من هذا القبيل فان الهماز هو العياب وذلك
لا يفتقر الى مشي بخلاف النميمة فانها نقل الحديث من مكان الى مكان عن شخص الى
شخص ومن التقديم بالشرف فاغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وارجلكم
ومنه مع النبيين والصديقين ومنه تقديم السمع على البصر وسميع على بصير وقد
جعل تقديم الجن على الانس من هذا النوع لاشتمال الجن على الملائكة قال سبحانه و
جعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى وسخر من جن الملائك تسعة قياما
لديه يعملون بلا اجر ونحو قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقوله سبحانه فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على
الله كذبا المحوج الى ذلك كله استثناء الملائكة لبراءتهم عن العيوب ولا يسوغ عليهم
الكذب وسائر الذنوب فلما لم تتناول الملائكة عموم لفظ الجن بدأ بلفظ الانس لفضلهم
الثالثة قد يكون في كل واحد من الامرين صفة تقتضي التقديم لكن يكون احدهما اهم
في مكان فيقدم وان اخر في غيره لكون غيره اخص به في ذلك المقام قوله سبحانه انما اموالكم
واولادكم فتنة فتقديم الاموال من باب تقديم السبب فانه انما يشرع في النكاح
عند قدرته على مؤنته فهو سبب الى التزوج والنكاح سبب للتناسل ولان المال
سبب للتنعم بالولد وفقده سبب للشقاء وكذلك تقديم النساء على البنين في
قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام وانما اخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين
لانهما اقوى في الشهوة الجبلية من المال فان الطبع يحث على بذل المال لتحصيل النكاح
والولد [illegible] لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض الى بعض لكان
لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض وانما اولادنا بيننا اكبادنا
تمشي على الارض والنساء اقعد من الاولاد في الشهوة الجبلية والبنون اقعد من
الاموال والذهب اقعد من الفضة والفضة اقعد من الانعام او وسيلة الى تحصيل
النعم فلما صدرت الاية بالحب وكان المحبوب مختلف المراتب اقتضت حكمة الترتيب
تقديم ما هو الاهم فالاهم في رتبة المحبوبات واما تقديم السماء على الارض فلانه [illegible]
ذكر المخاطبين اكمل شرفا ومستقرا واخرت في قوله تعالى وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء فلانه لما تقدم ذكر المخاطبين وهو قوله ولا تعملون من
عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وهو بخلاف الاية التي في سبأ فانها
منتظمة في سياق علم الغيب فان قلت سميع عليم من اي نوع هو قلت من نوع التقديم
بالرتبة فان ذلك يتضمن التخويف والتهديد فبدأ بالسمع لتعلقه بالاصوات و
ان من سمع حسك فقد يكون في العادة اقرب اليك ممن يعلم وان كان علم الله تعلق

بالظاهر والباطن فان قلت فالغفور الرحيم من باب الرتبة ايضا فان المغفرة سلامة والرحمة
غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة واما الرحيم الغفور في سبأ فلانها منتظمة
في سلك تعداد اصناف الخلق من المكلفين وغيرهم وهو قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور فالرحمة شملتهم
جميعا والمغفرة تخص بعضا والعموم قبل الخصوص بالرتبة ومنه فاكهة ونخل ورمان
ومن كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكائيل ومما قدم فيه للفضل اسجدي واركعي
لكون السجود افضل [illegible] اقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد فان قلت و
الركوع قبل السجود بالزمان والرتبة والعادة لانه انتقال من العلو الى الانخفاض
والعلو بالرتبة قبل الانخفاض قلت ليس المراد باركعي مجرد الركوع بل مجموع الصلوة
كما انه قيل صل مع المصلين والركوع يعبر به عن مجموع الصلوة ومنه قوله صلى لرجل
دخل المسجد وهو يخطب فجلس ولم يصل قم فاركع وكذلك اسجدي لم يرد
السجود وحده فضلا لانه تتضمنه الصلاتين صلوتها وحدها وهي في بيتها و
هي التي عبر عنها بالسجود فان السجود افضل حالات العبد كان صلاة المرأة وحدها
افضل صلوتها واما صلوتها في المسجد فعبر عنها بالركوع لانه دون السجود في الفضيلة
كان صلاتها مع المصلين دون صلاتها وحدها ودل على هذا امره بالركوع مع
الراكعين ولم يقل اسجدي مع الساجدين ومما ينتظم في سلك هذا العقد البديع
قوله جل وعلا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود فقدم الطائفين
بالرتبة والقرب من البيت المامور بتطهيره من اجل الطهارة وانما جمعوا لان الجمع
ادل على العموم من المفرد وانما جمعوا جمع السلامة لان جمع السلامة اقرب الى لفظ الفعل
فطائفون بمنزلة يطوفون فيكون اذ ذاك في لفظ الطائفين ما هو مشعر بعلة التطهير
وهو حدوث الطواف وتجدده ولو كان بدل الطائفين الطواف لم يفد ذلك لان
لفظ المصدر يخفي معنى الاسم ثم ثنى بالقائمين لانه يلي الطائفين في الرتبة لانه في معنى العاكفين
فالعكوف يخص موضعها والطواف بخلافه فكان اعم منه والاعم قبل الاخص رتبة
وجمع العاكفين جمع السلامة لقربهم من البيت كما في الطائفين ثم ثلث بالركوع لانه
لا يلزم ان يكون في البيت ولا عنده ومن ثم لم يجمع جمع السلامة اذ لا يحتاج فيه الى بيان
الفعل الذي هو علة التطهير كما احتيج فيما قبله ثم وصف الركع بالسجود ولم يعطف
بالواو لان الركع هم السجود والشيء لا يعطف على نفسه ولان السجود يكون عبارة
عن المصدر والمراد به هاهنا الجمع فلو عطف بالواو لتوهم ارادة المصدر دون اسم
الفاعل ولان الراكع ان لم يسجد فليس براكع شرعا فلو عطف بالواو لتوهم انه حكم
يجري على حاله فان قلت هلا قيل السجد كما قيل الركع كما جاء في اية اخرى تراهم ركعا

سجدا والركوع كما قيل السجود قلنا السجود يطلق على وضع الجبهة على الارض وعلى الخضوع
ولو قال سجدا لينا ول الا المعنى الظاهر ومنه تراهم ركعا سجدا وهو من نظر العين
ورؤية العين لا يتعلق الا بالافعال فقصد بذلك الرمز الى السجود المعنوي والصوري
بخلاف الركوع فانه ظاهر في اعمال الظاهر التي يشترط فيها النية كما في الطواف والقيام
المتعلقين دون اعمال القلب فجعل السجود وصفا للركوع وحالا لان الخشوع
روح الصلاة وسرها الا من عنده **اشارة** قد تعرض للتقديم جهة ليست من الجهات
المذكورة وهي الخفة كقولهم ربيعة ومضر وانما قدمت مع ان مضر اشرف لئلا
يفضي الى كثرة الحركات المتوالية فاخر مضر ليقف عليها بالسكون وقد يجعل تقديم
الجن على الانس لهذا الغرض لان الانس اخف لمكان النون والسين المهموس وكان التقديم
الاثقل اولى لنشاط المتكلم في اول كلامه **العقد الثاني عشر** في قوانين كلية تعرف بها
احوال اللفظ النظم **القانون الاول** فيما يتعلق ببيان العبارات اعلم انه لا يكون لاحدى
العبارتين مزية على الاخرى مع اتحاد المعبر عنه حتى يختص بمعنى لا يكون للاخرى
فان قلت اذا ما لا يكونان عبارتين عن معبر واحد قلت المراد من كون المعبر عنه
واحدا ان اصل الغرض واحد كقصد تشبيه زيد بالاسد يعبر عنه تارة بقولك كان
زيدا الاسد وتارة بقولك زيد كالاسد وان افاد بالاول انه على فرط من الشجاعة
بحيث لا يتميز عن الاسد وانما جاء ذلك من نظم اللفظ حيث قدم الكاف وركبها مع ان
ونظيره قول الناس الطبع لا يتغير ثم ينظر الى هذا في قول المتنبي يراد من
القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل فتجده قد خرج في احسن صورة وتحول جوهره
ليعلم ان جوهره لما اكتسى من المقاصد في هذا النظم وعري عنها في النظم الاول مع
اتحادهما في المقصد الاصلي ونظير ذلك في اكتساء الجمال ما تراه من قولهم اذى تقى ما هم
مطرد ما لهم مخرج عنه فنظمه الاخر فقال لا يعرف ذلك الشان والصور شعر اعتاد
من يرد هم في حب السرور منهم سبل ... واحسن من قولهم كان زيدا
الاسد قولهم ان لقيته ليلقينك منه الاسد واتى منه قول البطاء سرجهم
ان يلقني لا ترى غيري بناظره ينسى السلاح وتعرف جبهة الاسد **القانون الثاني**
في دلالة الكلام كل كلام معناه اما مستفاد منه كخرج زيد وعمرو منطلق واما مستفاد
من دلالة معناه وهذا هو الضرب على الكناية والاستعارة والتمثيل كما اذا قلت
فلانة نؤوم الضحى فمقصودك انها مترفهة لها من يخدمها ويكفيها امرها
واذا قلت فلان جبان الكلب مهزول الفصيل فمرادك انه مضياف ولكن ليس هذا
المدلول هو الذي وضع اللفظ له حقيقة بل قولهم نؤوم الضحى انما يدل من جهة
الحقيقة على النوم في الضحى وجبان الكلب مهزول الفصيل انما يدل حقيقة انه لا يقدم

على ادى اخر وعلى ان الفصيل ضعيف فهذا معنى اللفظ والمعنى الاول معنى اللفظ **اشارة**
كم من بعيد من المحصلين يعتقد ان المعنى تبع الالفاظ حيث رأى سهام المعاني في جوف
قرطاس سمعه تعبر بنوع الالفاظ هل تراه مستكا عن معرفة تغيير المعنى مع بقاء الالفاظ
على اماكنها المستقلة وما تعرض له من تقدير تقديم او تأخير او زيادة او حرف او نحو
ذلك ليصح بذلك المعنى المطلوب ولو عرف ذلك لقضى بان الالفاظ هي التابعة وان المعاني
هي المتبوعة ومن ذلك ما انشده ابو علي في التذكرة   نم وان لم انم كراي كراك
ثم قال ينبغي ان يكون كراي خبرا مقدما وان يكون الاصل كراك كراي ان لم انم ونظيره
بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد   والتقدير بنو
ابنائنا بنونا وانما ارشد الى ذلك المعنى ومن الباب قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ليس المعنى على ادعوا مسمى هذا الاسم او مسمى هذا الاسم بل على ادعوا بهذا
الاسم او بهذا كقولك هو يدعى زيدا او يدعى الامير ومن حمل الكلام على غير حذف
كاد يقع في الشرك اذ يخرجه الى اثبات مدعوين وجار بنا الى الجحود فانه لا يستقيم
ان يحمل الى اسمين كلاهما لشيء واحد فيعطف احدهما على الاخر كقولك ادع الى زيدا
او الامير والامير هو زيد وايضا فان قوله اياما تدعوا حال ان يتوجه بمعنى واحد من
الاثنين اي ان يكون لواحد ما هو اكثر منه ومن المشكل تراه من حذف التنوين
من عزير في قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فمنهم من حمل على حذف التنوين
للساكنين كما قرأ بعضهم قل هو الله احد الله الصمد وكما قرأه عمارة بن عقيل ولا الليل
سابق النهار بنصب النهار وترك تنوين سابق لما قيل له ما تريد فقال سابق
قيل له فهلا قلته قال لو قلته لكان اوزن ومنهم من قال حذف التنوين لكون الابن
صفة وعلى هذا في الكلام محذوف فقيل انه مبتدأ تقديره هو عزير بن الله
وقيل انه خبر تقديره معبود وهو قول من التحقيق على هذا وبيانه انك اذا قلت
حكاية عن انسان انه قال زيد بن عمرو سيد كان قد ثبت لم يكن منكرا كونه زيد بن عمرو
ولكن ان يكون سيدا وكذلك اذا قال زيد الفقيه قد تقدم فقلت كذب لم يكن منكرا
قوله زيد الفقيه بل قوله قد تقدم فان التصديق والتكذيب انما ينصرفان الى الخبر دون
الصفة وسواء جعلت ذلك اثباتا او نفيا ما جاءني زيد الظريف ينصرف النفي الى المجيء دون
الظرافة بل يبقى الظريف ثابتا في النفي ثبوته في الايجاب فبان من هذا ان الصفة ان يكون
ثابتة عند المخاطب ثبوتها عند المتكلم والا لما حصل بها التمييز اذا عرفت ذلك ظهر
لك ان جعل الابن صفة فيه لا يؤدي الى امر عظيم وهو اخراجه عن موضع الانكار الى اليهود
تعالى الله عن ذلك فان قلت جعله صفة قول مشهور فهل يكون فيه محمل قلت يمكن ان
يقال على ذلك انه على بعد ان المقصود الدلالة على ان اليهود قد كان بلغ من جهلهم انهم

يذكرون غيرها هذا الذكر كما تقول في قوم قد ضلوا في امر واحد منهم وبلغوا النهاية
في تعظيمه تقولون ابدا زيد الامير يريد انهم كذلك ذكرهم له وانما استقم هذا
التاويل اذا انت لم تقدر في خبرا صحيحا ولكن تريد انه ذكرهم له هذا الذكر وما هو من
قبيل ما نحن فيه قوله تعالى ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم فذهبوا الى ان ثلثة خبر مبتدا
والتقدير الهتنا ثلثة وليس بمستقيم لان امر اثبات الالهة لان النفي انما يرد على المعنى المستفاد
من الخبر لا على معنى المبتدا فاذا قلت ما زيد منطلقا لم تنف معنى زيد بل معنى منطلق فيلزم
في الاية ان يكون قد نفيت كون الالهة ثلثة ولم تنف كون الهة كما تقول ليس امرونا
ثلثة فالوجه ان تجعل ثلثة صفة لمبتدا تقديره ولا تقولوا لنا الهة ثلثة او في الوجود
الهة ثلثة وحذف الخبر وهو لنا او في الوجود مطرد في كل ما معناه التوحيد نحو لا اله
الا الله واما حذف الموصوف بالعدد فسائع اذا عرف كقولك عندي ثلثة واشتريت
ثلثا للدابة ويجوز ان يكون المحذوف تمييزا ويكون التقدير ولا تقولوا ثلثة الهة
اي لنا ثلثة الهة فنفي الوجود عن الالهة كما نفيته عن الشريك في قولك لا اله الا الله و
على تقديرهم يلزم ان يكونوا قد نفوا عدة الالهة لا وجودهم فان قلت نفي الوجود
عن الهة ثلثة يجوز معه وجود الهين اذ لا ينفي ذلك كما تقول ليس لنا امراء ثلثة لكن
لنا اميران قلت لكن قولك الهة ثلثة يوجب نفي الالهة وقولنا ليس لنا الهة ثلثة لا
توجبه فان قلت كلا لا يوجبه بنفسه قلت انه نفسه وقد نفاه ما بعده من قوله
انما الله اله واحد فان قلت كما نفى الاثنينية فكذلك ينفي الثلثة فلم كان تقديرك
اولى قلت يلزم على تقديرهم ثبوت الهة عامة الى ان يجيء ما ينقضه فمعنى ذلك
الى المناقضة وليس تقديرنا يقضي الى اثبات الهين ينقضه ما بعده ومن ثم صح
ولا تقولوا لنا الهة كما تقول النحويين النصارى ان تقولوا الالهة ثلثة قلت صدر الاية
يبطل هذا وهو قوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم وقوله ولا تقولوا في معنى لا تعتقد والاعتقاد
يتعلق بالخبر لا بالمخبر عنه كما تقول لا تعتقد ان الامراء ثلثة فهذا نهي عن اعتقاد كون الامراء
على هذه العدة ولا يستقيم ان يكون ذلك خطابا مع المؤمنين وانهم نهوا ان يحكوا عن
النصارى مقالتهم وانهم يقولون كيف وكتب قد حكى الله تعالى عن اليهود قولهم عزير
ابن الله وعن النصارى ان المسيح ابن الله وكيف يصح ان ينهى عن حكاية قول المبطل
وفي ذلك ترك الاحتجاج عليه والافصاح ببطلان مذهبه القانون الثالث
في جعل الضافة الكلام الى قايله كل من اوسط اصناف الى قايله فليس من جهة كونه واضع
بل الغرض الكلم معزل عن الاختصاص لكن من جهة توخي معاني النحو في معاني الكلم ولي

وذلك لان من شان الاضافة الاختصاص وهي تكون بينها وبين الشيء من الجهة التي تختص
بها المضاف اليه كقولك غلام زيد فان الاضافة تناولت الغلام من جهة كونه مملوكا و
حال الغرض الكلم مع المؤلف حال الابريسم مع ناسج الديباج والذهب مع الصايغ و
ليس قايل الشعر قايلا له من حيث نطق بالكلم لقيل لحاكي الشعر انه شاعر وانه قايل الحكاه
فان قلت انما لم يقل لحاكي الشعر انه شاعر لانه ليس اول من ابتدا فيها النسق والترتيب
بل لان الثاني حاك والاول قلت لم يكن امرؤ القيس قايلا قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
ومرتبا هذا الترتيب الا من جهة جعله نبك جوابا للامر من حيث اي ذكرى وذكرى
مضافا الى حبيب ومنزل معطوفا على حبيب وهذا معنى قولنا انه لم يكن قايلا الشعر
الا من جهة انه توخى معاني النحو في معاني الكلم وليس للترتيب جهة اخرى تضاف
اليها الشعر والتاليف فلن تعدو الحكاية الالفاظ ولا اخراس عن الحروف القانون
الرابع في معرفة الفصاحة الكلام الفصيح تجده قسمين قسم تعزى المزية الى
النظم فالاول الكناية والتمثيل الجاري على حد الاستعارة وكلما كان فيه مجاز واتساع
حتى وقع ضرب من ذلك على شرطه اقتضى المزية من ذلك قول ابن هرمة ولا ابتاع
الا قريبة الاجل فانك اذا انعمت النظر وجدته مع يعمر ظاهر اللفظ وان مراده انه
يشري ما يشري الا للاضياف وانه اذا اشترى بعيرا او شاة فقد اشترى ما في اجله
ونظيره في الاستعارة قول الاخر هو الواثق الدمشقي فاسلبت لولوا من نرجس
فسقت وردا وعضت على العناب بالبرد وكذا قوله يعني الحسن بن هاني سلي صدري
الدمع من نرجس وتلطم الورد بعناب تنبيه اذا دخلت الاستعارة بلغت بالمجاز
الدرجة العليا وهو ان تاتي ما هو من شكله وتعضده بما هو من توابعه فاذا اوجب
تلك الكلمة اتم تركلا الحسن منه ديباجه وحلت انفس منه محلا وسمي المجاز المرشح
ومثاله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين لما ذكر ان ثم شراء ومعاوضة سمي بكون الحادة بتحقيق المعاوضة ونفى الربح
حتى اعنا صوا عن الهدى الذي كانوا في ملته من يحصله تطهر اولئك قضاء ولذلك عرفة
الملك عراس المال فما الذي في مقابلة الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح اذ فاتت عليهم
راس مالهم فان الضلال لحسرات مبين وان راحت مقاصدهم الدنيوية وقوله وما كانوا
مهتدين اي لطرق التجارة عام طوى الحلو بحاله وحام ازهق النفوس ومن لا
يكون مهتدا بالطرق الاعاد يحقق باضاعة راس ماله ومن ترشيح الاستعارة قول ابن
نباته ايها الناس ان الموت عام طوى الحلو بحاله وحام ازهق النفوس
دمايه وعرا بينه لا يعد بحاله وداعي سامه سريع الاعاصر جوابه ومنه ولما رايت
النسر عز ابن دايه وعشعش في وكريه جاش له صدري لما شب الشيب النسر والسعر

الفاحم بالغراب اسعد ذكر التشبيه في الوكر وكا برشح الاستعارة فقد يرشح
الحقيقة وهو ان يتبع المجاز بما هو من روادف الحقيقة ولوازمها مثاله فلان اشد
تكلما للابطال برمحه وتحاوى الى داره العافون وعلم تهتدى بعلومه ووصادم
في منشوره ومسطوره كانك قلت شجاع مكرم للابطال برمحه وكريم ماوى الى داره العافين
وعالم تهتدى بعلومه وطبع في منشوره ومسطوره واما ما يحوى للاديب فيه الى النظم
هو الذي عقدناه الركن الثاني الركن الثالث في معرفة احوال الالفاظ واسما
اصنافه في علم البديع وفيه مقدمات واصناف اما المقدمة فيشتمل على بحث كلي
يتعلق بمخارج الحروف فنقول قد علم ان الكلم مركبة من الحروف ومنها ما هو ثقيل
في النطق كحروف الحلق ومنها ما هو خفيف ثم قد سلام الحروف في سهولة المخرج
وفي ثقله وتقاربها فاذا تواصفت في الثقل او تقاربت في التركيب صار اللفظ
مستهجنا ومعقدا ونحو قولك عجخ وادا بلام التركيب ثقل على ... سهله و
علمه ومن المستهجن الشاعر وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب
قبر حتى قيل انه لا ينشد على نسق ثلاث مرات الا يغلط فيه منشده ويعزى ثم
قيل انه من شعر الجن ويتعلق بمخارج الحروف وشان حقيقتها من ثقلها
والكيفيات التي تعرض لها وما به تقع اعتبار الخفيف من الثقيل كلام ليس هذا
موضع ذكره ولا يخفى ان سهولة اللفظ وعلامة المفردات تبعث على حفظه ويكسوه
رونقا وجمالا وهو فرس المعنى ومساوقه فلذلك وجب على الناظر في هذا
العلم ان يقدم معرفة ما ذكرناه في تركيب الحروف وان يعرف اصناف البديع
وتعريف ما بينها من التفاوت وما اشتمل عليه كل صنف من الخصوص لكي
يعرف كل شكل بشكله وان تعرف اسماها في الاصطلاح فان الجاهل من قد يعد
من جملة الجاهلين به وهذا الركن يشتمل على بيان ستة وعشرين صنفا وسبب
وما اهمل ذكره في هذا الركن معلوم مما ذكرته او مستغنى عن ذكره لاشتمال
الركنين السابقين عليه او انه ليس معلوم عرضا في هذا العلم الصنف الاول التجنيس
منه التام ويسمى المستوفى وهو ان يعيد اللفظ الاول مع اختلاف المعنى نحو
لولا الحمى لهلكت ولا ملا الراحم من استوطن الراحة وقول ابي تمام ما مات
من كرم الزمان فانه يحيى لدى يحيى بن عبد الله ولو اتفق المعنيان لما كان جناسا
ومنه الناقص وهو ما عدا التام ثم النقصان ان وقع بسبب الحركات سمي المختلف
نحو ... البرد جبة البرد ومسالمة شرك الشرك والجاهل اما مفرط
او مفرط وان وقع اختلاف بالحروف فاما ان تتفق الكلمات في اصل واحد من
جهة الاشتقاق او لا فان اتفقا سمي المطلق نحو قول جرير فما زال معقولا عقال

عن الندى وما زال محبوسا عن المجد حابس وان لم يتفقا اشتقاقا فان كان بينهما
موافقة صورة مع ان احدهما من كلمتين سمي المركب نحو اذا ملك لم يكن ذا هبة
فدعه فدولته ذاهبة ومنه فهمتا لما فهمنا وقد سمي هذا النوع لضمك الى العمرة
المفاث ... بعادل بطرفها وان اختلفا صورة فان كان ذلك في الكما ... تفصل
سمي المعروف نحو قول الحريري ارمعت البحوص من ... وقد سميت ...
ومنه من ظلم ... وان اختلف الخط واللفظ فان
كان ذلك بزيادة الحرف الاخير ... لفظا ... معنى احدهما دون
سمي المذيل نحو يا طوى ... سالم من ... لعرضه ... الغرض
وان كان ذلك بغيره فان اتفقا صورة في الحروف دون النقط واللفظ سمي تجنيس
الخط كقوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومنه الاثر عن علي كرم الله وجهه
قصر ثوبك فانه ابقى واتقى وانقى وكقول البحتري ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز
والمعتز بالله طالبه وان لم يتفقا خطا فان وقع النقا ... من الحروف المتقاربة
سواء وقع اولا او اخرا او حشوا سمي المضارع كقوله عليه السلام الخير معقود بنواصي
الخيل ومنه قولهم ما خصصني ولكن خصني وان كان بغير الحروف المتقاربة فهو
التجنيس اللاحق كقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد ومنه وفي
احد المجانسين الاخير من غير فصل قيل الزوج ... ووجل واذا ملأ
الصاع انصاع ومنه قوله حور الاحمال الاحمال والهوى للناس ... خالا و اجمع
اجل بكسر الهمزة وسكون الجيم وهو القطيع من بقر الوحش والثاني جمع اجل
بفتحها وهو ... وان نقص احدى كلمتي التام حرفا عن الاخرى فهو التجنيس
الناقص كقول البحتري هل لما فات من تلاق تلاف ام لشاك من الصبابة شاف
فان عرض للمطلق ان اضيف الى احدى الكلمتين قيل له تجنيس الاضافة كقول البحتري
ايا قمر التمام اعنت ظلما على تطاول الليل التمام وصار بالاضافة كالمختلفين قال
العالمي وكل تجنيس ... فلا يمكن اطلاق اسم احدهما عليه فهو المسمى
بالمشوش كما ... فلان مليح البلاغة لبيق البراعة فلو ... عين الكلم ... لكان
تجنيس تصحيف ولو اتفق ... لكان من المضارع الصنف الثاني الترصيع
وهو ان يكون الكلمة متساوية الاوزان متفقة الاعجاز مثل قوله تعالى ان الينا ايابهم
ثم ان علينا حسابهم وكقول الخنساء حامي الحقيقة محمود الطريقة نفاع وضرار
جرار ... وقد يجيء مع التجنيس نحو
اذا قلت الانصار كلت الابصار الصنف الثالث الاشتقاق وهو ان تاتي بالفاظ يجمعها
اصلا واحدا يكون معناه مشتركا كما ان حروفه الاصول مشتركة تدل على معنى ... صح

مع تغاير اللفظين بوجه كقولهم ضرب يضرب واضرب وضارب ومضروب وضرّاب
ومضراب ومضروب فان ذلك كله مشتق من الضرب ومنه قوله تعالى فاقم وجهك للدين
القيم ومنه قوله عليه السلم ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله ومما يشبه المشتق
وليس به قوله سبحانه وجنى الجنتين دان فان اصل كل واحد من الكلمتين غير اصل
الاخرى يقال جنى الشيء يجنيه اذا قطعه والجنة من جنه الليل يجنه اذا ستره الصنف
الرابع التطبيق ويسمى الطباق والتكافؤ وهو ان يأتي بالشيء وضده كقوله عز من قائل
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول دعبل لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك
المشيب برأسه فبكى وقد جاء الطباق بالنفي كقول البحتري يقيض لي من حيث لا
اعلم النوى ويسري الي الشوق من حيث اعلم فلا اعلم في موضع اجهل وقد طابق
ابو تمام ما بين الانسان اذا كان احدهما الحاضر والاخر الغائب عن الحضرة بحري بالذي
يجري المتنفس في قوله مها الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك
ذوابل ومن الطباق قول الحريري فلا انهم وضع غريب ولا رفع نخل وقد
يطلق على هذا اسم المقابلة لكونها دقيقة وهو ان يورد معاني يتوافق بينها
وبين غيرها او يخالف عند حصول المخالفة او شرط شروطا ويحدث احوالا
في احد المعنيين فيجب ان يأتي فيما يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه
باضداد ذلك مثاله قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ونظيره قوله تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء ومنها قول البحتري متى تم ما تسر صديقه على انه فيه ما يسو
الاعاديا ونحوه ايا عجبا كيف اتفقنا ناصح وفي ومطوي على الغل غادر
الصنف الخامس لزوم ما لا يلزم ومعناه في الاصطلاح ان الناثر او الناظم يضيق على
نفسه في التزامه مواخاة الالفاظ بالتسجيع وفي التنزيل فاما اليتيم فلا تقهر واما
السائل فلا تنهر وكقول عثمان لا يكن حبك كلفا ولا تعصل بها الصنف السادس
الازدواج المزدوج وهو ان يقع في اسجاع النثر او النظم لفظان مسجعان مع مراعاة
حدود الاسجاع الاصلية كما تراه في قوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين وكقول
بعض البلغا فلان رفع دعامة الحمد والمجد باحسانه وورد بالجد والجد على اقرانه
ودرس ساده في هذا الصنف البديع ايضا ... الناس لحضرة انصفا الادهام
لعطاف الوشاح ... على ... واسرعوا ... الرجال
... بنوا لجر نواهيها وادرعوا سوابق العصاب بلواحق الاحسان فتلوا امن وابر

دواهيها الصنف السابع الالتفات وهو ان يعدل من الغيبة الى الخطاب او من الخطاب الى
الغيبة او من الغيبة الى التكلم كما في قوله تعالى مالك يوم الدين اياك نعبد واياك
نستعين وكقوله سبحانه وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وكقوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد
ميت وقد جمع امرؤ القيس بين الالتفاتات الثلاث في ثلاثة ابيات وهي قوله
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي
العاير الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وهو من اساليب
الافتنان في الكلام ولانه اذا انتقل الكلام من اسلوب الى اسلوب كان ذلك انشط
للاصغاء وابسط للسامع مما لو جرى الكلام على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه
بفوائد ومما اختص به الفاتحة انه لما ذكر الحقيق بالحمد اجرى عليه الصفات العظام
تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة به في
المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته
نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على
ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومن البلاغة ان يقدم ذكر
الشيء على سبيل الاجمال ثم يوضح بعد ذلك فيكون ابلغ مما ذكر به مفسرا من اول
الامر وقد تقدم طائفة تشهد له بالصحة ومنه قوله تعالى وان لم يكن من باب الالتفات
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ونظيره ان تقول
هل ادلك على رجل عالم عامل ينتفع به في الدارين فلان وهو ابلغ مما لو قلت
هل ادلك على فلان فانه رجل عالم عامل ينتفع به في الدارين الدنيا والاخرة
الصنف الثامن الاعتراض وهو ان يؤتى في حشو الكلام ما يتم الغرض دونه والمقصود به
تحقيق ما اعترض فيه او تكميل معنى يتعلق به ومنه قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم فقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم
معترض بين الجواب والقسم ولو تعلمون معترض بين الصفة والموصوف وكذا
قوله تعالى ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى
فقوله اية اخرى معترض وما احسن قوله ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي
الى ترجمان وقد علموا من الاعتراض والله اعلم من الحجة ولا مقلد ما يوجب
الحجة عليك ويسمون الرجوع وفيه نظر وقد اطلق الخطيب التبريزي على هذا الصنف
اسم الالتفات واستشهد بقول جرير متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتها الخيام
وقول الجعدي الا زعمت بنو سعد باني الا كذبوا كبير السن فان وقد كبرت ولوان

الباخلين وانتم ثم ذلك تعلو انك المطالا الصنف التاسع اللف والنشر
وهو ان يذكر شيئين ثم يرمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد كل تفسير الى اللائق به
كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
وقوله عز من قائل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولم يقل
كل واحد من الطائفتين ذلك بل قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى الصنف العاشر التقسيم وهو ان يذكر
شيئا ثم يضيف بعضه خصيصه معه مع ذلك المخصص نحو قوله تعالى فمنهم شقي و
سعيد ثم قال فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق واما الذين سعدوا
ففي الجنة الاية ونظيره قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون فجاء مبينا حكم الثاني
قبل حكم الاول ووجهه انه لو بني حكم الاول لزم منه ان ينفصل الحكم عن محل واحد
منهما ومما يناسب هذا التقسيم الصحيح كقول بعض فقال فريق القوم لما نشدتهم
بهم نعم وفريق ليمن الله ما ندري فما سبق في جميع اقسام الاجابة عن من سال عنه
ومنه قول الطرح ان حاربوا او صفعوا او سالموا دعوا او واعلوا امضوا او
حاربوا اصلحوا الصنف الحادي عشر التعديد وهو ايقاع الالفاظ المفردة على سياق
واحد كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم وكذا الخالق البارئ المصور فان
اقترن بذلك ازدواج او مطابقة او تقابل او جناس ازداد حسنا مثاله فلان
اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات والنفي والابرام والنقض
والهدم والبناء والمنع والعطاء والامر والامر الصنف الثاني عشر التخييل وهو تصوير
حقيقة الشيء حتى يتوهم انه ذو صورة تشاهد وانه مما يظهر في العيان كقوله تعالى والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقوله تعالى طلعها كانه رؤس
الشياطين ولا يكاد تجد بابا في علم البيان الطف منه ولا ادق ولا اعون على تعاطي
المتشابهات ومما يتصل بالبديع المتوازي وهو الصنف الثالث عشر وهو ان يتفق اخر الكلمتين
اللتين بهما يكمل القرينتان وزنا ولفظا في الحرف الاخير نحو قوله تعالى فيها سرر مرفوعة
واكواب موضوعة فان فات الوزن سمي المطرف كقوله سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا
وقد خلقكم اطوارا فان فات الحرف الاخير وبقي الوزن سمي المتوازن مثل
قوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ومنه واتيناهما الكتاب المستبين و
هديناهما الصراط المستقيم الصنف الرابع عشر رد العجز على الصدر وهو ان يلقى اخر
الكلام اوله بوجه مثل قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ولا تفتروا على الله

كذبا

كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ثم قد يتفقان صورة ومعنى كقوله
سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران واحسن منه ان
يتفقا صورة ويختلفا معنى وقد يتفقان معنى ويختلفان صورة وقد يتفقان
في الاشتقاق دون الصورة كقول جرير ؞ اخلفا وصدودا دائم على اجمعين
حلابه وصلعدا ؞ ومنه ؞ صرا دالله عنها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا
وقد يكون احد اللفظين في حشو المصراع الاول من البيت واللفظ الاخر في اخر
المصراع الثاني نحو قول ابي تمام ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الاشياء كالمال
المضاع وكذا قوله ؞ لكان انسان عينيه سابل اسد لها فاصابه انسانها ؞
نعني انسا نعيما وهما اتفقا معنى واختلفا صورة قول الحريري ؞ ولو اسقيت
كاسات الاحوال فيها سقيه ؞ ومن نادر هذا الصنف قول الحريري ؞ سمسم
بحلا اذا دها فاشكر لمواعظي ولو سمسم ؞ والمكر بما استطعت لانك تبغي السود
ذو المكرمة ؞ ومما يتردد بين الطباق ورد العجز قول المتنبي ؞ رفع الناس ما
ولو جهلوا فاهل الجهل ... ما دفعا الصنف الخامس عشر المساواة
وهو ان يكون اللفظ مساويا للمعنى من غير زيادة ولا نقصان كقول زهير ؞
اذا انت لم تقصر عن اللوم والخنا اصبت حليما او اصابك جاهل ؞ وقوله ايضا
ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم الصنف السادس عشر
العكس والتبديل كقوله ؞ واد اللدرا ... وجه كان الله ... وجهك
وهكذا كل ما كان من قبيل ما يحمل على غيره لقصد المدح او الذم فجعلت ما ينبغي
ان يوصف به موصوفا وما ينبغي ان يكون موصوفا صفة مع اجرائهما على الاصل
في ذلك الكلام نحو ؞ للناس الحرير ... عليه ملك ان يستامخار ؞ ومنه ان
يكون الملابس الحرحسن فلها منك ان يستحال ؞ ونظيره ؞ شبهوه بالكليب وهو
لعمري حوذي الكلاب لو كان منها الصنف السابع عشر الاستدراك والرجوع وهو
ان يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والابطال كقوله اليس قليلا نظره
نظرها اليك وكلا ليس منك قليل ؞ وكقول بشار ؞ سقى الله ... عند
الامير وهل على امير الصنف الثامن عشر الاستطراد كقول الى السمهوري ؞ واحسن
منها الباخلين ... اذا ... وجهرنا باس
اللوم صفرا وسودا ؞ وكذا في كل كلام خرجت منه واخذت في غيره مما يلائمه
ويناسبه مع انه دخل فيما عقد له التفصيل ومنه ما روي جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو بمكة يقول ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير و
الاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود

ويستحيونها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلعم قاتل الله اليهود ان الله حرم
عليهم شحومها فحملوه ثم باعوه واكلوا ثمنه متفق عليه فقوله قاتل الله اليهود الى آخر
الحديث من باب الاستطراد وقوله فحملوه اي اذابوه ومنه قولهم للشحم المذاب جميل

الصنف التاسع عشر
الفصل التاسع عشر

الاستهلال وهو ان يبتدي بما يدل على الغرض كقول الحساني
احبها ✽ وما بلغت كفا امرئ متناول من المجد الا والذي نلت اطول ولا بلغ المهدون
للناس مدحه وان اطنبوا الا الذي فيك افضل ✽ ويقرب من هذا الضرب ضرب
يسمى التسهيم كقول البحتري ✽ واذا حاربوا اذلوا عزيزا واذا سالموا اعزوا
ذليلا ✽ وكقوله ✽ فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام
والسطر الاول يعرف بالسطر الثاني في السمع سمي بذلك اخذا من البرد المسهم
وهو الذي لا يتفاوت وقد يسمى التوشيح الصنف العشرون التخليص وهو ان
يخرج من الغزل الى ذكر الممدوح مع امتزاج بين النوعين بحيث يلائم ملائم
اخر النوع الواحد منه قول محمد بن وهيب ✽ ما زال يلثمني مراشفه ويعلني الابريق
والقدح حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضح ✽ وبدا الصباح كان
غرته وجه الخليفة حين يمتدح ✽ وهذا الاسم مشهور الدلالة في صناعة الشعر
ولا يبعد ان يطلق ايضا على هذا في صناعة النثر وكذلك جميع الاصناف السابقة
واللاحقة ومما يجب عليه ذلك هو الصبح قوله في رسالة منها سمي المملوك
انه لما اقتحم العقبة الكؤود التي هي بلا اسعاد يحمل وبلا مساعد فلم يقطعها
حتى رجع نضوا على نضو ونقصا على نقص بعضه من الصعود متباعد وسامه
عن قطع المسافة متقاعد وهو مع ذلك متفكر في مفارقة الاهل والوطن والخل
والسكن يقدم رجلا ويؤخر اخرى ويستوكف الدمع فرضا عشرا عشرا البيع
تبع علته ويشفي صدري عليه فما هو كذلك اذ اوصل عام مشعل القاصد
الى الزفاف والمحصل للاتفاق تناوب التكلاف وهو يومئذ الى ما انطوى
عليه من الاحراج اسطر الجمع واحد في اشراق الاسم والى المملوك يشد و
الشوق بين صلوم عن تعود ويحد ✽ دعى الله اياما مضت لي بحلوان ورد مكا
يا اخي وفي صغرى ✽ ودونها مرد السرور ومعها يزيد بريد الوجد فيه وفي السرى
وفي بردي سلسال ما مصيب بردي له سر يسم في مجرى ✽ وما النسيم والقصوم
وابوق الحمى اذ اسطر المنثور والورد عن سطري ✽ ديارها وقد الربيع مناسم و
اسحارها كسد سحرا ✽ واهلا الايام الخريف فانها سبعة عاق بسد لها
الصبر ✽ فلم يسم الاسماء الاوذ فيه قد ذاد فادعى ✽ العام عن البير والشعر بصوت
ماهد فالتقى الماء على امر قد قدر و يحقق به النوى وعاد منه العذر اذ و نقلت

الورى وحرزان الجبال بالقدر فقال جانه ما تقرب به الامثال الا استهلت قوس قوح
لسد في الحطانه ولكن حصل المملوك البطانه ولم يالغ في ذلك جهلا ولا داعي فيما
وعهد الى ان رهنت الاغصان نسا ولبس الارض من الملوح ثوبا فسا ونوكلت
الايدي بالبحور وحل الماء الى الثغور وامضى المملوك الوداد ما كان يعلمه ولا دو علمه
قد جاد فاسترجع وفكر واحمد الله وشكر فهو يدعي في سره لاعليك والصاحب نعماه
لا يزال يمرح في اوصال الكوب ويكسر اسع بالغرب ويخلصك من بوائق الدهر و
تعود عليك نعما كوالنفر ويود سعى الرد معلوا وفارس البلح مكلا معلولا بقوا الله
السنية ومواهبه العلية فرجع حقا يبلس وحسن حالك دوح ولا يكى ✽ لحوان
عرفت سعينداملك عقبته وعود ولواله ✽ اشد فوهته اعانه من يعلي عليه
الدهر في تعواله حمل على لا تطال عند نزالهم ما ويح من يلتحي ليوم نزاله ✽ السعد في
نظرانه والموت في سطواته والفضل من افضاله ✽ عجبا ابو الحسن الودبر عصمو الحاكمون
امامهم بطلاله ✽ انت المكارم الجود لا تهرها عنا له ولغيره عضاله الصاحب البدب
الجواد ومن له سر يسالحمد وحسن يعاله ✽ تعطى الجزيل من السؤال وعنده ان الجزيل
الغلاء اقلاله ✽ فاق الايام مفاخرا اوما تراه قلالك لعطى ما هو محلاله ✽ عند الحسوه
تفضلا من محمد ويرى له الانعام عند سواله ✽ حاسد كالسوت الذي اعمره محمد ويصحبه
وباله ✽ حانت نوى التخليص في هذا النبي نسب حاله في النظم وانه من علم البديع في
المقام الرفيع الصنف الحادي والعشرون الترديد وهو ان يعلق لفظه بمعنى ثم يردها بعينها
ويعلقها بمعنى اخر كقول ابي نواس ✽ صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته
سراء ✽ وكقول الرحلة ✽ مضطرب بيع في اخطار كالماء حالك عن ربح فاضطرب
اذا نطساته صلتنا وان يطى خوفه الدهر كتب لا يبلغ الجهل به راكبه ويبلغ الروح
حين طلب ✽ ويسمى هذا الصنف التعطف ايضا الصنف الثاني والعشرون التتميم وهو ان
ياتي في بيان معنى صورة غير مشروح مقبح للسان الناس لا يصور بحصر
فيحتمل مؤكدا ان صحابتنا له قول ابن الرومي اداوكم ووجوهكم وسيوفكم
في الحادثات اذا دجون نجوم منها معالم للهدى ومصابيح تجلو الدجى والاخريات
رجوم الصنف الثالث والعشرون التفويف مشتق من البرد المفوف الذي يخالطه وشيه شيء
من بياض وفي الاصطلاح عبارة عن ان يصف المذكور بجمل اعني بمدح من صفات
المكارم مثلا ثم مائل الى خدمة المكون يقرب بذلك الاسم ماياوشد بانه مدح بحوق حر
هم الحسام رجلا وصلا وفي الهيجا كانهم صقور هم حلوا الكرام على المعالي
وهم عن سابهم صور خلائق بعضهم فيها البعض يوم كسرهم فيها الصغير جين
النكر اكلهم عني بالمعروف كلهم بصر الصنف الرابع والعشرون التجاهل وهو ان يسال عن شيء

نحو موهما انه للتحريم وانه مما احله الحلف في الشك لقوة شك حصل بين المذكورين منه
قوله اما ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آانت ام ام سالم حمل بعضهم حتى
لا نفرق بين ظبية الوحش وبين ام سالم في الصورة واوهم انه اشكل عليه المسمى
باسم الظبية على وجه الحقيقة وقريب منه قوله بالله يا ظبيات القاع قلن لنا
ليلاي منكن ام ليلى من البشر ونحو لا يعلى قول زهير وما ادري وسوف
اخال ادري اقوم آل حصن ام نساء الصنف الخامس والعشرون الهزل الذي اريد به الجد
كقوله اذا ما تميمي اتاك مفاخرا فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب الصنف السادس والعشرون
التهكم وهو ان يطلق كلاما للابعاد ونحوه مستعملا لما يصلح ذلك ويدل على
استقامته كقوله هو الذئب او للذئب اوغد امه وما منهما الا اذل جويب
كانه لما قيل اي الذئب او في امه نبه على قوله يا اي امه للذئب فقال انسيله كل
وما منهما الا اذل جوون ومثله وقد اعرضت الحلاس ان حصان اوان الاول العقول
كانه قيل له وهل يمنع من الجلب ان حصل علا في ذلك اوان لم ينفعه العقول
وقال اذا ما ظمئت الى ريقه جعلت المدامة منه بديلا وابن المدامة من ريقه ولكن
اعلل قلبا عليلا تنبيه ينبغي ان يعلم ان مبنى القرائن على الوقف ومن ثم ساغ
ان يقابل المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمضموم وغير المنون نحو ذلك
قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب مع قوله عذاب واصب وشهاب ثاقب
ومثله ما العيش الا فات وما اقرب ما هو ات ولو اظهرت الحركة لفوات التسجيع وقد
تقابل المنصوب المنون بغيره لكون التنوين يسقط طلبا للموافقة وليس في ذلك الا
وابن نباتة الخطيب مغري بكثير الموافقة القرائن في الحركة وانه من الصناعة في
الذروة واما اللواحق بيان الجهة التي يحصل بها البلاغة والاعجاز في القرآن
لما تضمنت ترجمة هذا الكتاب علم البيان المطلع على اعجاز القرآن استدعى ذلك
ان يكشف الغطاء من الجهة التي كان القرآن بها معجزا اصول الكلم اما ان يعتبر بالنسبة
الى ذاته او الى عوارضه من الحركات والتاليف او الى مدلوله او الى المجموع او الى
امر خارج عن ذلك ولنقدم قبل البحث في ذلك مقدمة وهو انه لا يصح التحدي بشيء
مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي ولا يتجه قول القائل لمثله اني قد
صنعت ما انت قادر على ان تصنع مثله الا بعد ان يعلم الجهة التي يعجز
المخاطب عنها ولولا اعتبار ذلك لامكن كل صانع ان يدعي عجز اهل صنعته ان
ياتوا بمثل ما ياتي به وان لم يذكر في علاه الصانع اذا عرفت هذه المقدمة عرفت الجهة
للجهة التي كان بها القرآن معجزا فنقول لا تخفى وهذه الجهة في الاقسام
المتقدمة اما القسم الاول وهو ان يكون العجز حصل من جهة ذوات الكلم المفردة فباطل لا

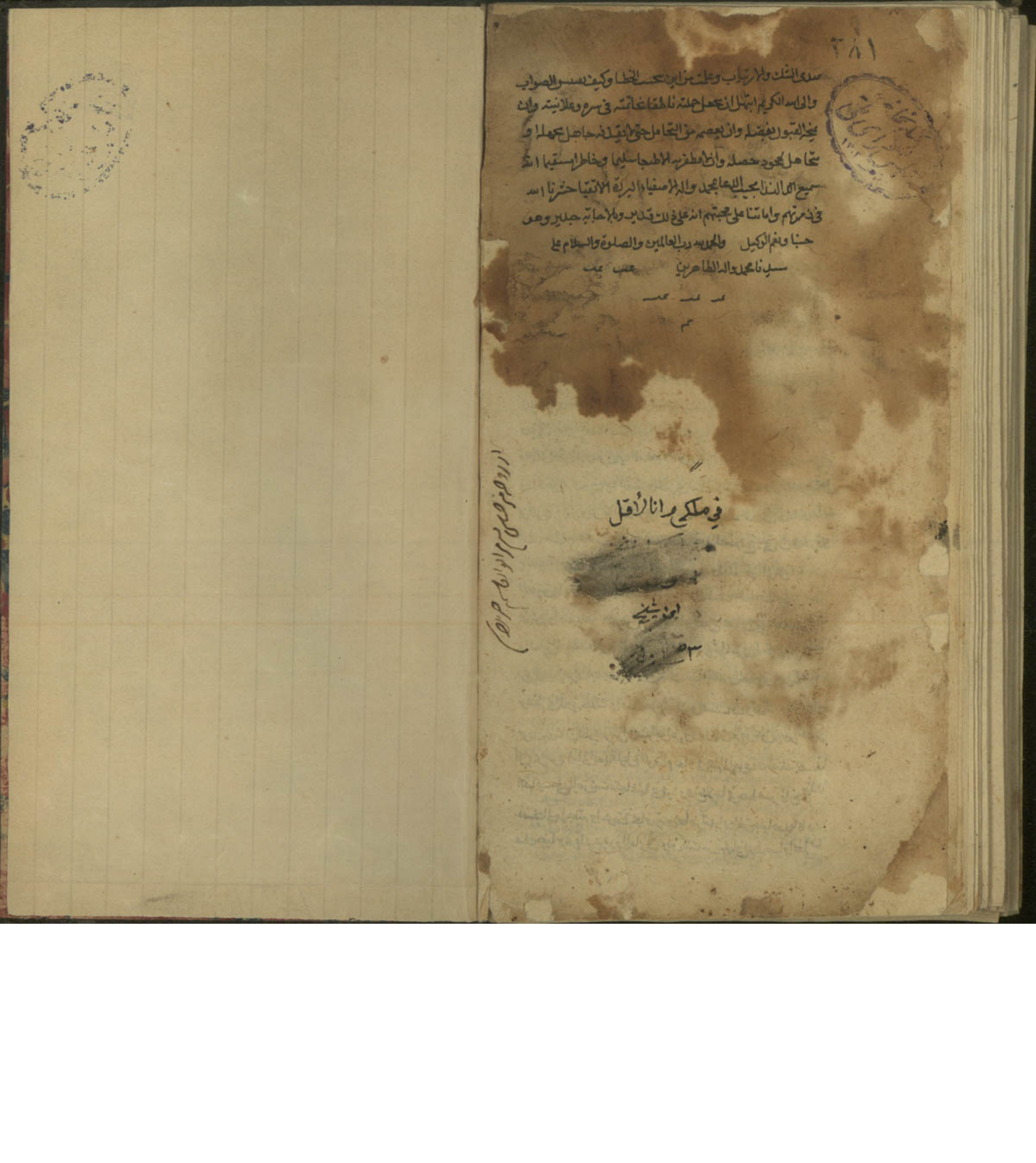
بين

بين فان العرب كانوا ياتون بهذه الكلمات صغيرهم وكبيرهم جليلهم وحقيرهم
فان قلت من الجائز ان يكون قد حدث في حروف الكلمات واصلها اوصاف
لم يكن قبل نزول القرآن وان يكون قد تجدد في معنى الحمد والرب والعالمين
والملك واليوم والدين وهلم جرا معنى عجيب يفهمه السامع ولا يقدر على ان ياتي
بمثلها كما نفهم طيب النغم الذي عرض لصوت الصوتي مع عجزه ان يصنع مثله قلت
دعوى ذلك شبيهة بدعوى القائل انه قد يحصل فيها من صفات العلم بالهندسة
والحساب ودقائق المعاني ما يعجز عنه المشهورون بذلك ولو كان شيء ابعد من المستحيل
لكان هذا واما القسم الثاني وهو ان يكون الاعجاز وقع بالنسبة الى العوارض من الحركات
والتاليف فقط فيحتاج الى ان يعطاه مسلم من الحماقة في انا ان نطق بالجواهر وفصل
لوبيت وهاجر ان شا شئت ... الحاضر وكفى له والطاحنات طحنا ولو كان الاعجاز
راجعا الى الاعراب والتاليف المجرد لم يعجز صغيرهم ان يؤلف الفاظا معربة فضلا عن
كبيرهم ولما قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ولما قال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات اتانق فيهن
اي استمع محاسنهن لم يقل ذلك من اجل اوزان الكلمات ولا من اجل اعرابها ولا من
اجل الفواصل في اواخر الآيات ولا من اجل التاليف فقط ولما وازن بين قوله تعالى
ولكم في القصاص حياة مع قولهم القتل انفى للقتل علم ان ذلك راجع الى حقيقة النظم وذلك
الفائدة واما القسم الثالث وهو ان يقع التعجيز بالنسبة الى المعاني فقط فهو سقيم
فان المعاني ليست من صنع البشر وليس لهم قدرة على اظهارها من غير ما يدل عليها ولو
وقع الاعجاز بالنسبة الى المعاني فقط لامكنهم ان يقولوا قد قلنا مثل ذلك ولكن لم
نلفظ بما يدل عليه وادعاء ذلك ليس يمتنع على كل احد والتكذيب به غير مستند له
كيف وحاصل ذلك راجع الى امر واحد في ادعى حصوله لنفسهم كادعائهم ادراك
خواطرهم وآلامهم ومحبتهم وبغضهم واما القسم الخامس فباطل ايضا وان كان قد زعم
قوم ان عجز العرب انما كان لصرفهم عن المعارضة لا لانه معجز في نفسه وان كانوا قد
سلموا ان فصاحته واحتج الى القسم الرابع على ما سنبينه وان العرب صرفت هممهم وحولوا
عن تاليف كلام مثله ولو كان كما زعموا لكان حالهم حال من يعلم العلم ثم قد كان
يعلم ويحيل بينه وبين امر كان في قدرته واذ ذاك ينبغي ان لا يعظم في اعينهم ولا يكبر
عندهم اذ كانوا امنة على طريقه بل يكون اعظامهم خلفا لسعير حالهم وسلباب
كانوا عليه على امتداد ولا ينبغي ان يضاف الاعجاز اذ ذاك الى القرآن وقوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا دال على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة

لاجتماعهم منزلة اجتماع الموتى ولبس بعجز الحى فى بكر عسلا لكون هذا مع ان
الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القران فكيف يكون معجزا غيره وليس فيه صنعه
الاعجاز بل المعجز هو الله حيث سلب قدرتهم على الاتيان بسورة من مثله ولله فى تجهيل
بعض الناس اسرار غامضة تقصر عنها الادراكات واذا بان بطلان هذه الاقسام بقى
القسم الرابع وهو ان يكون الاعجاز راجعا الى ما قدمناه من توخى معانى النحو واحكامه
فى النظم بان يوقع كل فن فى رتبته العليا فى اللفظ والمعنى الافرادى والتركيبى على
ما قدمت من التفصيل ولو كان الاتيان بمثل اللفظ الغريب وسمى الاعراب مجاز التركيب
كما هو في الفصاحة لما عرى عنها قوله ؛ كان سنا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم
ماء ؛ ولم يقع فرق بين هذا البيت وبين قوله ؛ كان الثريا والصباح يليها هذا بارق
رهبان دست الحود ؛ وقوله ؛ وليل كواكبه حوان فليس لطول مدته انتهاء ؛
علمت سلخ الاصباح فيه كان الصبح جودا وعطاء ؛ وقول ابن المعتز ؛ فى ليلة اكل المحاق
هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج ؛ والصبح يتلو المشترى فكانه عريان
يمشى فى الدجى بسراج ؛ ولما عرف فضل لبيد فى قوله ؛ وما المرء الا كالشهاب وضوءه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ؛ وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوما
ان ترد الودائع ؛ ولما استحسن قول المتنبى ؛ احبك يا شمس الزمان وبدره وان لامنى
فيك السها والفراقد ؛ ولما استعر ابو عمرو بن العلاء فى قوله ؛ لا عيش الموت
موت البلى وانما الموت سؤال الرجال ؛ كلاهما موت ولكن ذا اشد من ذا على
كل حال الى ان قدم كاسها على القيام الى الصلاة تعجبا فيم لها وادخلها فى جملة
محفوظاته ولو ان للمعنى تاثيرا فى اعطاء الفصاحة لما حسن قوله ؛ قطعها ليس
لها حاصل كانها شعر اسودى ؛ لكونها الفاظا خلت عن المعانى الدقيقة ولما علم
الطلاق اسم لا يصل على الانسان اذا لم يكسه معنى ولما فرق بين الطلاق اسم لا يصل عليه
واسم الكاد الا من جهة انه من هذا الاسم غير حروف الاسم الاخر وانما الوزنة غير الاول
من نحو هذا القول واما وصف الكلمة بالحسن من جهة لفظها فقل من عرف يانه

تنبيه قد يوصف الكلمة بالفصاحة بالنظر الى كونها اكثر استعمالا من غيرها
كما قالوا فى يحيى المال يحيى فانه افصح من يحيى يحيوا وكذلك التحاد فى ايون افصح من
جاء فى اباك وان كان الثانى ادخل فى القياس لكنه اقل فى الاستعمال ومن ثم عد
قوله ؛ ان اباها وابا اباها قد بلغا فى المجد غايتاها ؛ من الشواذ وان كان على
القياس ومن هذا الوادى اكثر علمهم وان كان القياس اسحاذ وليس هذا
متعلق غرضنا فى هذا العلم بل المراد هنا بالفصاحة مراعاة احوال المفردات ومعانى
النحو فى التاليف على ما سبق ومن ذلك قوله تعالى عسى لكل مستقر عليهم هم العدو

فاحلهم وسبب الفصاحة فيها انه علق على المحل وقف هو المفعول الثانى وتمم عله
لرايت الفصاحة عن هذا النظم على قواسم ولو طلبت عليهم فصحر لا حلس بما
يوطن ان الفصاحة لو كانت صفة للفظ فقط لادركها كل سامع لا دراكه اللفظ
بل لا بلاء بما فى بيت بشار من الصنعة ومحو قوله ؛ كان مثار النقع فوق رؤسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه ؛ الا بمراد بما فى النحو التى تراها فيه وذلك انه
اوقع كان على تشبيه وشبه به وان اضاف مثار الى النقع وفوق الى الرؤس
ان عطف الاسياف على مثار بالواو وان جعل الليل خبر الكان وتهاوى فعلا للكواكب
ثم اجرى الجملة على الليل صفة لتم عرضه من التشبيه واذا انكرت فى هذا البيت وجدته
كالحلقة المفرغة التى لا تقبل الانقسام [illegible] لعلك تقول النظم الفصيح لوكان مقصورا
على معانى النحو لكان من لا يعرف النحو وما فيه من المبتدا والخبر والحال والتمييز لا غير
ذلك من عبارات النحاة كالبدو يجب ان يكون جاهلا معانيها فى الكلام قلت جوابه
ان المطلوب معرفة مدلول العبارات لا نفس العبارات وان البدو يفرق بين جاء
زيد راكبا وجاء زيد الراكب وان خفى عليه ان راكبا يسمى حالا والراكب يسمى صفة
ويفرق ايضا بين قولنا ادبته تاديبا وضربته تاديبا وان كان لا يسمى الاول مصدرا
والثانى مفعولا له ويفرق بين المفعولات وان كان لا يسمى هذا ظرفا وذا مفعولا به
وذا مفعولا له ويفرق بين الصفة والخبر فى قولك زيد ظريف وزيد الظريف فعل
كذا الى غير ذلك ومن ثم انكر اعرابى سمع مؤذنا يقرا الرسول فى قوله اشهد ان
محمدا رسول الله وقال صنع ماذا لان النصب يقصد الصفة فيجب ان يكون بلا خبر فلا
يتم الفايدة حين ان يرفعه ليصيب عين الصواب ولعلنا انتهينا الى كل غاية من
التحقيق وادرنا من التدقيق كاسات الرحيق وحللنا من البيان سعة
الفتق واسفرنا عن التلخيص الملل والاعار المحل واعمال ايها الطالب المتشوق
والسائل المتلطف الموقف على جهة اعجاز خير البشر المنزل على خير البشر والحقنا
من البصيرة بمرى البصر وفككنا عن لسانك قيد الكلفة والحصر حتى عدلك
وعظم فى المعرفة جلالك واحيت من غيك وحسن دلالك وكان نهاية
ترك ارتيان الطواهر من اوعية الجواهر وذلك ان تعرض عن هذا الكنوز
كل الاعراض ولا تبالى بعد تحليل الى مقام تعاد فى جملة المراض وقد اطلعتك بهذا
الكتاب على رياض كنت عليها عنها فى عمى وعن ظلالها فى حطة فخل بك
نفسك الى مراجعته واحرص مجاورته ومحاضرته او ان الحق جليا بعد ما كان
عنك خفيا وعرفك عوارف المعارف وان كنت من قبلها فى المهد صبيا واخلى عن



صدى الشك والارتياب وعلمت من اين يحسب الخطا وكيف يسر الصواب
والى الله الكريم ابتهل ان يجعل حليتنا ابتغا غايته فى سره وعلانيته وان
يمنح القبول بفضله وان يعصم من التحامل حتى لا يقال فيه جاهل يجهل او
متجاهل يجحد فضله وان لا يطرقه الا طبا سليما وخاطرا مستقيما انه
سميع الدعا مجيب للدعا بمحمد واله الاصفيا البررة الاتقيا حشرنا الله
فى زمرتهم واماتنا على محبتهم انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وهو
حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
سيدنا محمد واله الطاهرين

تم

في ملكي وانا الأقل

ابن شيخ



